

مجلة مجمع اللغة العربية



العدد الثامن والثمانون
المحررم ١٤٢١ هـ
مايو ٢٠٠٠ م

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د. / شوقي ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد الثامن والثمانون

(القسم الثاني)

المحرم ١٤٢١ هـ / مايو ٢٠٠٠ م

المشرف العام :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس التحرير :

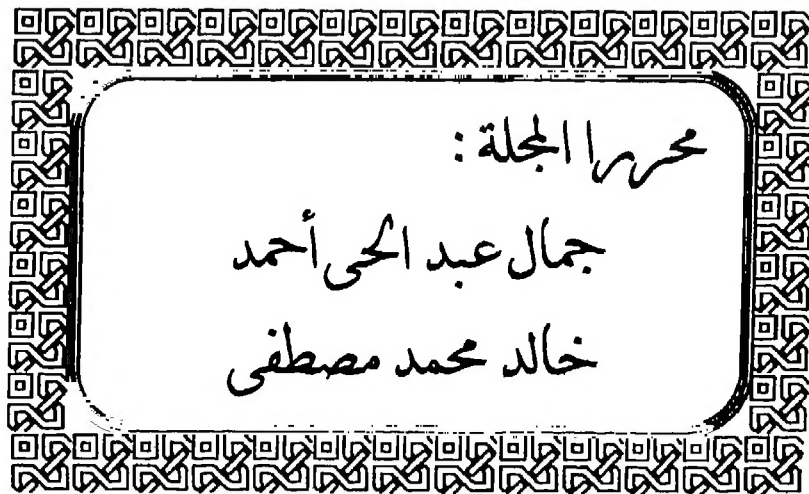
الأستاذ الدكتور كمال بشر

أمين التحرير :

سعد توفيق

مساعدة أمين التحرير :

سميرة شعلان





الفهرس

الموضوع	ص	الموضوع	ص
•• بحوث ألفت في المؤتمر		• القول الفصل في ترتيب	١٣١
• من ألفاظ الحضارة في الأندلس	١	الكتاب المقتضب للمبرد . تحقيق	
والمغرب كلمة (ظهير) مثلاً .		الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة .	
للأستاذ الدكتور محمد بن شريفة .		للأستاذ الدكتور أمين علي السيد .	
• " كان بعض هذا في حديث	١٧	• التعبير عن معاني ودلالات	١٦١
طائف " .		السوابق (Prefixes) في اللغة	
قصيدة		العربية .	
للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي .		للأستاذ الدكتور نيقولا	
• الحركة والسكون عند الصوتيين	٢١	دوبريشان .	١٧٧
العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة .		• دواعي التطور اللغوي في	
للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج		قضايا اللغة العربية .	
صالح .		للأستاذ الدكتور عباس محمد	
• طه حسين في المغرب دوره في		الصوري .	
صحوة الفكر من خلال محاضراته	٥٣	• العامي الفصيح من المعجم	١٩١
وندواته .		الوسيط (باب الغين وباب الفاء) .	
للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي .		للأستاذ الدكتور أمين علي السيد .	



الفهرس

الموضوع	ص	الموضوع	ص
• الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة .	٢٢٣	•• شخصيات مجمعية :	٢٧٥
للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني.		أولاً - استقبال تسعة من	٢٧٧
• اللغة العربية لغة الإسلام .	٢٣٧	الأعضاء الجدد وهم :	
للفريق يحيى بن عبد الله المعلمي .		١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد	
• أصل الكلمة العربية "هرم" والتي		المقصود هيكل .	
تعني " Pyramid " .	٢٤١	• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي	٢٨١
للأستاذ الدكتور اسكندر فودور .		ضيف رئيس الجمع في استقبال	
•• أبحاث لم تلق في المؤتمر	٢٤٩	الأستاذ الدكتور أحمد هيكل	
• مقدمة لدراسة الحداثة الشعرية	٢٥١	عضو الجمع الجديد .	
العربية.		• كلمة الأستاذ الدكتور أحمد	٢٨٦
للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد.		هيكل في حفل استقباله عضوًا	
• النص المعجمي في المعجم		جديدًا بالجمع.	
الوسيط. حرف الباء عينة(١).	٢٦٣	٢- الأستاذ الدكتور عبد القادر	
للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحماوي.		حسن القط .	

(ب)



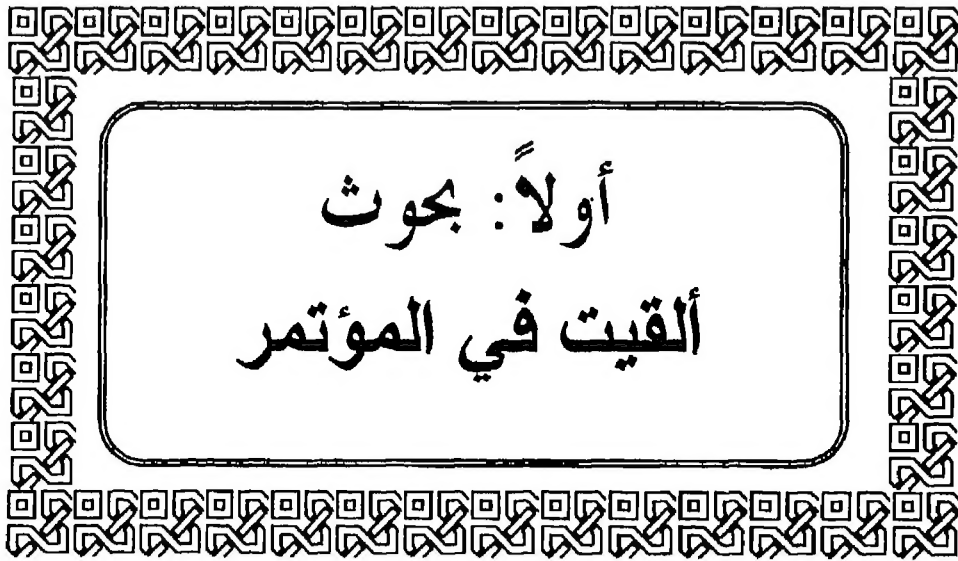
الفهرس

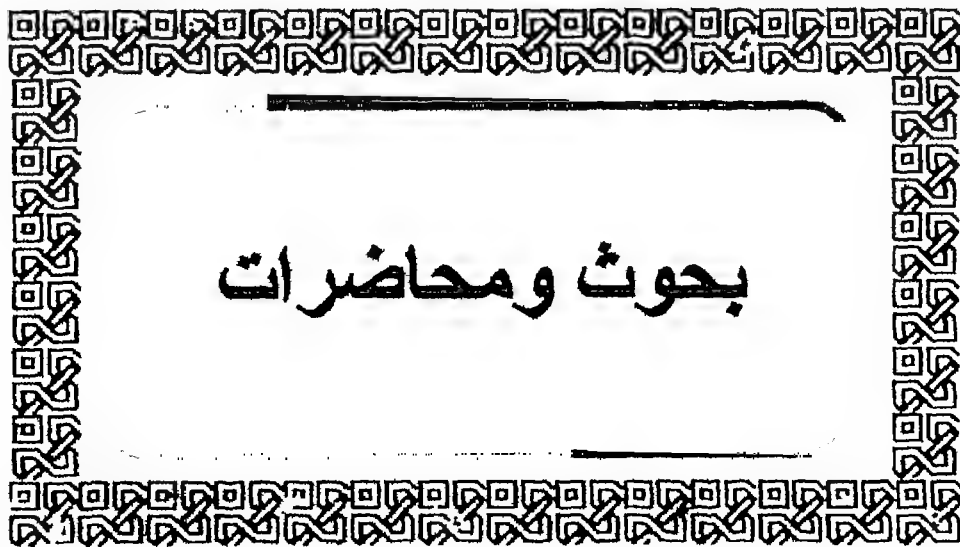
الموضوع	ص	الموضوع	ص
• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي	٢٩٥	٤- الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بليغ .	
ضيف رئيس الجمع في استقبال		• كلمة الأستاذ الدكتور محمود	
الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن		حافظ نائب رئيس الجمع في	٣١٦
القط عضو الجمع الجديد.		استقبال الأستاذ الدكتور شفيق	
• كلمة الأستاذ الدكتور عبد		بليغ .	
القادر حسن القط في حفل استقباله	٣٠٠	• كلمة الأستاذ الدكتور شفيق	
عضوًا جديدًا بالجمع.		إبراهيم بليغ في حفل استقباله	٣٢٢
٣- الأستاذ الدكتور محمود فهمي		عضوًا عاملاً بالجمع .	
حجازي .			
• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي		٥- الأستاذ الدكتور محمد عماد	
ضيف رئيس الجمع في استقبال	٣٠٣	فضلي .	
الأستاذ الدكتور محمود فهمي		• كلمة الأستاذ الدكتور حسن	٣٣٠
حجازي عضو الجمع الجديد .		علي إبراهيم في استقبال الأستاذ	
• كلمة الأستاذ الدكتور محمود		الدكتور محمد عماد فضلي عضوًا	
فهمي حجازي في حفل استقباله	٣٠٨	عاملاً بالجمع .	
عضوًا جديدًا بالجمع .			



الفهرس

الموضوع	ص	الموضوع	ص
• كلمة الدكتور محمد عماد فضلي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٣٣	• كلمة الدكتور أحمد علم الدين الجندي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٦٤
٦- الدكتور أحمد مختار عمر .		• كلمة الأستاذ فاروق شوشة في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٧٦
٧- الدكتور أحمد علم الدين الجندي .		٩- الدكتور الطاهر أحمد مكي .	
٨- الأستاذ فاروق شوشة .		• كلمة الدكتور محمود علي مكي في حفل استقبال الدكتور الطاهر أحمد مكي عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٨٦
• كلمة الأستاذ إبراهيم التريزي الأمين العام للمجمع في استقبال الأعضاء الثلاثة الجدد :	٣٤١	• كلمة الدكتور الطاهر أحمد مكي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٩٩
- الدكتور أحمد مختار عمر .			
- الدكتور أحمد علم الدين الجندي .			
- الأستاذ فاروق شوشة .			
• كلمة الدكتور أحمد مختار عمر في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالجمع .	٣٥٩		





من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب

كلمة (ظهير) مثلاً *

للأستاذ الدكتور محمد محمد بنشرية

موضوع النظم والرُسوم من الموضوعات الكبرى في كتابة التاريخ ، ولكن تناولته بأسلوب عصري ومنهج علمي شيء حديث في كتابة التاريخ الإسلامي عامة ، والتاريخ المغربي خاصة ، بل إن تناول هذا الموضوع عندنا ما يزال محدوداً ، وما نزال في حاجة إلى عمل يتتبع تطور نظم الدولة المغربية منذ قيامها إلى وقتنا ، ونظن أن المادة التاريخية المساعدة على إنجاز هذا العمل أصبحت موفرة وميسرة . وقد كان الأستاذ الصديق/هوبكنز Hopkins الأستاذ بجامعة كامبردج طبع أطروحته في هذا الموضوع سنة ١٩٥٨ ، وترجمها الأستاذ الصديق أمين الطيبي بعنوان: (النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى) وهذه الأطروحة حصيلة بحث علمي دقيق ومركّز ، وكان يمكن أن

تكون أكثر غنى وأوفر مادّة لو أن صاحبها تمكن من قراءة مجموعة من المخطوطات التي لها صلة بالموضوع . ويعتبر كتاب (العز والصولة) في معالم نظم الدولة) للشريف النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان عملاً رائداً في هذا الباب ، وقد قام زميلنا الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالوقوف على إخراج طبعه مع التقديم له والتعليق عليه ، ويقول الشريف النقيب في مقدمة الكتاب ما نصّه: "وأما نظم الدولة، ذات العز والصولة ، فقد اخترته لغرابته ، وجدّته وطرافته ، وجدارته بالبحث وأهميته، وهو موضوع مع شدّة الحاجة إليه قد أغفله المؤرخون والكتاب ، فما رفعوا عنه القناع ولا وضعوا النقاب ، ولا كشفوا الحجاب ، حتى تَوَهَّم الأعمار والأغرار

* ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ

الموافق ١٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م .

الأندلس عند صاحب العقد وغيره ، وبلغت نظم الدولة ذروتها في زمن الخلافة الأموية عموماً وعهد الخلفيتين الناصر والمستنصر خصوصاً، ويبدو ذلك بوضوح في كتابات المؤرخ ابن حيان . وأما في المغرب فقد برزت النظم كما قلت في عهد المرابطين ، وسأقتصر على ذكر ثلاثة كتب في الموضوع ؛ وهي: كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة لأبي بكر المرادي ، الذي كان في خدمة الأمير المرابطي أبي بكر يحيى بن عمر، ولعله أول كتاب مغربي ألف في نظم الدولة ، وقد طبع مرتين ، وكتاب إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي ، وهو من كتاب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، وهو مطبوع ، وكتاب منهاج الكتاب لأبي عامر السالمي ، وتوجد منه نسخ خطية ، وبما جاء في ديباجته قوله : " أما بعد فإني طالعت تراسيل أهل هذا العصر فرأيتها ترد على لفظ واحد لا يعرف بها الطالب كيف يخاطب بها من فوقه ومن مثله ومن دونه ، وقد قال أبو محمد بن قتيبة في أدب الكاتب : " ويستحب له أن

أنه لم تكن للدولة المغرب نُظُمٌ مقررة ولا قواعد معررة ، ولا طرق في الحكم والإدارة معروفة ، ولا مناهج في تدبير الملك مألوفة " ، أتيت بهذه الفقرة لأنها صريحة في ريادة مؤلف الكتاب في تناول هذا الموضوع في عصرنا وبلدنا، غير أن قوله بأنه موضوع " قد أغفله المؤرخون والكتاب " فيه نظر ، فإن كان يقصد ما يخص الدولة العلوية التي هي موضوع كتابه فلعل الأمر كذلك ، ولا سيما العوائد المخزنية في هذا العهد، وأما إن كان يقصد العموم فإنه حكم يحتاج إلى مراجعة سأقصرها على النظم الكتابية ؛ وأجزها فيما يلي : إذا كنا لا نجد شيئاً يذكر مما قد يكون ألف في هذا الموضوع في زمن الإدارة فإن بروز التأليف فيه في عهد المرابطين وازدهاره في عهد الموحدين قد يدل على وجود شيء منه قبل ذلك ، ونحسب أن بعض الكتب الوافدة من المشرق كأدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب للصولي، كان لها أثر في نشأة التأليف في نظم الكتابة الديوانية ورسومها في الغرب الإسلامي ، وظهر هذا في

والتويري والعُمري وغيرهم من المؤرخين،
ومما أُلِفَ فيها على حدة كتاب أدب
الكُتَّاب لأبي بكر ابن خلدون جدَّ عبد
الرحمن بن خلدون ، وهو مخطوط ،
وكتاب الحُلَى الكُتَّابِيَّة لأبي الحجاج
يوسف بن غمر مؤرِّخ الخليفة يعقوب
المنصور .

وقد عُني المُوَحِّدون بحفظ السجلات
والرسائل والوثائق فكلَّفوا بعض مؤرِّحيهم
وكُتَّابهم بهذا العمل ، ومنهم أبو عمرو
محمد بن عبد ربه الحفيد ولعله هو جامع
مجموع رسائل مُوَحِّدية ، من إنشاء كُتَّاب
الدولة المومنية ، وأبو الحجاج يوسف بن
غمر مؤلِّف المجموع المسمَّى بالوجيز ، في
رسائل الأمر العزيز ، وهو مفقود ، وذُيِّلَ
هذا المجموع أحمد البلوي بمجموع كبير
سمَّاه : تشبيب الإبريز ، والمزيد الأحقَّ
بالتبريز ، على ما جاء من الترسيل في
كتاب ابن غمر المسمَّى بالوجيز ، ويسمَّى
أيضًا : العطاء الجزيل ، في كشف غطاء
الترسيل ، وهو يقع في عشرين بابًا لم
يصل إلينا منها إلا الأبواب الخمسة
الأخيرة . وكان بعض كُتَّاب دار الخلافة

ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر
الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يعطي
نحسب الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس
وضيع الكلام " ، فلما رأيت هذا الكتاب
قد أهمل في هذا العصر أنشأتُ هذا
الكتاب المترجم بمهاج الكُتَّاب ، وبُوبته
على خمسة عشر بابًا . فهذه كتب في
قوانين الكتابة الديوانية وغيرها ، وإلى
جانبها توجد رسائل ديوانية وغيرها في
مجاميع عامَّة كالقلائد لابن خاقان
والذخيرة لابن بسَّام ، أو مجاميع خاصة
وهي متعددة؛ ومنها مجموع رسائل ابن
أبي الخصال أشهر كُتَّاب الديوان في عهد
علي بن يوسف بن تاشفين .

ويبدو أن المُوَحِّدين أحدثوا أمورًا
كثيرة في نظم الدولة المغربية ورسومها ؛
ومن هذه الرسوم ما يتعلق برسوم الكتابة
الديوانية ، وكان من أثر ذلك تميُّز النظم
المغربية عن النظم الشرقية والأندلسية ،
ونجد عددًا من هذا النظم لدى ابن
صاحب الصلاة وعبد الواحد المراكشي
وابن عبد الملك وابن عذارى وابن خلدون
الجدد وابن خلدون الحفيد والقلقشندي

المُوَحَّدية - وعددهم كبير - يجمعون رسائلهم الديوانية والإخوانية في مجاميع أو يجمعها غيرهم كما هو الشأن في رسائل ابن مغاور الشاطبي وابن عميرة الشقري وأبي بكر ابن خطاب على سبيل المثال .

وقد ظَلَّتْ نظم الدولة المغربية تتطور وتنوَّع في عهد المرينيين . وأكتفي - للاختصار - بالإشارة إلى كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي الذي اختصره رفاعة الطهطاوي ووسَّعه الشيخ عبد الحي الكتاني بكتابه التراتيب الإدارية وقَدَّم له بمقدمة ضافية ، وكتاب الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي ، وكتاب نصيح ملوك الإسلام لابن السكاك ، وكتاب هداية مَنْ تولى ، غير الربِّ المولى للرجراجي ، وثمة غيرها ، أما أشهر كتاب أُلِّفَ في نُظُم الدولة في العهد السعدي فهو الذي أَلَفَهُ السلطان أحمد المنصور وسَمَّاه : كتاب العارف ، في كل ما تحتاج إليه الخلائف ، وتوجد كتب أخرى أُلِّفَتْ بعده ورسائل متعددة تتناول بعض القضايا العامة أو الخاصَّة في نظم الدولة كرسالة المولى سليمان التي شرحها الفقيه اليازغي

وكان الرسائل المولفة في تنظيم بيت المال وتنظيم الجيش على سبيل المثال .

أعود بعد هذا التقديم إلى القول بأن عدداً من نظم الدولة المغربية ورسومها ترجع إلى عهد المُوَحِّدين ؛ فمن ذلك مصطلح (المخزن) ومصطلح (المشور) ومصطلح (أفراق) ومصطلح (ظهير) الذي هو موضوع هذا الحديث .

لقد مرَّ على استعمال هذا المصطلح ما يقرب من تسعة قرون ، وكفى بهذا شاهداً على أصالة المغرب وعراقته ، ودليلاً على محافظته على رسومه وتقاليده ، ومن الغريب أن هذه القرون التسعة التي مرَّتْ على استعمال هذا المصطلح لم تكن كافية في دخوله إلى المعاجم العربية ، فكلها تقتصر عند ذكر كلمة ظهير على المعنى اللغوي؛ وهو : مُعِين . وقد كنت أقدرُّ أن صاحب تاج العروس سيأتي بالمعنى الاصطلاحي في المستدرک، ولكنه لم يفعل، وإذا كنا نَعُذِرُهُ فإننا لا نَعُذِرُ شيخه ابن الطيب الفاسي الذي لم يذكر هذا المعنى في حاشيته. كما أن المعاجم العربية الحديثة لم تُشِرْ إليه ، وقد عَجِبْتُ لصنيع

Brevet, Diplôme وفَسَّر الظهير بأنه مرسومٌ يتضمنُ إنعامًا على مَنْ كُتِبَ له ، وسردَ عددًا من المصادر التي وردت فيها كلمة ظهير ، ومنها ما يرجع إلى عهدَي المُوَحِّدين والمرينيين.

ظهر من هذا أن مصطلح (ظهير) ظهر لأول مرة في عهد المُوَحِّدين ، وكان المرابطون يستعملون مصطلح (صَكّ) الذي كان مستعملًا لدى ملوك الطوائف قبلهم.

ذكر ابنُ عبد الملك في ترجمة الشاعر الجراوي الوادي آشي أنه مدح أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بقصيدة طويلة تنفك منها ثلاث قصائد فأجازه عليها بصك يشتمل على التنويه به وتحرير أملاكه، ووصف ابن خاقان يوم عيد مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وقال: " وكان ابن خفاجة حاضرًا لاستنجاز وعده ، بالتوقيع على صك يحدي نعاله من عنده" ، وكان الأمويون في الأندلس يستعملون مصطلح (سجل) ، ذكر ابن عبد الملك أيضًا في ترجمة الشاعر الخطيب أحمد بن أضحى أنه وفد على

المعجم الوسيط الذي ذكر الظهير الأيمن والظهير الأيسر في الكرة ولم يُشِرْ إلى الظهير بالمعنى الذي نحن بصده .

وإذا كانت المعاجم التقليدية قد أغفلت الاستعمال المغربي فإنَّ معاجم مزدوجة قديمة نصّت عليه ؛ ومنها المعجم اللاتيني العربي للراهب القطلاني (رمند مرتين) ، فقد أثبت هذا الاستعمال، وهو من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ؛ ففي هذا المعجم مقابل كلمة Privilegium : ظهير = ظهائر ، سجل = سجلات . وورد المصطلح أيضًا في القاموس العربي الإسباني Vocabulista in Arabico الذي ألفه الراهب بطرس القلعي Pedro de Alcala من أهل القرن الخامس عشر الميلادي إلا أنه كتبه هكذا : ظاهر ، ظواهر وفَسَّره بقوله: " Previlegio Ley Para uno Vertit " .

ثم جاء بعد هذين المذكورين المستعرب الهولندي دوزي فذكر أيضًا مصطلح : ظهير، ظهائر ، وأمامها المقابلات الفرنسية التالية : Privilège,

عبد الرحمن الناصر وألقى بين يديه خطبة وشعرًا فسجل له على قرية أرجة وما حولها ، أي كتب له سجلًا بذلك ، وقد وجدت الزميل الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في العدد الأول من مجلة الوثائق يطلق كلمة ظهير على عدد من السجلات التي ولي بها الخليفة الحكم المستنصر الأموي بعض زعماء القبائل المغربية على قبائلهم ، ولعله فعل ذلك على سبيل التقريب والمقابلة ، وإلا فإن الاسم الاصطلاحي والتاريخي لتلك الكتب هو السجلات وبذلك سماها المؤرخ ابن حبان ، واسم السجلات معروف عند العباسيين ثم عند الفاطميين .

وقد ورد في كتاب تاريخ افتتاح الأندلس ما يلي : " وزعم عبد الرحمن بن عبد الله أن ولاية جدّهم عبد الرحمن (الغافقي) الأندلسي كانت من قبل يزيد ابن عبد الملك لا من قبل عامل إفريقية " ولكني أخشى أن تكون هذه الفقرة مقحمة في هذا الكتاب لأن استعمال كلمة (ظهير) بالمعنى الاصطلاحي المعروف إنما وجد بعد ابن القوطية بزمان .

وقد وجدنا كلمة ظهير في كتاب توصية وتسويه من عبد الرحمن الناصر لعزير ابن محمد فقيه مالقة ، هذا نصه : " من عبد الرحمن أمير المؤمنين إلى محمد بن قاسم . سلام عليك . فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن عزيز ابن محمد من ساكني مالقة رفع إلى أمير المؤمنين يَمُنُّ بطاعته وما كان أيام الميل عليه من خالص البصيرة والحض على جهاد الكفرة المنتزين بحصن ببشر وغيره وذكر كبير سنّه وضعف بدنه وسأل الكتب إليك في حُسن الوصاية والحيلة له وحمله له على ضيعة بقرية شارس وقرية بلجليش ما لم يزل عليه منها من الجزية . فأجابه أمير المؤمنين فيما سأل وأسعه فيما رغب إذ تحقّق عنده ما وصف به نفسه واستبان لديه جميل مذهبه وحسن طريقته . فأحسن الوصاية به في جميع أسبابه ونفّذ له ما عهد إليك به في أمره ، وأصرف كتاب أمير المؤمنين إليه ليكون ظهيراً بيده وشرفاً لعقبه إن شاء الله والله المستعان ، والسلام عليك ورحمة الله . " وكتب يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي

القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة" (تاريخ أعلام
مالقة - مخطوط).

فمن عبارة : "لِيَكُونَ ظَهِيرًا بِيَدِهِ" أي
مُعِينًا ، تطوَّر الأمر إلى الاصطلاح الذي
عُرِف في العصور التالية .

أما مصطلح (ظهير) فلأننا نجده يُذكر
منذ الخليفة الموحّدي الأول عبد المؤمن بن
عليّ مع العلامة الموحّدية المشهورة :
"والحمد لله وَحْدَهُ" . فقد ذكر المورّخ /
ابن القطان حكاية تاجر إسكندراني
أقرضه عبد المؤمن في شبابه خمسة عشر
درهما ، ثم فرقت بينهما الأيام إلى أن
التقيا بعد ثلاثين سنة ، وعبد المؤمن أصبح
خليفة ، فأطلعه التاجر على زمامه وفيه أن
الخمسة عشر درهما نمت حتى بلغت ألف
دينار . قال ابن القطان : "وكتب له
ظهيرا بالأمان في أهله وماله ونفسه وأمر
بصرف كل ما ثقف له عليه" .

وذكر عدد من المؤلفين أبيات
الشاعرة حفصة التي خاطبت بها عبد
المؤمن ، وفي رواية الزركشي أنها قدمت
عليه مع وفد الأندلس عندما كان في سلا
[أو الرباط] فقالت تستدعي منه ظهيرا :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفته
امن علي بصك
يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه :

"والحمد لله وحده"

فوقع لها بقرية ركونة التي تنسب
إليها، ويبدو أنها عارضت بهذه الأبيات
أبياتا لشاعر عباسي يقول فيها مخاطبا أبا
سلمة الخلال :

أطلت حبس كتابي

وحملته ثم رده

يا واحد الناس وقع:

"آمنت بالله وحده"

وثمة ذكر لظواهر موحدية من هذا
النوع الذي يقصد به الإنعام والإكرام
والتنويه والتحرير من الكلف المخزنية في
المن بالإمامة وروض القرطاس والبيان
المعرب ومحنة الناظرين ورسائل ابن
عميرة وغيرها، ولا يتسع الوقت للوقوف
عندها .

ولم تكن ظواهر الموحدين مقصورة
على خدامهم من رعيّتهم ، وإنما كانوا

هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين
بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير
المؤمنين بن أمير المؤمنين . أيدهم الله
بنصره وأيدهم بمعونته - لرهبان بوبلات
التي بجهة لاردة ، وفقههم الله وسددهم ،
وأبار بصائرهم وأرشدهم ، وحل ما
يقرب من رحمة الله معتملهم ومعتمدهم ،
أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا
يُذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب
أو سلم عس مكرع ولا مرعى ، رعياً
لما سعو له وانبتدبوا إليه من المأخذ
الذي حبسوا له أنفسهم والمسعى ،
فليحفظ حفظتها في إيرادها وإسامتها ،
ولا يتعرض أحد من المسلمين لتغيص
إناجيتها ، تأميناً مد به عليهم كثيف
ظلاله ، وأوردتهم غير مرتق ولا مصرد
نباقع زلاله ، فمن وقف عليه فليمثل
حدّه ، ولا يتجاوز رسمه الكريم
ولا يتعدّه ، إن شاء الله تعالى ،
وهو المستعان لا رب غيره ولا خير
إلا خيره . وكتب في الموفى عشرين من
شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة
وستمائة .

ينعمون بها أيضاً على بعض السفراء
والتجار الوافدين عليها ، وقد ذكرت قبل
قليل ظهير عبد المؤمن للتاجر
الإسكندري ، وظهير يعقوب المنصور لابن
حمويه بتمليك بستانا باحية أغمات كما
أن ظهائر إنعامهم لم تكس خاصة
بالمسلمين ، فقد كانت تُمنح أحياناً
لصاري ويهود ، ويُعتبر الظهير الذي أعم
به يوسف المستنصر الخليفة الموحدي على
رهبان دير بوبلات المجاور لدار الإسلام
في الأندلس دليلاً صريحاً على رغي الجوار
وروح التسامح في زمن لم يكن يسمح
بذلك ، وقد عجب الباحثون المسيحيون
لهذه الالتفاتة إلى رهبان دير مصدر
عشيتهم ما شيتهم التي لا تجد مرعى في
فصل الشتاء إلا في أرض المسلمين
المجاورة ، بسبب الثلوج التي تغطي جهات
الدير المذكور ، ومصدر عجبهم أنها تأتي
بعد مرور خمس سنوات فقط على معركة
العقاب ، وهذا نص الظهير :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله
علي محمد نبيه الكريم ، وعلى آله وسلم
تسليماً ، والحمد لله وحده

ورغيب منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها ، قال البلوي : " وكان مضطحعا فاستوي جالسا وقال لي : جَهِل الناس قدي يا أبا القاسم ، وكررها ثلاثا : أفي مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ؟ هات المدواة والقرطاس فناولته إياهما ، فكتب برغبتي ظهيرا ورفعته إلى السلطان فصُرف في الحين إليه مُعلما عليه فاستدعاني ودفعه إلي " .

ويبدو أن بعض السادة من أولاد الخلفاء كانوا يمنحون كذلك صكوك الإنعام وتحريم الأملاك ، نجد هذا في قصيدة للشاعر أبي الفضل العباسي الحمداني الملقب بمدح بها السيد أبا إسحاق ابن عبد المؤمن ويطلب منه صكّا بتحرير أملاكه فيقول :

وَمَطَّلِي مِنْكُمْ صَكَّ مَوَاقِعِهِ
كَالْمَاءِ بَيْنَ ضَلُوعِ كُلِّهَا وَهَيْجُ
صَلْبِي إِذَا لَحَظَّتْهُ الْمُقَلَّةُ انْقَشَعَتْ

عَنْهَا سَحَابُ الْقَذَى وَاسْتَذْرَكَ الْفَرَجُ
وَيَقُولُ أَيْضًا :

صَلْبِي كَرِيمٌ بِهِ الدُّنْيَا قَدْ ابْتَهَجَتْ
فِي مُقَلَّتِي وَأَجْبَلِي قَدْ ابْتَهَجُوا

ومن جهة ثانية فقد أمر يعقوب المنصور كاتبه أبا عبد الله بن عياش أن يكتب ظهيرا ليهودي ، فكان مما كتب فيه العبارة التالية : " وَيُحْمِلُ عَلَى الرِّ وَالْكَرَامَةِ " . وذلك جريا على الرسم المتبع في كتابة الظهير ، فلما قرأه المنصور قال له من أين لك أن تقول في كافر : " وَيُحْمِلُ عَلَى الرِّ وَالْكَرَامَةِ " قال ابن عياش : ففكرت ساعة وقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " وهذا عام في الكافر وغيره ، فقال لي : نعم ! هذه الكرامة فالمسيرة من أين أخذتها ؟ قال : فسكت ولم أحر جوابا . فقال المنصور من قوله تعالى : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " عن الذين لم يقضوا لكم في الدين ولم يخرجواكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين " قال ابن عياش فسُربت بذلك كثيرا وبشكرته عليه " وقد كان لهذا الكتاب مكانة كبيرة حسبا يستفاد من حكاية رواها ابن عبد الملك عن شيخه أحمد بن البلوي ، فقد ذكر هذا أنه دخل عيسى بن عياش عابدا وكانت له حاجة

"الطرف الرابع فيما كان يُكتب عن
مُدَّعي الخلافة! ببلاد المغرب والأندلس":
"وكانوا يعبرون عما كان يُكتب من
ذلك بالظواهر والصُّكوك، فالظواهر جمع
ظهير، وهو المُعين، سُمِّيَ مرسوم الخليفة
أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة
لِمَن كُتِبَ له، والصُّكوك جمع صك،
وهو الكتاب. قال الجوهري: وهو
فارسي مُعَرَّبٌ والجمع أَصْكَ وصِكَاك
وصُكُوك، ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ
الصَّكَّ لما جرى به عُرْفُ العامة من غلبة
استعماله في أحد معنيي الاشتراك فيه،
وهو الصنع، واقتصروا على استعمال
لفظ الظهير".

وها هو نص آخر لابن عبد الملك
المراكشي تُرد فيه ألفاظ متعددة لمعنى
واحد، قال: "هَمُّ المنصور وهو بإشيلية
بانتزاع الأملاك التي بأيدي أهلها بإقطاع
أبيه وجده إياها لهم، وتقديم إليهم في
إحضار الصُّكوك التي تَسَوَّغوها بها،
فاشتدُّ قلقهم لذلك واستشعروا بحل
أحوالهم، إذ كانوا كلهم أو أكثرهم قد
عُني بما صار إليه منها فشيدوا المباني

وقد سُمِّيَ هذا الشاعر الظهير صكا
كما سُمِّته الشاعرة حفصة في رواية كذلك
تبعاً للتسمية القديمة، وهي تسمية وردت
أيضاً في شعر يوسف بن هارون الرمادي
من شعراء عصر الخلافة الأموية، قال
متحدثاً عن الكتاب:

مِنْ مَعْشَرٍ تَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ
بِحِكْمَةٍ تَلْقَنُهَا الْأَعْيُنُ
تَلْفِظُهَا فِي الصَّكِّ أَقْلَامُهُمْ
كَأَنَّمَا أَقْلَامُهُمْ أَلْسُنُ
وقال أيضاً:

كَاتِمٌ لِلْأَسْرَارِ عَنْ كُلِّ وَاشٍ
غَيْرِ مَا فِي الصُّكُوكِ مِنْ أَسْرَارٍ
كَالْمَحْبِّ الَّذِي يُوْحُ لِأَلْفٍ
ثُمَّ يَطْوِي عَنْ كَاشِحٍ وَيُدَارِي
وهكذا ظلت كلمة الصَّكِّ تُذكر إلى أن
حلَّ محلها كلمة ظهير.

يقول أبو بكر ابن خلدون في كتابه
أدب الكتاب في درج كلام له عن طريقة
المخاطبات في عهد أبي زكرياء الحفصي
فيقول: "هذا إذا كان كتاباً، وإذا كان
صكاً ويُسمى الآن ظهيرا..". ويقول
القلقشندي في صبح الأعشى تحت عنوان:

منها". فكلمة "الظهار" في آخر هذا النص عُبر عنها أيضاً بالصكوك والمناشير وذلك على سبيل التحوُّز .

- ويسبدو أن "الظهار" في استعمال الموحّدين كان خاصاً بظهار الإنعام والإسهام ؛ أي بتمليك النعم عليهم أملاكاً أو تحريرها من الكُلف المخزنية سواء أكان هذا للأفراد - كما سبق - أم للجماعات كظهار الرشيد الموحّدي لأهل شرق الأندلس بسكنى مدينة رباط الفتح وتعميرها ، وهو من إنشاء الفقيه الكاتب ابن عميرة ، ومثله ظهير يغمُراسن لأهل الأندلس باستيطان مدينة تلمسان والإذن لهم بالحرّاة والغراساة وغير ذلك ، وهو من إنشاء أبي بكر ابن خطاب تلميذ ابن عميرة ، ومن هذا أيضاً ظهار موحّدية لأهل زاوية تيط الأمغاريين ، وهي موجودة في بحجة الناظرين لابن عبد العظيم الزموري.

ولم يكن مصطلح ظهير في عصر الموحّدين يُستعمل في تعيينات موظفي الدولة ، وإنما كان يُستعمل مصطلح آخر هو التقديم ، وهو عبارة عن مكتوب

وأحكموا الغراسات ، ومنهم من صارت لهم إرثاً عن بعض سلفه فقصدوا الحافظ أبا بكر ابن الجذّ ورغبوا منه النظر في دفع هذه النازلة عنهم فأشار عليهم بإحضار مناشيرهم بذلك وجمعها عنده والتفويض إليه في أمرها فبعضهم وثق برأيه وعمل على إشارته ، وبعضهم توقّف ولم يثق بباطن الحافظ ، ثم أجمعوا على التسليم إليه فيما رآه ودفعوا إليه صكوكهم وكانت كثيرة فحملها من الغد إلى مجلس المنصور للنظر في ذلك فاستدعى المنصور تلك المكتوبات يتصفحها أو تُتصفح بين يديه ، فوضعها الحافظ أمامه ثم قال المنصور مستفهماً ابن الجذّ والحاضرين من أهل العلم : هل يجوز للإمام نقض حُكم من تقدّمه من الأئمة ؟ فتوقّف الفقهاء عن الجواب قليلاً ، فأشار على الحافظ بالإجابة، فقال له : ذلك جائز للإمام إذا سجل على نفسه بتجويز من تقدّمه فيما فعله، فكفّ المنصور عن النظر في ذلك ، وأمر بصرف تلك الظهار إلى أربابها وتمكينهم من أملاكهم فدفع الحافظ إلى كلّ واحدٍ منهم ما كان قد دفع إليه

وتكون مستعارة وخدما ، ومعطاة ما عندها ، حتى لا يقع في الكتاب غلط ، ويكون بعضه ببعض مرتبط .

وقد كتبتان الرسم المتبع في كتابة الظهير أن يُفْتَسَحَ بالبسطة والضميمة وبعدهما وتحتها تكون العلامة الموحّدية وهي : "والْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ" ، ولا يكون في الظهير صدر ، وإنما يبدأ مباشرة هكذا : "هذا ظهير بمرّ أمركم ... " ولا يُذكر الخليفة باسمه أو بكنيته أو لقبه ، وإنما يُذكر بأمير المؤمنين كذا في خال عبد المؤمن ، أو أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين كذا في حال يوسف ، وهكذا ولو طال النسب ، ثم يكون هذا الدعاء : "أَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِتَصَرُّه ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ" أو يعد هذا يُكْتَبُ إلى كذا ، مع دعاء مناسب ثم يُذكر موضوع الإنعام "فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ فليمثل" أو "وَعَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ" أو "فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ فليعمل بحسبه" ، ولا يكون في الظهير الموحّدي اسم المكان الذي كُتِبَ منه ، ويُفاد ذلك بالظهير الموحّدي طولا وقصرا بحسب المكتوب إليه أو إليهم .

صادر عن الخليفة الموحّدي يُقدّم به شخصاً لولاية ما ، كتقدم قاضٍ أو عامل أو قائد عسكر أو قائد أسطول أو ناظر في الجبايات ، وقد وصلت إليها نصوص تقادّم متعددة ومتنوعة جمعها أديب من عصر الموحّدين هو يحيى الخدّاج ، ومنها تقادّم صادرة عن مأمون الموحّدين وأخرى عن رشيدهم ومعظمها من إنشاء أبي الحسن الراعي .

قال يحيى وفقه الله : "انتهى ما في أثناء هذا المجموع من المكتوب في تقادّم الولاية على البلاد ، وإقرار من فيه المصلحة لسند الشغور وضبطها من القواد ، وما ألفت أنا من هذه التقادّم مما لم تكن في المجموع ، ولم تُحصّل من ذلك الموضوع ، ما أثبتته إن شاء الله تعالى مع هذه ليكون بها متصلاً ، ولها مكمل ، حتى تتساوى أنسياقاً وترتبط مساقاً ، وتلتئم انتظاماً واتساقاً لتختص هذه التقادّم بمكانها ، وتبين بينها ، وتجري في التماثل ملء عنانها ، ثم آتي بعد ذلك بالضكوك والظواهر وغيرهما مما لم ترتبط هذه الفنون ، ولا تدخل في هذه العيون ،

العلامة) عن رسوم الكتابة الديوانية في العهد المريني لكنه اقتصر على جزئية معينة هي العلامة التي تُكتب في صدر المکتوب أو في آخره ، واهتمّ بذكر کتاب هذه العلامة عند بني مرين والحفصيين ، ولم يكن دقيقاً في تسمية المصطلح ، إذ نجده يتحدث عن اختلاف آراء الملوك في العلامة ؛ فيذكر أن بعضهم يضعها بيده في الصك كملوك الموحّدين وملوك بني الأحمر ، وبعضهم يكتبها بنفسه أو يكلف بها رئيس كتابه كبني مرين ؛ قال : " فإذا رأيت الصك المريني وعلامته : " وكتب في التاريخ المؤرخ به " فهي بخط يد السلطان ، وإذا كانت : " وكتب في التاريخ " فهي بخط يد صاحب العلامة وهكذا يكرر ابن الأحمر ذكر الصك والصكوك مع أن المستعمل حينئذ هو مصطلح الظهير الذي نجده كثيراً عند ابن الخطيب وابن بطوطة وغيرهم .

لقد أشرت إلى بعض الملح الأدبية المتعلقة بالعلامة الموحّدية في شعر حفصة وشعر ابن مَرَج الكحل وغيرهما ،

لقد ورث المرينيون عن الموحّدين استعمال كلمة ظهير ، وإن وحدنا كلمة الصكوك في عهدهم على سبيل التحوُّز كما في قول مؤلف بيوتات قاس في الحديث عن عبد الله ابن أبي مدين : " فلزم عبد الله بن أبي مدين القعود بمشور السلطان لكتب الصكوك من أول النهار إلى آخره " والقلقشندي يذكر الصكوك والظواهر عند الحديث عن رسوم بني نصر وبني مرين ، وينص على العدول عن استعمال الصك ويذكر سبب ذلك ، ومن المعروف أن مظاهر الحضارة كانت متشابهة في زمن بني مرين وبني الأحمر ، ويعيننا هنا مصطلح الظهير الذي أصبح في هذا الزمن يُكتب للتعينات والتقايم كما يُكتب للإنعام والإكرام ، وقد أثبت القلقشندي وابن الخطيب عدداً من الظواهر النصرية والمرينية في النوعين ، وتتميز الظواهر التي حررها ابن الخطيب بطول التنفس وبسط العبارة وفخامة الأسلوب ، وهي موجودة في بعض كتبه وفي نفتح الطيب ، وكنا نتظر من ابن الأحمر أن يحدثنا في كتابه : (مستودع

ويقول في الشكر عن ظهور أصدره إلى
ولده:

مَوْلَايَ نَعْمَاكَ الْعَمِيمَةُ بَلَدَتْ
ذَهْنِي الصَّقِيلَ وَأَخْرَسَتْ مِنْ مَنْطِقِي
وَأَفَى "الظَّهِيرُ" لِنَحْلِ عَبْدِكَ مَنَعًا
بِمَوَاهِبِ مَنْ بَخَّرَكَ الْمُنْدَفَقِ
طَوَّقْنَا طَوَّقَ الْحَمَامِ أَيَادِيَا

فَنِدَاؤُنَا بِالشُّكْرِ سَخَّجَ مُطَوَّقِ
فإذا وصلنا إلى زمن الأشراف
السعديين ، وجدنا أن ظهائرهم كظهائر
بني مرين تكون للإناعام على المستحقين
كما تكون لتعيين الموظفين ، وقد وصل
إلينا عددٌ منها، وهي تنحو في الأسلوب
منحى الظهائر الخطيبية ، ولا سيما تلك
التي حرَّرها عبد العزيز القشتالي، وهو مَنْ
كان المنصور يُباري به لسان الدين ابن
الخطيب، على أننا نجد شيئاً من الاختلاف
في رسم المصطلح بين الظهائر التي كتبها
القشتالي والظهائر التي كتبها غيره ،
فالأولى تُفتتح بما يلي : "عن أمر عبد الله
تعالى ، المجاهد في سبيله ... إلخ الألقاب
... يستقرُّ هذا الظهير الجليل ... إلخ
الأوصاف ... بيد فلان ... إلخ النعوت

وأضيف إلى ذلك الآن بعض ما قيل
في علامة "صَحَّ هذا" التي اتخذها
أمراء بني نصر ؛ فمن ذلك قول
أحمد بن قُطْبَةِ الغرناطي وقد طلب من
بعضهم أن يَمُنَّ بظهيرٍ في شأن
حاجة :

تقول ليلي وقد رأيتني
كسيفَ بالٍ ، فُديتَ ماذا ؟
فقلتُ مهلاً فعن قريبٍ
يصحُّ هذا بـ "صحَّ هذا"
ويقول ابنُ زَمْرَك متفائلاً لسلطانهِ بالراحة
من مرض :

نعمتَ كما شئتَ علاك صَبَاحَا
وُلِّيتَ أَيَّامَ السُّرُورِ صَبَاحَا
وَأَسْنَدْتَ عَنْ فَاكِ الْعَلَامَةِ "صَحَّ ذَا"
أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا الزَّمَانُ صَحَّاحَا
ويقول فيه أيضاً :

انعم صَبَاحًا يَا صَبَاحُ
وَاسْتَقْبِلِ الْغُرَرَ الصَّبَاحُ
وَاسْتَحْلِ كُلَّ مَسْرَةٍ
وَأَمْنَا بِأَيَّامِ النُّجَاحِ
في "صَحَّ هذا" آيةٌ
وعلامةُ البُرءِ المُتَاحِ

... ثم تُذكر التَّوَلِيَّةُ مع التوصية أو الإنعام مع تحديده ، ويُختم بذكر التاريخ وكتب في كذا "

أما الظهائر الأخرى فمثالها ظهيرٌ من إنشاء الكاتب محمد بن عيسى بتَّوَلِيَّةِ الرايس إبراهيم الشَّطَّ على قيادة الأسطول، وهذا الظهير كما يقول القشتالي في المناهل مكتوبٌ حسب اسم المصطلح الذي كان الانتقال عنه ، وهو مُفْتَحٌ بعبارة: "هذا ظهيرٌ كريمٌ ... لفلان .." ويُختم بعبارة: "فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ فَلْيَعْمَلْ بِمُقْتَضَاهُ وَلَا يَتَعَدَّهُ" وهذه الرواسم هي التي رأيناها في الظهائر الموحَّدية .

أما العلامة السعدية فهي العلامة الموحَّدية التي سبق ذكرها ، ولكنها بالغة الزخرف ولا تُقرأ ، ويرى المستعربُ (كولان) أن ذلك بتأثير الطغراء العثمانية، وهي تُوجد مرسومة أيضًا على مدافعهم وبعض عُملَتهم وفي زخارف قصورهم .

إن مسك الختام في هذا الحديث المتواضع هو الظهير في الدولة العلوية الشريفة ، وهو يستحقُّ حديثًا خاصًا به ، وإلى أن يحين ذلك أكتفي بالقول: إن الظهائر العلوية الشريفة كثيرةٌ ومتنوعةٌ ، سواء التي كُتبت في التعيينات أم التي كُتبت للإنعام أو الإغفاء من الكُلْفِ المخزنية ، وما أكثر ما كُتب من هذا النوع الثاني للفقهاء والشرفاء والمرابطين ، وتمتاز هذه الظهائر بالطابع الشريف ومنه الكبير والصغير ، ويوجد عددٌ كبيرٌ منها في دَورِية الوثائق التي تصدر عن مديرية الوثائق الملكية .

هذا نموذجٌ من مشروع تاريخ أُلُفاظ الحضارة في الأندلس وبلاد المغرب ، وأنا أنوي السير فيه على هذا النحو ، وكم أكون سعيدًا لو اشتركت فيه مع أخي العالم الكبير الأستاذ الدكتور محمود مكّي، ومعرفتي بتواضعه هي التي تحملني على هذا التمني ، وهو فاعلٌ إن شاء الله .

محمد محمد بن شريفة

عضو المجمع المراسل من المغرب

كان بعض هذا في حديث طائف (١)

قصيدة *

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

أقول أنا السمنح العراقي متعب
مشى كل ذي لغو إلي بصيحة
ألي في ديار العرب أهل ومرحب؟
حوت كذباً، وهو الظلوم، ويكذب
تعرفت هذي وانثيت لغيرها
علام تلاحيبي أترقي حمامة
وقد كان لي في الشرق والغرب مذهب
فما كان لي في كل أرض عرفتها
حمى أتحامى فيه ما أقيب
ولا مرت الأيام بي تستفزي
هوئى رفاً منه همس ما هو طيب
فمن ذا الذي أرجوه في بعض نازل
ومن ذا الذي أليه لا يتهرّب
نظرت إلى أمسى فهاج التجب
ولم يك لي فيه مراح وملعب
وجئت إلى يومي أصحاب نافراً
وكيف إلى جاف أرود وأصبح؟
فرحت بعبء أيّ يومي أصطفي
وأيّ أرنو آتياً وهو يكرب
نحذ العفو مني ما أراك مواخذي
وإني إلى معروفك اليوم أطلب
ألقيت هذه القصيدة في الجلسة العاشرة يوم الاثنين ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م.

(١) قلت : كان بعض هذا في حديث طائف طريقي فكان منه أن بادري بشيء من أشات هذه السجوى .

وقد يطرب المحزون يذهب صوته
 نسيباً مشى في سلسلٍ يتلهَّبُ
 أنلني الأسى لم أدر بعض لحونه
 وقد فر مني نافرًا يتذبذبُ
 تداعى علي الليل والوجد والهوى
 فكان لهم فيما سعوا وتألبسوا
 فعدت إلى نفسي ألسم شاتها
 وطارت شعاعًا وارثت تتقلبُ
 وقلت: ألي في اللفظ أشباح معشرٍ
 أسائلهم عن كامن السرِّ يعذبُ ؟
 وأغمز من أوتارهم أي ساحرٍ
 أجاذب منه عامرًا بات يجذبُ ؟
 إلى وطنٍ قد عادني من حديثه
 هوى نال من ضعفي بما راح يسلبُ
 أأقوى على النجوى أطيل جواها
 وقد رث مني ما به أتعصبُ ؟
 وأين التي قد كان لي من حسنها
 قوافٍ أناجيها فتدنو وتحذبُ ؟
 وأسكب فيها النفس أعرها هوى
 وهل لي سوى نفسي التي كنت أسكب
 عشية ألقائي ولي بعض آلة
 من اللفظ يصفو لي به والتحبُّبُ

لقد نالني من طيف ما أنا أندب
 وقد هالني في المدلجات تعربُ
 عدمت به نوءًا أناخ به الأسى
 ولاح به من هائف الوجد كوكبُ
 كأن بريدًا بيننا صين حبله
 فراحست قوافيه تسنُّ فتكتب
 يقول لي الإلف البعيد إلى متى
 يجول بنا عصفٌ ويقسو ويقضب
 فقد قال فيما قال كيف لقائنا
 وأيان منا الدار تدنو فترحبُ ؟
 أعما قريب تنجلي بعض غمة
 فيمثل للشادين في المجد موكبُ ؟
 إلى الحلم كم يصبو لبعض لقائه
 كتيب يعاني الليل وهو يشبب
 لئن خانه طرف وطال نسيبه
 فهل وطن يلقاه من بات ينسب
 أقول لإخوان الشتات على النوى
 دهاني مع الذكرى هوى وتجنّب
 وما كان لي أن أسلم الوجد وهو بي
 لحون وآهات تشور وتغضبُ
 أرم بها ما نال من همي بلى
 تمضممني ما رق منها فأطربُ

فلا تبتس أن بتَّ تطلب حاجة
وكم كان منها أمسٍ ما ليس تطلب
* * *
رفاق النوى إن النوى أي غمرة
يخوضُ بها لصٍّ وآخرُ أرنبُ
خذوا حذرکم فالبعد ليست نهاية
وغاية ذي ضغنٍ مشى منه ثعلبُ
فلاني وقد جَوَلْتُ في بعض غامرٍ
دهاني به أسدٌ تصول وأذوبُ
وكانت فلولٌ للشقاء يهْمها
رخيصُ متاعٍ يرتمي فيه أشعبُ
تصيّده بل سامه كلُّ بائسٍ
بحولٍ في قطعٍ من الليل ينهبُ
لقد عاش في كرمٍ من الحيّ ثعلبُ
وكم حال فيهم بالأباطيل مُذنبُ
فلول الشقا قد فرّ عنكم أخوالهدى
ومن صان نفساً عن صفائر تُكسبُ
فقد ساد ليث الغاب فيكم وإنه
إلى كل مرذولٍ من الأمر يُنسبُ
أذمّ لكم هذا الذي ترتضونه
من العيش فيه الذلّ بالسُّحت يجشِبُ
تناسيتم أنّ العراق وأهله
أطيح بهم شرٌّ وذو الشرّ يشجبُ

وكيف وقد يُمنى امرؤ بلقائكم
رئتُ فلا أمّ بكلّ ولا أبُ
أشائبُ منّا ضامنا سوء أمرهم
بما صعدوا في سوء عيشٍ وصوبوا
وإني كما قد قال "نابغة" الوري
وليس لنا إلا الذي هو يوهبُ
"ولست بمستبقٍ أخا لا تلمهُ
على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذبُ"
وقد يُبتلى ذو العقل فيما ينوبه
من الخطب لا يُقصيه عنه التنكُّبُ
وإني وقد أفسو، وقد جُنَّ منطقي
ومصدق مني في هوى وهو مطلبُ
لذو صيحةٍ مهما تَهَضَّمَنِي البلى
وذو نغمةٍ حرّى لما فيه يرغبُ
ولستُ بنقضٍ عافَ دنياه قابعا
بكسرٍ ، ولقد يسمو إلى الحزم أشيبُ
ولي ، وقد استوفى بي الحزم ماله
وأسعى له في العزم ما أتأهبُ
ليعطفني للمجد شادٍ ومتعبُ
سعى في قوى من ذا وذا وهو يصخبُ
وإن صَوَّحَ الربع الكيب وضامه
سبيل مُطّى في السرى وهو مُجذبُ

أقول ولي بعضُ المي وهو ضلّةٌ
وقد يتأسّى بالخيالات مُلهبُ
يطنُّ الليالي وهي تنباء في دُجى
سسيّاتي لها بعد الملمات صيّبُ
إبراهيم السامرائي
عضو المجمع
من العراق

أقلّني عذراً إن دجا في منطق
وقد راح في بقيا من الحرم يصعبُ
* * *
أخي في النوى في حيثما كنتَ صاحبي
وإي بما في وحدتي أتـحزّبُ
وإي بحزبٍ ، والليالي تقودني
إلى بعض من ضيموا فطال تغرّبُ

الحركة والسكون عند الصوتيين العرب

وتكنولوجيا اللغة الحديثة *

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

الأصح لليونانيين القدماء) - إلى الدينامية اللفظية (أو حركية التلظف) ولم تغيرها الصوتيات الغربية في جوهرها إلى يومنا هذا وحافظت على التقسيم نفسه فقط كما سنراه .

وللسحاة واللغويين العرب نظرة أخرى⁽³⁾ قد تلتقى بهذا التصور فيما لا مناص من قبوله لأنه راجع إلى الحس أي المعرفة المبنية على المشاهدة والتجربة وتفرقتها من عدة جوانب من حيث تصور آخر أي نظرة من زوايا أخرى غير الزوايا التي اعتمد عليها قدماء اليونانيين . ولهذا يجب على الباحث فيما أعتمد، أن يتأمل جيدا هذا الذي يسميه العرب الحركة والسكون والحرف المتحرك أو الساكن ولا بد من الالتفات في ذلك إلى ما توصل إليه البحث لا في الصوتيات الحديثة فقط بل وكذلك في ميدان التكنولوجيا اللغوية.

قال علي بن عيسى الرماني⁽¹⁾ في شرحه لكتاب سيبويه، "لا يتكلم بحرف واحد حتى يوصل بغيره فالوصل هو الأصل في الكلام" (5/ الورقة 23 ب)⁽²⁾.

فهذا القول وهو قول جميع اللغويين العرب الأولين يخالف تماما النظرة اليونانية التي بنى عليها تقسيمهم لأصوات اللغة إلى مصوتات وصوامت . فقد لاحظ الفلاسفة اليونانيون ثم نحاقم أن بعض الأصوات لا يمكن أن ينطق بها في الكلام العادي دون أن يرافقها صوت من جنس آخر فسموه apona (غير مصوت) أو symphona (مرافق لغيره). وأما هذا الذي يكون دائما معه في الكلام فيقدر الناطق أن ينطق به منفردا وسموه phoneenta . ومن ثم نشأ - في الوقت نفسه - مفهوم المقطع (Syllabe) وتوارث الغربيون هذا التقسيم - وهي نظرة (على

* ألقى هذا البحث في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الاثنين ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ

الموافق ١٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

النظرية اللفظية الحراكية العربية وما قاله

العلماء العرب

إن العلماء العرب اطلعوا على هذه المفاهيم الصوتية اليونانية بعد أن ترجمت إلى العربية كتبهم لا قبل ذلك . واستساغها الفلاسفة العرب وعلماء الموسيقى فوضحوها وعلقوا عليها وأضافوا إليها أشياء جديدة نتيجة لاجتهادهم العلمي ، وتجدد الإشارة إلى أنهم كثيرا ما يرجعون إلى النظرة العربية فيحاولون أن يترجموا تصور هؤلاء بالفاظ أولئك والعكس. فهذا الفارابي يقول بعد أن تعرض للتقسيم إلى مصوت وغير مصوت : " كل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل، إلهم يسمون المصوتات حركات . وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلا وهو يمكن أن يقرن به فإلهم يسمونه الحرف الساكن . وكل حرف غير مصوت قرن بمصوت طويل نسميه المقطع الطويل" (كتاب الموسيقى الكبير ص1075)

وقال ابن سينا : "والحرف الصامت إذا صار بحيث يمكن أن ينطق به على الاتصال الطبيعي سمي مقطعا وهو الحرف الصامت الذي شحن الزمان الذي بينه وبين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة " (الشفاء ، جوامع علم الموسيقى ص 123). فإن كان الزمان قصيرا سمي مقطعا مقصورا وهو حرف صامت وحرف مصوت مقصور وإن كان طويلا سمي مقطعا ممدودا وهو حرف صامت وحرف مصوت ممدود أو ما في زمان دوران أقصر زمان وهو صامت ومصوت وصامت. والمقطع الممدود يسميه العروضيون : السبب والمقصود إذا اقترن به الممدود سموه: الوند (نفس المرجع، ص126).

العجيب في قول ابن سينا هذا هو أنه يعتمد على مفهوم الحرف وهو مفهوم عربي ليحدد مفهوم المقطع اليوناني . وكل من الفارابي وابن سينا يحاول أن يأتي بالمقابل العربي: الحركة بمعنى المصوت القصير والسبب بمعنى المقطع الممدود. وأعجب من هذا هو أنهما لا يتساءلان

جني: "يجوز أن تكون سميت حروفا لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المكدقة به" (سر الصاعة 16/1).

فمن هذا يتبين أن الحرف هو أصغر مكون للكلام⁽⁵⁾ وأن الكلمة التي هي مكون آخر للكلام يمكن أن تتكون من حرف واحد (على الأقل مثل المد في "خرجا") وأن ابن جني كان ينظر إلى أن هذا المكون الأصغر للفظ على أنه جهة وناحية للكلمة ولا يقول أن الحرف جزء أو قطعة منها⁽⁶⁾ واستدل على ذلك بالمعنى الجامع الذي تدل عليه مادة (ح ر ف).

أما تحديد الحرف من حيث هو صوت فاتفق الجميع على أنه ناتج عن تقطيع الصوت الحنجري (أو النفس) في جهات معينة من الجهاز الصوتي أي باعتراض عضو على هذا الصوت جزئيا أو كليا في زمان وحيز فيكون له بذلك جرس خاص. يقول ابن جني: "تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع (= المخارج) شئت فتجد له جرسا ... (ص6) أما الحكماء فإن لابن

هها عن عدم وجود ما يسمونه بالمقطع القصير في العروص العربية. وما يرعاه الفارابي بأنه هو الحرف المتحرك غير دقيق لأن الحرف المتحرك لا يمكن في النظرة العربية أن يوقف عليه مع بقاء الحركة كما هي بخلاف المقطع القصير فإنه يمكن في النظرة اليونانية أن ينفصل. فهنا يكمن الفارق الأساسي الذي تفترق فيه النظرتان⁽⁴⁾

1- الحرف كأصغر عنصر من عناصر

الكلام

قبل أن نتطرق إلى هذا الفارق المهم ونمهيذا لتوضيحه الكامل فإننا سنحاول أن نكشف عما يقصده العلماء العرب من لفظة "حرف" وخاصة بالنسبة إلى الكلام والكلمة ثم إلى الصوت والمخرج. وما هي أصنافه عندهم وصفاته المميزة له عن الحركة وغيرها.

يقول الرماني: "أقل ما يمكن أن ينطق به من الحروف الحرف الواحد (شرح الكتاب 141/5). ويقول سيبويه: "أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد" (304/2) ويقول ابن

سبينا تحديدًا فنولوجيًا محضًا سبق به أهل
الفتولوجية بقرون . يقول: "الحرف هيئة
للصوت عارضة يتميها عن صوت آخر
في الحدة والثقل تميزا في المسموع"⁽⁷⁾ .
(أسباب حدوث الحروف، 60).

2- التقسيم إلى حروف صحاح وحروف اللين (معنى حرف المد)

وأما أصناف الحروف ففي تقسيم
العرب لها يلتقي النحو العربي بما قاله
اليونانيون في تقسيمهم لأصوات اللغة إلى
صوامت ومصوتات مع الكثير من
الفوارق كما سراه. وما كان يمكن
لعابرة مثل الخليل وأمثاله أن يغفلوا عن
هذه الظاهرة العامة الوجود الناتجة عن
كيفية تقطيع الصوت الطبيعي في
المخارج.

فقد قسم العرب الأصوات اللغوية
إلى حروف صحاح وحروف لين. ثم
قسموا هذه الأخيرة إلى حروف توائم وهي
حروف المد وحروف ناقصة وهي
الحركات . وبهذا التقسيم الأخير يفارقون
التحليل السيوناني . يقول سيوييه عند
تحديده للحروف اللين: "هذه الحروف غير

مهموسات وهي حروف مد ولين
ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس
شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا
أمد للصوت.."^(285/2) ويقول ابن
جني: "فإنك إن أشبعتها (الفتحة) حدثت
بعدها ألف ... فلولا أن الحركات أبعاض
لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها "
(نفس المرجع ، 20). ويقول ابن يعيتش :
"ومنها الحروف اللينة.. وقيل لها ذلك
لاتساع مخرجها والمقطع إذا اتسع انتشر
الصوت ولان وإذا صاق انضغط فيه
الصوت وصلب" (شرح المفصل،
130/10)⁽⁸⁾ وقال أيضًا : "لأن الحروف
(المديّة) أصوات وإنما رأى النحويون
صوتا أعظم من صوت فسموا العظيم
حرفا والضعيف حركة" (64/9).

ويمكن أن نلخص هذا في الجدول التالي :

عند اليونان :

صوامت / مصوتات (قصيرة - طويلة)

عند العرب :

حروف صحاح (أو جوامد) / حروف
لين⁽⁹⁾ (حروف ناقصة: أصوات الحركات،
حروف توائم : مدات لأصوات الحركات)

الحركة بالسكون فيقول : "لأن الحركة تمكن من إخراج الحرف⁽¹²⁾ والسكون لا يمكن من ذلك " (15/5) . ويقول أيضاً: "إذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر " (21/5ب).

3- الحركة هي في الحقيقة الحركة

العضوية الهوائية التي تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر من هذا الكلام نفهم أن للحركة دورين مهمين جدا تنفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوام (الجامدة منها واللينة) وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف أولاً وتمكينه ثانياً من الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر . وهذا الذي قاله الروماني مهم جداً لأن النظرية الصوتية العربية بنيت كلها على هذه الرؤية الحركية. وبذلك نستطيع أن نفهم لماذا سميت الحركة حركة ونفهم أيضاً الكثير من الظواهر الصوتية . ولا ننسى أن هذين القولين المهمين جدا هما تفسير لكلام سيبويه والخليل . فقد قال سيبويه : "من (أي الحركات) يلحقن ليوصل إلى التكلم به " (315/2) .

فلماذا فرق العرب بين الحركة وهي صوت عندهم ومدتها فاعتبروا هذه المدة حرفاً قائماً بذاته بل وحرفاً تاماً دون الحركة التي هي ابتداءها؟ ولماذا لم يجعلوها حرفاً واحداً وهو المصوت الطويل عند اليونان (والصوتين الغربيين)؟ إن هذه الأسئلة ترتبط بالإجابة عنها ، فيما أعتقد ، بمفهوم الحركة وحرف المد وهو شيء لم يستطع المستشرقون ومن تبعهم فهمه إلى يومنا هذا⁽¹⁰⁾ يقول الرماني : "حروف المد واللين قد تباعدت بالخاصية⁽¹¹⁾ عن الحروف الصحاح تباعداً شديداً .. إذ هي من جنس الحركات التي يضطر إلى زيادتها لإمكان النطق بها وليس ذلك للحروف الصحاح فلما تباعدت بالخاصية من جميع الحروف الصحاح صارت بمنزلة ما تباعد بالمخرج (23/65/5 ب) ويقول في مكان آخر : "الحروف تتقوم بالحركة على ما يمكن النطق به ولا تتقوم بالحرف من الياء ونحوها ويتوصل بالحركة إلى النطق بالحرف ولا يتوصل بالحرف إلى النطق بالحرف (14/56/1) . ويقابل حينئذ

امتداد لصوت الحركة⁽¹³⁾، لا للحركة كحركة غير الحركة التي تمكن من إحداث الحرف ووصله بعرف آخر .

أما الحركة كصوت أي كمصوت قصير فهو المفهوم السائد عند المتأخرين وأكثر المحدثين ولا يعرفون غيره⁽¹⁴⁾، وقد أكد كذلك على الجانب الصوتي كل العلماء القدامى فقولهم : "إن الحركة حرف صغير : ألف أو واو أو ياء صغيرة، فهو تأكيد لذلك. يقول صاحب الدر النثر : "الفتحة مبدأ الألف ومبدأ الشيء جزء من الشيء" (163) 9 ويقول ابن يعيش: "فالروم أو كد من الإشمام لأن فيه شيئاً من جوهر الحركة وهو الصوت " (70/9) . وللحركات ، لهذا السبب مخارج مثل الحروف التوام . يقول السمراني في شرح الكتاب : "مخرجها (الفتحة) من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضممة من مخرج الواو وقال بعضهم الفتحة جزء من الألف " (شرح الكتاب 315/2).

ويقول الخليل : "الحروف 28 لكل حرف منها صرف وجرس وأما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف وأما الصرف فهو حركة الحرف (تهذيب اللغة للأزهري 46/1). ويقول أيضاً " أما الألف اللينة فلا صرف لها إنما هي جرس مدة بعد فتحة فإذا وقعت صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنابت على الممزة أو الياء أو الواو كقولك: "عصاة وعصائب وكاهل وكواهل وسعلاة وسعليات ... فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصاة والواو في الكواهل ... جاءت خلفاً منها " (47-48).

وعلى هذا ينبغي أن نميز ، كما يفهم من هذا الكلام. بين جرس الحرف وهو ما يدرك منه بالسمع وهذا يخص الصوت في حد ذاته وهو هوية الحرف الصوتية السمعية وبين صرف الحرف وقد فسرته بالحركة وهو يخص إحداث الحرف والخروج منه إلى حرف آخر . ويقول عن الألف إنها لا صرف لها إنما هي ، مثل الواو والياء المديتين ،

الحركة ومفهوم الإدراج

كما هو معروف يوصف الحرف بأنه متحرك أو ساكن فالذين تأثروا بالفلسفة اليونانية يكتفون في تحديدهم لها بقول مثل هذا : "الحرف لا بد وأن يكون إما ساكناً أو متحركاً ولا نريد به حلول الحركة والسكون فيه لأنهما من صفات الأجسام بل المراد أنه يوجد عقيب الصامت صوت مخصوص " (الرازي ، التفسير 38/1)⁽¹⁵⁾ وليس الأمر بهذه البساطة. قال سيبويه: "إذا أردت إجراء الحرف ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها (أي الحركات) وإن شئت أخفيت " (405/2) ويفسر هذا هارون بن موسى أحد شراح الكتاب هكذا : "فإذا أردت تحريكها بإحدى الحركات الثلاث ... رفعت صوتك بحروف المد واللين فقلت : فاء، وفو، وفي فلا بد من حروف اللين لأن الحرف المتحرك لا ينفرد كما لا ينفرد الساكن " (الورقة 176) . ويقول ابن جني : .. "لا يجري الصوت في الساكن فإذا حرك انبعث الصوت في الحركة ثم انتهى إلى

الحرف " (الخصائص، 130/3) . ويقول الرماني: "يقتضي الوصل التحرك لتمكين الحرف الذي بعده متحركاً كان أو ساكناً" (115/5) .

فهذا التسلسل المتداخل للحروف الذي تحدثه الحركة هو الذي يسمونه الإدراج . يقول ابن جني : " أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سبباً له وعونا عليه " (الخصائص 58/1) . ويعني اللغويون العرب بذلك أن الكلام الطبيعي متصل بعضه ببعض ولا انقطاع فيه ولا مقاطع⁽¹⁶⁾ تحصل فيه (إذا كانت تأدية الحروف عادية) كما يتصوره اليونانيون ومن تبعهم ، وعناصره مدرجة فيه بحيث تصير مثل سيلان المواقع⁽¹⁷⁾ . والدليل على ذلك هو أن "الحرف الساكن ، كما يقول ابن جني، ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه⁽¹⁸⁾... " وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت ولم تتناول إلى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت له ولم تسرع الانتقال ... فأما إذا تأهبت للنطق بما بعده وتميأت له وتنشمت فيه فقد

إطلاقاً . فهذا هو الإدراج وما أبعد هذه الرؤية من التصور اليوناني الذي يجعل من الكلام مجرد تعاقب للعناصر الصوتية تقترن بعضها ببعض دون أن يكون هناك إدراج للحركات المحدثة لها .

هذا وقد استشكل العلماء الذين تأثروا بأقوال المتكلمين والفلاسفة أن يوصف الحرف بالحركة والسكون . ومن حاول رفع هذا الإشكال الزجاجي⁽²⁰⁾ ثم السهيلي . قال هذا الأخير : "قولهم حرف متحرك .. تساهل منهم .. فمحال أن تقوم الحركة بالحرف لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض . وإنما المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف .. والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف (ذكر في الأشباه للسيوطي 1/191) ويقول ابن القسيم : "وعندي أن هذا ليس استدراكاً على النحاة؛ فإن الحرف وإن كان عرضاً فقد يوصف بالحركة تبعاً لحركة محله .. " (الأشباه، 1/192).

حال ذلك بينك وبين الوقفة " (نفس المرجع)⁽¹⁹⁾

ثم إن للحركة التي يتم الإدراج تأثيراً كبيراً على الحرف الذي تحدثه لأنه "يتقوم بها" وبما أن لها مخرجاً كمصوت (أو نفس) فتجذب الحرف إلى مخرجها . يقول ابن جني : "لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها (سر الصناعة ، 1، 30) ويقول الرضي : "لأن الحركة لشدة لزومها للحرف وإن كانت متعقبة لها [إلياء] تفت في عضدها وتشرها شيئاً من جوهر نفسها ونمليها إلى مخرجها شيئاً " (شرح الشافية 3، 10) .

هذا هو التصور العربي للدينامية اللفظية الطبيعية : فاتصال الحروف يقتضي التهيؤ للنطق بالحرف التالي في الوقت الذي ينطق بما قبله وهذا يحدث في أثناء النطق بالحركة أي في بداية الخروج من مخرج الحرف والانتقال إلى مخرج آخر فالحركة ههها هي مثل حركة الصور في الأفلام السينمائية فلا انقطاع فيها بين صورة وأخرى

قبل ذلك بزمان طويل نسب العلماء التحرك إلى الأعضاء الناطقة . قال الخليل: "تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت وفي الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت" (نفس المرجع 177) . وكذلك يقول سيويه : "فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك لأن ضمك شفتيك كتحرريك بعض جسدك " (283/2).

والذي يلفت النظر في كلام الخليل هو إردافه لحركة العضو بحركة أخرى وهي حركة إخراج الصوت وهذه الأخيرة هي في الحقيقة حركة الهواء الصائت⁽²¹⁾ أو غير الصائت (النفس) المندفع من الصدر والتكثيف في التحاوير العليا . وقد سبق أن ذكرنا بهذا الصدد " كلاما لابن جني (في ص 7) : "لا يجري الصوت في الساكن فإذا حرك انبعث الصوت في الحركة ثم انتهى إلى الحرف " (الخصائص، 130/3). ومن ذلك أيضًا ما يذكره الذين اطلعوا على أقوال المتكلمين وعلى أعمال علماء الموسيقى وفيزياء

الصوت من العرب . يقول ابن حزم : "التسمية هي تحريكنا لعضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لأن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك (الفصل ، 33/5) . وقال صاحب كتاب المحاذي⁽²²⁾ ... "ما هي عند الحكماء وهو انتقال الجرم من حيز إلى آخر وإن كان بالنظر إلى الهواء فهي ما هو عند الحكماء" (الورقة 57) . وقال في مكان آخر من الكتاب (وهو أدق ما وصلنا في هذا الموضوع) : "إن ذلك الحرف الذي يسمى حركة به انتقل الهواء وانقطع عن قراره .. وتمكن النطق بما بعده .. [أما] وجوب سكون الحرف الموقوف عليه فلأنه لم يرد نقل الهواء عنه إلى حيز آخر " (الورقة 29 ب) . وقال أيضًا : "فإن انتهى [الصوت] إلى حيز وقرع مخرجاً من مخرج الخلق أو الفم أو الشفتين تموج لذلك القرع فتكيف بكيفية هي الحرف .. فإن قر الهواء قراراً تاماً ولم يضطرب فالحرف ساكن وإن لم يتم قراره واضطرب عند الاعتماد كان الحرف

فهذا الذي يسميه السخاوي والغرالي إطلاقاً يسميه سيويو : رفعاً أو نبواً قال: " ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا إلى ذلك الموضع للحرف الآخر فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة " (158/2).

وقال أيضاً : " فلما لم يصلوا إلى أن يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة لم يقلبوا " (272) (26)

نستخلص مما سبق أن " الخروج من حرف إلى حرف آخر " كما يقول الرماني أو " الانفصال من حيز إلى آخر " كما يقول من جاء بعده هي الميزة الحقيقية التي تميز الحرف المتحرك من الساكن فإن الحركة في الأول ليست أي حركة عضوية وهوائية بل تلك التي يرتفع بها العضو وينقل بها الهواء من موضع إلى موضع آخر. وهذا خلاف الحرف الساكن الذي يتمتع فيه العضو والهواء معه من الانتقال من الموضع . وعلى هذا فالحركة في الحرف المتحرك أخص من الحركة العضوية الهوائية لأنها حركة

متحركا لانفصاله عن الحيز تحركة .. وتلك الحركة التي ينفصل بها الهواء عن مقطع خاص منتقلا إلى غيره " (المحاذي 55) .

هذا وقد وضع صاحب كتاب البديع⁽²³⁾ وكذلك السخاوي هذه التحليلات باستعمال مصطلح الإطلاق للدلالة على نبوة الهواء والعضو الناطق وزاد السخاوي مصطلح الحبس للعملية المضادة ولاشك أنه استعار ذلك من استعمال ابن سينا لهما⁽²⁴⁾

قال السخاوي في شرح الشاطبية : " الهمزة [الساكنة] أثقل لأنها لا تخرج إلا مع حبس النفس لعدم حركة تعينها على الخروج وهي محبوسة والمتحركة لا يحبس معها النفس وهي مطلقة لوجود ما يعينها على الخروج " (الورقة 70) . ويقول أيضاً صاحب كتاب البديع⁽²⁴⁾ : " إنما لقبت الحركة بهذا اللقب لأنها تطلق الحرف بعد سكونها . فكل حركة تطلق الحرف نحو أصلها من حروف اللين فأشبهت بذلك المتحرك بعد سكون " (الأشباه 175/1) . (25)

إطلاق لا حركة حبس للعضو والهواء .
فالسرفع للعضو والتزجية للصوت لا
يكونان إلا مع هذه الحركة التي تمكن من
الخروج إلى حرف آخر . فتحريك العضو
والهواء هو أعم من تحريك الحرف لأن
تحريك الشفتين في الواو الجامدة (القابلة
للتحريك) مثلاً قد يحدث في هذا الحرف
سواء كان متحركاً أو ساكناً . أما إذا
كان متحركاً فإطلاق الشفتين أي
رفعهما عن الحالة التي كانتا عليها قبل
ذلك وهو الانضمام وأما في التسيكين
فالوصول إلى هذه الحالة وهو انضمام
الشفيتين جزئياً .

قواعد التلفظ :

فبهذا نستطيع أن نفسر قواعد التلفظ
في العربية والكثير من اللغات . وها هي
ذئ (وهي مشهورة) :

1- لا يمكن أن ينطق بحرف متحرك
وحده (وهذا يقتضي امتناع الوقف على
المتحرك) ولا بد أن يكون متلوا بحرف
متحرك أو ساكن لأنه كما قال الرماني :
" صار بمنزلة من يطلب المتحرك في
مكانه من غير أن يخرج عنه إلى مكان

آخر وذلك ممتنع " (5/23ب) . ولأن
الأعضاء الناطقة تنهياً في أثناء الحركة
لنطق بحرف آخر (وهذا عين الإدراج) .²⁷
فإذا أريد النطق به في خارج سياق
من الكلام يزداد عليه حينئذ حرف ساكن
يمكن الوقوف عليه وهو دائماً في العربية
هاء أو حرف مد (بَءُ أو يا مثلاً) .

2- كما لا يمكن أن ينطق ساكن
وحده وبالتالي لا يمكن الابتداء بساكن
فلا بد أن يكون الساكن مسبقاً بحرف
متحرك وذلك لأن الحرف الساكن يحصل
بحبس الهواء والعضو جزئياً أو كلياً كما
رأينا، وهذا يقتضي أن تكون قبله حركة
لحرف سابق مكنت من الوصول إلى هذا
الساكن وتميهاً العضو فيها للنطق بهذا
الساكن⁽²⁸⁾ .

3- لا يلتقي ساكنان : هذا يقتضيه
أيضاً ما قلناه من أن الساكن يحدث هو
بحصول حبس فإذا حصل هذا في الحرف
السابق امتنع الخروج منه إلى الحرف
الساكن الموالي . وهناك حالات كما هو
معروف تتغير فيها حالة الساكن الأول
فإذا كان حرف مد فبإشباع مده يصير

كأنه متحرك . قال ابن جني : "وقولهم
شابة ودابة : صار فضل الاعتماد بالمد في
الألف كأنه تحريك للحرف الأول المدعم
حتى كأنه لذلك لم يجمع بين ساكنين "
(الخصائص ، 3، 220). فأما التقاء
الساكنين في آخر الكلمة نحدوت الوقف
مثل : بكرٌ وزيدٌ فيحصل ههنا صويت أو
نفخ بسبب الوقف يقوم مقام الحركة .

4- الحركة كحرف أي كمصوت لا
استقلال لها فهي أيضا مثل الحروف
الأخرى، فلا يمكن أن ينطق بها في الابتداء
ولا يوقف عليها؛ خلافا لما يعتبر جوهر
النظرية اليونانية . وسنرى فيما يلي أي
النظريتين هي أقرب إلى الحقيقة .

هذا يخص الحركة والسكون. أما ما
يسمونه بحرف المد، فقد سبق أن تساءلنا
لماذا يعده العلماء القدامى حرفا قائما بذاته
مع عدم وجود ابتداء له إذ هو جزء من
مصوت طويل؟ . فالإجابة عن ذلك تنبني
على شيئين :

الأول - يستخلص مما سبق ذكره
من التمييز بين الحركة المطلقة للهواء
والعضو التي يمكن بها الانتقال إلى مخرج

آخر من جهة وبين الصوت الذي يوافقها
من جهة أخرى وهو صوت حنجري أو
نفس يحدث معها، وهو ذلك الهواء المطلق
الصائت أو غير الصائت⁽²⁹⁾ فامتداد هذا
الصوت أكثر مما يلزمه هذا الانتقال يصيره
حرفا على حدة غير الحركة التي نشأ عن
امتداد صوتها لأنها هي التي أطلقت الهواء
الصائت فجرى واتصل في حرف المد بعد
عملية الإطلاق ويعتبر حرفا ساكنا لأن
الحركة انتهت إليه، كما انتهت الترجية
والإطلاقة الأولى إليه . فإذا كان في
الدرج وجاء بعد حرف متحرك انقطع
الصوت دفعة وإذا انتهى به الكلام ووقف
عليه فيقول سبويه عنه : "فإذا وقفت
عندها (حروف المد) لم تضمها بشفة ولا
لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوي
الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره
في موضع الهمزة " (285/2)⁽³⁰⁾ إذ يبدأ
صوتها من مخرج الهمزة .

الثاني - هو أن لهذا الامتداد طولاً
وبعداً فهو بذلك يحتل مكاناً محترماً في
درج الكلام وهذا الذي يصيره حرفا مثل
الحروف الأخرى إذ يمكن أن يدل من

سوء فهم بعض المتكلمين للنظرية الحركية العربية : فالحركة كصوت فقط لا يمكن أن تحدث إلا بعد الحرف وهذا الحرف لا يكون إلا حامداً أو شبيهاً به مثل الواو والياء غير المديتين . وأما التحريك كعملية إطلاق الهواء والعضو فيحصل مع حدوث الحرف وبعده لأنه دفع وترحية للصوت والعضو ويحدث الحرف المتحرك نبوة العضو أي ارتفاعه عن موضعه . إلا أن هذا يقتضي حادثاً مهماً لا يدركه السمع وهو : وضع العضو في موضع الحرف والتهيؤ له . وهو يقع قبل الحرف المتحرك.

أما الحرف الساكن فتحدث بالضرورة حركة قبله ونجس هذه الحركة جزئياً أو كلياً يحدث هذا الحرف . فليس له نبوة (إلا مع حرف آخر يدعم فيه فكأنهما حرف واحد) والحركة هي حركة الحرف السابق .

وقد بنى الخليل ما استنبطه من أوزان العروض كله على مفهومي الحركة والسكون⁽³³⁾ وعلى كيفية إدراج الحروف المتحركة والساكنة في سياقات

هذه الحروف وإليها شترط واحد فقط وهو أن تكون من مخرج اللين من الحروف أي الواو والياء غير المديتين أو من مخرج يشأ فيه الصوت الخنجري وهو أقصى الحلق (وهي تسمية تغطي حيز الأوتار الصوتية عند القدمي⁽³¹⁾ وهي الهمزة .

وقد سبق أن ذكرنا كلام الخليل بهذا الشأن : "فالهمزة التي في العصائب هي الألف في العصابة والواو في الكواهل هي الألف في الكاهل" (تأذيب اللغة 47-48). فملاحظتهم هذه في تصريح الكلم من صيغة إلى أخرى هي التي أدقم إلى اعتبار المدات حروفاً توام مثل الحروف غير اللينة لأن كل ما يقوم مقام شيء ويؤدي ما يؤديه فهو بمنزلته⁽³²⁾ واستقصى الخليل ذلك في الميدان الصوتي فتوصل إلى هذه المفاهيم الدقيقة التي لا تزال يدهشنا عمقها وقربها مما تثبته العلوم الصوتية الحديثة في أحدث صورها كما سنراه .

فأما ما جرى من الجدل في زمان اس جني وقبلة بقليل وبعده في هل الحركة بعد الحرف أو معه أو قبله . فحصل ذلك من

لقد تبني الصوتيون المحدثون التقسيم اليوناني للأصوات اللغوية إلى صوامت ومصوتات وما كان في وسعهم أن ينكروا هذا التقسيم في ذاته لأنه حقيقة يستدل عليها بالاختبار العلمي ، إلا أن الكثير منهم انتقدوا التصور اليوناني القديم لهذا التقسيم⁽³⁶⁾.

١- نقد التصور اليوناني :

إن اليونانيين ، كما رأينا ، استخرجوا تقسيمهم مما لاحظوه في لغتهم دون اللغات الأخرى ولاحظوا أيضًا أن الـ syllabe (المقطع) (أصغر قطعة يمكن أن تنفصل) له ترتيبات خاصة⁽³⁷⁾ ، وأنه لا يوجد أبدا مقطع بدون مصوت . أما الصوتيون المحدثون فقد انتقدوا⁽³⁸⁾ هذا التحليل واستبعدوا التصور المتعلق بكيفية توالي هذين العنصرين في النطق وماذا يجوز من ذلك في داخل المقطع. واحتجوا على قصور هذا التصور بوجود مقاطع في لغات كثيرة لا مصوت فيها بل صوامت فقط وذلك مثل : smrt و trn التشيكية و m-Pa-rat (imparat) و (il vad il vad) في الرومانسية

خاصة يحدث منها الإيقاع ، واتضح له أن أقل ما يمكن أن ينطق به من الوحدات الخاصة بوزن الشعر هو الحرف المتحرك المتلو بحرف ساكن وسماء سببا . ولم يجعله الحرف المتحرك وحده لأنه يستحيل الوقوف عليه.⁽³⁴⁾

كما تبني أيضًا ذلك علماء الموسيقى العرب وأضافوه إلى ما نقل إليهم من كتب اليونان وغيرهم . ويبدو أنهم اطلعوا على ما كتبه الخليل في الإيقاع والنغم⁽³⁵⁾ فقد وصفوا النقرة الموسيقية بالحركة والسكون. قال الفارابي : "والنقرة التي تعقبها وقفة تسميها العرب النقرة الساكنة، والتي لا تعقبها وقفة ولكن تعقبها حركة إلى نغمة أخرى يسمونها النقرة المتحركة (كتاب الموسيقى، 998). وأطال الكلام في ذلك ابن سينا في كتاب "جوامع علم الموسيقى" وقابل فيه بين الحركات المحدثة للنغم والتي تحدث الحروف (ص 81 وما بعدها).

النظرية الحراكية العربية والنظرية اليونانية في محك الاختبار الآلي :

لجرس الغنة . فقد قامت الغنة المجردة حقيقة مقام الصوت ولكن ليست هي ، كجرس ، سبب الخروج - أي كمصوت كذلك - من مخرج الحرف السابق إلى ما يليه في الدرج بل الحركة المطلقة للهواء وللعضو أيًا كان هذا العضو⁽⁴¹⁾ . فكأن ذلك مصوت بدون صوت حنجري وهذا ينطبق أيضًا على كل المقاطع التي لا تحتوي على مصوت صريح (الحروف البينية : ر،م،ن، والرخوة هي أكثر الحروف وقوعا في موضع المصوت؛ لأن الهواء يطلق فيها بسهولة، وذلك لتشبهها بالمصوت، إذ يمكن مد الصوت بها. وهذا الشبه قد أكد على وجوده النحاة العرب ووضحوه) (الرماني، 5/120 و 121 والخصائص 1/363 والدر النثر 10 و 11 ب وغير ذلك).

(2) إدراج الحركات العضوية :

هذا من جهة وقد انتبه العلماء الغربيون إلى نقائص التراث اليوناني المتعلق بأصوات اللغة يوم اطلعوا على التراث الهندي في هذا الميدان (وكذلك التراث العربي إلى حد ما) في القرن التاسع عشر

و ts-haq (تستحق) في عامية المغرب. فلاحظوا أنه يوحد بين الحرف الصامت الذي يكون مقطعا وبين الصامت الموالي حركة تقوم مقام المصوت ينتقل بها العضو والهواء بالضرورة إلى المخرج التالي⁽³⁹⁾ بدون مصوت والواقع أن هذا هو عين المفهوم العربي للحركة. أما الصوامت التي يبدو أنها تقوم مقام المصوت⁽⁴⁰⁾ في (table) tei-bl و (mutton) mu-tu في الإنكليزية و (han-dl) ha- و tn و (vater) fa-tr في الألمانية فحكموا على ذلك بنفس الحكم. إلا في الحرف الأغن الذي في tn وغيره فإنهم يصرحون بعدم وجود مصوت إطلاقا فيه، ويحكمون إذن على الصامت بأنه قادر أن يكون مثل المصوت ويقول Straka أن هذا يفسر بالانستقال العادي بين مخرج وآخر (نفس المرجع ، 24). فها نحن قد رجعنا إلى المفهوم العربي مرة أخرى . وإذا لجأنا إلى النظرية العربية اتضح ذلك اتضاحا تاما. فالذي حصل في tn هو الخروج من التاء إلى مخرج الغنة بانفتاح اللهاة وإطلاق الهواء في داخل الخياشيم فاكتسابه بذلك

الفيزيائية للصوت كشدة الصوت (intensity) وطبقته (أو درجته = pitch) في الذبذبية (= رسم لمنحنى الاهتزاز) وبواني المصوتات أو المحتوى الصوتي أو النفسي للحركات (formants) في الطيف (spectrogram). وسنرى أن كيفية تطور هذه البواني (وهي المكونات الفيزيائية لمحتوى الحركة) هي التعامل الأساسي في إدراك الأذن لهوية الحرف (وبالتالي في الكشف عنه بالآلات الإلكترونية).

المتحرك والساكن حقيقتهما فيزيولوجيًا وفيزيائيًا

وأهم من هذا بالنسبة لفهمنا لمفهومي الحركة والسكون هو المقابلة بين ما يسميه العرب بالحرف المتحرك والحرف الساكن وما تكتشفه هذه الأجهزة من الظواهر الفيزيولوجية والفيزيائية التي يحدثها النطق بهذين الحرفين .

قال فردينان دي سوسور في "دروسه" عندما ننطق بمجموعة مثل APPA ندرك فرقاً بين الـ P الأول والثاني : فالأول هو عبارة عن انغلاق والثاني عن انفتاح

وكذلك يوم بدؤوا يختبرون هذه الأقوال في مخابر الصوتيات⁽⁴²⁾ . فتبين لهم هذه التجارب أن التموجات الكلامية متصلة بعضها ببعض في تعاقبها بدون أي انقطاع ولا يتمثل هذا التعاقب على شكل اقتران أجزاء بأخرى بل على شكل سريان اهتزازي مستمر . وتعمق من جاء بعد روسلو ولاسيما بعد أن اخترع الراسم الإلكتروني للاهتزاز (المهزاز = oscillograph) فتمكنوا من المزاوحة بين هذين الجهازين ، بعد ذلك، وبين ما يسمى بالراديوولوجية السينمائية⁽⁴³⁾ فعند ذلك تبين لهم أكثر من أي وقت مضى أن الحركات العضوية المحدثه للكلام مدرجة في التلفظ بحيث لا يوجد انقطاع بينها من جهة وتحدث بعضها، من جهة أخرى، منسقة مع بعضها الآخر في وقت واحد أي بتأهب العضو للنطق بحرف في الوقت الذي ينطق عضو آخر بحرف آخر⁽⁴⁴⁾ ويلاحظ ذلك في سلسلة الذبذبات التي يرسمها الجهازان المذكوران فتبين أن الكلام هو سريان هوائي صوتي لا انقطاع فيه بل هو عبارة عن تغير متصل للعناصر

... وقد أطلق على الإغلاق لفظة implosion وعلى الانفتاح لفظة explosion فالـ P يسمى implosif (P) أو explosif (P) (79-80) ويقول أيضًا: "ويمكن لأي فونيم أن يتصف إما بهذه الصفة أم بتلك" (81).

ويخالف سوسور بهذا التصريح أغلب الصوتيين إذ يطلقون غالباً هاتين الصفتين على الحروف الشديدة (stops) وبعضهم على الجامدة كلها لا على المصوتات . وهو محق في تعميمه لأنه يريد أن يبين أن الحرف - أيًا كان - يحدث إما بحبس الهواء فقط مثل الـ P الأول وإما بإطلاق فقط مثل الـ P الثاني . وحذر حينئذٍ من التباس يقع فيه بعضهم . فإن للحرف ثلاثة أطوار في حدوثه : وضع العضو في موضعه ثم ملازمته له ثم رفعه عنه⁽⁴⁵⁾ وهذه ألفاظ سيبويه (ما عدا الملازمة أما اللزوم فشيء آخر عنده) إلا أنهم يسمون الطور الأول implosion فيقع التباس بين الحبس الناتج عن وضع العضو (ويحصل هذا الوضع ضرورة في كل حرف في جميع أحواله) وبين الحبس الذي لا يتلوه

رفع العضو . وهكذا توصل سوسور باجتهاده الخاص إلى تحديد مفهوم الحرف الذي يحصل بإطلاق فقط مثل الـ P في apa⁽⁴⁶⁾ والـ P الثاني في appa وهو الحرف المتحرك عند العرب، والحرف الذي لا يحصل إلا بحبس ولا إطلاق فيه (اللهم إلا في الوقف وقد فسر ذلك علماؤنا) كما في ap أو الـ P الأول من appa⁽⁴⁷⁾ وهو الحرف الساكن عند العرب .

وعلى هذا التمييز الرائع⁽⁴⁸⁾ (وهو صادر من رجح عبقرى) سار كل الصوتيين الذين يمارسون التحليل بالراديوولوجية السينمائية .

هذا وقد اختبرت المغفور لها Marguerite Durand هذه الحروف التي قال عنها دي سوسور أنها تحدث في الكلام بانغلاق وهي عنده : implosives و explosives في هاتين العبارتين الفرنسييتين ces traces و cette race والحروف التي فيهما واحدة فلا بد أن تتميز العبارتان بشيء آخر . فلاحظت في الذبذبية الكيموغرافية أن مجموعة tr في العبارة الأولى يقوي فيها ضغط الهواء

الحرف الشديد بل الحرف المتحرك فقط)
إلا أنه يمكن أن نستنتج من ترتيبهم
للحروف في اللفظ cv (صامت +
مصوت) أو cvc أن الذي قصدوه
بالاختبار هو ما يعادل المتحرك والساكن
فيينوا أن cv ترتفع فيها هذه العوامل
الثلاثة، وبذلك يتضح أن قوة التلطف
وضعه مرتبطان أشد الارتباط بتحريك
الحرف وتسكينه كما تصوره العرب .

ماهية حرف المد ومعنى سكونه

أما عن السؤال المهم الذي طرحناه
في أول هذا البحث وهو لماذا جعل العرب
المصوت الطويل الذي هو تصور يوناني
قديم يتكون بالضرورة من عنصرين :
الحركة وامتداد صوتها؟ فقد عاجلت
موضوع المصوت القصير والمصوت
الطويل الباحثة المتميزة M.Durand
باللجوء إلى الاختبار أيضًا . وقد سبقها
إلى ذلك أحد مؤسسي الفونولوجية وهو
N. Trubetskoy إذ صرح بأن المصوت
القصير ذو قسم واحد (monoparti)
والمصوت الطويل هو ذو قسمين
(bidarti) لأن التلطف بالمصوت الطويل

بالتدرج ويضعف هذا الضغط في t
وحدها في العبارة الثانية ويقوي في r
وحدها⁽⁴⁹⁾ ويؤيد ذلك النظرة العربية فإن
tr⁽⁵⁰⁾ ههنا هي متحركة و t في الثانية
هي ساكنة .

كما يبين أيضًا ستراكا أن بداية النسق
cvc هو موقع قوي . أما نهايته فهو
ضعيف وهذان الموقعان يعادلان تماما
موقع المتحرك والساكن⁽⁵¹⁾ .

ويؤكد على هذه الحقيقة أكثر
الباحثين من المختصين بالصوتيات
التجريبية بالنسبة إلى أكثر اللغات ، وقد
يظن الظان أن ضغط الهواء وارتفاعه هو
السبب الوحيد لقوة المتحرك، وليس الأمر
كذلك، فقد بين الكثير من الباحثين أن
هناك تناسبا تاما بين ثلاثة عوامل
فيزيولوجية: ارتفاع كمية الجهد العضلي
في مستوى الصدر وما فوقه وهو يسبب
ارتفاع ضغط الهواء، وارتفاع النغمة
الأساسية (Fundamental Tone) في
الحروف المهجورة⁽⁵²⁾ وقد لا يكون
لبعض هؤلاء الباحثين تصور واضح لمفهوم
الـ explosive (والمقصود هنا غير

الأوتار الصوتية وهذا يقتضي أن يبدأ بإغلاقها ويتبع ذلك الاهتزاز في الفرنسية. أما إذا كان الإغلاق متبوعا بانفتاح دفعة كما في العربية والألمانية والدانمركية فهو الهمزة محققة مثل: Assez؟ و It's an ؟ order .

ثم إن الدليل على أن الحركة غير المصوت الذي يرافقها هو اختلاس صوتها في " يعلمهم " فينطق بهذا هكذا / : " يعلّ / مهم " (أما بالإسكان فيتلفظ به هكذا " يعلّم / هم " . ومهما كان فقد سبق أن لاحظنا أن الاختلاس يستلزم مصوتا أي حرفا متحركا بعد الحركة المختلصة ضرورة. والفصل بين الحركة والمصوت مفيد لأن حركة الإطلاق غير الصوت الحنجري، وليس هذا الأخير بالمسؤول عن الانتقال إلى مخرج حرف آخر وإن كان مهماً جداً لأن تحليل هذا الصوت يبين للباحث كيف يحصل هذا الانتقال فالمصوت هو كالمرآة لما تقوم به الحركة. أما لماذا يمتنع الوقف على الحركة فهذا تبينه الذبذبيات إذ يصير المصوت المرافق للحركة مصوتا طويلا فيزول

يختلف في بدايته عن نهايته كما وكيفاً. فبعد أن ذكرت الباحثة Durand هذا الكلام بينت بالجوء إلى الاختبار الآلي أن المصوت الطويل يتصف قسمه الأخير (وهو الأطول) بتناقص لقوة اللفظ (decroissance) وأما المصوت القصير فلا يكون إلا بتزايد هذه القوة . ونستنتج من ذلك أن بداية المصوت الطويل هو دائما متزايد القوة، وهذا يتفق مع ما قاله العلماء العرب . وخاصة حكمهم على حرف المد بأنه ساكن إلا أن السكون هنا غير السكون في الحروف الجوامد لأنه يحصل بالتدريج⁽⁵³⁾ ومع ذلك فهذا المتناقص القوة هو أقوى من المتزايد لطوله (وذلك في اللغات التي يلعب المد فيها دورا في التمييز)⁽⁵⁴⁾.

قواعد التلطف والاختبار الآلي

هذا وقد أجمع الباحثون أن الابتداء بالـ implosive (أي الساكن) متعذر أما التقاء حرفين بهذه الصفة فقد امتاز العرب بتفسيره وتطرقنا إلى ذلك في عمل سابق⁽⁵⁵⁾. وفيما يخص تعذر الابتداء لحركة فلأن المصوت يحدث باهتزاز

بالتدريج أو تنشأ همزة بعده.

الإدراج والأفلام الراديولوجية

تظهر هذه الأفلام بوضوح لا مزيد عليه. كيف يتم إدراج الحروف في اللفظ؟ وتطرق إلى ذلك الكثير من الباحثين . نذكر منهم الباحث الكندي C.Rochette فما هي ذي بعض الأمثلة من تحليلاته للصور وما قرن بها من الذبذبيات.

/bm / (في gobe-mouches): يحصل النطق بمما بضم الشفتين مرة واحدة ويدوم هذا الضم أكثر من الضم لحرف واحد. ويمكن أن يتميز الأول عن الثاني بما يحصل من الغنة بانفتاح اللهاة في الوقت الذي لا تزال الشفتان منضمتين وحصل في نفس الوقت تهيئة الطبق بمصوت" وذلك بذهاب مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك (ص53).

/kt/ (في : empaq(ue) tez)

في الوقت الذي تحصل نبوة الكاف يتصل طرف اللسان بالطع للنطق بالتاء وفي أثناء ملازمته لهذا الموضع يبدأ ظهر اللسان في الانخفاض تأهباً للنطق بمصوت

/e/ (67). /vn / (في dev(e) nir).

لا ينتهي حريان الصوت في v إلا بعد وضع اللسان على النطق وهذا التسريب لحرف v يترك المجال للسان ليتهيأ للنطق بالـ n وأثناء ذلك تنفتح اللهاة من أجل الغنة (218). التركيب الصناعي للكلام واستكشافه الآلي:

من أقدم من حقق التركيب الصناعي للكلام بالآلة (speech synthesis) هما F.cooper و P. Delattre والفريق الذي كان معهما في مختبرات Haskins ثم واصل ذلك Delattre في مختبره في Santa Bar bara بكاليفورنيا (وكان لي الشرف أن زرتها في 1966). وكثرت البحوث في هذا الميدان حتى بلغت المئات من الأعمال القيمة وكان قد سبق أن اكتشف الباحثون بأعمالهم على المطياف أن أهم شيء في عملية إحداث الكلام وإدراكه ليست هي الحروف (الفونيمات) في ذاتها ولا صفاتها المميزة لها (يبلغ أهل الفنولوجية في إعطاء الأهمية للفونيم في ذاته) بل ما يحصل بين مخرج الحرف

Speech Recognition (57). أذكر

منها ما قامت به المهندسة مهنية قرني في 1984 في رسالة عنوانها : "مساهمة في تركيب الكلام العربي الصناعي بالديفون". والمقصود من الديفون هو هذا النسق: صامت + مصوت + صامت (=متحرك وساكن) واستخراج النقلات (transitions) من التحليل الطيفي للمصوت في هذا الموقع ثم تركيبها بجهاز مهياً لذلك مع الحصول على كلام سليم يفهم بسهولة ، يبين أن أصل الأصول في إحداث الكلام وإدراكه يكمن في كيفية إدراج الحروف لا في صفاتها المميزة .

إحداث الحرف مقيد بما يحدث بعده وقبله من الحركة والتحليل الطيفي لصوتها هو أوضح دليل على ذلك.

نستخلص مما سبق أن مفهومي الحرف المتحرك والحرف الساكن هما أدق وأوعب من الناحية العلمية من المفاهيم اليونانية إذ مجالهما التفسيري واسع جداً؛ فقد رأينا أن الساكن في كل اللغات لا يبدأ به، ولا بد من حرف متحرك يأتي قبله، كما رأينا أن الوقف لا يقع إلا عليه؛

ومخرج حرف آخر أي في أثناء حصول حركة تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر كما قال علماؤنا . ففي داخل الحركة تقوم الأعضاء بأعمال هائلة النطق بالحرف الآخر وفي نفس الوقت القيام بإخراج المصوت الذي يرافق الحركة وما يقتضي ذلك من اشتراك عضوين أو ثلاثة . وهذه العمليات العضوية المتداخلة يظهر أثرها في تحول بواني المصوت (في التحليل الطيفي) أثناء حدوث الحركة بحيث يمكن أن يقرأ الطيف. وسموا الانتقال الذي تتحول فيه البواني Transition وبنى على ذلك Delattre وأصحابه مناهج تركيب الكلام الصناعي فاستخرجوا من آلاف الأطياف كيفية تحول هذه البواني، واستنبطوا ما سموه بالـ Locus وهي النقطة التي تنحو نحوها البواني الأساسية للمصوت الذي يأتي بعد الصامت أو المصوت السابق (56)

وأشرفت مع بعض الزملاء على عدة رسائل ماجستير في هذا الميدان وفي الاستكشاف الآلي للكلام Automatic

بدفع الحركة، وتكون قوتها الحركية متناقصة، وهذا تبينه بوضوح الاختبارات الآلية .

ثم إن الحركة كمفهوم دينامي لا يوجد مثله في أي نظرية إلا في نظرية الـ Transitions وهو مفيد جدا لأن إطلاق الهواء الصائت للانتقال من مخرج إلى آخر هو أفيد كمفهوم من التصور اليوناني غير الحراكي إذ الذي كان يهتم الفلاسفة منهم هو الأشياء في حد ذاتها لا الحركة المحدثه لها ولا إدراجها الطبيعي في الكلام .

والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن الحاج صالح

عضو المجمع المراسل

من الجزائر

لأن الوقف انقطاع الكلام. ويمكن أن تدرس جميع الظواهر الصوتية باللجوء إليهما. كما يستخلص أيضاً أن الحركة بما أنها حركة عضوية هوائية ؛ فإنها تقتضي أن يكون هناك قوة دافعة (Impulsive Force) تحدثها بل وأن تكون هي نفسها ذات قوة حركية (Cinetic Force) فيجب أن تكون متصاعدة القوة لأنها في الحقيقة اندفاع (Impulsion) وبذلك تتمكن من الاستمرار والانتهاى إلى المخرج الموالي وهذه القوة الحركية هي التي يسميها الخليل الصرف . ولهذا ليس لحروف المد صرف لأنها مدات تحصل

الهوامش

(1) تلميذ ابن السراج والزجاج ، وفي شرحه هذا تحليلات عميقة دقيقة جدا . لم يدرك معناها الكثير من المتأخرين ولذلك اتهم بأنه أول من مزج النحو بالمنطق، وليس الأمر كذلك. فإن أول من فعل ذلك هو السراج وابن كيسان وغيرهما في نهاية القرن الثالث الهجري .

(2) وكذلك قال المبرد : " لا يجوز لحرف أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل " (المقتضب، 36/1).

(3) المفاهيم الأساسية لهذه النظرة هي للغويين وحدهم وقد أضاف إليها الفلاسفة والأطباء وعلماء الموسيقى العرب وكذلك القراء وعلماء التجويد أشياء كثيرة مفيدة.

(4) وهذا لا يعني أن الفارابي وابن سينا لم يدركا حقيقة هذا الفارق؛ إذ نراهما في مقابلهما للوحدات النغمية والوحدات اللفظية قد تفتنا - مع كل العلماء الذين تطرقوا إلى ذلك - إلى ما يمتاز به النظرة العربية .

(5) فهذا هو سر استعمال لفظة حرف للدلالة على الكلمة؛ لأنها مكون للكلام أي عنصر من عناصره. وأما إطلاقها على الأداة (حرف المعنى) فهو باعتبار هذه الأداة كلمة أي مكون مثل الاسم والفعل للكلام . وعلى هذا ينبغي أن يحمل تحديد سيبويه: "الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" هكذا؛ وعنصر آخر يأتي للدلالة على معنى (من معاني النحو كالتوكيد والاستفهام وغيرهما) وقد استعملت كلمة حرف لترجمة الاسطقس وهو العنصر في اليونانية .

(6) (وجاء عند الحكماء والمتأخرين من النحاة وأهل الأداء أنه قطعة من الكلمة (مثلا : النشر لابن الجزري ، 23/1) وشرح الأدوار حيث سمي الحروف "الأجزاء الأولية" (38 ب).

(7) هذا التحديد يؤكد أن وظيفة الحروف في الخطاب هو التمييز بين المعاني بتمايزها بعضها عن بعض، انظر بحثنا الذي عرضناه في مؤتمر

(12) الحامد وحرف المد. يسمى بعض

أهل الأداء بعد القرن الرابع حروف

المد بالدوائب في مقابل الجوامد .

ومن أقدمهم صاحب كتاب "إعراب

القرآن" المنسوب إلى الزحاج .

(13) يقول صاحب الدر الثير :

"حروف المد في أنفسهم مدات تابعات

للحركات المجانسة لمن" (33 ب).

(14) التحايل للجانب غير الصوتي هو

سب لسوء فهم لما قاله العلماء القدامى .

(15) وقد رأينا العارابي في أول بحثنا

يجعل المتحرك الحرف الذي أتبع

بمصوت (مراعاة للجانب الصوتي

وحده).

(16) يسمى العرب الـ syllabe مقطعا

لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح

اليوناني؛ إذ هو الموضع من الكلام الذي

يمكن أن يوقف عليه (وبهذا المعنى

يستعمله أهل الأداء). أما المقطع

syllabe فلا يوجد إلا بين وقتين كما

بين ذلك الصوتي الفرنسي روسلو، وعلى

أثره أنكر الكثير من الغربيين أن تكون في

الكلام العادي مقاطع إلا بالقوة وهي

مجمع القاهرة في 1997 .

(8) بعض المحدثين يقيمون مقابلة لا بين

الحرف الحامد وحرف اللين بل بين

الحرف والحركة؛ فيتوهمون أن الحرف

هو عند العرب الحرف الصامت فقط

وهذا فاحش. قال أحدهم وهو الأب

فلايش : "مفهوم الحركة هو أبعد

مفهوم إلى تصورنا الحديث" مجلة

ZDMG ، 1958 ص 104 .

(9) هذا هو التقسيم الثنائي الذي يوحد

في أكثر اللغات وليس بالضرورة

التقسيم اليوناني لأنهم أضافوا إليه، كما

قلنا ، حواز النطق بمصوت منفردا

والوقف على المقطع القصير .

(10) بعض المحدثين يقيمون مقابلة لا بين

الحرف الحامد وحرف اللين بل بين

الحرف والحركة؛ فيتوهمون أن الحرف

هو عند العرب الحرف الصامت فقط

وهذا غلط فاحش قال أحدهم وهو

الأب فلايش : "مفهوم الحركة هو

أبعد مفهوم إلى تصورنا الحديث"

مجلة ZDMG ، 1958 ص 104 .

(11) هي الصفة المقابلة للمخرج .

(20) الإيضاح ، وكذلك ابن جني في سر الصناعة ص 36/1-37).

(21) ويسميه سيويه "هواء الصوت" (285/2) . وقد مر ذكر هذه العبارة ص (4).

(22) هو محمد بن عبد السلام الفاسي (1130-1214هـ) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، وسلوة الأنفاس للكتاني. وقد جمع هذا المؤلف معلومات كثيرة أخذها من كتب لم تصل إلينا في غالبها .

(23) اسمه محمد بن مسعود الغزني المتوفى سنة 421 نقل عنه أبو حيان كثيرا (كشف الظنون 236/1) .

(24) غير أن ابن سينا لا يريد من الإطلاق إلا تحافي العضو أو ارتفاعه عن موضعه (حسب تعبير النحاة العرب). ويريد من الحبس لزوم العضو موضعه سواء كان متحركا أو ساكنا وبما يصف الفرق القائم بين ما يسميه الحروف المفردة أو الحسية والحروف المركبة أو التسريية (الشديدة والرخوة) كما فعله سيويه لكن بالفاظ أخرى (انظر كتابه :

أصغر المجموعات من العناصر الصوتية التي يمكن أن تفصل في الطوق عما قبلها وما بعدها) انظر مقالنا la notion de syllabe حيث تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل .

(17) قارن هذا بقول العرب : درج السيل .

(18) قال ذلك ليعين أن الساكن الموقوف عليه ينبو عنه صوت بسبب الوقف نفسه .

(19) وهذا يظهر بوضوح في هذا الذي قاله سيويه : "فأنت تقدر أن تضع لسانك موضع الحرف قبل ترجية الصوت" (283/2). وقول ابن جني هو توضيح لقول سيويه : "لا تنتظر أن ينبو لسانك ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتا، وكذلك المهموس؛ لأنه لا تدع صوت الفم (النفس) حتى تبتدئ صوتا" (285/2). وبهذا نستطيع أن نفهم لماذا نفر العلماء من تحديد الحرف المدرج بالقطعة من الكلمة . فالمقطع عند سيويه مثلا هو فقط حروف المعجم المنطوق بها منفردة (34/2).

(28) فإذا كانت الكلمة مبدوءة بساكن زيد عليه همزة متحركة تسقط في الدرج كما هو معروف . يقول ابن جني : "ألف الوصل تلحق في أول الكلمة توصلا إلى النطق بالساكن وهرباً من الابتداء به إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس (المنصف 2, 53). ويقول ابن يعيش : "لأنه ليس من لغتهم الابتداء بالساكن " ربما فهم منه أن ذلك مختص بلغة العرب ويجوز الابتداء بالساكن في غير لغة العرب وليس الأمر كذلك بل إنما كان لتعذر النطق بالساكن وليس ذلك مختصاً بلغة دون لغة " (شرح المنفصل، 136/9).

(29) أي يكون حنجرياً أو بمجرد نفس .
(30) سكون حروف المد على هذا ليس مثل سكون الحروف الجوامد؛ لأنه يحصل بالتدريج وقد يمكن إشباعه فيكون بمنزلة تحريك مستأنف كما هو الحال في التقاء حرف المد بحرف ساكن في شأبة ودأبة .
(31) عرف القدامى جيداً دور الحنجرة في إحداث الصوت خلافاً لما يظنه الكثيرون .

أسباب حدوث الحروف، ص 60-61) .
(25) شاعت كلمة " حبس " عند علماء التحويد بعد ذلك .

(26) المراد باللسان هنا هو العضو عموماً لأن الإدغام (أو القلب) غير مختص بحروف اللسان . ويكثر سبويه من استعمال هذه العبارة عند كلامه عن الإدغام والقلب . ويستعمل أيضاً كلمة "سبوء " (الكتاب 2/284) . قارن أيضاً بقول ابن جني : "وذلك أن الإدغام أبى اللسان سبوة واحدة " (الخصائص ، 396/11) . ثم إن سبويه يستعمل من جهة أخرى كلمة " تزجية " ويخصصها للصوت ويقصد بذلك دفعة الهواء الصامت (قد سبق أن ذكرنا كلامه الذي توجد فيه هذه اللفظة ص 9).

(27) لا بد من التمييز هنا بين عملية الوقف وعملية التسكين، فكل موقوف عليه ساكن وليس كل ساكن موقوفاً عليه. هذا لأن الوقف يتم بزوال التوتر العضلي وانقطاع العمل التلغظي . أما الحرف الساكن في الدرج فعلى خلاف ذلك (انظر ابن جني، الخصائص، 1، 56)

هذا الترتيب، هو الذي يسميه المحدثون بالبنية المقطعية . وقد تفتن اليونانيون إلى أن الحروف التي يسمونها بالمائة (hugra liquidae =) وهي اللام والراء والميم والنون قد تقوم مقام المصوتات إذا تلت صامتا فتكون معه مقطعا . وجعل أيضا السحاة العرب هذه الحروف صنفا على حدة غير الشديد والرخو (مع حروف أخرى لوجود منفذ للهواء من غير مخرجها أو لكيفية حدوثها الخاصة) (الراء والعين . الكتاب، 401/2).

(38) بل ونفى بعضهم أن يكون هذا التقسيم موضوعيا فقد قال W.Belardi : "أن ذلك تراث ثقافي توارثه الغربيون " (انظر مسرد المراجع) وقال أيضا " ولا يسع للعلم أن يتقبل من ذلك إلا الثنائية وحدها لا ما كان يتضمن رسمها من عناصر في القديم " (ص 164). انظر مسرد المراجع. وأيضا : Is the vowel consonant Dichotomy universal? J.H.Greenbeg (Word 18.1.2) .

(39) هذا بخلاف العلماء العرب فإنهم قد اهتموا كثيرا بما يحصل في اللغات الأخرى

(32) وقد يحذف حرف المد وتبقى الحركة قبله . وهذا أثبتته المقابلة بين الشيء ونظيره في الوزن مثل الفتحة في جيم خرجا والفتحة في خرج . وحرف المد هنا حرف معنى وحرف المعنى لا يكون إلا حرفا تاما (إذا كان حرفا واحدا).

(33) هذا أيضا لم يستطع المستشرقون أن يفهموه إطلاقا (انظر ما كتبه صاحب مقالة عروض " في دائرة المعارف الإسلامية).

(34) بل وبنيت النظرية اللغوية العربية كلها على ذلك؛ لأنه هو منطق تحليل الكلام إلى وحدات . انظر كتابنا : علم اللسان العربي وعلم اللسان العام .

(35) ويشير إلى ذلك الجاحظ خاصة .
(36) وأما اللغويون الذين ليسوا من أهل الاختصاص في الميدان الصوتي فلا يزال أكثرهم يسنون النظريات على أساس التصور اليوناني بدون أي تحفظ وتبعهم في ذلك أكثر الباحثين العرب .

(37) صامت + مصوت والعكس
وصامت + مصوت + صامت وغير ذلك.

الفيزيائي للأصوات اللغوية وإدراكها بالسمع، ولا يحوز للباحث أن يدلي بأحكام على ظاهرة لغوية صوتية إلا بالاعتماد على المشاهدة والاختبار العلمي لا بمجرد التأمل للآراء والأقوال النظرية .
(43) التصوير البطيء لحركات الأعضاء بالأشعة .

(44) وكثيراً ما يحصل نقص في التنسيق وهذا يسبب تأثير الحرف القوي على الضعيف فيحدث عندئذ تقريب هذا من ذاك أو امثاله (في التشاكل والتباعد والتجانس وغير ذلك) .

(45) Tenue - Tension = Détente .

(46) وفيه ضرورة مرحلة وضع العضو في الموضع إلا أنه لا يعتبر حبساً محضاً (أي سكونا) لأنه متلو على الفور بإطلاق .

(47) الفرق بينهما هو أن الإدغام قد جعل الحرف الأول ينطق بإطلاق الثاني والحرف الثاني ينحبس بوضع العضو للموضع في الإدغام أطول زمناً .

(48) وحاول سوسور أيضاً أن يفسر بذلك تعاقب الحروف في مدرج الكلام

(ففي مجال توالي الحروف وحده: يراجع الخصائص 91/1-92 والرضي ، شرح الشافية ، 253/3 وابس يعيش، شرح المفصل ، 136/9 وغير ذلك كثير) .

(40) وقد يظهر في هذه الحركة مصوت في أثناء تطور اللغة، وربما استقر وصار عنصراً ثابتاً . انظر ما كتبه G.Straka في ذلك في دراسته القيمة " La division des sons du langage " ص 23 .

(41) يقول Straka إنما هو مجرد "مرور عادي بين المخارج" " passage normal entre articulations ولا يحدد بأي شيء يحصل هذا المرور. والسبب عندنا في ذلك هو عدم وجود نظرية حركية متماسكة عند الصوتيين الغربيين الذين ينتمون إلى حيل straka (وهو لتلاميذ روسلو) .

(42) ومن أقدم من قام بذلك هو روسلو الذي سبق ذكره . هذا والصوتيات التجريبية وإن كانت تعالج أصواتاً خاصة باللغة الإنسانية إلا أنها علم تجريبي محض لأن موضوعها هو كيفية حدوث الكلام في الجهاز الصوتي مع التحليل

ها أقوى كثيرًا من الباء الساكنة الأخيرة وأنه إذا تأنى النطق ولم يسرع ظهر مصوت وجيز بين الكاف والتاء .

(51) انظر بحثه: la division ص 22-23.

(52) أهم ما نشر في ذلك هو أعمال

Arkbauer (1964) و (1969 Subtelny

و Warren (1976) وغيرهم .

(53) انظر كتابها الرائع : Voyelles

brèves et voy. longues ص 37.

(54) هذا قد برهنا عليه منذ زمان فيما

يخص العربية: انظر مقالتنا La notion de

syllabe وما ألقنا بهذا البحث من

ذبذبات وأطياف . ولقد سبق أن ذكرنا

سبب اعتبارهم حرف المد حرفا تاما

(وهو قيامه مقام الجوامد الواو والياء

والهمزة والعكس).

(55) انظر بحثنا السابق الذكر .

(56) كثرت وتعددت الآن طرائق

التركيب الصناعي للكلام. أما التركيب

المبني على تحليل البواني ورسم تحولاتها

فهو أقدمها.

(57) من الجانب اللغوي الصوتي .

ومن أين يمكن أن يحصل الحد بين مقطع

وآخر. فلاحظ أن هذا الحد لا يقع إلا بين

حرف implosif وبين حرف explosif

أي بعد الساكن (ولهذا ترجم العرب هذا

المفهوم اليوناني لأنه الموضع الذي يجوز فيه

الوقف).

(49) انظر : la syllabe, ses

definitions في مجلة : Orbis ، 1954 ،

ص 532.

(50) أما كون tr متحركة وهما حرفان

فهو بمنزلة اختلاس الحركة بين t و r

ولابد عندئذ من حركة بعدهما غير مختلسة

وتبين الذبذبيات أن الضغط يستمر حتى

يصل المصوت الذي في tra ولولاه لما

أمكن الاختلاس . ثم إن اختلاس الحركة

في العربية لا يحصل إلا في وسط أو آخر

الكلمة أو بين كلمتين (حسب تصفحنا

لكتب العلماء القدماء) أما في عامياتها

الحديثة فهو شيء مطرد في المغرب العربي

وكثير في جهات من المشرق. والحرف

في أول الكلمة المتلو بحركة مختلسة قد

يعتقد الكثير أنه ساكن (في كتاب =

ktab) وتبين الذبذبيات أن المجموعة kt

- شرح الشاطبية للسخاوي ،
المكتبة الوطنية بباريس رقم 611 .
- شرح الشافية للرضي ، القاهرة ،
1939 .
- شرح كتاب سيويو للرمانى ،
معهد المخطوطات رقم 88 .
- شرح الكتاب للسيرافى ، معهد
المخطوطات رقم 85 .
- شرح المفضل لابن يعيش ،
القاهرة بدون تاريخ .
- الشفاء ، جوامع علم الموسيقى
لابن سينا ، القاهرة ، 1956 .
- كتاب سيويو ، ط . بولاق
1316-1317 .
- كتاب الفصل لابن حزم، القاهرة ،
1317-1321 .
- المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد
عضيمة، القاهرة، 1385-1388 .
- كتاب المحاذى لابن عبد السلام
الفاسى ، خزانة الكتب بالرباط
رقم 312 .
- المصنف لابن جني ، القاهرة ،
1954-1960 .

المراجع العربية

- الإيضاح للزجاجي ، تحقيق مازن
المبارك ، القاهرة 1978 .
- أسباب حدوث الحروف،
تحقيق الدكتور يحيى مير
علم ومحمد الطيان ، دمشق
1983
- الأشباه والنظائر ، للسيوطي ، ط.
حيدر باد ، 1359 .
- التفسير الكبير، لأبي بكر الرازي ،
القاهرة بدون تاريخ .
- تهذيب اللغة للأزهري ، القاهرة
1964-1967 .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد
على النجار ، القاهرة ، -1956
1952 .
- الدر الثير ، لابن أبي السداد ،
معهد المخطوطات العربية 30
قراءات .
- سر صناعة الإعراب لابن جني،
القاهرة ، 1954 .
- شرح الأدوار لمولانا مبارك شاه ،
مخطوطة المتحف البريطاني .

P. Rousselot. Pincipes de phonétique expérimentale, Paris, 1924.

F. Saussure. Cours de linguistique générale. ed. Critique T. De Mauro, Paris, 1973.

G. Straka. La division des sons du langage en consonnes et voyelles est-elle justifiée?

Travaux de linguistique et de littérature. Strasbourg (TLL) II, 1(1963).pp.17-96.

G. Strake. Evolution du latin au français. TLL. II.1. 1964,pp. 17-98.

Subtelny and Al. Multidimensional Analysis of bilabial stop and nasal Consonants.

Cineradiographic and pressure flow analysis. The Cleft Palate Journal . 6. PP. 263-289.

Warren.D.W.Aerodynamics in Speech Production. Contemporary issues in Experimental phonetics. LASS, éd Academic Press, 1976.pp. 105-177.

ZDMG= Zeichrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

المراجع الأجنبية

- Arkbacor H.J.A Study of intracral Air Pressure associated with production of selected Consonants. Ph.D. State Un. Of Iowa. 1964.
- W.Belardi. Sur l'aspect subjectif de la distinction entre voyelle et consonne (Annali dell-Istituto Univ. Napoli. 1964 pp .149-165).
- P.Delatte. Comparing the phonetics features of English. German. Spanish and French. Heideberg. 1965.
- M.Durand. Voyelles brèves et voyelles longues. Paris. 1946.
- M. Durand. La syllabe. Ses définitions. Sa nature. ORBIS. 1954,pp.527-533.
- A. Hadj – Salah. La notion de syllabe et la théorie cinético-impulsionnelle des phonéticiens arabes. Al-Lisaniyyat,1971, pp. 63-83.
- A. Hadj Linguistique arabe et linguistique générale, Paris Sorbonne. 1979.
- C. Rochette, Les groupes de consonnes en français, Québec, 1973.

الدكتور طه حسين بالمغرب دوره في صحوة الفكر من خلال محاضراته وندواته للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

لقد كان محظوراً علينا أن نتصل بالمشرق إلا عبر القنوات التي تسمح السلطات الاستعمارية بالمرور منها ، وكذا فإن النشرات الواردة علينا من المشرق كانت تخضع بدورها لرقابة محكمة، وحتى صُور قادة المشرق وزعماءه كانت تتعرض للمصادرة بل وللعقاب الصارم على امتلاكها وترويجها !

وقد وجدت نفسي ذات يوم بالسجن عام ١٩٣٧م لأن الشرطة عثرت في بيتنا على رسوم لسعد زغلول وفريد وجدي وقاسم أمين ! لقد سألوني عن علاقتي هؤلاء فقالوا: هل هم أحوالك أو أعمامك ؟ والحقيقة أننا كنا نتبادل سراً بعض الكتب التي تتسرب إلينا من المشرق من أمثال "حاضر العالم الإسلامي" الذي ترجمه الأستاذ عجاج نويهض وكتاب "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" للأمير شكيب أرسلان ، وياويل من ضببطت

عنده ورقة من مثل هذه " المخدرات " ! وقد ازداد الحصار إحكاما عندما احتدت المعركة بين الوطنيين والاستعمار ، أواسط الأربعينيات، عندما طالب المغاربة باسترجاع استقلالهم ، واشتدت المواجهة أوائل الخمسينيات عندما توالى كتابات المصريين عما يجري بالمغرب من تجاوزات خطيرة بلغت حد تهديد العاهل المغربي الملك محمد الخامس بخلعه عن العرش إن هو تهادى في مناصرة الحركة الوطنية التي تطالب بالاستقلال.

وفي أعقاب أزمة ٢٥ فبراير ١٩٥١م توهّم الاستعمار أنه سيجد في صحافة مصر ما ينفس عنه . فاستقدم الدكتور محمود عزمي عن جريدة (الأهرام) ليقف بنفسه على زيف " ادعاءات " الوطنيين وأن البلاد تعاني من الظلم والحيف، ولكن الدكتور عزمي عاد من المغرب يحمل معه أجوبة مكتوبة من لدن

* أقيمت هذه المحاضرة في الجلسة الثالثة عشرة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الثلاثاء ١٨ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ

على ما يجرى في الجناح الآخر من العالم
العربي!

ولقد كتب الدكتور طه حسين -
بعد نفي الملك محمد الخامس وولي عهده
وسائر أسرته إلى كورسيكا ثم إلى
مدغشقر - مقالا بجريدة الجمهورية عدد
١٩٥٣/١٢/٢٩م يحمل عنوان (حول
هوشي منه ومحمد الخامس) .

وأردفه بمقال آخر في الجمهورية يوم
١٩٥٤/١/٦م حول (محمد بن عرفة)
الصنيعة التي نصبها الاستعمار عوض
الملك محمد الخامس !

ثم كتب بعد أن ظهرت بوادر النصر
في أعقاب الكفاح المرير الذي خاضه
الشعب المغربي من أجل إرجاع مليكه ،
كتب يقول : " فرض الشعب المراكشي
إرادته على فرنسا فاضطرها اضطراراً إلى
أن تعترف باستقلاله وسيادته، وأكرهها
إكراها على أن تفاوض السلطان الذي
أنزلته عن عرشه منذ عامين ونفته إلى
جزيرة نائية في أقصى المحيط ، وقدرت أنها
ستجعله نكالا للثائرين بها والمتمردين
عليها فلم يُغن عنها مكائنها الرفيع وصيتها

العاهل المغربي ، الأجوبة كانت تُدين
المحاولات الرخيصة للتفرقة بين الملك
والشعب حيث نشر الاستجاب صورة
وحرفاً في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧/٣/
١٩٥١ .

وما زلت أذكر أن في صدر الحملات
العنيفة التي كان الوطنيون المغاربة
يوجهونها ضد الحماية ألها كانت تحرم
على المغاربة فتح المدارس لنشر التعليم مع
أن طه حسين وزير المعارف وقتها كان
ينشئ العديد من المدارس ويقرر مجانية
التعليم الثانوي ويعلن أن التعليم ضروري
للناس ضرورة الماء والهواء .

لقد كانت مصر لنا بمثابة القبس الذي
يهدينا إلى الطريق ونحن نقاوم
الاستعمار .

وقد ركب الاستعمار رأسه فأقدم على
نفي الملك محمد الخامس، يوم ٢٠ غشت
١٩٥٣ والذي كان يصادف عيد الأضحى
عند المسلمين . وهنا لم يكن من الغريب
أن يسمع الناس بالمغرب أن الدكتور طه
حسين يُرجع الوسام الفرنسي (لا ليجيون
دونور) من رتبة فارس كبير احتجاجاً

البعيد وبأسها الشديد وسلطانها الواسع شيئاً ، وإنما مضى الشعب المراكشي في ثورته وأضاف عنفاً إلى عنف " .

كانت أمثال هذه المواقف بمثابة البلسم الذى يضمّد جراح المناضلين والمبغدين الذين استمروا في كفاحهم إلى أن عاد محمد الخامس من منفاه يحمل معه استرجاع المغرب لحرية واستقلاله على ما أكدّه الدكتور .

وينبغي أن نتصور مدى ابتهاج المغاربة وقد أصبح في مستطاعهم أن يستقبلوا ضيفاً كبيراً كان هو الدكتور طه حسين!

لقد غمرتني فرحة زائدة وأنا أجد نفسى بطنجة يوم الثلاثاء ٢٤ يونيو ١٩٥٨م أستقبل فيها الزائر الكريم نيابة عن وزارة التربية الوطنية وضمن الوفد المغربى الذى صحبه في خطواته .

أذكر جيداً اجتماعنا ببيت السيد الدكتور عبد اللطيف بن جلون عامل طنجة الذى خصص استقبالاً حميماً لعميد الأدب العربى الذى وصل ، عبر جبل طارق ، بصحبة زوجته السيدة سوزان إلى جانب كاتبه الخاص السيد فريد شحاتة .

وفي هذا الاجتماع بيت هذا السيد العامل ، عندما كان الدكتور في جلسته الهادئة يستمتع بنسيم البحر تسلى كلباً ضخماً الجثة من نوع (بيرجى) كانت تمتلكه السيدة زوجة العامل ، ومضى الكلب نحو الدكتور طه حسين ، وبدون سابق هرير أخذ يحتك بركبتى الدكتور ! شعرت بالضيغ يفاعاً بصنيع هذا الطارئ ولكن الدكتور بما عهد من ظرف ولطف حوّل المفاجأة إلى تعبير أدبى رفيع، وتمثل بقول حسان بن ثابت في أولاد جفنة:

يُغشون حتى ما تهر كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل !

قالها بصوته الجمهورى المعروف وأسلم

الحاضرين إلى مجلس أنسٍ جميل .

بهذا ابتدأت بالمغرب أيام طه حسين التي كانت أيام أعراس أدبية علمية رددت صداها سائر أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة ، وهكذا فبعد أن قام الدكتور يوم الأربعاء ٢٥ يونيو بزيارة للسيد الحاج أحمد بلافريج رئيس الحكومة ووزير الشؤون الخارجية ثم بزيارة وزير التربية

والود فقد خاطب صاحب الجلالة الزائر الكريم قائلاً: إننا نرحب في شخصكم بعالم من أعلام الفكر العربي في العصر الحاضر، والمغرب متشرف بزيارتكم التي كان يتمناها منذ أمد طويل ، لمشاهدة ما يبذله من جهود في سبل البناء والانبعاث".

وأجاب الدكتور طه حسين : " إنى متأثر جداً ، يا صاحب الجلالة ، بهذه المقابلة التي أنعمتم على بها ، ولى الشرف العظيم بالمشول بين يدي جلالتم أنتم الذين قدتم معركة التحرير في المغرب وعانيتم كثيراً من التضحيات والمشاق في سبل إسعاد الشعب المغربي ، والكل يعترف بالفضل العظيم الذى طوقتم به جيد العروبة بكفاحكم واستبسالكم إلى جانب الشعب المغربي الأبي " .

فعقب جلالة الملك على كلمة الدكتور قائلاً : نعتبر أن كل شخص مهما كانت مرتبته ينبغي له أن يودى واجبه في هذا المضمار ! وإن الشعب المغربي يذكر كذلك ما قمتم به أيضا من أعمالٍ أثناء المحنة السياسية التي اجتازها المغرب ولا تزال عالقة بأذهاننا مواقفكم

الوطنية الحاج عمر بن عبد الجليل ، وبعد أن حضر مأدبة العشاء التي أقيمت على شرفه في بيت السيد الحاج أحمد بناني مدير التشريفات الملكية ، والتي تميزت بحضور صاحب السمو الملكي ولى العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن...بعد ذلك قام الدكتور طه حسين صباح اليوم الموالي الخميس ٢٦ يونيو بمقابلة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس حيث قرأنا في الصحيفة الرسمية "العهد الجديد" البلاغ التالي:

" حظي الدكتور طه حسين إثر وصوله إلى الرباط بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم وكان الدكتور مصحوباً بمعالى رئيس الحكومة السيد أحمد بلافريج وسفير الجمهورية العربية المتحدة السيد أسعد محاسن ، وقد حضر المقابلة السيد أحمد بناني مدير التشريفات والسيد عبد الكريم غلاب رئيس قسم إفريقيا وأسيا بوزارة الخارجية والسيد بومهدى رئيس القسم الثقافي بنفس الوزارة والسيد عبد الهادي التازي عن وزارة التربية الوطنية" .

وعمضى البلاغ قائلاً : " وكانت المقابلة على جانب عظيم من الحفاوة

لذوى الكفاءة من العلماء والأدباء
والأطباء والفنانين ورجال الفكر ، وإن
الدكتور طه حسين أول من قلّد هذا
الوسام العلمى السامى .

وفي الساعة السادسة من مساء نفس
اليوم أقامت وزارة الشؤون الخارجية حفل
شأى كبير تكريمًا لعميد الأدب العربى
بجداائق الوزارة لم يحرم الدبلوماسيين من
الاستمرار فيها إلا إشفاق السيدة زوجة
الدكتور على زوجها من ألا يأخذ وقته
لإلقاء محاضراته حيث استمعتُ إليه
يهمس في أذن بعض المشرفين على الحفل
معتذرًا ومداعبًا: اعذرونى فإن من الحب
ما قتل !

فعلاً كان جمهور المثقفين على موعد
مع المحاضرة الأولى للزائر الكريم التي ألقاها
في نفس اليوم ٢٦ يونيه بكلية العلوم
المتابعة لجامعة محمد الخامس بحضور سمو
ولى عهد المملكة الأمير مولاي الحسن ،
وكانت بعنوان : " الأدب العربى
ومكانته بين الآداب العالمية " .

لقد غصت القاعة على سعتها بالذين
كانوا في شوق بالغ إلى السيد العميد،

ومقالاتكم في الدفاع عن القضية المغربية
مما كان له أكبر الوقع والتشجيع للأمة
المغربية في جهادها . وزيارتكم هذه
ستكون لها أكبر الفائدة بالنسبة للمثقفين
المغاربة الذين يتعطشون لمناهل العلم في
البلاد العربية .

وبعد ذلك دار الحديث بين جلالة
الملك المعظم والدكتور طه حسين عن
ظروف السفر ، وعن البرنامج الذى وُضع
لزائر المغرب الكريم . ولما لاحظ جلالة
أن البرنامج ربما كان مرهقاً بالنسبة
للدكتور طلب جلالة من رئيس الحكومة
السيد أحمد بلافريج ألا يكون في البرنامج
إجهاد وتعب على الدكتور.

وإضافةً إلى ذلك الخبر الذى عممته
أجهزة الإعلام صدر بلاغ من التشريفات
الملكية يقول : يعلن مدير التشريفات
والأوسمة أن صاحب الجلالة الملك المعظم
حفظه الله تفضل بالإنعام على معالى
الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب
بالقاهرة بمناسبة زيارته أعلى درجة من
وسام الكفاءة الفكرية الذى خصصه
صاحب الجلالة بين الأوسمة الجديدة

المنهجية الأخاذة ما حباه الله به من صوتٍ موسيقى رخيـم ، ومن احترام فائق لقواعد اللغة العربية، واختيار جيد للمفردات الدالة التي يستعملها ، آمنت بأنك أمام معلمة جديرة بأن تكون القدوة للذين يُنشئون ويتحدثون، وبأنك أمام رائدٍ خبيرٍ بمعارج الطرق منها الأقرب إلى الوصول ، وقد كان يذكرني في دعاء كان يتردد على لسان أحد مشايخنا أثناء الدرس: "اللهم ارزقنا العلم، وارزقنا القدرة على تبليغه" .

قال الدكتور على الخصوص في محاضراته: " ... لقد مرت على أذهاننا العربي أطوار نستطيع فيها بحق أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العالمي الممتاز في عصر من عصوره ، ذلك أن هذا الأدب لم يكسب يخرج من جزيرة العرب حتى انتشر انتشاراً رائعاً . ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه .

نعم كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت

ومازلت أذكر جيداً أن هذا الجمهور، على سعته وتعدد اتجاهاته ، ظل كأن على رأسه الطير كما يقولون ، الكل رجلاً ونساء يصيخ بسمعه إلى ما يقول الدكتور الذي قدمه إلى هذا الجمهور الأستاذ عبد الكريم غلاب .

لقد ابتدأ الدكتور طه حسين حديثه وأنت تشعر بأن الرجل يأخذك بأسلوبه الساحر شيئاً فشيئاً ليلحق بك برفق إلى الموضوع الذي تناوله من غير أن تشعر بتعبٍ في تتبع فقرات حديثه ولا بصعوبةٍ في فهم لغته . وينساق بك إلى أن يصل إلى قمة النتيجة التي يتوخاها من عرضه ، فإذا أحس أنك وصلت معه إلى ما يريد أخذ بك في العودة بتؤدة ولطف وهو يزودك في هذه الأثناء بما يدعم أطروحته غير متكلف ولا متصنع ولا مغرب فيما يأتي به من ألفاظ سلسلة مغرية ، وهكذا تشعر بأنه ماضٍ في اتجاه الانصراف حتى يصل إلى الدقيقة الأخيرة المحددة للكلام فيودعك وأنت تشعر بأنك عشت لحظات من الزمان في غاية المتعة ، وكأن الساعة ثانيةً ، فإذا أضفت إلى كل هذه

على سياسته وإدارته وثقافته، ولكنها لم تبلغ في أى وقت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئاً وإنما فرضت نفسها سياسياً فكانت لغة الحكام وكانت لغة الإدارة وكانت لغة الثقافة الرسمية، وظلت الشعوب تتكلم بلغاتها الخاصة. فالأمة اليونانية فرضت سيطرتها على الشرق عشرة قرون. لكن الشعوب ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة فكان المصريون محتفظين بالقبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بالآرامية ...

وجاء الرومان بعد اليونان فلم تستطع لغتهم اللاتينية أن تنتشر في الشرق بحال من الأحوال وإنما كان الحكام من الرومانيين ... وظلت الشعوب مع ذلك محافظة على لغاتها الموروثة ... إلى أن جاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي فانتشرت ودون أن يتخذ السلطان العربي أية قوة لفرضها ... نظرنا فإذا هذه اللغة تنتشر شيئاً فشيئاً ... ولا تلبث أن تصبح هى اللغة العامة لكل البلاد التي فتحها

المسلمون في الشرق والغرب . انتشرت بقوة القرآن ، وبهذه القوة وحدها استطاعت أن تكون لغة عالمية لأول مرة وبأوسع معاني هذه الكلمة ، لكن الأدب الجدير بهذه المرتبة هو الذى يستطيع أن يأخذ وأن يعطى ولا يكون منعزلاً عاكفاً على نفسه . يأخذ من الآداب المختلفة ما يلائم طبيعته ، فلا يعيش منعزلاً وإنما يعيش متصلاً بحياة الأمم البعيدة منها ويعطيها في نفس الوقت ما يستطيع . إن كل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ ويعطى وأن يتأثر وأن يؤثر ... "

إلى آخر هذه الأفكار التي رأينا أن من الواجب أن نخصص لها ملحقا خاصا بعد أن سجلناها من الشريط المحفوظ بالإذاعة الوطنية التي نغتنم هذه الفرصة لشكرها على مساعدتها .

لقد سمعنا صاحب السمو الملكي ولي العهد يقول: إنه يعتز بأنه أمسى من تلامذة الدكتور طه حسين، وقد أتي إلا أن يقيم حفل استقبال أكاديمي على شرف الأستاذ الكبير في قصره الخاص بحى السويس مساء الأحد ٢٩ من يونيو/ ١١ من ذى الحجة،

استجابة لطلب الأدباء الذى أبدوا رغبتهم في الاتصال المباشر بالدكتور من الطلبة الناهمين حيث وجهت للأستاذ عدة أسئلة حول التعريب وتيسير النحو ، وكان الدكتور يجيب عنها بصراحة أثار إعجاب الحاضرين . الأمر الذى يعبر عنه ما تركه - رحمه الله - من آثار جد هامة حول المواضيع التى تطرق إليها والتي أصبحت محل اهتمام من المشرفين على الشؤون الثقافية ببلادنا .

وقد عالج حديث الدكتور طه حسين يوم الاثنين ٣٠ يونيو = ١٢ من ذى الحجة في العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء بقاعة المسرح البلدى موضوع تطور الأدب العربى في مصر قديماً وحديثاً حيث قدمه إلى الجمهور الأستاذ محمد الفاسى الذى نعت الدكتور " بشيخ الجماعة " .

وهكذا وبعد أن أكد أن فترة الحكم العثمانى كادت أن تأتى على معالم الأدب العربى في مصر بحكم أنهم أى العثمانيين قطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجى شرقاً وغرباً ، أشاد بما قامت به دولة المماليك من خلال الاتفاقيات التى

وقد كان سموه في استقبال ضيفه ، وصحبته إلى المائدة التى جلس حولها رئيس الحكومة ووزير الخارجية وعدد كبير من على الشخصيات الحكومية والدبلوماسية والأدبية بمن فيهم الأستاذ شارل أندرى جوليان عميد كلية الآداب وعدد من أعضاء (جمعية العلماء بالمغرب) الذين وصلوا إلى الرباط بمناسبة تقديم التهانى بعيد الأضحى لعام ١٣٧٧ .

وقد كان الدكتور قبل هذا ضيفاً على السيد رئيس الحكومة في مأدبة غداء هذا اليوم أقامها على شرفه في بيته وحضرها عدد من الشخصيات السياسية والوطنية كان من بينهم الأستاذ علال الفاسى ...

وقبل أن يغادر طه حسين الرباط حضر حفل استقبال كبير أقامه على شرفه في فندق حسان الأستاذ أسعد محاسن سفير الجمهورية العربية المتحدة . كما نظم الدكتور عبد العزيز الأهوانى المستشار الثقافى بالسفارة ومدير المركز الثقافى المصرى في التاسعة والنصف من نفس اليوم الأحد ٢٩ ندوة كبرى

أبرمتها، والآثار التي تركتها بعد أن كان التتر أتوا على كل معالم الحضارة العربية في العراق، وهنا ذكر ما خلفه النويرى والعمرى والقلقشندى وابن منظور وابن حجر والسيوطى .

ويعتبر الدكتور طه حسين أن طرق الفرنسيين أبواب مصر أيقظ المصريين وخاصة عندما ظهرت المطبعة وانتشرت بعض التجارب العلمية . وأخذ المصريون يرسلون أبناءهم إلى الخارج وأخذ الأجانب يترددون على مصر ، وبرز على الساحة تياران: التيار القديم والتيار الجديد. وهنا طمحت النفوس إلى الاستقلال، وسمعنا عن البارودى وحافظ وشوقى وظهر النثر إلى جانب الشعر ، وشاهدنا أسبوعية " مصباح الشرق " وسمعنا بالمتفلوطى وآثاره .

ويبدو أن طه حسين وجد في الفرق بين سلوك القصر الملكى في مصر وسلوكه في المغرب، مما يتصل بالتواطؤ مع الاستعمار، وجد في ذلك ما يبرر لمزه للنظام الملكى في مصر . ومن هنا انتقل إلى دور الكتاب في العمل على التخلص من الاستعمار .

وفي هذا الصدد عرض لظهور حركة التمثيل بمصر . وهنا قدم توفيق الحكيم للمغاربة كما قدم إليهم عددا من الكتاب من أمثال نجيب محفوظ ...

وكان المهم في هذا الحديث أنه يدعو المغاربة إلى المشاركة في ذلك الجهد من أجل إظهار الكنوز العربية . ومن المهم أن نقف مرة أخرى على التأكيد على ضرورة عدم الاكتفاء بذكر القدماء . إننا نريد -يقول طه حسين- أن نعرف ما عند الغرب أيضا ونجمع ما نعرفه عن قدمائنا وأن نكون لأنفسنا شخصيتنا الجديدة الحرة المستقلة. فلا ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن ... " على ما سنقرأ تفاصيله من الملاحق .

وإثر هذه المحاضرة أقيم حفل حاشد على شرف الدكتور طه حسين في بيت الأستاذ الحلو وقد غص المنزل بالحاضرين ، وغابت عنه زوجته على ما نقرؤه في مذكراتها ...

وكان من طرائف ما جرى في فاس يوم الأربعاء الثانى من يولييه ١٩٥٨ م أن

منهم الشاعر الكبير الأستاذ محمد الحلوي
الذى تقدم بقصيدة رائعة في نحو أربعين
بيتا ، طرب لها الدكتور طه حسين
ورجعت به إلى عهود الشعر الزاهرة على
حد تعبيره ، جاء في أولها على ما سنرى
في الملاحق :

حَقُّ عَلَى الشَّعْرِ أَنْ يُهْدِي عَرَائِسَهُ
تَحِيَّةً لِعَمِيدِ الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ
هَفَا إِلَى حِضْنِكَ الدَّافِي لَتُنْعِشَهُ
مِثْلَ الْيَتِيمِ الَّذِي يَهْفُو لِحِضْنِ أَبٍ !
وقد كان من حسن حظي ونحن
بمدينة فاس ، وبالذات في فندق زالاغ ،
أن أُلْزِمَ الدكتور طه حسين أكثر مما
لَازِمَتِهِ فِي الرِّبَاطِ أَوْ الدَّارِ الْبَيْضَاءِ ، لَقَدْ
كُنْتُ عَلَى صِلَةٍ وَلَمْدَةٍ تَزِيدُ عَلَى عَشْرِ
سِنَوَاتٍ بِزَمِيلٍ لِي فِي الدِّرَاسَةِ كَانَ كَفِيًّا :
العَرَبِيُّ الرَّهَوْنِيُّ ، فَكُنْتُ أَعِيشُ مَعَ نَفْسِ
الْحَرَكَاتِ وَالْمُدْرَكَاتِ . سَأَلَنِي - وَكَانَ
يَعْرِفُ أَنَّنِي خَرِيجُ جَامِعَةِ الْقُرُوبَيْنِ - عَنْ
نَصِيصِي مِنَ اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ؟ وَهَلْ سَافَرْتُ
خَارِجَ الْمَغْرِبِ ؟ وَقَالَ لِي مَرَّةً أَلَا تَفَكَّرُ فِي
الِاتِّحَاقِ بِالْجَامِعَةِ الْعَصْرِيَّةِ ؟ وَقَدْ
اسْتَغْرَبْتُ مَنْ سَأَلَهُ هَذَا أَوَّلَ الْأَمْرِ ،

الدكتور عزم على زيارة جامعة القرويين
التي تقع في قلب المدينة القديمة والتي نعلم
عن صلتها بالأزهر في ذاكرة طه حسين ،
وقد طلب إليَّ أن أختار أقرب طريق إلى
الجامع واستكتمني رغبته حتى لا تمنعه
صاحبته من النزول بحجة الإشفاق عليه
لكن الخير وصلها فطلبت إليَّ أن أرافقها
لتأخذ فكرة عن المسافة. الأمر الذي
جعلها ترفض أن يقوم بمثل هذه المغامرة !
وعبثًا حاولنا إقناع السيدة بسهولة
الطريق بل وباعتمادنا على السيارة الخاصة
التي جعلها الملك تحت تصرفه ، فقد
أصرت على رأيها ، وهكذا تحولت
الزيارة إلى أحد فروع جامعة القرويين
الذي كان يحمل اسم (معهد الزربطانة)
حيث أقيم في حدائقه الواسعة حفل
استقبال كبير حضره جميع علماء جامعة
القرويين .. واستجابة لرغبة الدكتور
شارك في الاستقبال حوق الآلة الأندلسية
التي كان الأستاذ يطرب لسماع إيقاع
إحدى نوباتها : (بطايحي رصْد الذيل) .

وقد تقدم بهذه المناسبة عدد من
الخطباء الذين رحبوا بالزائر الكريم وكان

الفاسي ، وقد كان موضوعها يتناول مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام .

لقد خصص الحصة الأولى من محاضراته بفاس لتحية أهل فاس والإشادة بأجداد القرويين ودورها في الحفاظ على التراث الإسلامي والهوية العربية لبلاد المغرب . " إن لمدينة فاس في قلوبنا مكانة أي مكانة فهي موئل الحضارة وموئل العلم ، وهي قلعة الإسلام الحصينة ، من أجل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا لزيارتها ولا نذكرها إلا ذكرنا جامعة القرويين وما يتصل بها ... ونحن نقدر في أعماق نفوسنا أن جامعة القرويين هي أقدم الجامعات الإسلامية وعسى أن تكون أقدم جامعات الأرض كلها .

وقبل هذه الكلمات التي كانت بمثابة الوسام الذي حلّى به صدر العاصمة العلمية للمغرب ، تفضل فشكر الاستقبال الحميم الذي خصصه علماء فاس لشخصه . " وإني على ما سمعت من نثر رائع وشعر بارع بالأمس أذكر ما قيل قديما : " إن أعذب الشعر أكذبه " وإني

لاسيما وقد كان يعلم أنني أب الحمة أطفال وأنني أعمل رئيسًا للقسم الثقافي بوزارة التربية الوطنية !! وبين الفينة والأخرى ، كأنه كان ينسى ليرجع ويتحدث عن الجامعة العصرية على ما سنرى .

ولقد كان مما أثار انتباه الدكتور طه حسين - ونحن نتبع تساؤلاته - أنه أحيانًا يدخل في حوار مع بعض الذين يسلمون عليه ، وقد كان يستغرب من أن معظمهم كان بالسجن أيام الاستعمار . وسنرى أن الدكتور يكتب : إن الذي يزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطنًا من أوطان البطولة خُفًا ، فمن أعسر الأشياء وأشقها أن نتحدث إلى رجلٍ من رجال الحكم أو من رجال الثقافة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهدًا . ا

ولقد كان موعد الجمهور مع المحاضرة الثالثة في اليوم الموالي ، وقد اختيرت لها أكبر قاعة في المدينة الجديدة : (سينما لامبير) حيث قدمه الأستاذ محمد

لأعذر لشاعرنا العظيم من ذكر هذه الجملة القديمة .

وبعد هذا تصدى الدكتور للموضوع الذي قدمه لرجال الفكر بالعاصمة العلمية والذي كان فعلا مثيرا وممتعا وأصيلا في الوقت ذاته :

هناك نظرية تقول : إن ظهور الإسلام أسكت الشعراء حينما من الدهر لأن القرآن بهر الناس ببلاغته وبيانه الرائع، وكان ابن خلدون أول من قررها في مقدمته وتبعه الذين أرخوا الآداب العربية. وعن مصداقية هذه المقولة تحدث الدكتور بصراحته المعهودة مقترحا على العلماء استعمال أفكارهم حول هذه النظرية وأمثالها. هذه المشكلة - يقول طه حسين - أحب أن أثيرها أمامكم . وإنى أرجو أن تتفكروا فيها وما أشك فيما بينى وبين نفسى في أن هذه النظرية ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال .

وهناك مشكلة أخرى تحتاج إلى كثير من التفكير - نلاحظ أن الحجاز - وهو موطن الوحي أصبح في عصر بنى أمية موطن الغزل والغناء والموسيقا فماذا كان

وراء هذا ؟ وهنا أيضا نصبح الدكتور يفتح عيون الحاضرين على أفكار في منتهى الروعة والجرأة طالبا من الأدباء أن يستعملوا أفكارهم في الوصول إلى الحقيقة ... فليس يكفي - يقول الدكتور - أن نقرأ ما يكتب في الكتب ونقرره ونعيده على طلبتنا كما قرأناه ونصبح كأنا الأداة التي تحكى ما يسجل لها . وإنما وهبنا الله عقولا لنفكر بها ، وهبنا أذواقا لنقيس بها الجيد والردىء . وسترون عندما تعيدون النظر في تاريخ الأدب العربى القديم في القرنين الأول والثانى بنوع خاص ، سترون أنكم أمام حقائق كثيرة إن ما نعرفه عن تاريخنا الأدبى قليل جدا بالمقارنة مع ما نجهله .

أنا أحب - يختم الدكتور - أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولى . إنى لأرجو ألا تقرؤوا كتاب الأغاني إلا لتقرؤوا ليس غير ، ولا تتخذوه وحده مصدرا للتاريخ الأدبى .

لقد كان طه حسين يقصد إلى إعطاء مثل هذه المحاضرة في مدينة تحتضن جامعة القرويين شقيقة الأزهر ، جامعة تعيش

على النصوص ، وبالنصوص ، وفي أحضان النصوص ، يقصد إلى أن يحرر الناس من أن يصبحوا عبيدا للنص بدون أن يستعملوا فكرهم جيدا في فهم النص وفي البحث عما قد يوجد من مصادر ومراجع تكشف عن مصادر النص وهدفه ، إن كل الناس مخاطبون باستعمال عقولهم واستخدام مواهبهم دون تقليد ولا متابعة عمياء . وسنرى في الملاحق تفصيلا عن موضوع المحاضرة .

وقد أبى محبوه بفاس إلا أن يأخذوه إلى مصطفى إيموزار الذي لا يبعد عن المدينة إلا قليلا حيث استمتع هناك بقعدات ندية حيث كانت أيدى الترحاب والتكريم تتهداه من زاوية إلى أخرى ... وكانت زيارته لمدينة فاس مناسبة للإعلان عن قبول الدكتور للعرض الذي التمسته منه الجامعة المغربية : أن يلقي عدة محاضرات في السنة الأكاديمية المقبلة . وفي طريقه إلى تطوان يوم السبت ٥ يولييه مر على مدينة القصر الكبير وهنا شعر بغياب أحد الرفاق في الرحلة وهو الزميل الراحل الدكتور عبد العزيز الأهواني ،

وسرعان ما حضر الدكتور الأهواني فأنشده طه حسين هذا البيت الذي ارتجله:

اسْأَلْ عَنِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ وَسِرِّهِ
تَجِدِ الْجَوَابَ لَدَى الْفَتَى الْأَهْوَانِي
وفي تطوان مساء الأحد ٦ يولييه الموافق ١٨ من ذى الحجة بقاعة إسبانيول ألقى آخر محاضرة له ، وقد قدمه الأستاذ محمد بن تاوت التطواني رحمه الله .
لقد أثار الدكتور طه حسين هذه المرة المشاكل التي تتصل بالأدب العربي عموماً كأزمة القراء التي عزاها إلى تعلق الناس بأمور الحياة . مركزاً على السينما ودورها في جلب الناس إليها على نحو المقهى التي تحشر الناس إليها . وقد تخلص الأستاذ العميد إلى تصنيف الأدب إلى درجتين اثنتين فيما أن يكتب للكثرة وإما أن يكتب للقلة .

وقد وقف الدكتور مقارناً بين الأدب القديم مبدئياً ما كان يتمتع به الأدباء القدامى من تشجيع وعطف وتقدير .

وينتقل الدكتور طه حسين إلى الموضوع الذي ما انفك يشيره مع الشباب

وطول المسافة التي كانت تفصل بين الرباط ومراكش ، وعدم اشتغال السيارات آنذاك على المكيف جعلت أعضاء الهيئة المنظمة يذكرون وصية جلالة الملك محمد الخامس أن يشفقوا على الزائر الكريم حتى لا يرهقوه ولا يتعبوه ، الأمر الذي أذعن إليه أدباء مدينة مراكش على مضض .. وإلى الآن يذكرون المناسبة ويرددون قول الشاعر :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً

فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ !

لقد ظهرت عبقرية الرجل أولا في توزيع المواضيع على العواصم المغربية المذكورة فخطب كل عاصمة بما كان ينبغي أن تخاطب به ، فهو في الرباط غيره في فاس ، وهو في البيضاء غيره في تطوان . أريد أن أخلص إلى القول : إن زيارة الدكتور طه حسين لم تكن زيارة سياحة أو راحة ولكنها كانت زيارة عمل وحركة متوالية ، فمن محاضرة إلى مناظرة إلى استجواب ، وقد كان الدكتور خلال كل ذلك مثل الرجل الذي لا يتعب ولا يمل ، كان يشعر بأنه يؤدي رسالة مقدسة لقوم

قائلا : إن الشباب العربي الذي أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد الصعوبة الكبيرة في مسابقة الطريقة المتبعة في تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة ويسر هذا النحو فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشباب عن الأدب العربي بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ! وتأتي بعد هذا مشكلة الكتابة العربية التي تجعل الفهم قبل القراءة بدلا من أن تسبق القراءة الفهم نظرا لعوامل الشكل والإعراب ، وقد أشار في خطابه إلى القاضي المغربي ابن مضاء الذي دعا إلى إصلاح النحو ... والذي كان أستاذنا شوقي ضيف خصص له بحثا هاما منذ عام ١٩٩٧ .. إلى آخر الأفكار الجريئة التي أدلى بها والتي تركت لها أثرا كبيرا في الطبقة الواعية التي كانت تصغي باهتمام إلى الأستاذ الجليل على ما نذكره في الملاحق .

وقد كان من المفروض أن يتجه الدكتور طه حسين إلى مدينة مراكش التي كان جمهورها ينتظره بفارغ الصبر إلا أن ارتفاع درجة الحرارة بعاصمة الجنوب ،

ينتظرون منه هذه الرسالة ، قمة وقاعدة ، شبابًا وشيوخًا، ذكورًا وإناثًا ، فلم يكن هناك حديث إلا عنه وعن فكره النير وقلبه المبصر وحسه المرفه .

كنا نحس أنه يعطى كل ما عنده وبكل إخلاص ، وكنا ندرك أن الناس كانوا يتلقون أطاريحه على أنها أطاريح سليمة مسلمة ، ولذلك كانوا يتوقون إلى زيارة لاحقة استجابة لرغبة مريديه .

وإذا جاز لي أن أتحدث عن أثر هذه الزيارة التاريخية في نفسى فإننى أذكر بحق أنها كانت بالنسبة إلى منعطفها هاما في حياتى ، فقد أقنعنا الرجل بأن القاعدة العلمية التي اعتمدنا عليها في جامعة القرويين، بالرغم من أنها القاعدة الأساس ، لكنها بحاجة إلى تأييد ، ولا بد من الانفتاح على الجامعة العصرية التي تكون بمثابة النافذة المشرعة على العالم الآخر .

وأعترف أنني من هنا أخذت أتوق إلى الالتحاق بجامعة محمد الخامس رغم اعتراض بعض زملائي بجامعة القرويين الذين كانوا يرون في ذلك ، تنقيصًا من قدر القرويين !! وقد شجعتني وجود ثلة

من الأساتذة المصريين الأجلاء بالرباط من أمثال الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال الذى وجد في مساهمتى بالمؤتمر الثالث للآثار العربية المنعقد بفاس في نوفمبر ١٩٥٩م: حول (الحروف المنقوشة بجامع القرويين) ، وجد فيها ما يبرر ذلك وأمثال الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى الذى فتح لي قلبه .

وإن نسيت فلا أنسى استقبال الدكتور طه حسين لنا في يناير ١٩٦١م بمكتبته الحافلة المرتبة في بيته (رامتان) ، عندما كنت بصحبة الأستاذ محمد الفاسى بمناسبة اجتماع اللجة الثقافية للجامعة العربية في دورتها الرابعة عشرة التي أذكر أن في صدر الذين حضروها الدكتور أحمد زكى والدكتور أحمد حسن الزيات . كان الدكتور طه حسين وقتها نائبا لرئيس المجمع أحمد لطفي السيد .

لم أنس ارتياح الدكتور من سماع الأستاذ الفاسى رحمه الله يخبره بالتحاقى بجامعة محمد الخامس وتشجيعي على رسالتى لنيل دبلوم الدراسات العليا التي كانت مفتاحي للالتحاق بجامعة الإسكندرية التي كان لها

وماتزال إلى الآن ترن في أذني بوقع جرسها
وقوة دلالتها وأناقة كلماتها . لقد أخذتني
إليه أخذا لم أستطع أن أحمي نفسي من
التمثل بها والاسترشاد بأسلوبها ..

وإني لأغتنم هذه الفرصة لتقديم التوصية
بتعميم المحاضرات المسجلة بصوته على
المؤسسات الجامعية باعتبار تلك المحاضرات
تراثا مسموعا يعلم الناس كيف بمخارج
الحروف ينطقون ، ولأفكارهم يرتبون
ولألفاظهم ينمقون، ولستمعهم يحمضون^(٩)
ويطرفون، وبانصرافهم يشعرون ويودعون !

د. عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

تاريخ بارر معروف مع الدكتور طه حسين.
ذكرت كل هذا الحديث اعترافا
بالجميل الذي أسدته لبلادنا زيارة الدكتور
طه حسين التي، كما قلت منذ البداية ، لم
تكن زيارة نزهة بقدر ما كانت رحلة
علمية، دامت أسبوعين وعملت على صحة
الطبقة المثقفة وتوعيتها بماضيها وتنبئها إلى
ضرورة الأخذ بمعالم الطريق الذي يضمن لها
الحفاظ على ذلك الماضي حتى تواكب
الركب العالمي .

لقد مرت أربعون سنة كاملة على

سماعي محاضرات الدكتور طه حسين

الملحق

الملحق الأول : محاضرة الرباط الخميس ٨
من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٢٦ من
يونيه ١٩٥٨ م .

الملحق الثاني : محاضرة الدار البيضاء
الاثنين ١٢ من ذي الحجة الموافق ٣٠
يونيه ١٩٥٨ م .

الملحق الثالث : محاضرة فاس الخميس
١٥ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق
٣ يولييه ١٩٥٨ م .

الملحق الرابع : محاضرة تطوان الأحد ١٨
من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٦ يولييه
١٩٥٨ م .

الملحق الخامس : قصيدة الشاعر الحلوي
بفاس يوم ١٤ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ
الموافق ٢ يولييه ١٩٥٨ م .

الملحق السادس : استجوابه مع مجلة الإذاعة
الوطنية العدد الأول يولييه ١٩٥٨ م .

الملحق السابع : مقال للدكتور نشرته جريدة
الجمهورية في عددها ليوم ٢٩/٧/١٩٥٨ م .

الملحق الثامن : مذكرات بقلم السيدة
حرمة عن زيارته للمغرب .
الملحق التاسع : معرض لبعض اللقطات
والقصاصات .
تنبية :

لم تفتني استشارة ما كتب بالشرق ،
وبخاصة مجلة الهلال ، العدد الخاص
بالدكتور فبراير ١٩٦٦ م - ١٣٨٥هـ ،
ومجلة (الحديث) عدد يولييه ١٩٥٨ م ،
وكذلك كتاب حول طه حسين تأليف
الدكتور حمدي السكوت والدكتور
مارسدن جونز ، طبعة دار الكتاب
المصري اللبناني ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م ،
وأخيراً المحاضرة التي ألقاها الأستاذ
الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة
العربية مساء يوم الاثنين ١٥ من ذي
القعدة ١٤١٧هـ الموافق ١٤ من مارس
١٩٩٧ م تحت عنوان (طه حسين
المجمعي) بقاعة الاجتماعات الكبرى بدار
المجمع بالزمالك ...

الملحق الأول نص محاضرة الرباط للدكتور طه حسين في موضوع " الأدب العربي ومكانته بين الآداب العالمية "

سيدي صاحب السمو الملكي : سادتي :
أحب قبل كل شيء أن أؤدي مهمة
ليس شيء أحب إلى من أدائها ، وهى أن
أحمل إلى حضرة صاحب الجلالة الملك
المعظم محمد الخامس وإلى صاحب السمو
الملكى الأمير الحسن ولى عهد الدولة
المغربية وإلى الشعب المغربي كله تحية
ملؤها الورد الصادق والحب العميق
والإجلال والإكبار وتقدير الجهد العنيف
الخصب الذى بذل في تحقيق الاستقلال
المغربي ، وهذه التحية أوديتها إلى المغرب :
إلى جلالة مليكه وإلى ولي عهده وشعبه
الكريم وعن الجمهورية العربية المتحدة
كلها : من رئيسها جمال عبد الناصر عن
حكومتها وعن شعبها العربى الذى إنما
يحيا بالعروبة وللعروبة ولإعزاز العروبة في
أي مكان من أماكنها ، وهذه التحية التى
تصدر من أعماق القلب العربى في المشرق
إلى القلب العربى في المغرب ، ليست تحية

تؤدى بأطراف الألسنة ، وإنما اللسان فيها
مترجم عن القلوب ، وإني لأرجو أن تبلغ
هذه التحية أسماعكم ثم لا تستقر فيها وإنما
تستقر في أعماق قلوبكم ودخائل
ضمائركم ، وأن تشعروا بأن الجمهورية
العربية المتحدة إنما تحييكم تحية الصديق
المخلص للصديق المخلص .

أما بعد فإني أعتذر من أن أتحدث
إليكم حديثاً لست أدرى أيروقكم أم لا
يروقكم ، ذلكم لأني لا أتحرى ، حين
أتحدث ، إرضاء الذين يسمعونني ، بمقدار
ما أتحرى إشعارهم بما يجب عليهم للأدب
العربى وللأمة العربية كلها ، وإذا لم يرقكم
بعض ما سأقوله في هذا الحديث فمعذرتي
إليكم هي أنني لست من الذين يقنعون
بالقليل في كل ما يتصل بالحياة العقلية ،
فقد أكون من أنصار القناعة بالقليل فيما
يتيح الله لي من أسباب الحياة ، أما فيما
أطمح إليه في حياتنا العقلية فإني لا أرضى

ينسينا واجبنا ، هو أن أدبنا العربي قد مرت عليه أطوار ، نستطيع فيها، بحق عندما نتحدث عنها ، أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العالمي الممتاز في عصر من عصوره . ذلك لأن هذا الأدب العربي لم يكده يخرج من جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتشر انتشارا رائعا وخطيرا حقا .

ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة والأيد ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه، وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت على سياسته وإدارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في أي وقت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ، ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئا، وإنما فرضت نفسها هذا الفرض السياسي المعروف فكانت لغة الحكام ، وكانت لغة الإدارة ، وكانت لغة الثقافة الرسمية ، وظلت الشعوب مع ذلك تتكلم

أبدا ولا أطمئن مطلقا، وإنما أنا قلق دائما ومثير للقلق حيثما كنت . وأنا حريص أشد الحرص ، على أن تشعر الأمة العربية كلها بأنها مهما تحقق من نهضة ومهما تبلغ من رقي في حياتها العقلية فإنها ستظل دائما بعيدة عما ينبغي لها من النهضة الصحيحة والرقي المؤكد والوصول إلى المثل الأعلى في تقوية الحضارة وتنميتها وإغناء العالم الإنساني كله ومشاركته فيما ينبغي أن تكون عليه الحياة الإنسانية من تقدم ورقى وازدهار .

وأريد أن أحدثكم الليلة عن " الأدب العربي وعن مكانته بين الآداب العالمية " . وهو موضوع - كما ترون - يشعر بشيء كثير من وجوب الاحتياط في القول . فالعالم الآن بما بلغ من التقدم ، وبما وصل إليه من الرقي ، وبما انتهى إليه من هذا التطور الغريب ، وبما وصلت إليه الاختراعات الحديثة ، هذا العالم عندما ننظر إليه ، وننظر إلى ما وصلنا نحن إليه في بلادنا العربية ، نشعر بالمسافة البعيدة التي تفصل بيننا وبين ما نحب أن نكون . والشيء الذي يعزينا ولكنه لا ينبغي أن

بجال من الأحوال ، وإنما كان الحكام من الرومانيين ، وكانت لغة الإدارة والسياسة والثقافة هي اللغة اللاتينية ، وظلت الشعوب مع ذلك محافظة على لغاتها الموروثة ، وعلى آدابها الموروثة ، وعلى تقاليدھا كلها ، إلى أن جاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي ، ودون أن يتخذ السلطان العربي أى قوة لفرض هذه اللغة ، ودون أن تتخذ الحكومات العربية على اختلافها أى إجراء لحمل الشعوب على أن تتكلم اللغة العربية ، ننظر ، فإذا هذه اللغة العربية تنتشر شيئا فشيئا ، ولكنها تنتشر ، على ذلك - في سرعة مدهشة، ولا تلبث أن تصبح هي اللغة العامة لكل البلاد التي فتحها المسلمون ، في شرقي الدولة الإسلامية وغربها .

في شرقي الدولة الإسلامية : في بلاد إيران ، وفي جزء من بلاد الهند كل هذا القسم كان يتكلم اللغة العربية ويكتب بها، ويحاول أن يغالب العرب عليها . وفي المغرب ، وفي الشام وفي مصر وشمال إفريقيا ، وفي الأندلس كذلك غلبت اللغة العربية كل اللغات التي كانت منتشرة في

لغاتها الخاصة ، وتتوارث آدابها الخاصة ، لم تغير لغتها، ولم تتخذ هذه اللغات القديمة المسيطرة لغات لها . فالأمة اليونانية فرضت لغتها على الشرق عشرة قرون ، منذ عهد الإسكندر إلى الفتوح العربية . وكان الحكام في أول أمرهم من اليونانيين، وكانت إدارة البلاد الشرقية ، ولا سيما مصر والشام وما إليها، كانت الإدارة فيها يونانية ، وكانت اللغة الإدارية والسياسية هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة الثقافة الرسمية في المدارس وفي المعاهد وفي الأديرة - بعد انتشار المسيحية - هي اللغة اليونانية. ولكن الشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد الشرقية ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة. فكان المصريون محتفظين بلغتهم القبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بلغاتهم السامية الآرامية وما يتفرع منها، ولم تستطع هذه اللغة اليونانية أن تؤثر في هذه اللغات ولا أن تحول الشعوب عن لغاتها بجال من الأحوال.

وجاء الرومان بعد اليونان ، ولغتهم اللاتينية لم تستطع أن تنتشر في الشرق

كل هذه البلاد ، وأصبحت هي لغة الحديث ، وهي لغة الثقافة ولغة الدين .
ولأجل أن تتبينوا أن هذا لم يأت بقوة الحكومة ولا بتدخل السلطان ، أحب أن أذكركم بمثل بسيط جدًا ، وهو أنه في القرن الثالث ، في مصر ، كان كثير من القضاة يتعلمون اللغة القبطية ، ليستطيعوا أن يفهموا الخصوم إذا اختصموا إليهم وأن يقضوا بينهم . هذا يعطيكم فكرة واضحة عن موقف الحكومة ، وموقف السلطان بالقياس إلى انتشار اللغة العربية . فاللغة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة ، وبقوة الإسلام وقوة القرآن الكريم . بهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الإنساني، لغة عالمية بأوسع معاني هذه الكلمة ، يتكلمها الفرس ويتكلمها جزء غير قليل من الهند وتتكلمها بلاد الشرق العربي الآن كلها ويتكلمها المغرب وشمال إفريقيا وتتكلمها الأندلس أيضا ، هذه اللغة أصبحت عالمية بنفسها دون أن تعمل الحكومة شيئا لذلك ، بنفسها من جهة ،

وبقوة الإسلام والقرآن من جهة أخرى .
ولأول مرة نجد في التاريخ لغة تنتشر إلى هذا الحد ، فكما قلت لكم قد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب ، ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام ، في بلاد الشرق . ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات ، غلبتها ، وتعمقت شعوبها ، وصلت إلى أعماق الشعوب ، وحولت الألسنة عن اللغات القديمة الموروثة إلى هذه اللغة نفسها، لغة العرب، لغة القرآن الكريم .

والرومانيون استطاعوا أن ينشروا لاتينيةهم في المغرب ، في المغرب الأوروبي: في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي إسبانيا ، وحاولوا أن يجعلوها لغة منتشرة في شمال إفريقيا ، فلم يفلحوا إلا قليلا جدًا .

ولكن اللغة العربية استطاعت أن تقهر اليونانية في الشرق ، وأن تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد الشرقية ، وأن تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم أن تقهر اللاتينية في المغرب

العربي وفي الأندلس ، وأن تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها هذا الانتشار ، لم تكن لغة حديث فحسب ، ولكنها كانت لغة حديث ، ولغة سياسة ، ولغة إدارة، ولغة الدين . وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي والعقلي، وفي أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسيغ كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة : أساغت ثقافة اليونان ، على سعتها وعلى صعوبتها وعلى عمقها ، وأساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهم العملية أيضا ، وأساغت ثقافة الفرس ، وثقافة الهند ، وأساغت بعد ذلك الثقافات التي كانت مستوارثة بين الأمم السامية، الثقافات التي نشأت عن التقاء الساميين بالأمم المختلفة ، والتي نشأت عن توارث التوراة وتوارث الإنجيل بين تلك الأمم المسيحية في هذه البلاد الشرقية والمغربية . كل هذه الثقافات استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تتمثلها وأن تجعلها ثقافة

عربية . وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى ، وهي أن هذه اللغة التي انتشرت بهذه الطريقة المدهشة ، والتي أساغت كل هذه الثقافات بهذه الطريقة المدهشة أيضا، أنشأت أمة جديدة ، هذه الأمة الجديدة قوامها اللغة العربية والدين الإسلامي عند الكثرة، والمسيحية والإسرائيلية عند القلة . وكل هذه الأمم امتزجت والتأمت وأصبحت أمة واحدة ، هي الأمة الإسلامية العربية، وجعلت عناصرها المختلفة تتعاون على إنشاء هذه الحضارة الإسلامية العليا ، التي لا أعرف أن حضارة أخرى قد سبقتها في عالميتها وفي انتشارها .

فلست أعرف حضارة قبل الحضارة الإسلامية استطاعت أن تنتشر من الأندلس إلى أعماق الهند ، وإنما الحضارة التي انتشرت هذا الانتشار الغريب لأول مرة في تاريخ العالم، هي هذه الحضارة الإسلامية .

في تلك الأيام ، نستطيع أن نقول إن أدبنا كان هو الأدب العربي الممتاز حقاً . وهذا الأدب العالمي الذي لم يكن أدب

في هذه العصور القديمة كان هذا الأدب العالمي الذي كان يأخذ ويعطي، والذي أخذ حتى أنشأ حضارة جديدة، وأعطى حتى أتاح للأوروبيين فهمتهم الأولى. ففضل المغرب، وفضل الأندلس، استطاع الأدب العربي والعلم العربي أن يصل إلى أعماق أوروبا، وترجم هذا الأدب إلى اللاتينية، نقله الأوروبيون إلى لاتينيتهم التي كانت لغة العلم والثقافة في تلك الأيام في الغرب الأوروبي، ترجم إلى اللاتينية وأصبح أساسا للنهضة الأوروبية الأولى التي كانت في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، وكذلك استطاع هذا الأدب أن يأخذ من اليونانيين في الشرق وأن يأخذ من الفرس والهند، وأن يأخذ من الأمم الشرقية، وأن يأخذ من اللاتينيين في الغرب، فكان المغاربة هنا وفي الأندلس يترجمون من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية، كما أن المشاركة كانوا يترجمون من اللغات اليونانية إلى اللغة العربية ومن اللغة الفارسية والهندية أيضا إلى اللغة العربية.

يساميه في وقته، سبقته آداب أخرى قديمة: سبقته الآداب اليونانية التي مازالت الإنسانية تعيش عليها إلى الآن، ولكن هذه الآداب اليونانية استطاع العالم الإسلامي، بفضل اللغة العربية ومرونتها وسعتها، استطاع العالم العربي أن يسيغها وأن يحول هذا الأدب اليوناني القديم أو على الأقل الناحية الفلسفية منه إلى فلسفة عربية، نقلت هذه الفلسفة إلى العربية واستطاع العرب أن يسيغوها وأن يضيفوا إليها من عند أنفسهم وأن ينموها، وسترون كيف استطاعوا أن ينشروها في أقطار العالم كله، في أقطار العالم الإسلامي والعالم المسيحي، في أوروبا أيضا.

كان هذا الأدب إذن عالميا، والأدب الجدير بهذا الاسم هو الذي يستطيع أن يأخذ وأن يعطي: يأخذ من الآداب المختلفة، يتلقى كل ما يمكن أن ينفعه وأن يلائم طبيعته، فهو لا يعيش معزولا وإنما يعيش متصلا بحياة أمته أولا، وبحياة الأمم البعيدة الأجنبية ثانيا، يأخذ منها ما استطاع ويعطيها في الوقت نفسه ما يستطيع، وأنا أريد أن أبين لكم أن أدبنا

هذه الطريقة لم يكن أدبنا مقصورا على الأمة العربية التي كانت تتكلمه ، وإنما شاع وانتقل منها إلى أمم أخرى . ولم يكن معتزلا عاكفا على نفسه ، وإنما كان شائعا ينفع الإنسانية كلها : من كان يعيش في ظل اللواء الإسلامي ومن كان يعيش بعيدا عن هذا اللواء .

وقد يقال: إن الأدب العربي تأثر بهذه الآداب القديمة التي نقلها، وليس في ذلك أي عيب.

فكل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ وأن يعطى وأن يتأثر وأن يؤثر، وإذا رأيتم أدبا يعيش معتزلا لا يأخذ ولا يعطى، ولا يتأثر ولا يؤثر ، فثقوا بأنه أدب ميت، أو أدب مقضى عليه بالموت القريب . إنما الأدب الحي هو هذا الذي يعيش متصلا بالآداب الأخرى يأخذ منها ما يلائم طبعه ومزاجه ، ويعطى من ذات نفسه ما ينفع الناس ، ويزيد الحضارة قوة وانتشارا .

ولسنا ننكر أن أدبنا العربي تأثر بالآداب والفلسفة اليونانية بعد نقلها ، ولسنا ننكر أن هذا قد كان له تأثير خطير

جدا في حياة الأدب العربي أثناء العصر العباسي ، وفي المغرب في العصور المتأخرة بدءا من القرن الرابع فما بعده، لا ننكر شيئا من هذا، وقد يقال إننا تأثرنا بالآداب الفارسية ، ولكن لا أعرف أن الفرس أثروا في آدابنا تأثيرا ذا خطر . كل ما ترجم إلى لغتنا العربية عن الفرس كانت هذه الطائفة من الحكم التي نجدها في كيلة ودمنة ، والتي نجدها في بعض كتب ابن المقفع ، والتي نجدها في بعض شعر أبي العتاهية ، هذه الحكم وبعض الأمثال القديمة السائرة التي جاءتنا من الهند ، وجاءتنا من عند الفرس ، ترجمت ولكنها لم تؤثر في الأدب العربي تأثيرا عميقا ، كما أثر الأدب اليوناني . فالأدب اليوناني أثر في تصور الشعراء وفي خيالهم، وبفضل هذا الأدب اليوناني وجد شاعر مثل أبي تمام ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل ابن الرومي ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل المتنبي ، ومثل أبي العلاء ، أولئك الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وظهرت آثار الفلسفة اليونانية في شعرهم، إما في صور الشعر كما عند أبي

تمام ، وإما في جوهر الشعر كما هي الحال في كثير من شعر المتنبي ، وفي شعر أبي العلاء الفلسفي كله ، وأحيانا تؤثر في الصورة وفي الجوهر كما هي عند ابن الرومي ، فابن الرومي كان شديد التأثر بالأدب اليوناني: في صوره الأدبية وفي أدائه اللفظي نفسه وفي بعض معانيه ، وفي معانيه الفلسفية بنوع خاص ، وهو أول الشعراء الذين أظهروا التشاؤم في الأدب العربي .

أما الفرس فلم يؤثروا في هذا الأدب العربي لسبب بسيط ، هو أن أدب الفرس القديم لم يكن ذا خطر ، وإنما كانت عندهم طوائف من الأحكام الإدارية ، وهذه الأحكام الإدارية والسياسية هي التي تأثر بها العصر العباسي وحده ، ولكن الأدب العربي نفسه لم يتأثر بشيء ذي بال من الآداب الفارسية، لأن هذه الآداب الفارسية لم تكن نفسها ذات خطر ، وعلى عكس هذا عندما استرد الفرس قوتهم في القرن الرابع للهجرة ، وعندما عدلوا عما كانوا قد ألفوا من اتخاذ اللغة العربية لغة لهم في حياتهم وفيما

كانوا يكتبون ، وأرادوا أن يكتبوا بلغتهم الفارسية الإسلامية الجديدة ، عندما عادوا إلى لغة فارسية خاصة ، لم تستطع هذه اللغة الفارسية الإسلامية أن تقهر اللغة العربية في بلاد الفرس أنفسهم ، فكثير من علماء الفرس كانوا يأنفون من كتابة العلم باللغة الفارسية ، ويأبون أن يكتبوه إلا باللغة العربية ، ونرى عالما من كبار علمائهم كالرخشري ينازعهم أشد المنازعة في مقدمة كتابه في النحو : (كتاب المفصل في النحو) ينازعهم أشد المنازعة في الكتابة باللغة الفارسية ، ويأبى إلا أن تكون الكتابة باللغة العربية ويرى أن الفارسية لا تستطيع أن تؤدي المعاني التي تؤديها اللغة العربية . وبالفعل عندما أراد الفرس أن ينشئوا لأنفسهم أدبا فارسيا إسلاميا لم يستطيعوا أن ينشئوا نثرا فارسيا إلا في العصر الحديث ، أما قبل العصر الحديث فالأدب الفارسي كله شعر، وهذا الشعر الفارسي الإسلامي ألفاظه فارسية ، وتكثر في تضاعيفها ألفاظ عربية ، وزمما يأتي في أثناء الشعر الفارسي بيت من الشعر العربي ، وأوزان

حظها من الحضارة بعد أن فقدت حضارتها اللاتينية القديمة، ولكن الظروف تتغير ، والأطوار تختلف ، والخطوب يتبع بعضها بعضا . وقد جعلت هذه الخطوب تتوالى على الأمة العربية ، وبدأت بتحول الحكم في الشرق على الأقل من العرب إلى أمم أجنبية : إلى الفرس أولا وإلى التحكم التركي ثانيا ، ثم إلى الفرس بعد ذلك ، ثم إلى الترك آخر الأمر ، ثم تأتي الدولة التركية العثمانية فتسيطر على الشرق العربي كله وعلى جزء من شمال إفريقيا . ومن حسن الحظ أنها لم تصل إلى المغرب ولم تسيطر عليه !

وأخص ما يجيى الأدب هو الاتصال بين الأمم صاحبة هذا الأدب وبين الأمم الأخرى ، ومن أجل ذلك لم يكد الترك العثمانيون يسيطرون على العالم العربي حتى قطعوا كل صلة بين العالم العربي وبين الخارج ، وفرضوا على هذا العالم العربي أن يعتزل وأن يعكف على نفسه ، لا يتصل بالعالم الخارجي في أوروبا ، ولا يكون له أى اتصال حتى بين أجزاء العالم العربي نفسه . قطعت الصلات بين الأمم

الشعر الفارسي كله إنما هي أوزان الشعر العربي . استعاروا منا أوزان الشعر العربي وقالوا شعرهم الفارسي مرة في بحر المتقارب ، ومرة في الرمل ، ومرة في أي بحر آخر من بحور الشعر الأخرى العربية . وأذكر أني سمعت بعض الناس ينشد شعراً فارسياً فيبتدئ إنشاد هذا الشعر على هذا النحو :

ألا يا أيها الساقى

أدر كاساً وناولها
كه عِشْقِ أسان نُمود

أولولي أفِتاد مشكلها
البيت الأول هو بيت من الشعر العربي
القديم :

" ألا يا أيها الساقى أدر كاساً وناولها " البيت الثاني معناه " العشق في أوله يسير سهل ولكنه لا يلبث إن تم ، حتى تنشأ مشكلاته .

كذلك كان الشعر العربي ، وكذلك كان الأدب العربي في هذا الطور من حياتنا، هو الأدب الممتاز في العالم الإنساني في تلك الأيام ، وكان هو المرجع للأمم الأوروبية التي كانت تريد أن تسترد

الكتب، وفي المكتبات ، وفي المساجد ، وحفظ التراث في المساجد التي كانت تعلم اللغة والدين والعلوم الإسلامية ، حُفظ هذا التراث في هذه الأجزاء من العالم العربي في سوريا وفي مصر في الشرق، وفي المغرب الأقصى، في القسم الغربي من العالم الإسلامي .

ثم يأتي هذا العصر، قبل هذا العصر الحديث كان التراث محفوظا ولكنه كان نائما، وكان مهملا ، لم يكن أحد يلتفت إليه تقريبا ، وكان كما قلت لحضراتكم كالجذوة التي تعيش تحت الرماد لم تنطفئ ولكنها لا تنشر لهبها ولا تنشر نورها وإنما تظل مستورة تحت الرماد ، هذا العصر الحديث عندما جاء ، وجدنا أدبنا العربي قد فقد كل قوته القديمة التي صورتها لكم الآن ، وفقد عالميته وأصبح أدبا محليا ، أصبح هناك أدب في مصر ، وأدب في سوريا ، وأدب في العراق ، وآخر في تونس وفي المغرب ، وهكذا ، ولكن هذه الآداب كلها كانت آدابا محلية كما يقال، لا تتجاوز حدود البلاد العربية إلى العالم الخارجي.

العربية وبين العالم الخارجي ، واضطرت الأمم العربية إلى أن تعكف على نفسها ، وجعل الأدب العربي يضعف قليلا قليلا ، ثم دهم العالم العربي بخطوب أخرى : خطوب التتار في الشرق، وخطوب الصليبيين وخطب الدولة العثمانية ، كما قلت ، فكان هذا هو الذي أضعف اللغة العربية وأضعف آدابها ، واضطرها إلى أن تصبح تعيش كما تعيش الجذوة تحت الرماد ، ولولا أن الله أتاح لجزأين من العالم حظا من الاستقلال ومكن لهما من الجزأين من حماية الأدب العربي والتراث الإسلامي لضاعت هذه الآداب .

وانظروا إلى حال الأمة العربية تحت تأثير التتار والترك بعد ذلك ، الترك العثمانيين، وإلى الأمة العربية في المغرب ، في إسبانيا ، تحت تأثير العناصر المسيحية التي أخرجت العرب وأخرجت الإسلام من إسبانيا ، إنما أتاح الله هذين الجزأين : المغرب الأقصى في العالم الغربي العربي ، وسوريا ومصر في العالم الشرقي العربي ، بفضل هذين الجزأين من العالم العربي حُفظ التراث الإسلامي، حُفظ التراث في

ظاهره بسيط ، ولكنه عندما نحقق النظر فيه خطير جدًا وثقيل جدا ، فهو يحتاج أولا إلى أن ننشر كل هذا التراث المكس في المكتبات ، في أقطار العالم العربي ، ننشره ونفسره ثم نضيف إليه من عند أنفسنا أدبا حديثا جديدا لا تنقطع صلته بالأدب العربي القديم ، ولكنها تتصل به من جهة ، وتزيد عليه وتضيف إليه من جهة أخرى ، ولا ينبغي أن نعيش في هذه العزلة التي نعيش فيها الآن ، أو نوشك أن نعيش فيها ، لا ينبغي أن نعيش في هذه العزلة ، نستعير كل ما نحتاج إليه من الحضارات الأخرى الغربية في أوروبا وفي أمريكا، ولا يستعير أحد منا شيئا . فنحن بهذه الطريقة نرضى لأنفسنا أن نكون عبيلا على الغرب ، وما عهد العرب في أنفسهم أن يكونوا عبيلا على أحد في وقت من الأوقات. كانوا يأخذون من اليونان ، ومن الفرس ، ومن الهند ، ومن أمم أخرى كثيرة ، ولكنهم كانوا يعطون ، فلأخذ من الغرب إذن ، ولكن يجب أن نأخذ منه وأن نعطيه . هذا هو الواجب الذي فرض علينا أن نهض به . وما

وفي أثناء هذه العصور الوسطى التي قضي فيها على الأدب العربي بهذا الخمود، قويت أوروبا، قويت بفضل النهضة الأولى التي أتاحتها لها الأدب العربي ، ثم قويت بفضل النهضة الثانية التي أتاحت لها بعد سقوط القسطنطينية في يد الترك العثمانيين، قويت أوروبا، وخطت خطواتها البعيدة في سبيل رقي الأدب ورقى العلم ، وكنا نحن في غاية الضعف وفي غاية الخمود، وكذلك ترون الواجب الخطير الذي يجب أن نثبت له وأن نهض به ، وأن نؤديه لأنفسنا أولا ، ولتراثنا العربي القديم ثانيا، وللإنسانية آخر الأمر . هذا الواجب بسيط في ظاهره ، ولكنه ثقيل وخطير عندما نحقق النظر فيه، هذا الواجب هو إحياء هذا التراث القديم من جهة ، وأن نضيف إليه من عند أنفسنا - من جهة أخرى - لنزيده وننميه ونقويه ، ونرد إليه مكانته العالمية ونجعله أدبا لا ينتفع به أصحابه وحدهم ، وإنما ينتفع به أصحابه وينتفع به العالم الخارجي على اختلاف أجناسه وعلى اختلاف حضاراته . هذا الواجب في

أشك في أننا قادرون إن أردنا، وإن
صممنا، وإن أمضينا عزيمتنا وإن ذكرنا
قول الشاعر القديم:

إِذَا هُمْ أُلْقِيَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمُهُ

وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

والذي أتاح لنا أن نجاهد ، وأتاح لنا
أن نكافح ، وأتاح لنا أن نصارع الأجنبي
لنستخلص منه استقلالنا السياسي في
الشرق، وفي المغرب، هو الذي سيجب لنا
أن نجاهد وأن نكافح، لنرد إلى أدينا العربي
حياته وقوته ونشاطه، ولكننا لن نجاهد
ولن نكافح أجنبيا في هذا السبيل ، ولكننا
سنجاهد أنفسنا وسنحمل أنفسنا على ما
تريد وعلى مالا تريد ، لنصل إلى تحقيق
هذه الغاية .

وإني لأسعد الناس بأن أشرف بإلقاء
هذه المحاضرة بين يدي صاحب السمو
الملكي وبين أيديكم ، لأني أرى في جلالة
الملك وفي سمو ولي العهد رمزا أي رمز
لهذا الكفاح ، ولهذا الجهاد . وإذن فعندما
أدعو إلى النهوض بهذا الواجب الخطير
الثقيل الذي تفرضه علينا كرامتنا ، أثق
بأن سمو الأمير ولي العهد خير من يستمع
لهذه الدعوة، وخير من يستقبلها كما
ينبغي أن تستقبل ، وخير من يعين على
إحياء الأدب في المغرب . وسيشارك في
إحياء الأدب العربي في جميع أقطار العروبة
كلها ، وأنا أجدد لسموه ولحضراتكم
أصدق الشكر وأخلص التحية .

الملحق الثاني نص محاضرة الدار البيضاء للدكتور طه حسين حول " الأدب العربي في مصر قديما وحديثا "

سيداتي ، سادتي !
أرجو قبل كل شيء أن تفضلوا
فتقبلوا تحية العروبة الشرقية ترسلها إلى
العروبة المغربية صادرة عن أعماق القلب
وعن دخائل الضمائر ، وأرجو أن
تقبلوها على ألا تستقر في أسماعكم ،
كما قلت في الرباط وإنما تمر في أسماعكم
لستقر في أعماق قلوبكم كما صدرت
من أعماق قلوب إخوانكم في الجمهورية
العربية المتحدة .

وأني لحريص على أن أشكر أجمل
الشكر وأصدق له للسيد الوزير ومدير
الجامعة الآن ، أشكر له أجمل الشكر
وأصدق له هذه التحية الكريمة التي تفضل
بها ، وأعترف وأشهد أني منذ وصلت إلى
بلاد المغرب لم أجد فيها إلا أحسن لقاء
وأحسن ترحيب ، لقاء الإخوان للأخ
وترحيب الإخوان بالأخ الصديق . ومع
ذلك فلست أوافق الأستاذ الوزير على ما
قال من أن المغرب تلمذ لمصر ، فالذي

أعرفه أن علومكم وصلت إلينا وأن
علماءكم وصلوا إلى بلادنا، منهم من
استقر في الإسكندرية وأقرأ تلاميذ من
المصريين والشرقيين ، ومنهم من استقر في
القاهرة وأقرأ التلاميذ في الأزهر الشريف،
فإذا كان هناك أساتذة وتلامذة فأنتم
الأساتذة ونحن التلاميذ .

وأنا أحب أن تعرفوا شيئا عن
إخوانكم في الجمهورية العربية المتحدة
وعن حياة الأدب فيها أثناء هذا العصر
الحديث لا لأني أريد أن أحدثكم عن
لهضة الأدب هناك ، ولكن لأني أريد أن
تعرفوا إخوانكم وأتمنى إن شاء الله أن
يزورنا الأستاذ الوزير وغيره من قادة
الفكر في هذه البلاد ليتحدثوا إلى المصريين
والسوريين عن إخوانهم من أهل المغرب
فإن الزيارة لا بد من أن ترد وأنا أزوركم
الآن وأنتظر أن يرد قادة الفكر هذه
الزيارة ، والذين سينعمون برد هذه
الزيارة لن أكون أنا وحدي في استقبالهم

لكن سيكون جميع المصريين والسوريين
إن شاء الله .

عندما وصل الفرنسيون إلى مصر في
أواخر القرن الثامن عشر كان الأدب
العربي في مصر قد أدركه ضعف شديد
وكان قد بلغ من الضعف أن أصبح لا
يكاد يصور شيئاً وأصبح ألفاظاً يضم
بعضها إلى بعض ويعبث بها الكتاب
والشعراء يتخذون هذه الألفاظ تَعَلَّةً لهم
تغنيهم عن المعاني التي ينبغي للأدب أن
يؤديها ذلك لأن القريحة العربية في تلك
الأيام كانت قد نضبت وأدركها خمود
شديد جداً ، ومصدر ذلك أن حياة
الأدب رهينة بأن تتصل البلاد بعضها
ببعض. وقد أقبل الترك العثمانيون على
مصر في القرن السادس عشر فقطعوا كل
صلة بينها وبين العالم الخارجي ، قطعوا
الصلة بينها وبين العالم العربي شرقاً وغرباً،
وقطعوا الصلة بينها وبين العالم الغربي
الأوروبي وكانت قبل الغزو العثماني
متصلة بالعالم العربي في الشرق وفي الغرب
ومتصلة بالعالم الأوروبي المسيحي بواسطة
التجارة وبواسطة المعاهدات السياسية ،

وما إلى ذلك ، فكان الأدب في تلك
الأيام ، قبل الغزو العثماني ، له حظ من
حياة مهما تكن فقد كانت قوية خصبة
منتجة ، وما أكثر ما يقال عن عصر
المماليك في مصر وسورية ، فكثير من
الذين يؤرخون الأدب يقولون : إن هذا
العصر قد كان عصر ضعف وخمود لجذوة
الأدب العربي ، ولكننا عندما نحقق النظر
في شؤون الأدب في سورية وفي مصر أيام
المماليك نرى أن الشعر إن كان أمره قد
ضعف فقد كانت هناك نهضة أدبية
خطيرة هي التي حفظت على الشرق
تسرات الإسلام بعد أن تعرض للخطر
العظيم الذي أثاره التتار عندما غزوا
العراق وعندما أضاعوا ما أضاعوا من
الكتب ، وأهدروا وهدموا ما هدموا من
الحضارة الإسلامية في العراق . كانت
سورية وكانت مصر هما الملجأ الذي لجأ
إليه التراث الإسلامي ، ونحس السوريون
والمصريون يقرؤون ما لجأ إلى سورية
ومصر من هذا التراث ويجمعونه ويدونونه
في كتب ضخمة تذكرنا بدوائر المعارف
أو "الأنسكلوبيديات" في هذه الأيام ،

وضعف أمر الأدب العربي في مصر
وفي سورية ولولا بقية من الدراسات في
الأزهر وفي بعض المدارس لنسى الأدب
العربي نسياناً تاماً .

أثناء هذه القرون الثلاثة ، من القرن
السادس عشر إلى أوائل القرن التاسع
عشر ، ظل الأدب العربي أشبه شئ
بالجذوة التي تكاثر عليها الرماد فهي
محتفظة بقوتها ومحتفظة بما فيها من القدرة
على الانتشار والإضاءة ولكن الرماد
عليها قد تكاثر وتكاثر حتى أصبحت
خامدة أو كالخامدة لا ينطبق لها ولا
يُشرق نورها ، وأصبح كتابنا في تلك
الأيام يبدئون ويعيدون في ألفاظ مزوقة
منمقة لا تؤدي شيئاً ، ولكنها تخدع
أصحابها الذين يكتبونها ، وتخدع الذين
يقرؤونها ، وتخيل إلى أولئك أنهم يكتبون
شيئاً وإلى هؤلاء أنهم يقرؤون شيئاً !
والحقيقة أن أولئك وهؤلاء لم يكونوا
يكتبون ولم يكونوا يقرؤون . وإنما كانوا
غارقين في شئ يشبه هذيان المحموم ،
كذلك كانت حياة الأدب ، أيها السادة ،
في ذلك العصر التركي العثماني .

فنى " الثوئرى " يولف " نهاية الأرب "
في نحو ثلاثين مجلدا ونرى " العمرى "
يولف " مسالك الأمصار " ، ونرى
القلقشندى " يولف " صبح الأعشى ،
ونرى " ابن منظور " يولف " لسان
العرب " ونرى غير هؤلاء ، نرى ابن
حجر في الفقه والحديث وتلاميذ ابن
حجر ، ونرى آخر الأمر " السيوطي " وما
أكثر ما جمع السيوطي من الكتب القديمة
في كتبه التي ألفها وملأ بها البلاد الشرقية .
في أثناء هذه النهضة التي إن لم تكن أدبية
خالصة فقد كانت نهضة علمية ، وإلى
جانبا كانت نهضة فنية يراها كل من زار
القاهرة وكل من زار دمشق ورأى ما في
المدينتين من الآثار الإسلامية ومن
المساجد .

في أثناء هذا أقبل الترك العثمانيون
على مصر فهدموا الحضارة الإسلامية في
الشرق العربي كما هدموا الحضارة
البيزنطية في قسطنطينية ، وجرى هذا كله
في أقل من قرن واحد ، هدموا هاتين
الحضارتين ولم يؤتوا العالم حضارة تقوم
مقام إحداهما .

قد أيقظوها وقد نبهوها إلى أنها كانت بمعزل من حياة قوية نشيطة ، توجد في بعض البلاد . ومنذ أوائل القرن الماضي بدأ المصريون يرسلون أبناءهم إلى الخارج يرسلوهم إلى إيطاليا وإلى فرنسا وإلى بريطانيا العظمى ، ليعلموا علم هذه البلاد ولتعلموا في مدارسها وجامعاتها وليعودوا بما تعلموا لينشروه في بلادهم ، وكثرت هذه البعثات التي كانت تسافر إلى هذه البلاد، وإلى فرنسا خاصة وفي الوقت نفسه انهزمت جيوش نابليون في أوائل القرن ، وضاق كثير من الفرنسيين ببلادهم هذه المنهزمة ، التي احتلها العدو، فجعلوا يخرجون من بلادهم ويهاجرون إلى بلاد مختلفة . وجاء فريق منهم إلى مصر فاستغلت مصر مقدم هؤلاء ، استغلت بعضهم في تنظيم جيشها ، واستغلت بعضهم في تنظيم مدارسها، ومنذ ذلك الوقت ، بفضل إرسال البعثات المصرية إلى ما وراء البحر وبفضل استقبال الأوروبيين الذين كانوا يعبرون البحر إليها، منذ ذلك الوقت جعلت مصر تبتدئ نوعا جديدا من الحياة ، هي هذه

فعندما أقبل الفرنسيون إلى مصر ، يخيّل إلى أنهم طرّقوا باب العروبة المصرية طرّقا عنيفا ، أيقظ النيام ، فهم قد أقبلوا بأشياء لم يكن المصريون يقدرّون أنها موجودة . وهم قد عرضوا على المصريين ألوانا من العلم وألوانا من النشاط لم يكن المصريون يعرفون أنها يمكن أن توجد في بلد من البلاد ، عرضوا عليهم - أول ما عرضوا - المطبعة . وكان المصريون لا يعرفون إلا أن الكتب تكتب بالأيدي وتستنسخ وتذاع على هذا النحو البسيط الضئيل . فلما رأوا عمل المطبعة ونشر الآثار والمكتوبات دهشوا لهذا أشد الدهشة ، ثم عرضوا عليهم بعض التجارب العلمية: تجارب الكيمياء والطبيعة فخيّل إلى الذين رأوا هذه التجارب أن هؤلاء الفرنسيين كانوا أصحاب سحر لا أصحاب علم، وكذلك استيقظ المصريون، استيقظوا وقاوموا الفرنسيين أشد المقاومة حتى أدرك الفرنسيون أن لا مقام لهم بأرض مصر فزالوا عنها ولم يقيموا فيها إلى ما يقرب من ثلاثة أعوام. زالوا عنها ولكنهم كانوا

المساجد ، لا يكاد أحد يقرأها ولا يكاد أحد ينظر فيها . جعلت هذه الكتب تأخذ طريقها إلى المطبعة قليلا قليلا ، وجعل الناس يشترونها ويقرأونها وينظرون فيها شيئا فشيئا ، وجعل هذا التيار يقوى ثم يقوى حتى استأثر بعقول فريق من المصريين واستأثر بأذواقهم ثم استأثر بألسنتهم وأقلامهم آخر الأمر . وفي أثناء ذلك كان التيار الآخر يأتي من وراء البحر ويقوى كذلك شيئا فشيئا . جعل المصريون يتعلمون اللغة الفرنسية ثم جعلوا يتعلمون غيرها من اللغات الأوروبية ، وبخاصة اللغة الإنجليزية ، وجعلوا يترجمون بعض الكتب التي كانت تأتيتهم من فرنسا ومن بلاد الإنجليز ، وجعلت العقول والقلوب والأذواق المصرية تتأثر بهذين التيارين : بالتيار الذي يأتي من أعماق التاريخ العربي الإسلامي ، والتيار الذي يأتي من وراء البحر ، وجعلت قلوب المصريين وعقولهم وأذواقهم تلائم بين التيارين وتنشئ منهما شخصية جديدة للأدب الذي كان ينشأ في مصر ، بعد أن مضى النصف الأول للقرن التاسع عشر ،

الحياة الحديثة التي نحيها الآن ، جعلت مصر تنظم اتصالها بالغرب الأوروبي ، ترسل أبنائها وتستقبل الغربيين وتنفع بإرسال أبنائها وباستقبال الغربيين ، وتنشئ المدارس على نحو ما كانت المدارس منشأة في بلاد الغرب الأوروبي ، فأنشأت مدرسة الطب ، وأنشأت مدرسة الحقوق ، وأنشأت بعد تلك المدارس مدرسة الهندسة ، وجعلت تنشئ المدارس الابتدائية ، ثم المدارس الثانوية ووجد في مصر ، أثناء هذا العصر في النصف الأول من القرن الماضي ، نوعان من التعليم أحدهما تعليم حديث يذهب المذهب الأوروبي والآخر تعليم قديم موروث من الأزهر الشريف يذهب مذهب التعليم التقليدي الذي كان معروفا أثناء القرون الوسطى ، ومن ذلك الوقت نشأ في مصر تياران أحدهما يأتي من أعماق التاريخ الإسلامي والآخر يأتي مما وراء البحر ، فأما التيار الأول الذي كان يأتي من أعماق التاريخ الإسلامي ، فكانت تصوره هذه الكتب العربية القديمة التي كانت نائمة في المساجد ، في مكاتب

النفس المصرية الوطنية ، فيصف طموح مصر إلى الاستقلال ويصف طموح مصر إلى الحرية ويصف الحرب وقد خاض غمارها في غير موطن، ويصف الطبيعة ويحرض على الثورة ، ويشارك في الثورة العربية التي كانت سبب النكبة، نكبة مصر بالاحتلال البريطاني ، ونجده ينفي إلى جزيرة " سيلان " فيظل فيها بضعة عشر عامًا ، وفي منفاه ينظم شعراً رقيقاً يصور الحنين إلى الوطن ويصور الشوق إلى الأهل والإخوان ويصور الحرمان من طيبات الحياة التي كان يألفها في مصر. ونجد هذا الشاعر: "محمود سامي البارودي" لا يكتفي بتقليد القدماء ولكنه يختار من شعر القدماء مجموعة ضخمة تنشر بعد وفاته في أربعة مجلدات .

وعلى نحو السيرة التي سارها البارودي في أدبه وفي شعره خاصة ، ينهض أو يظهر شعراء آخرون يذهبون نفس المذهب : يقرؤون الأدب العربي القديم الجاهلي والإسلامي الأموي والعباسي ويحاولون أن يقلدوا هؤلاء الشعراء القدماء ونرى حافظاً ثم شوقي

وظهر بعض الشعراء : لا ينظمون ذلك الشعر الذي كان ينظم أيام الترك العثمانيين والذي لا يدل على شيء والذي كان قوامه الجناس واللوان البديع على اختلافها ، وإنما ينظمون شعراً لم يكن المصريون يعرفونه، أو كانوا عرفوه في عصور مضت ونسى ، ينظمون شعراً على نحو الشعر العربي القديم الذي كان ينظم في البصرة وفي الكوفة وفي بغداد ، كانوا يقلدون الشعراء العباسيين، وبعضهم كان يتعمق فيقلد الشعراء الإسلاميين أيام بنى أمية، وربما اجتهدوا في تقليد الشعراء الجاهليين أيضاً، وكذلك ننظر في شاعر مصري " كمحمود سامي البارودي " الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي ، فنراه يتخذ الشعراء القدماء نموذجاً له ، ويتخذ شعرهم مثلاً يحتذيه ، فهو يقرأ القصيدة للشاعر القديم فيحاول أن يعارضها بقصيدة مثلها ، على وزنها وعلى قافيتها حتى إذا أتقن هذا النوع من المعارضة واستحكم فيه وملك ناصية الشعر ، أخذ ينظم شعراً يعرب فيه عن ذات نفسه أولاً ويعرب فيه عن ذات

كان يقال في بغداد وفي البصرة وفي الكوفة كما قلت آنفاً، وأتيح لمصر أن تمتاز في الشعر وأن يتجاوز صوت شعرائها حدودها إلى الشرق وإلى المغرب العربي، وعُرف حافظ إبراهيم وعُرف شوقي وعُرف خليل مطران في البلاد العربية كلها وأصبحت مصر ولها مدرسة شعرية للمرة الأولى في تاريخها الأدبي العربي، وبهذه المدرسة التي نسميها بالمدرسة المصرية التقليدية في الشعر، بهذه المدرسة الشعرية ختم الشعر العربي في مصر، فلم يكده هؤلاء الشعراء يتركون هذه الحياة الدنيا إلى العالم الآخر حتى عادت مصر إلى ما كانت عليه قبل وجود هذه المدرسة، قليلة الحظ من الشعر. يوجد فيها الذين يقولون القصائد وينشئون القصص التمثيلية على نحو ما كان يصنع شوقي، ولكن كل هؤلاء الشعراء لا يبلغون مبلغ الشعراء التقليديين الذين ذكرتهم آنفاً: البارودي وحافظ وشوقي وإسماعيل صبري وخليل مطران وسائر شعراء هذه الطبقة.

وغير حافظ وشوقي من شعرائنا في آخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، حتى أتيح لمصر في هذا العصر الحديث ما لم يتح لها أثناء العصر الإسلامي كله، فمصر لم يتح لها الامتياز في الشعر في عصورها الإسلامية المختلفة، كان الشعر عراقياً أول الأمر، وكان نجدياً وحجازياً ثم صار الشعر سوريا أيام بني العباس في القرن الثالث وما بعده أيام أبي تمام والبحتري ثم المتنبّي وأبي العلاء المعري، وصار الشعر أندلسياً ومغربياً وظلت مصر قليلة الحظ من الشعر، يفد عليها الشعراء من البلاد العربية المختلفة ويظهر فيها شعراء لا يبلغون الطبقة الثانية، وعسى ألا يبلغوا الطبقة الثالثة أيضاً من الشعر. كان حظ مصر في الشعر ضئيلاً منذ الفتح العربي إلى العصر التركي العثماني إلى أواسط القرن التاسع عشر. وبفضل هذه النهضة الحديثة، وبفضل التقائها بين التيارين: التيار القديم الإسلامي والتيار الحديث الغربي ظهرت في مصر نهضة شعرية وأتيح لمصر مدرسة جديدة في الشعر، ولكنه شعر تقليدي على نحو الشعر الذي

إنما الفن الأدبي الذي امتازت فيه مصر امتيازاً ظاهراً حقاً هو فن النثر ، ففي أواسط القرن تأثر المصريون كما قلت لكم بهذين التيارين لا في الشعر وحده ولكن في التفكير كله ، بل في التفكير وفي الشعور، جعلوا يترجمون بعض الكتب الفرنسية والإنجليزية وجعلوا يرون كيف كان الفرنسيون والإنجليز يكتبون ، وجعلوا يعرفون كيف كان ابن المقفع وكيف كان الجاحظ وكيف كان الكتاب القدماء يكتبون أيضاً، جعلوا يقرؤون للكتاب القدماء ويقرؤون للكتاب الأوروبيين ويحاولون أن ينشئوا لأنفسهم نثراً يتبع مذهب القدماء في اللفظ وفي الأسلوب ولكنهم يؤدون بهذا اللفظ وهذا الأسلوب معاني لم تخطر للقدماء لأنها معانٍ جديدة جاءت بعضها من الغرب الأوروبي وابتكر بعضها في مصر ، ولم يكسد القرن الماضي ينقضي ويتبدى هذا القرن حتى نرى مظهرًا طريفاً من مظاهر هذه الحياة الجديدة للنثر الأدبي في مصر .

في أوائل هذا القرن يظهر كتاب صغير ، جعل ينشر في صحيفة أسبوعية :

كان اسمها " مصباح الشرق " وهذا الكتاب كان ينشر أحاديث ، وكان يسمى حديث عيسى بن هشام ، وكلكم يذكر أن عيسى بن هشام هذا هو صاحب الهمذاني الذي كان يتحدث عنه في مقاماته ، فكان الهمذاني في مقاماته يقول : حدثنا عيسى بن هشام ثم يأتي بقصته في المقامات ، فصاحب هذه الأحاديث في تلك الصحيفة وهو "محمد المويلحي" كان يكتب حديث عيسى بن هشام ، لا على أنها مقامات كمقامات الهمذاني ولكن على أنها قصة طويلة ، يكتبها بنفس الأسلوب الذي كان يكتب به الهمذاني مقاماته ولكنه يخالف الهمذاني لأنه لا يكتب مقامات قصاراً ولكنه يكتب قصة طويلة تصور الحياة الاجتماعية في مصر في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الذي نحن فيه : يزعم أنه ذهب مرة إلى المقابر فإذا بقبر يفتح ويخرج منه رجل يجير كفه وهذا الرجل هو أحد الباشاوات القدماء الذين عاشوا في أول القرن الماضي : " أحمد باشا المنيكلي " ، وهذا الرجل يتعرف

بالمستحدث الذي يتحدث إلينا ، ويتخذ
 دليلاً ، يزور معه مدينة القاهرة ويبحث
 معه عن أشياء كانت له وهكذا ، وهذه
 الطريقة يصف لنا مدينة القاهرة في حياتها،
 وحياتها الاجتماعية في أواخر القرن
 الماضي وفي أوائل هذا القرن ويصفها
 وصف الناقد للحياة الاجتماعية ، الساخر
 من الدين يحافظون على القدم ، والمعجب
 بالذين يطمحون إلى تغيير الحياة القديمة
 ويذهبون مذهباً حديثاً في الحياة . وكان
 هذا هو أول مظهر لتأثر النثر العربي
 بالتيارين القدم والحديث ، فكما قلت
 لكم صاحب حديث عيسى بن هشام
 يكتب على أسلوب الممداني وعلى طريقته
 ولكنه يصف الحياة الاجتماعية ويعرض
 عليها قصة طويلة على طريقة الأوروبيين
 فيلستقي هذان التياران التيار الأوروبي
 والتيار العربي القدم في هذا الكتاب التقاء
 حسناً ، ولكننا نحس فيه قوة التيار العربي.
 فالكاتب يذهب مذهب الممداني في
 وضوح صاخر ، وهو في الوقت نفسه
 ربما التزم السجع أحياناً عندما يريد أن
 يتأنق في الوصف .

وتمضي أعوام وإذا كاتب آخر يظهر
 وهو مصطفى لطفي المنفلوطي ، وإن لم
 يكن مصطفى لطفي المنفلوطي يعرف لغة
 الأوروبيين فإنه كان يعيش بين الذين
 يعرفون لغة الأوروبيين ، وكان يقرأ
 الكتب التي كانت تترجم من اللغات
 الأوروبية إلى اللغة العربية فحرص هو
 أيضاً على أن يكتب بالأسلوب العربي
 القدم على أن يؤدي معاني عربية حديثة ،
 وكتب مقالات أيضاً كانت تنشر في
 الصحف ، كان عنوانها "الظرات" ثم
 جعل تُترجم له كتب فرنسية ترجمة عادية
 ويؤديها هو بلغته العربية الرائقة الجميلة
 على الأسلوب العربي القدم ، وكذلك
 ترجمت له بعض الكتب التي كتبت في
 فرنسا مثلاً: ترجمت له " *Cyrando de ber*
Gerac) مثلاً وأداها بلغة عربية قديمة
 راقية ، وترجمت له بعض القصص كقصة
 تحت ظلال الزيزفون " *Al'ombre des*
tillules " وعلى هذا النحو .
 وفي أثناء هذا كله كان هناك
 جليل جديد ينشأ في المدارس الحديثة ،

كانت مسيطرة في مصر ويريدون أن يحكموا حكمًا حرًا وأن يكون لهم دستور وأن يكون لهم نظام برلماني على نحو ما هو مألوف في البلاد الغربية الأوروبية ، ثم لا يكتفون بالثورة على النظم الداخلية وعلى نظام الاحتلال ولكنهم يثورون على النظم الفكرية القديمة أيضا .

ويثورون على الأساليب القديمة في الشعر وفي النثر ، فتنشأ طائفة تعبت بشوقي وحافظ وبالمدرسة الشعرية التقليدية وتريد أن تنشئ شعراً جديداً تذهب فيه مذهب الشعراء الأوروبيين : الشعر عربي اللفظ ، واضح الأسلوب ناصع الديباجة ، ولكن المعاني التي تؤدي بهذا الشعر ليست هي نفس المعاني التي كان يؤديها الشعراء المقلدون : شوقي وحافظ وخليل مطران ومن إليهم من هؤلاء الشعراء الذين كانوا لا ينظمون قصيدة إلا نظروا إلى قصيدة للمتنبي أو لأبي تمام أو للبحتري أو لكذا أو لكذا . يأسبون إلا أن ينشئوا شعراً جديداً ويأبى الكتاب إلا أن ينشئوا أيضاً نثراً جديداً . وتنشأ في مصر ثورة عنيفة بين القدماء

ويتعمق دراسة اللغات الأجنبية أو بعبارة أدق دراسة اللغتين الأجنبيةتين : الإنجليزية والفرنسية ويتعمق دراسة الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي . وإلى جانب هذا كان هذا الجيل يدرس الأدب العربي أيضاً ويدرس الأدب العربي التقليدي القديم : يحفظ الشعر ويحفظ مقطوعات من النثر ويحاول أن يؤدي المعاني بمقدار ما يستطيع . بعض الشبان يحاول تقليد الجاحظ في الإطناب وبعضهم يحاول تقليد ابن المقفع في الإيجاز وعلى هذا النحو .

ولكن الحرب العالمية الأولى تفجع مصر بنوع خاص ، ولا تكاد تنقضي حتى يثور المصريون مطالبين بالاستقلال وتكون ثورتهم عنيفة حقاً ، ولم تخل من سفك دماء بين المصريين والإنجليز المحتلين ، وهذه الثورة التي كانت في أول أمرها سياسية لم تلبث أن تصبح ثورة سياسية وفكرية بالمعنى الواسع الدقيق ، وإذا المصريون الذين ثاروا بالإنجليز وأرادوا تغيير النظم السياسية : نظم الاحتلال البريطاني ، يريدون أن يغيروا نظم الحكم الداخلي ويثورون بالسياسة الملكية التي

القوانين المفروضة وعلى رغم الأحكام
العنيفة التي كانت تفرض علينا ، ونصل
إلى التغلب على الحكام أيضا : منا من
يهجو القصر ، ومنا من يهجو الإنجليز ،
ومنا من يهجو الوزراء، وما إلى ذلك من
كل هذه الحريات التي أخذناها غالبا .
ولا نحفل بأحكامهم العرفية ولا نحفل
بالحاكم ولا بالسجون ولا بشيء من
هذا، وإنما نؤدي ما نريد أن نؤديه مرة
بالصراحة ومرة بالألغار، ولا أنسى كتابا
كتبته أنا في ظل أقوى ما يمكن أن يكون
من قسوة الأحكام العرفية ولكنه كان
كتابا لم أصرح فيه أحداً بشيء، وقلت
فيه مع ذلك كل ما أريد أن أقول ،
وسميته " جنة الشوك " لأن هذا الكتاب
كان يتألف من مقطوعات قصار ليس
فيها مقطوعة إلا وفيها غمزة لحاكم أو
ملك أو لوزير .

وفي أثناء هذا ، أيها السادة ، نشأ في
مصر في الأدب العربي فئتان جديدتان لم
يألفهما الأدب العربي من قبل ، أما
أحدهما فن القصص الطويل والقصير ،
هذا الفن بدأ في أول القرن كما قلت لكم

والمحدثين، فهناك أصحاب المذهب القديم
الذين يحافظون على الكتابة العربية كما
ورثت عن الجاحظ وابن المقفع وعن
الهمذاني وعن الحريري ومن إليهما.
وآخرون يريدون أن يطلقوا أنفسهم على
سجيتها وأن يؤدوا المعالي كما يجدونها في
نفوسهم ، لا يتكلفون ولا يتعلمون ولا
يلتزمون شيئا ، إلا أن يكونوا معربين حين
يكتبون ، واضحين للذين يقرؤونهم أو
يسمعونهم ، ثم لا يريدون أكثر من هذا .
وتقوى هذه الثورة شيئا فشيئا حتى تسيطر
على الحياة الفكرية المصرية أثناء العصر
الأول للثورة المصرية من انتهاء الحرب
العالمية إلى نحو ثلاثين وتسع مائة وألف ،
وبعد ذلك تفرض على مصر ألوان من
الاستبداد الداخلي والخارجي أيضا :
تعاون بين القصر الملكي وبين الإنجليز .

وتفرض أحكام عرفية تحجر على
الأفكار وتمنع الناس من أن يعربوا على
ذات نفوسهم كما يحبون ، ونجتهد نحن
الكتاب والشعراء في تلك الأيام في أن
نخادع السلطان وفي أن نعبث بالأحكام
العرفية وفي أن نؤدي ما نريد على رغم

القاهرة ويصور تاريخ الأحداث السياسية التي كانت تحدث في القاهرة ، وإذا أتيح لكم أن تقرأوا هذه السلسلة التي كتبها باسم " قصر الشوق " وباسم " بين القصرين " و " السكرية " فسترون قصصاً عربية أصيلة بأدق معاني الكلمة.

أما الفن الآخر فهو فن التمثيل : الأدب التمثيلي ، وأنتم تعرفون أن الأدب العربي لم يعرف التمثيل اليوناني ولم ينشئ أدباً تمثيلياً وهو لم يعرف الآن التمثيل اليوناني لأن المسيحية كانت قد حظرت فن القصص التمثيلي ، فالمسلمون عندما أخذوا يترجمون الآثار اليونانية ترجموها الفلسفة والعلم ، وهكذا ، ولكن الآداب لم تترجم لأن المسيحية كانت قد حظرتها لأنها كانت تعتبرها أدباً وثنيّاً، مهما يكن من شيء فقد جعل بعض كتابنا ينشئون قصصاً تمثيلية ، ونشأ عندنا كاتب - كلكم سمع اسمه فيما أظن - هو "توفيق الحكيم" هو الذي وظف التمثيل في اللغة العربية وجعله مصرياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة: أنشأ طائفة من القصص التمثيلية، أكثرها يقرأ ولا يكاد يمل ، وهو قد أنشأ

في حديث عيسى بن هشام ، ولكن القصص تحرروا من السجع ومن تقليد الكتاب القدماء وأنشؤوا لأنفسهم لغتهم الخاصة العربية ومذهبهم الخاص في الكتابة وجعلوا يقلدون في أول أمرهم القصص الأوروبي الذي كانوا يقرأونه باللغات الأوروبية أو مترجماً إلى اللغة العربية ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم وحققوا شخصيتهم وأنشؤوا قصصاً مصرياً جديداً لا يقلدون فيه كاتباً أوروبياً، إنجليزياً أو فرنسياً .

وإذا أتيح لكم أن تقرأوا ما ينشر في مصر من القصص الآن فلإن أحب أن تقرأوا ما يكتبه كاتب مصري من الكتاب الشبان الذين تخرجوا في جامعة القاهرة وهو نجيب محفوظ ، كتب طائفة من القصص أعتبرها أنا أروع ما أنتج في الأدب المصري الحديث : كتب قصصاً وهو يتحرى حين يكتب أن يختار شارعاً من شوارع القاهرة أو حيّاً من أحيائها ويختار في هذا الحي أسرة من الأسر ويكتب تاريخ الأسرة وبكتابة تاريخ الأسرة يصور تاريخ الحي ويصور تاريخ

الأوروبي وبينكم هنا أستاذ من أساتذتنا المصريين أخذ في ترجمة "سيرفانطيس" إلى اللغة العربية وهو الأستاذ الأهواني .

فإلى جانب ما نبذل من جهد متواضع في إحياء التراث العربي وفي العلم بما عند الأوروبيين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، قد أتيح لنا بفضل هذا الجهد المتواضع أن نضيف إلى الفنون التي ورثناها عن العرب الأولين هذين الفنين الجديدين : فن القصص الطويل على النحو الأوروبي وفن التمثيل أيضا ، إلى فنون أخرى في النثر ، هذا الفن الذي ذكرته " جنة الشوك " مثلا : هذا النوع الذي أسميته " الإيكراما " (Epigrama) والذي هو عبارة عن المقطوعات القصار التي تغمز ، والتي يؤدي بها الكاتب ما يريد دون أن يصرح بشيء ، ولا ينشر منها مقطوعة إلا عُرف من المراد .

وقد ذكرت في الحديث الذي ألقيته منذ أيام في الرباط أني أُلجأ إلى المغرب وإلى سائر البلاد العربية في المشاركة في هذا الجهد لإحياء التراث العربي ، هذا الجهد الذي يدل في مصر ويبدل في

طائفة من القصص كلها جيد وكلها رائع ، وكذلك استطعنا أن نحبي شيئا من تراثنا القديم بمقدار ، لا أقول إننا قد بلغنا من ذلك الذي نريد ، بل لا أقول إننا بلغنا من ذلك بعض ما نريد. فنحن في أول الطريق ولكننا مع ذلك قد أحيينا طائفة غير قليلة من الكتب العربية القديمة ، وقد نظمنا لإحياء التراث الآن ، وضعنا له نظاما جديدا ، ونحن الآن أمام حكومة جديدة في مصر : حكومة الثورة ، وقد التزمت إحياء التراث العربي ووضعت نظاما خاصا لنشر هذا التراث ، وإلى جانب ما تفعله الحكومة ، الجامعة العربية أيضا تُحبي طائفة من التراث القديم وتنشر طائفة من الكتب القديمة ، كتب قيمة . والتزمت الحكومة كما تلتزم الجامعة العربية إلى جانب إحياء التراث القديم ، التزمت الحكومة والتزمت الجامعة ترجمة الآداب الأوروبية العليا : فالجامعة العربية ترجمت في هذه السنين الأخيرة " شكسبير " : كل قصص شكسبير ، وسينشر المجلد الأول من هذه القصص في هذا العام إن شاء الله ، والحكومة تترجم روائع الأدب

سورية ويذل في العراق الآن على مقادير تختلف قوة وضعفًا. أرجو أن تشارك فيه بلادكم أيضا . فقد سبقتم إلى كثير من الفضل في إحياء التراث العربي القديم ، وفي حفظه ، وعندكم منه كنوز لا يُقدر قدرها ولا بد من أن تظهر هذه الكنوز ، ولا بد من أن ترى النور ولا بد من أن تنشر ، تنشر في المغرب وتنشر في المشرق أيضا ، ولا بد من التعاون على إحياء هذا التراث .

وسألني سائل في جريدة (العَلَم) ، هل سنظل نذكر القدماء ونذكر أبا تمام وأمثاله؟ أو هل يجب أن نعيد النظر في مقاييسنا وفي أحكامنا وفي تفكيرنا ؟

وأجيب على هذا السؤال بأننا سنظل نذكر قدماءنا، نظل نذكرهم وسنظل نحفظهم وندرسهم ، وهم قد عاشوا إلى الآن وما نريد أن نحتل الإثم فنقصي عليهم بالموت ، ولو حاولنا ذلك لما بلغنا منه شيئا ، لأنهم كانوا أقوى من الزمن ، وأقوى من الدول ، وأقوى من الخطوب: عاشوا وسيعيشون، ولكن لا أريد أن نقتصر ولا أن نكتفي بذكر القدماء

وحفظهم ودرسهم ، وإنما أريد أن نعرف كل ما عند الغرب ، نعرفه معرفة المتقصى المتعمق ، وأن نجتمع ما نعرفه مما عند الغرب إلى ما نعرفه من أمر قدمائنا ، وأن نكون لأنفسنا شخصيتنا الجديدة الحرة القوية المستقلة ، وأن نضيف إلى ما تركه العرب لنا تراثا جديداً ، فلا ينبغي أن نورث أبناؤنا ما ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناؤنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن، وبمضى الأمر على هذا الحال وترقى الحياة العقلية والأدبية العربية بمقدار ما ترقى الحياة العلمية كلها وبمقدار ما ترقى الحياة السياسية .

وإني لسعيد أيها السادة بأن ألقى إليكم بهذه الأحاديث التي تضطرب دائما في أعماق نفسي والتي لا أزور بلدا عربيا إلا تحدثت إليه فيها ، وطلبت إليه المشاركة في إحياء التراث العربي أولاً ، وفي تعريب الحضارة الأوروبية ثانياً ، وفي إنشاء الشخصية العربية الجديدة آخر الأمر. وإني لسعيد بأن أتحدث إليكم في هذه الأشياء وأنا أسعد أيضا عندما أكل وأعتمد على الدولة المغربية ، وعلى هذه

الجديدة وتشارك في إنشاء الشخصية
العربية الجديدة .

ويكفى أن أقول هذا وأن أعتمد فيه
على جلالة الملك المعظم وعلى سمو ولى
العهد وعلى الأستاذ السيد محمد الفاسي
وأمثاله من أعلامكم ويكفى أن أنشد في
هذا المقام :

إِذَا أَيْقَظْتُكَ خُطُوبُ الزَّمَانِ

فَنَبَّةٌ لَهَا عُمُورٌ تُمْ نَمًا^(١٠)

وقد نبهت عُمرَ ولكنى أعدكم أنني
إن شاء الله لن أنام .

الدولة القوية الفتية في أن تظل جديرةً
بنفسها ، حفيظةً على مكانتها وهى البلد
العربي الذي لم يذق مرارة الاستعمار إلا
أقل زمن ممكن ، هذا البلد الذي حفظ
استقلاله من الأحداث والخطوب ، ولم
يخضع للاستعمار إلا وقتاً قصيراً جداً ثم لم
تلبث غمرته أن انجلت ، والحمد لله .
فهذا البلد هو أجدد البلاد العربية بأن
يكون في مقدمة الحماة للتراث العربي .
وفي مقدمة البلاد التي تحيي العقلية العربية

الملحق الثالث :
نص محاضرة فاس للدكتور طه حسين
في موضوع : " مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام "

سيداتي : سادتي :
أرجو أن تفضلوا فتأذنوا لي ، قبل
كل شيء بأن أهدى لكم من أعماق
نفسي أصدق التحية وأخلص الشكر على
هذا اللقاء الكريم الذي تفضلتم به عليّ
منذ بلغنا فاس أمس ، ولقد سمعت أمس
من الخطباء ومن الشعراء نثراً رائعاً وشعراً
بارعاً ، ولولا أني كنت عاجزاً على أن
أقول شيئاً لكان لي موقف أمس ، وإني
لأذكر ما سمعته أمس من الشعر والنثر
وفي نفسي كثير من الاستحياء ، فقد
سمعت ثناء أرجو أن أكون أهلاً في يوم
من الأيام لأقله ، أما كله أو أكثره فشيء
لا مطمع لي فيه ، ومن قبل قيل " إن
أعذب الشعر أكذبه " ، وإني أعتذر إلى
شاعرنا العظيم أمس من ذكر هذه الجملة
القديمية ، ولكنني أعتزف بأنني لم أسمع ثناءً
قط إلا ذكرت بيتاً قديماً ، وما أعجبتني
قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها
ألف شاهد ، فأنا دائماً مطمئن كل

الاطمئنان إلى أني لا أستحق ثناءً وإلى أني
لم أعمل شيئاً أستحق من أجله الثناء ،
ولهذا أشكر الذين يفضلون بالثناء عليّ ،
ثم لا أزيد على أن أهدى إليهم أصدق
الشكر دون أن أصدق مما يقولون شيئاً .
وإني لا أهدى إليكم تحية الخاصة
فحسب ، وإنما أهدى إليكم أيضاً تحية
الجمهورية العربية المتحدة، أهدى إليكم
تحية الجمهورية العربية المتحدة رئيساً
وحكومة وشعباً في مصر وفي سورية ،
وأحب أن أقول لحضراتكم إني طالما
تمنيت أن أزور المغرب عامة وأن أزور
هذه المدينة الحبيبة إلينا خاصة، فلمدينة
فاس في قلوبنا مكانة أيّ مكانة ، فهي
كانت موئل الحضارة العربية وموئل العلم
العربي والتراث العربي كله في المغرب،
وهي قلعة من قلاع الإسلام الحصينة
وقلعة كذلك من قلاع العروبة الحصينة ،
ومن أجل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا إلى
زيارتها ولا نذكرها إلا ذكرنا جامعة

كالذي يحمل الماء إلى خضارة أو يحمل
التمر إلى هجر ، وإني لأستحي من نفسي
أن أقوم بينكم مقام المتحدث في شيء من
العلم وقد كان الحق على أن أقوم بينكم
مقام التلميذ من أساتذته علماء جامعة
فاس. والمشكلات التي أريد أن أثيرها
أمامكم الآن لا أثيرها إلا لأني أريد أن
تُعَنُوا بها شيئاً وأن تمنحوها بعض الجهد
بالدرس والتحقيق ، فليس لي فيها رأى
قاطع وإنما أنا أثير مشكلات ، وأنا أحب
دائماً وقد أحببت دائماً أن أثير المشكلات
وأن أنشر القلق حيثما كنت. وهذه
المشكلات تأتي من أشياء تقررت في
تاريخ الأدب العربي ويخيل لي أنها في
حاجة إلى أن نعيد النظر فيها .

والمشكلة الأولى مها هي هذه التي
تقررت ويقولها الأساتذة والمعلمون
لطلابهم وتلاميذهم في الجامعات وفي
المدارس ، وهي أن ظهور الإسلام قد
أسكت الشعراء حيناً لأن القرآن قد بهرهم
ببلاغته وبيانه الرائع ، وأظن أن ابن
خلدون كان أول من قرر هذه القضية في
مقدمته ، وتسبعه الذين أرحوا للآداب

القرويين وما يتصل بها من المدارس ،
ونحن نقدر في أعماق نفوسنا أن جامعة
القرويين هي أقدم الجامعات الإسلامية ،
وعسى أن تكون أقدم جامعات الأرض
كلها، فإذا اشتقنا إليها وحت قلوبنا إلى
زيارتها ولقاء أهلها الكرام فلا غربة في
شيء من ذلك وإنما نشاق إلى موطننا
الطبيعي، ولست أدري كيف أشكر
لمدينتكم هذه الحبية حسن لقاءها ، لا
حسن لقاء أهلها فحسب ، بل حسن لقاء
جوها وإقليمها أيضاً ، فقد لقيتنا أحسن
لقاء ، صفت لنا سماؤها ورق لنا هواؤها
وطابت لنا شمائل أهلها ، فلم نلق فيها
منذ بلغناها أمس إلا خير ما يحب الناس
أن يلقوا ، وإني لعاجز كما أعجز دائماً
على شكر كل هذه النعمة . ولا أملك إلا
أن أحمد الله عز وجل أصدق الحمد على
أن أتاح لي تحقيق هذا الحلم السعيد .

وأريد اليوم أن أتحدث إليكم عن
بعض مشكلات تاريخ الأدب العربي
القديم ، وأعتذر إليكم قبل كل شيء من
أن أكون بينكم محاضراً فأنا ، كما يقول
أبو العلاء ، عندما أتحدث إلى علماء فاس،

العربية في العصر الحديث واحتجوا بما قيل أو بما روى أن عمر رضى الله عنه أرسل يسأل عن الشعراء في مدينة الكوفة فلم يجدوا هناك إلا شاعراً واحداً هو لبيد فلما سأله عن الشعر وما يقول فيه قال : لقد استغنيت بسورة البقرة وآل عمران عن الشعر ! وعلى هذا تقرر في تاريخ الأدب العربى أن العصر الذى تلا ظهور الإسلام قد كان عصرًا ضعف فيه الشعر ضعفًا شديدًا ، ولم يكد يُعرف الشعر الجيد إلا بعد مضى نحو نصف قرن ، وظهر الشعراء الجدد الذين نشؤوا في الإسلام.

هذه القضية تحتاج إلى بحث وإلى بحث مطول ، ذلك لأننا نجد الشعراء قد استمروا بعد ظهور الإسلام وفي أيام الخلفاء الراشدين وفي أيام الفتح الإسلامى، أيام عمر، وأيام عثمان، استمروا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه في العصر الجاهلى، لم يغيروا من طريقتهم شيئاً، وإنما ظلوا يقولون الشعر كما كان القدماء قبل الإسلام يقولونه ، يبدوون بالغزل وبوصف الربوع والأطلال ، وبوصف هذا الحنين إلى أماكن الأحبة ،

وبوصف انتقال الأحبة من ديارهم إلى أمكنة أخرى يسمونها أو لا يسمونها ، ثم يتسلون عن هذا الحنين وعن هذا الشوق المويس بوصف الناقة ، وبوصف الصحراء التى تسافر فيها الناقة سفرًا طويلًا شاقًا غير قاصد ، ويطلقون بوصف هذه الناقة كما كان الجاهليون يطلقون ، ويشبهونها مرة بالثور الذى يدعى عندما يحس بآفة من الصائد، ويطلقون في وصف هذا الثور البائس الذى تطارده كلاب الصيد ويصارعها ما استطاع ثم يصرع آخر الأمر ، ثم يذكرون أنفسهم ولذاتهم في عصورهم القديمة ويذكرون شربهم للخمر ويذكرون لهوهم واستماعهم للغناء جلوسًا إلى الخمر ، يحف بهم الرياح ، كما كان الأعشى يقول في الشعر الجاهلى ، ومنهم من يقول الشعر في موضوعات جديدة أو قديمة أخرى ، ويكفى أن تقرؤوا في المفضليات بعض القصائد التى قيلت بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهناك متمم بن نويرة الذى جعل يرثى أخاه مالكا بشعرٍ رائعٍ ممتعٍ حقًا ، وهناك

عبدة بن الطبيب الذى يصف حياته
ويذكر حرب المسلمين مع الفرس ولا يمنع
ذلك من أن يصف لهوه ولذته ، ومن أن
يصف مواقفه من اللهو واللذة كما كان
الجاهليون يفعلون ، وهناك الخطيئة الذى
لم تمنعه عقوبة عمر رضى الله عنه له
بالسجن من أن يظل هجاء ومن أن يهجو
أمه ويهجو آخر الأمر نفسه فى أبياته
المشهورة :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تُكَلِّمًا
بِشَرٍّ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ شَكْلَهُ
فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

ولا تؤاخذوني إن كنت غيرت بعض
الألفاظ من هذا الشعر .

والخطيئة يعيش فى أقوى عصور
الإسلام قوة ، عيشة جاهلية خالصة فهو
يمدح ويهجو ويتغزل ويعيش كما كان
الشعراء الجاهليون يعيشون ، وما أكثر
الشعراء الذين يذكرون فى كتب الأدب
وفى كتاب الأغاني بشكل خاص ، والذين
يعدون من الشعراء الجاهليين وقد عاشوا
أو عمروا إلى عصر متأخر فى الإسلام

عاشوا إلى أيام معاوية ، فهناك لبید وهناك
السنابغة الجعدى وهناك الخطيئة إلى آخر
هؤلاء الشعراء الذين تجدونهم فى الكتب ،
والذين لم يُعرضوا عن قول الشعر بعد
ظهور الإسلام وإنما ظلوا يقولونه كما
كانوا يقولونه فى العصر الجاهلي ، وكم
أحب أن أستقصى أمر كعب بن رهير ،
ماذا صنع بعد أن أنشد النبي صلى الله
عليه وسلم قصيدته " بابت سعاد " أقال
الشعر بعد ذلك أم سكت ، هذه أشياء
أحب أن نعيد النظر فيها وأن ندرسها
دراسة دقيقة ، وسنرى فيما أعتقد أن هذه
النظرية التى أثارها ابن خلدون والتى تقول
إن الشعر العربى قد ضعف بعد الإسلام
إنما هي نظرية خاطئة !

ولا علينا مما يقال إن شعر " حسان "
كان فى الجاهلية أقوى منه فى الإسلام
فهذا أيضًا كلام لا قيمة له عندي ، ذلك
أن الشعر الذى كان حسان يقوله أيام
النبي صلى الله عليه وسلم كان من أرض
الشعر وأقواه ، وإذا اخترع الشعر بعد
ذلك وأضيف إلى حسان وظهر فيه شيء
من ضعف ، فهذا الضعف ليس يضاف

إلى حسان نفسه ، وإنما يضاف إلى الذين اخترعوا هذا الشعر وصنعوه ثم حملوه على حسان ، أما الشعر الذى يروى عن حسان أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أيام النبي فكله شعر جيد جدير بشعر حسان فى العصر الجاهلي ، فهذا الذى يقال من أن شعر حسان فى الإسلام كان أضعف منه فى الجاهلية أيضًا كلام لا أصل له !

هذه المشكلة كما قلت أحببت أن أثريها أمامكم كما يثير التلميذ مشكلة أمام أستاذ من أساتذته ليجد لها حلاً ، وأنا أرجو أن تتفكروا فيها وأن تتدبروا ، وما أشك فيما بينى وبين نفسى فى أنكم سترون أن هذه النظرية التى أثرت وقررت فى تاريخ الآداب ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال ، وهذه المشكلة هي أيسر المشكلات التى أريد أن أثريها أمام حضراتكم ، وهناك مشكلة أخرى أيضًا تحتاج إلى كثير من التفكير وإلى كثير من البحث والتدبر ، ذلك أننا نقرأ تاريخ الأدب العربى أثناء العصر الأموي فنلاحظ ظاهرة غريبة ، نلاحظ

أن الحجاز ، وهو موطن الوحي ، قد أصبح أيام بنى أمية موطن الغزل والغناء والموسيقا واللهو والفراغ والترف ، ونفهم هذا فهمًا جيدًا لأن الأمويين منعوا أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسى ، وحالوا بينهم وبين الخروج من الحجاز إلا أن يذهبوا إلى دمشق للقاء الخليفة ، وأخذ جوائزه وعطاياه ، ثم يعودوا إلى الحجاز ويفرغوا للهوهم ومتاعهم . وقد أتيج للحجاز فى تلك الأيام كثير من الثراء وكثير من الأسارى الذين أصبحوا رقيقًا وموالى ، يعملون لسادتهم من أبناء المهاجرين والأنصار ومن أشرف أهل الحجاز ، يزرعون لهم الأرض ويصنعون لهم ما يحتاجون إليه ، ويقومون على ترفهم ولذاتهم فى دورهم ، منهم من يفرغ للطعام ، ومنهم من يفرغ للباس ، ومنهم من يفرغ للزينة ، ومنهم من يفرغ للغناء وللموسيقا ، وكان بنو أمية يمنعون هؤلاء الشباب من أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسى ولكنهم يغدقون عليهم العطاء ويكثرون من إرسال الأموال إليهم ، يريدون أن يصرفوهم عن المطامع

السياسية فكثرت بذلك المال وأغلّت لهم الأرض مالا إلى مال ، وعمل لهم الرقيق ما زاد ثراءهم أيضًا وما زاد ترفهم واستمتاعهم بطيبات الحياة ولم يبق لهم إلا أن يفرغوا لهذا النعيم ، فجعل بعضهم يقول الشعر ، يقوله غزلاً جاداً محتاطاً متحفظاً بالوقار العربي القرشي كما كان يفعل عمر بن أبي ربيعة على كثير من العبث في شعره أيضا ، ومنهم من كان يسرف في العبث ، وفي الجحون كما كان يفعل شعراء المدينة . وكثر الغناء في الحجاز ، وكثرت الموسيقى ، وكثرت مجالس الطرب ، وكثرت تلك المجالس التي كانوا يجتمعون لها ويجتمع فيها المغنون والمغنيات والعازفون والعازفات ، ويكثر فيها الغناء ، ولا يزال الغناء يقوى ويشد حتى يثير الحاضرين ، فإذا هم يثبون ثم يتراقصون ، كما يفعل المحدثون الآن ، إنما على رقص خاص بالطبع ليس كالرقص الذي نعرفه الآن في أوروبا، أو في البلاد الشرقية . مهما يكن من شيء فكتب الأدب على اختلافها تصور لنا الحجاز أثناء القرن الأول على هذا النحو من

الترف والفراغ واللهو وقول الشعر في الغزل والغناء وما إلى ذلك وينشأ عن هذا أيضًا أن الشعراء يريدون أن يلائموا بين شعرهم وبين الغناء وبين شعرهم وبين الموسيقى فيخففون الأوزان الطويلة التي ورثوها عن العصر الجاهلي وينشئون الأوزان المجزأة ، ويصنعون هذا الشعر الرقيق القصير الذي يلائم العزف ويلئم غناء المغنين وبينما نرى هذا كله في الحجاز ، ونرى موسم الحج بالقياس إلى شعراء الحجاز وإلى شعراء مكة بنوع خاص ، وعمر بن أبي ربيعة بنوع أخص ، نرى موسم الحج موسماً لضرب من المتاع واللهو ، واذكروا إن شئتم قول عمر :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ
إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِ
إِنِّي أُتِيحْتُ لِي مَنِيَّةٌ لِحَا
دَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَمَاذَا مَنِي ؟
وَأَفْلَهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجِجِ
تَلَبُّثٌ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ
لَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجِ

وكان عمر ، كما تعرفون ، لا يدع شريفة من أشراف الحجاز ولا من أشراف الشام تذهب إلى الموسم حتى يقول فيها الشعر ، وكان أشراف النساء يحرصن على أن يذكرهن عمر بن أبي ربيعة ، وربما أنفقن في ذلك المال أيضا ، وكان عمر ربما توعد الخلفاء ومنعوه وخرجوا عليه أن يصف الأميرات ، ولكنه على ذلك كان يقول ، وكان الأحرص مسرفاً على نفسه في المدينة ، كلكم يذكر قصته مع سليمان بن عبد الملك عندما أمر بتشهيره في المدينة ونصبه للناس، وعندما أمر آخر الأمر بنفيه عن المدينة إلى اليمن . كل هذا كنا نراه في الحجاز ، ورى أكثر جداً مما قلت لكم ، وأي دراسة للمغنين والمغنيات في مكة وفي المدينة تعطىكم صورة واضحة عن هذه الحياة الفارغة اللاهية في مدن الحجاز، وإلى جانب هذا كنا نرى في بادية البلاد العربية: في بادية الحجاز وفي بادية نجد ، نوعاً آخر من الغزل ، لا يصور لهواً ولا فراغاً ولا استمتاعاً بطيبات الحياة ، وإنما يصور حرماناً وبأساً وألماً وهو هذا الغزل

الذى نسميه بالغزل العذرى والذي لا أعلله إلا بأنه كان إعراباً عما كان الأعراب في الحجاز وفي نجد يجدونه من الألم لأنهم لم يستمتعوا بما كان يستمتع به المترفون في مدن الحجاز وفي أمصار الشام والعراق من النعيم والثراء والترف ، وإنما كانوا يعيشون كما كانوا يعيشون في العصور القديمة ، يراعون إبلهم ويتنقلون بها من مكان إلى مكان ، ويضيّقون بسعاة الصدقة عندما كانوا يأتون في كل حول ليأخذوا منهم الصدقات ، وكانوا قد فقدوا شبابهم ، فقد ذهب الأبناء والإخوان وذهب الشباب كلهم إلى الشغور يجاهدون العدو ، يقيم منهم من يقيم في البصرة أو في الكوفة أو في أجناد الشام أو في أجناد مصر أو في شمال إفريقيا، ويذهب الذاهبون منهم إلى الشغور كما كانت القاعدة ، فبعد العهد بهم ، وتركوا الشيوخ وتركوا العاجزين عن الغزو ، تركوا أولئك في الحجاز وفي بادية الحجاز وفي بادية نجد ، يعيشون كما كانوا يعيشون من قبل " فليلى " و "عزة " و " بثينة " و " سلمى " و " رية " كل هذه

المسلمون فيها منذ كانت الفتنة التي قتل فيها عثمان رضى الله عنه ، ومنذ كانت الحرب بين علي رحمه الله وبين معاوية .

كل هذه المسائل كانت تشغل أهل العراق عن هو أهل الحجاز وعن فراغهم ، فهم لم يكونوا أصحاب فراغ ، وإنما كانوا أصحاب عمل وأصحاب جد وأصحاب حرب وأصحاب معارضة : معارضة باللسان ومعارضة بالسيف ، ثم هم كانوا أيضًا أصحاب مناظرة وعن مناظراتهم في مساجد البصرة والكوفة ، نشأ علم الكلام عند المسلمين .

في أثناء هذا كان أهل العراق يسخرون من الحجازيين ، ويسخرون من غزهم ، ويسخرون من حبههم للغناء ، ولم يكن العراقيون يحبون أن يستمعوا للغناء وإنما كانوا ينكرون على الحجازيين حبههم للغناء ، ثم ننظر فجأة في أواسط القرن الثاني الهجري عندما أدلى من بنى أمية لبنى العباس فإذا اللهو كله في العراق إلى جانب الجد ، وإذا الشعر الذى يصور الخلاعة والعبث والجون كأشبع ما تكون الخلاعة ، وكأشبع ما يكون العبث

الأسماء التي يتغزل بها الشعراء العذريون ليست فيما أرى أسماء لنساء بأعينهن ، وإنما هي رموز لهذه الآمال الضائعة وهذه الأحلام التي لم تتحقق ، وهذه الأمانى التي يحول بينهم وبين تحقيقها الحرمان ، هذا الذى كنا نراه في بلاد العرب ، في جزيرة العرب : غزل يصور اللهو والفراغ في مدن الحجاز ، وغزل يصور الحرمان والألم والشوق في بادية الجزيرة العربية ، فإذا ذهبنا إلى العراق لم نر من هذا كله شيئاً ، وإنما رأينا حياة صارمة وجداً أى جد وقسوة أى قسوة ذلك أن أهل العراق كانوا مشغولين إما بالجهاد وإما بمعارضة الحكومة المركزية في دمشق. في العراق كان الخوارج ، وفي العراق كانت الشيعة والخوارج. والشيعة يعارضون بنى أمية ، يعارضونهم بألسنتهم دائماً ، ويعارضونهم بسيوفهم كلما سنحت لهم الفرصة ، فإذا التفتوا في أمصارهم في البصرة أو في الكوفة ، خلوا إلى أنفسهم في مساجدهم يجادل بعضهم بعضاً في السياسة ، ويجادل بعضهم بعضاً في أصول الإسلام ، ويجادل بعضهم بعضاً في هذه الأشياء التي تختلف

والمحون ، كل هذا في العراق على نحو لم يعرفه الحجار حتى في المدينة التي غضب عليها سليمان بن عبد الملك ، والتي أراد سليمان أن ينفي عنها المغنين . فمن أين انتقل هذا اللهو وهذا الفراغ ومن أين جاء إلى العراق ؟ وكيف تحول العراق من هذه الحياة الجادة الحازمة الصارمة ، التي كان يحياها أيام بني أمية إلى هذه الحياة اللاهية الخليعة الماجنة التي كان الشعراء يحيونها في البصرة وفي الكوفة جميعا إلى جاب الفقهاء والعلماء من رجال المعتزلة ومن رجال أهل السنة؟ كيف كان هذا؟ وكيف تم على هذا النحو من الفجاءة الغريبة ؟

هذه مشكلة أعرضها على حضراتكم، وقد افترضت فرضا ، لا أقطع به ، ولكني أرجو أن تفكروا فيه وعسى أن تحققوه ، وهذا الفرض هو أن هذا الغزل وهذا اللهو الذي انتقل من المدينة إلى الشام أولاً ثم انتقل من الشام إلى العراق ، لم يأت من الفرس كما يقال عند الذين يؤرخون الآداب العربية ، لم يأت من الفرس، وسترون ما جاء به

الفرس في هذه الناحية ، وإنما أتى من الحجاز قبل كل شيء ونحن نقرأ في تاريخ الأدب العربي في النصوص القديمة أن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ذهب إلى المدينة أيام سليمان بن عبد الملك وأعجبته مغنية كانت أمة لبعض أهل المدينة ، وهي "سلامة" فاشتراها وغالى في ثمنها ، وبلغ الأمر سليمان فأنكر هذا الشراء وألغاه ، وعاد يزيد محزونا ، فلما توفي سليمان ومات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وصار الأمر إلى يزيد لم يكن قد نسي "سلامته" تلك فاشتراها ، وجاءت "سلامة" إلى الشام واستقرت عند يزيد بن عبد الملك ، وبفضل سلامة عفا يزيد عن الأحوص بن محمد ودعاه إلى الشام، وبفضل سلامة وفد المغنون من الحجار إلى دمشق ، وبغضب هشام بن عبد الملك على الوليد ابن يزيد ويتقدم إليه في أن يصرف عنه هؤلاء الموالي ، وفي أن يسير سيرة يرضاه المسلمون . ويأبى الوليد ويقطع هشام عن الوليد أراقه، ويكاد يبطش هؤلاء الموالي، ولكن الوليد يأبى ويقاوم ويقاوم حتى يموت هشام ويؤول أمر الخلافة إلى الوليد

يظهر ما أضافه الفرس إلى ما ورد عليه من
لهو الحجاز .

كلكم يذكر أن الشيعة كانوا
يطالبون بتحقيق المساواة بين المسلمين ،
بتحقيق المساواة التي أمر الله بها في القرآن ،
والتي أمر النبي بها في سنته : لا فضل
لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، " يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " وكلكم يذكر
أن بنى أمية قد جعلوا حكومتهم عربية ،
وجعلوا أمر الحكم كله إلى العرب ،
وأظهروا أمر العرب ، وازدروا إلى حد
بعيد غير العرب ، من البلاد التي غلبت
وفتحت على المسلمين ، ولم ينصفوا
المسلمين من الفرس ومن غير الفرس ، من
البلاد المغلوبة ، لم ينصفوهم ، وإنما نظروا
إليهم على أنهم موالٍ ، ونظروا إليهم على
أنهم أقل درجة ، لم يعطوهم حقوقهم
السياسية ، ولم يعطوهم حقوقهم
الاجتماعية كاملة وإنما جعلوا السيادة
الكاملة والسلطان الكامل بأوسع معانيه
للعرب دون غيرهم من المسلمين فضلاً

ابن يزيد وكلكم يعرف ما كان يروى عن
الوليد بن يزيد مع ما فيه من إسراف في
العصر العباسي ، فقد أسرف العباسيون
على الوليد ونسبوا إليه أشياء ما أظن أنها
صحيحة ، فهم ينسبون إليه أنه كان يرمى
المصحف بالسهم ويقول له ذلك الشعر :

إِذَا لَقِيتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرِ
فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقَنِي الْوَلِيدُ

إلى آخر هذا الشعر وأنا شخصياً
أعتقد أن هذا ربما كان من كذب الرواة
على الوليد تقريباً إلى بنى العباس . مهما
يكن من شيء فأنتم تعرفون كيف انتهت
حياة الوليد : انتهت بالثورة ، وكان
الثائرون عليه بنى أمية أولاً ثم غيرهم من
أهل الشام بعد ذلك ، وقتل الوليد وتفرق
عنه أولياؤه ومغنوه ومطربوه وعادوا إلى
العراق ، ويصادف هذا ضعف الدولة
الأموية ثم يدال من بنى أمية لبني العباس .
وهنا يظهر ما أضافه الفرس إلى لهو
الحجاز ، ذاك الذي انتقل إلى الشام أيام
يزيد بن عبد الملك ، وقوى في الشام أيام
الوليد بن يزيد وسار إلى العراق بعد أن
قتل الوليد . هنا بعد أن يدال لبني العباس

عن المسلمين وكان الشيعة يطالبون بتحقيق المساواة بين العرب وغير العرب ، وبفضل هذه المطالبة استطاعوا أن يستأثروا بقلوب الفرس ، وبفضل حرصهم وإظهارهم المطالبة بهذه المساواة استطاعوا أن يجندوا الفرس ، وأن ينتصروا بهم على بنى أمية ، وأن يقيموا الدولة الجديدة ، دولة بنى العباس . والواقع أن الذين انتصروا في الثورة العباسية إنما كانوا هم الفرس ، انتصروا على العرب ، وفي نفوس كثير من الفرس كان هذا الانتصار انتصاراً من العرب ، وكانوا يرون أنهم أخذوا ثأرهم ذاك وعادوا إلى السيادة بعد أن فتحت بلادهم أيام الخلفاء الراشدين . وكلكم يعلم أن بنى العباس بعدما تولوا الحكم لم يأمنوا للعرب ، فمحووا أسماء العرب من دواوين الجند واعتمدوا على الفرس ، وحدهم أول الأمر ، ثم اعتمدوا بعد ذلك على الترك إلى آخر ما تعرفون من تاريخ بنى العباس .. المهم أن هؤلاء الموالي الذين انتصروا أسكرهم الانتصار وظنوا أنهم قد بلغوا كل شيء وقد ساروا إلى خير ما كانوا يحبون فازدروا كل

التقاليد القديمة العربية ولم يعبوا بالدين ، ولم يحفلوا بالعادات القديمة ، ولا بالوقار العربي، واستهتروا بلهوهم ولعبهم، وأضافوا إلى ما وفد إليهم من الشام، من الحجاز من طريق الشام ، وأضافوا إليه هذا المجون الفاجر الذي تجدونه عند "بشار" ، وتجدونه عند "مطيع ابن إلياس" وتجدونه أحياناً عند غيرهما مثل "أبي نواس" وعند غير هؤلاء الشعراء وكذلك استطاع شاعر كأبي نواس أن يجهر بمثل هذا البيت:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ
وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ ۝
وَأَنْ يَجْهَرَ عَمَّا هُوَ أَشْنَعُ مِنْ هَذَا ،
واستطاع بشار أن يسرف في الغزل ، وفي وصف المجون واللهو حتى ضج منه أهل البصرة ، وظهرت هذه الفنون العابثة الماجنة في الغزل وفي وصف الخمر وفي الهجاء الفاحش الذي زاد على ما عرف من هجاء "الفرزدق" و"جرير" ثم أسرفوا حتى أنشؤوا غزلهم الجديد ذاك ، غزلهم بالغلمان ، وهو شيء لم يعرفه العرب . هذه هي الأشياء التي أضافها الفرس إلى ما ورثوا من أهل الحجاز . وقد ترون أني

فكنتفي بأن نقرأ ما كتب صاحب " الأغاني " عن الأدب العربي ونكتفي بالأبيات التي يرويها "أبو الفرج" وأقلنا هو الذي يفرغ في النظر إلى ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، وأقلنا الذي يستنبط حياة الشاعر من شعره لا من كلام صاحب الأغاني وأمثاله من الذين كتبوا في العصر العباسي.

كل شيء يدعوننا إلى أن نعيد النظر في تراثنا القديم ، نعيد النظر فيه لأننا نجبه ونسريد أن نستخلص صفوته ، ونريد أن نزيل عنه ما لصق به وما ران عليه من الأوهام والأساطير والخرافات. وأكد لكم أنكم إذا أعدتم النظر في تاريخ الأدب العربي والتمستموه في شعر الشعراء لا في حديث الرواة، والتمستموه في الدواوين لا فيما يختصر من الدواوين ستجدون متعة أي متعة، وستجدون نعمة أي نعمة، ستشعرون أنكم تستكشفون التاريخ العربي من جديد .

وقد قلت لكم في أول هذا الحديث لني قد أحببت دائماً أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولي. ولني لأرجو أن أكون

بهذا الحديث الذي قد أكون أسرفت في إطالته ، قد عرضت عليكم شيئاً من هذه المشكلات التي يجب أن نعيد النظر فيها وأن ننظر في التاريخ الأدبي العربي نظرة جديدة لعلنا نستطيع توضيحه وتحقيقه وإحياءه كما ينبغي أن يحيا ، فليس يكفي أن نقرأ ما يكتب في الكتب وأن نقرره ونعيده على تلاميدنا وطلابنا كما قرأناه ، ونصبح كأننا هذه الأداة التي تحكى ما يسجل لها من الأصوات أو نصبح كأننا البسغاء . وإنما وهبنا الله عقولاً لنفكر بها ووهبنا أدواقاً لنقيس بها الجيد إلى الرديء فيجب إذن أن نعمل عقولنا ، ويجب أن نعيد النظر في تاريخ الأدب العربي كله ، ولا سيما في هذه القرون الأولى ، وسترون عندما تعيدون النظر في تاريخ الأدب العربي القديم في القرنين الأول والثاني بنوع خاص، سترون أنكم ستستكشفون حقائق كثيرة لا تعرف إلى الآن ، والشيء الذي أحب أن أقرره أمام حضراتكم هو أن ما نعرفه من تاريخنا الأدبي قليل جداً بالقياس إلى ما نجهله . فما أكثر ما ندرس شاعراً من الشعراء

أنصفنا أدبنا العربي وطهرناه من الأوهام
والأساطير ، وكنا ثانيًا قد أحييناه الحياة
الجديرة به ، وكنا ثالثًا قد رددنا على
أنفسنا عقولنا ، وقد بحثنا كما ينبغي
للعلماء أن يبحثوا ، وخرجنا من هذا التقليد
الطويل الذي أفسد علينا كثيرًا من أمرنا إلى
الآن .

أما بعد فإني أجدد التحية وأجدد
الشكر وأعتذر إليكم من هذا الحديث
الذي أطلت فيه وأرجو ألا أكون قد أثقلت
عليكم بهذا الإسراف .

قد أثرت بين أيديكم من المشكلات
ونشرت حولكم من القلق ما يدعوكم إلى
ألا تقرؤوا إلا لتقرؤوه ليس غير، ولتأخذوا
منه بعض ما تحتاجون إليه من العلم ، ولا
تتخذوه وحده مصدرًا للتاريخ الأدبي
فالكذب في كتاب الأغاني كثير ،
والانتحال فيه كثير ، والتزوير على القدماء
فيه كثير أيضا ، والخير كل الخير في أن
نلتمس الأدب العربي في النصوص القديمة
نفسها وفي دواوين الشعراء وفي رسائل
الكتاب لا في ما يحكى عن الكتاب
والشعراء . وإذا فعلنا هذا كنا أولا قد

الملحق الرابع :

محاضرة الدكتور طه حسين بتطوان حول :

" مشاكل الأدب العربي ... "

نقلًا عن مراسلة مجلة (رسالة الأديب) المراكشية عدد ٥ - ٦ يونيه يوليه ١٩٥٨
تلخيص الأستاذ عبد اللطيف بوحسين مع شكرنا للأستاذ عبد الصمد العشاب
محافظ مكتبة عبد الله كتون بطنجة

استهل عميد الأدب العربي محاضرتَه
بستقلم تحايا وعبارات الأخوة من
الجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبًا
إلى الشعب المغربي عامة ، " وقد رد
الحاضرون على تلك التحية بتصفيات
حادة استمرت طويلا " ثم بدأ الدكتور
حديثه عن المشاكل التي تتصل بالأدب
عمومًا كأزمة قلة القراء نظرًا لتعلق الناس
في هذا العصر واهتمامهم المفرط بأمور
الحياة ومشاكلها وانشغالهم بها وانغماسهم
فيها ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالقراءة
أو لغيرهم بأن يصححهم بها ، خاصة إزاء
الاختراعات التي غزت المجتمعات البشرية
والتي تجمع بين التعليم والتسلية بما في
ذلك السينما التي تجذب الناس إليها ،
وتقدم لهم في يسر يسير ما يحبون أن
يعرفوا من تاريخ الناس وأحداثهم
وأحاديثهم ، ثم النادى أو القهوة التي

تحشر الناس إليها وتغريهم بما تقدم لهم من
شراب مستساغ ، وما يقدمه البعض منهم
للشعب الآخر من أحاديث سهلة ممتعة
حول الناس والسياسة والمجتمع ... ثم
المدياع الذي يطلق تارة في يسر وأخرى
في عنف يصب في رأس المستمع من
الموسيقا والغناء والأحاديث ما يشاء
بمجرد ما يضغط على هذا الزر. ويطالع
الناس في الصحف في الصباح والمساء
فتشغلهم بقراءة أنبائها وتعليقاتها عن أن
يجدوا وقتًا ينصرفون فيه إلى القراءة الجدية
والجدية ، ثم إن التعليم الإجباري الذي
فرضته ديمقراطية العصر خلق كثرة من
القراء من مختلفي الثقافات لا تستطيع
الكثرة منهم أن تفرغ لقراءة الأدب الرفيع
وإعمال الفكر فيه والأديب في ذلك بين
اثنين - يقول الدكتور العميد - إما أن
يكتسب للكثرة وإما أن يكتب للقلة فإن

كتب للأولى نزل بأدبه حيث لا ينبغي ،
وبذلك لن يرضى نفسه وأدبه وضميره ،
وإما أن يكتب للقلة ويفرغ لأدبه وهو إن
فعل ذلك أوشك أن يقتل نفسه جوعاً ؛
لأنه غير واجد من يستطيع أن يعتمد
عليهم، وهنا يجد نفسه مضطراً لمرأولة
عمل حر أو وظيفة حكومية فليحمل
بذلك نفسه الوقوع في صحراء قاحلة
حيث يصرف عن القراءة الرفيعة
التواصلة، ويحال بينه وبين الإشباع الثقافي
فيصاب ما يكتبه بالفراغ والضحالة. وهنا
وقف الدكتور طه حسين مقارناً بين
الأديب المعاصر والقديم مبدياً ما كان
يتمتع به الأديب القدامى من تشجيع
وعطف وتقدير ، والوقت الذي كان يهياً
لهم ليفرغوا لأدبهم وليضاعفوا من
إنتاجهم، مكثفين بقصائد ومدايح
يقدمونها في بعض المناسبات لحماة أدبهم
من الخلفاء والأمراء والوزراء كضريبة أو
إتاوة بسيطة للمحافظة على تلك الذخائر
الأدبية والعلمية التي تحفل بها المكاتب
العربية في مختلف الأقطار . ومبالغة في
الحفاظ على تلك الذخائر كانت تكتب

باسم هذا الخليفة أو ذاك ، أو بطلب منه ،
أو إهداء له ، أو لأحد وررائه . ويزيد
الدكتور: ومهما بلغت سخريتنا، نحن
المعاصرين ، بأولئك الأدباء أو الشعراء
عندما يمدحون من يحبون فلن تبلغ
سحريتهم بهم أي بمن يمدحونهم حينما
يتخذونهم حماة لهم. ولأدبهم ودوراً للنشر
لإنتاجهم في طول البلاد وعرضها .

كانت آثار وكتب الجاحظ وكان
أدب المتنبي وشعره " الذي لم يخلص في
مدحه إلا لسيف الدولة نظراً لمواقفه
المشرفة " ، وما كانت آثار هذين وغيرهما
لتصل إلينا بهذه الروعة والفائدة لولا
الحماية التي كانا يتمتعان بها ! إلا أن أدباء
العصر أصبحوا يربوون بأنفسهم وبأدبهم
من أن يكون تزلفاً وإن كان هذا التزلف
تطوراً أيضاً ليصبح توظفاً ! ثم الطباعة
ودور النشر التي حملت عنهم بعض العبء
وقانون حرية الفكر والنشر الذي حمل
عنهم البقية الأخرى على أن التوظف
الذي يضطر إليه الأديب قد يدفعه إلى قبر
مواهبه والقضاء على نزوعه العلمي
والتوجيهي ... هذه بعض المشاكل التي

بعد هذه المشكلة مشكلة الكتابة العربية التي تجعل الفهم قبل القراءة بدلا من أن تسبق القراءة الفهم نظراً لعوامل الشكل والإعراب. وهنا أتى الدكتور بأمثلة عديدة مبينا الصعوبة الشاقة التي يجدها المتعلم المبتدئ مما ييغض إليه اللغة والبلاغة وأستاذ العربية وآدابها، والنتائج البسيطة السطحية التي يحصل عليها الطالب بعد تخرجه النهائي وعدم تمكنه من لغته قراءة وكتابة صحيحة فضلا عن أن يتكلم بها . هذا مع ما يجده في اللغات الأوروبية من سهولة تغريه بأن يتزيد منها كلما تقدم فيها قراءة وكتابة وحديثاً .

ولم يفت عميد الأدب في آخر الأمر تحديرونا من مدرسة اللغة العامية أو لغة الشارع كما يسميها الدكتور التي نشأت في بعض البلاد العربية وأخذت تجدد لها أنصاراً كثيرين وفي مصر خاصة والتي تدعو إلى اتخاذ اللغة العامية لغة الكتابة والأدب ميبيا الأخطار التي تكمن وراء هذه المدرسة فيما إذا قدر لها الانتشار والانتصار فيكون بذلك القضاء على العربية كلغة تجمعنا تاريخياً وديناً وقومية،

عاجلها الدكتور العميد في القسم الأول من محاضراته والتي تتصل بمشاكل الأدب عموماً ، ثم ذكر بعض ما تقوم به الجمعيات والمنظمات في العصر الحاضر لمحاولة معالجة هذه المشاكل خاصة في أوروبا مثل نادى القلم، ومنظمة اليونسكو ، واللجنة الثقافية للجامعة العربية . ومن هنا تطرق للحديث عن مشاكل تعليم الأدب العربي وهي أدق وأخطر - كما قال سيادته - وهو حريص أشد الحرص على معالجة هذه المشاكل الخطيرة.

وتعليم الأدب العربي إحدى مشاكله الكبرى ما دام مرتكزا على اللغة العربية وغير متيسر إلا بها ، والشباب العربي الذي أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد من الصعوبة بمكان مسايرة الطريقة المتبعة في تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة، ويسر هذا النحو - يقول الدكتور العميد - فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشبان عن الأدب العربي ، بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ما دمنا نقف هذا الموقف السليبي . وتأتي

والكتابة والنحو ، أما مصر فقد اختارت أو
هسي في طريق الاختيار عندما قرر جمع
اللغة العربية بالقاهرة تيسير النحو وإعادة
النظر في الطرق المتبعة في تدريس اللغة
والأدب . ثم ناشد ، في الختام ، الأديب
الكبير أدباء المغرب وعلماءه ومفكره بأن
يساهموا بدورهم في تحرير الأدب العربي
والكتابة العربية من تلك القيود الثقيلة
مذكراً إياهم بأن أول من ركن إلى ما في
النحو العربي من سحر وطلاسم غير
مفهومة ودعا إلى إصلاحه القاضي المغربي
ابن مضاء في نهاية القرن الثاني عشر * "

ويكون مصيرها مصير اللاتينية لا يرجع
إليها إلا لدراسة أصل اللهجات العامية
كما يرجع إلى اللاتينية لدراسة أصول
اللغات الأوروبية ، هذا مع ما في ذلك من
قطع الصلة بين البلاد العربية وانكماش
كل واحدة منها مع لهجتها الخاصة بها
والتي لا يستطيع فرضها أو التفاهم بها مع
غيرها مطلقاً !

ويقول عميد الأدب : وهذا خطر -
بحق وجودنا كأمة ذات تاريخ وأدب
ولغة مشتركة . وما علينا إلا أن نختار بين
ذلك وبين طرق تدريس الأدب وتيسير

(*) وقع خطأ عد تلقى المحاضرة ، فعوض ابن مضاء كتب (ابن مظار) وعوض القرن الثاني عشر كتب القرن السادس عشر
الأمر الذي أربكتنا بعض الوقت .. وقد ظهر أن القصد إلى ابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللحي قاضي قرطبة وفلس
ومراكش ، له أسماء كثيرة إلا أنها صاعقت عند استيلاء الروم على المربة له كتاب في الرد على الجوين اتقده ابن خروف معقب
عليه ابن مضاء قائلا : نحن لا نالي بالكباش البطاحة فكيف تعارضنا الحرفان ١٩ وللدكتور الأستاذ شوقي صيف تأليف حول
الموضوع على ما أسلفنا. توفي القاضي ابن مضاء يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٩٢ = ١٩ أبريل ١١٩٧ . د. التاري، جامعة القرويين
ج ١ ، ١٧٥ طبعة دار الكتاب اللباني ١٩٧٢ .

الملحق الخامس
قصيدة الشاعر محمد الحلوي التي ألهاها

يوم ١٩٥٨/٧/٢

حَقُّ عَلَى الشُّعْرِ أَنْ يُهْدَى عَرَائِسُهُ
تَحِيَّةً لِعَمِيدِ الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ
حَقُّ عَلَى الشُّعْرِ أَنْ يُهْدَى قَلَائِدُهُ
لِصَانِعِ الدُّرِّ وَالْإِبْدَاعِ وَالْعَجَبِ
فَبَيْنَ وَافِدِنَا وَالشُّعْرِ مِنْ زَمَنِ
وَشَائِعِ جَمَّةٍ مَوْضُولَةِ النَّسَبِ
هَفَا إِلَيْكَ كَمَا يَهْفُو الْفَرَّاشُ إِلَى
خَمِيلَةِ الزَّهْرِ يَرْوِي الشُّوقَ عَنْ كَثَبِ
هَفَا إِلَى حِضْنِكَ الدَّافِي لِيُنْعِشَهُ
مِثْلَ الْيَتِيمِ الَّذِي يَهْفُو لِحِضْنِ أَبٍ
وَمَا لِعَيْرِكَ يَهْفُو بَعْدَمَا رَفَعْتَ
لَهُ يَدَاكَ مَقَامًا فِي ذُرَى الشُّهُبِ
يَشْدُو بِأَيَاتِكَ الْكُبْرَى الَّتِي فَخَرْتَ
بِهَا النَّسَوَادِي وَأَغْلَتْ ثُرُوءَ الْعَرَبِ
مَرَحَى بِأَكْرَمِ ضَيْفِ زَارِ إِخْوَتِهِ
فَوَثَّقَ الرَّحِمَ الْقُدْسِيَّةَ السَّبَبِ
هَبَطْتَ بِالْيُمْنِ أَرْضًا طَالَمَا نَزَعْتَ
إِلَيْكَ وَاسْتَأْنَسْتَ فِي الْوَصْلِ بِالْكُتُبِ
سَعَى إِلَيْكَ بَنُوهَا فِي مَوَاقِبِهِمْ
يُكْرَمُونَ أَدِيبَ الشَّرْقِ بِالْأَدَبِ

خَفُّوا إِلَى الْعِلْمِ يَطْوِي الْبَحْرَ مُتَجِّهًا
إِلَى بَنِيهِ بِهَذَا الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ
يَسْتَرْوَحُونَ بِلِقَائِهَا طَالِ مَوْعِدُهَا
وَيَسْمَعُونَ عَيْنًا صَوْتِكَ الذَّهَبِيِّ
لَمْ يَنْسَ أَبْنَاءُ هَذَا الشَّعْبِ صِرَاحَتَكُمْ
يَوْمَ الْجِلَادِ وَهُمْ فِي زَحْمَةِ الْكُرْبِ
أَرْسَلَتْهَا مِنْ ضِفَافِ الثَّلِيلِ عَالِيَةً
دَوَّى صَدَاهَا عَلَى الْأَكَامِ وَالْهَضْبِ
وَحُضْنَتَهَا بِسِلَاحِ الْفِكْرِ فَانْتَفَضَتْ
ضَمَائِرُ رَزَحَتْ فِي ظِلْمَةِ الْحُجُبِ
كَانَتْ عَلَى الْفِكْرِ أَكْبَى مِنْ مَدَافِعِهِمْ
وَقَعَا وَأَفْتَكَ فِي الْهَيْحَا مِنَ الْقَضْبِ
إِنَّا - بَنَى الْعَرَبِ - فِي الْأَلَامِ يَحْمَعُنَا
مَاضٍ مَجِيدٌ وَقُرْآنٌ وَدِينُ نَبِيٍّ
مَا فِي بَنِي الشَّرْقِ شَعْبٌ لَمْ تَنْلُهُ يَدُ
سَفَاكَةٍ مِنْ غَزَاةِ الْعَرَبِ فِي الْحَقْبِ
أَبْنَاءُ رَابِطَةٍ لَا شَيْءَ يَفْصِلُنَا
فَمَنْ بِفَاسٍ كَمَنْ فِي مِصْرَ أَوْ حَلَبٍ
نَوَائِبُ جَعَلْتَ أَهْدَافَنَا هَدَفًا
وَعَلَّمْتَنَا انْتِزَاعَ النَّصْرِ بِالْعَلَبِ

وَفَيْتَ لِلضَّادِ يَا أَوْفَى الْبَنِينَ لَهَا
وَطَبْتَ نَفْسًا بِمَا أُسْدَيْتَ مِنْ قُرْبِ
بَعَثْتَ فِيهَا كَعِيسَى عِنْدَ رَقْدَتِهَا
بِمُبْدَعَاتِ الْحِجَى وَالْمَنْطِقِ الذَّرِبِ
فَأَيَّعْتَ وَزَكْتَ حَنَائِهَا وَبَدَتْ
حَسَنَاءُ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِهَا الْقَشْبِ
وَشَعَّ فِكْرُكَ فِي الْآفَاقِ يَغْمُرُهَا
ثُورًا وَيَنْسَابُ مِثْلَ الْجَدُولِ السَّرْبِ
لَوْ قِيلَ لِلْعِلْمِ مَنْ يَغْشَى مَحَاهِلَهُ
وَلِلْمَحَافِلِ مَنْ صَنَاجَةُ الْعَرَبِ ؟
لَقِيلَ طَهَ أَبُوهَا وَابْنُ بَخْدَتِهَا
وَقَارِسُ الْأَدَبِ النَّزَاعُ لِلْقَصَبِ
أَنْتَ عَلَيَّكَ الْقَوَافِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
وَالشُّعْرُ فَيْكَ يُجَافِي وَصْمَةَ الْكَذِبِ
يَا طَالِعَ السَّعْدِ فِي عِيدِ الْفِدَاءِ لَقَدْ
نَزَلْتَ أَهْلًا وَسَهْلًا مَمْرَعِ الْجَنبِ
وَزُرْتَ شَعْبًا عَرِيقًا فِي حَضَارَتِهِ
يَزْهُو - كَمَصْر - بِمَا قَدْ شَادَ مِنْ قَبِ
وَمَا ابْتَنَى مِنْ مَبَانِي الْعِلْمِ شَامِخَةً
وَمَا أَقَامَ لِثَوْرِ الْفِكْرِ مِنْ نُصْبِ
يَزْهُو بِأَمْجَادِهِ الْكُبْرَى الَّتِي شَرُفَتْ
بِهَا الْبُطُولَةُ مِنْ أَبْنَائِهِ النَّحْبِ

لَمْ نَنْسَ نَخْوَةَ مَصْرِ يَوْمَ بَيْتِهَا
أَعْدَاؤُهَا فَانْشَنُوا بِالْعَارِ وَالْهَرَبِ
أَرْضُ الْعُرُوبَةِ كَانَتْ كُلُّهَا هَدَفًا
لِلْمُعْتَدِي وَقَنَاءَ الْمَوْتِ وَاللَّهَبِ
بِرَغْمِ مَا بَيَّتُوا لِلشَّرْقِ مِنْ فِتْنِ
وَمَا أَذَاقُوا بَنِيهِ الصَّيْدَ مِنْ لَعَبِ
ثُرْنَا - كَمَا يَعْهَدُونَ الْعُرْبَ - أُسْدَ شَرَى
تَنْقُضُ بِالْمَوْتِ فِي بَأْسٍ وَفِي غَضَبِ
حَتَّى هَوَتْ دَوْلَةُ الطُّغَيَّانِ وَانْهَزَمَتْ
فُلُولُهَا وَأُسُودُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ
يَا رَائِدَ الْأَدَبِ الْعَالِي وَبَاعِثَهُ
وَقَائِدَ الْحِيلِ لِلْعَالِي مِنَ الرُّتَبِ
وَالْعَبْقَرِيِّ الَّذِي يَجْلُو رَوَائِعَهُ
فَيَسْبَحُ الْفِكْرُ فِي تَيَّارِهَا اللَّحَبِ
أُسْدَيْتَ لِلضَّادِ مَا حَلَّى مَفَارِقَهَا
وَزَانَ مَبْسَمَهَا بِالْذُرِّ وَالشَّنْبِ^(١)
أَدْنَيْتَ مِنْهَا قُطُوفًا طَالَمَا قَصُرَتْ
عَنْهَا الْأَيَادِي وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تَطِبِ
وَجُلْتَ فِي رَحَبَاتِ الْعِلْمِ مُنْطَلِقًا
بِالْعَقْلِ لَا تَشْتَكِي فِيهَا مِنَ اللَّغَبِ
بِهِمَّةٍ غَارَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْقَطْعَةُ
لَهَا عَزَائِمُ مِنْ يَصْبُو وَلَمْ يَشِبِ

(١) الشَّنْبُ - جمال الثغر ، وجمال الأسنن

عن ديوان الشاعر الحلوى بخطه
وقد نشرها مجلة دعوة الحق في عددها
الأول من السنة الثانية ربيع الأول ١٣٧٨
= شتنبر ١٩٥٨

فَقُلْ لِمِصْرَ وَقُلْ لِلْعَرَبِ إِنَّ لَهُمْ
فِي الْمَغْرِبِ الْحَرِّ بِجَدَا نَاطِحِ السَّحْبِ
وَاحْمِلْ تَحِيَّتَنَا يَا خَيْرَ مَنْ بُعِثَ
بِهِ التَّحَايَا وَأَوْفَى مُكْرَمِ وَأَبِ
إِلَى الْعُرُوبَةِ مِنْ شَعْبٍ وَمِنْ مَلِكٍ
وَأَسْلَمَ لَنَا وَلِخَيْرِ الضَّادِ وَالْأَدَبِ

الملحق السادس :

من استجوابه : عن مجلة الإذاعة الوطنية ، يولييه ١٩٥٨

ممتازة، فهناك أدبان قديمان بقيا
على وجه الدهر، أحدهما الأدب
اليوناني والآخر الأدب اللاتيني .

وقد قلت إن أدبنا العربي يأتي
بعد الأدب اليوناني مباشرة ،
لأنه أدب أصيل من جهة ولأنه
كان أدب أمة تحتل العالم القلم
كله أو أكثره على أقل تقدير .
وأنه قد أتيح له من البقاء مثلما
أتيح للآداب القديمة الأخرى ،
وأنه بعد هذا كله أو قبل هذا
كله ، إن شئتم ، قد استطاع
بلغته وبخصائصه أن يقهر آداباً
محلية كثيرة في الشرق والغرب
أيضاً . فهو في الغرب قد قهر
الآداب اللاتينية في إسبانيا وهو
في الشرق قد قهر آداباً ولغات
مختلفة .

فأدبنا العربي كما قلت في غير
كتاب وفي غير محاضرة يأتي

ألقى مندوب الإذاعة الوطنية الأسئلة
الآتية على الدكتور طه حسين فتفضل
معاليه بالإجابة عنها :

سؤال : أئترتم في محاضرتكم الأولى
مكانة الأدب العربي بين الآداب
العالمية . فهل لكم أن تحددوا
وضع أدبنا بين هذه الآداب في
العصر الحديث وهو في وسعه
اليوم أن يسهم بنصيبه في نماء
التراث العالمي ؟

الجواب : أما في العصر الحديث فقد
أشرت في آخر المحاضرة إلى أن
من الواجب علينا أن نمكن أدبنا
من أن يكون قادراً على أن
يسهم في ترقية الحضارة كما
تسهم الآداب الكبرى في
ترقيها.

أما في العصر القلم فقد قلت
غير مرة في محاضراتي وكتبي إن
أدبنا العربي القلم يحتل منزلة

بعد الأدب اليوناني القديم ولا
تستطيع الإنسانية أن تستغني
عنه ولأجل أن أبين لكم بأن
الإنسانية لا تستطيع أن تستغني
عنه ألفت نظركم إلى أن هذا
الأدب العربي القديم وما نشأ
عنه من أدب عربي حديث ، إنما
هو أدب أمة عربية مهما تختلف
أوطانها ومهما تختلف مذاهبها
في السياسة، فهي أمة توحيدها
لغتها وتوحيدها خصائصها
المختلفة ، وهي لا تقل عن ما
يقرب من مائة مليون من
الناس، وإذا كانت الإنسانية
تستطيع أن تستغني عن هذه
الملايين التي تقرب من المائة فهي
لا تستطيع أن تستغني عن أدب
هذه الملايين .

إنما أدبنا الحديث يحتاج إلى
جهد عنيف هو الذي دعوتكم
وما زلت أدعو الأمة العربية
كلها إلى بذله ليكون قادرًا على
أن يقف موقفًا يشبه الأدب

القديم ويمكن أن يوازن بالآداب
الكبرى في هذا العصر الحديث.
سؤال : نلاحظ تقهقرًا في الشعر
العربي بالنسبة لما كان عليه منذ
عشرين سنة . فما رأيكم ؟ وما
هي الأسباب ؟

الجواب : أظن أن أسباب تقهقر الشعر
العربي ترجع إلى أشياء مختلفة ،
بعضها عامة ، فالشعر يتقهقر
في كثير جدًا من الأمم ، لا في
الأمة العربية وحدها ، وذلك
أن هذا العصر الذي نعيش فيه
ليس عصر شعر ، وإنما هو
عصر العلم وعصر العقل وكما
تعرف ، العقل ينتج نثرًا ولا
ينتج شعرًا !

فكما أن الشعر في البلاد الغربية
قد ضعف أمره ، فهو عندنا قد
ضعف أمره، وهناك سبب آخر،
وهو أن قوة الشعر التي أتيحت
لنا في العصر الحديث إنما كانت
قوة الشعر التقليدي ، الشعر
الذي كان يقال على مذهب

الشعراء القدماء وقد عرفتُ
مصر بنوع خاص شعراء امتازوا
وبعد صيتهم وعرفوا خارج
حدود مصر ، عرفت مصر
حافظا وعرفت شوقي وعرفت
البارودي ، ولكن هؤلاء جميعاً
كانوا مقلدين ، كانوا ينظرون
دائماً إلى الشعراء القدماء .

من أراد منهم أن يكون مجدداً
نظر إلى شعراء العباسيين ، ومن
أراد منهم أن يكون محافظاً نظر
إلى الشعراء الإسلاميين
والجاهليين ، ولم يكن هؤلاء
الشعراء حظ ممتاز من الثقافة
الحديثة ، لم يقرؤوا شعراء
الغرب وقد قرؤوا من الآداب
الغربية أطرافاً تطول أحياناً
وتقصر غالباً ولكنهم لم يتأثروا
بالثقافات الغربية تأثراً كافياً .
فكان شعرهم تقليدياً، وقل مثل
هذا في الشعر الذي كان يقال
في العراق ويقال في سورية. كل
هذا الشعر كان شعراً يقلد به

القدماء ، وقد انتهت مدرسة
القدماء وبقيت طائفة من
الشعراء مازالت تقول هذا
الشعر التقليدي ولكن الأمة
العربية محتاجة إلى أن يجدد
الشعر ، ولأجل أن يجدد الشعر
يجب أن تجدد الثقافة ولأجل أن
تجدد الثقافة يجب أن يشيع العلم
باللغات والآداب الأجنبية ،
ويجب أن يكون بيننا من
يتعمقون هذه اللغات وهذه
الآداب الأجنبية .

وكل هذا لم يتح لشبابنا إلى
الآن ، وعليكم أنتم ، معشر
الشباب، أن تتقنوا اللغات
الأجنبية دون أن ينسيكم هذا
لغتك العربية ، عليكم أن تتقنوا
لغتك أولاً وتراثكم أيضاً، ثم
عليكم بعد ذلك أن تضيفوا إلى
ما ورثتم عن آبائكم علماً
جديداً باللغات الأجنبية
والآداب الأجنبية وأن تتعمقوا
هذه اللغات والآداب تعمقاً

يتيح لكم أن - لا أقول
تقلدوها - تأتوا بخير مما فيها إن
استطعتم . فهذا هو الذى
ينقصكم ليكون عندكم نثر
ممتاز وشعر ممتاز أيضا . فلا
تسألوني أنا عن هذا واسألوا
أنفسكم : أقادرون أنتم على أن
تتقنوا لغتكم وآدابكم ، ثم على
أن تتقنوا بعد ذلك لغات
وآدابا أجنبية ، فإذا كان
الجواب نعم فثقوا أنكم
ستتحون شعرا ونثرا جديدين
ممتازين ، وإن كان الجواب لا
فستظلون مقلدين كما كان
الذين سبقوكم منذ عشرين أو
ثلاثين عاما !

سؤال : لم يضاف إلى لائحة أعلام
الآداب في الشرق العربى اسم
جديد مند حيل تقريباً . فهل
يمكن أن نطمئن إلى من يخلف
هذه الطبقة ؟

الجواب : تستطيع إن شاء الله أن تطمئن
بالشرط الذى قلته آنفاً ، هو أن

نحرص على أن نتقن تراثنا
العربى ، ونضيف إلى إتقانه
العلم والأدب والحديث
واللغات الحديثة.

أما من غير ذلك فلا تنتظر خيراً!
سؤال : ما رأيكم في الأدب الملتزم ؟
ألا ترون في الالتزام تقييداً لحرية
الأديب؟ وهل يجب أن يكون
الأديب العربى ملتزماً في العصر
الحاضر؟

الجواب : كل أديب ملتزم ، ومسألة
الالتزام هذه مسألة من جهة في
غاية اليسر ومن جهة في غاية
التعقيد ، هي يسيرة كل اليسر
إذا أخذناها أخذاً طبيعياً .

فكل أديب يلتزم حياة البيئة التى
يعيش فيها ، وهو لا يستطيع أن
يخرج من بيئته ، وأذكر - إن
شئت - قول أبى العلاء :

وَهَلْ يَأْبَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ
فِيخْرِجَ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسْمَاءُ؟!

فأنت عربى لا تستطيع أن تخرج
من عروبتك مهما تفعل، وأنت

مغربي لا تستطيع أن تخرج من
مغربتك مهما تفعل. وأنت تعيش
في هذه البيئة ولا تستطيع أن
تخرج منها مهما تفعل ، فإذا
أنتجت شعراً أو نثراً فسيكون
عربياً وسيكون مغربياً وسيتأثر
ببيئتك وبتراثك القديم وبالعصر
الذي أنت فيه .

وأنت من هذه الناحية ملتزم ،
وكل أديب بهذا المعنى فهو
ملتزم أيضاً، إنما إذا نظرت إلى
الالتزام على أنه التزام سياسي ،
فهذه هي الطامة الكبرى ! ذلك
أن الالتزام السياسي معناه قتل
حرية الفن ! والفن يجب أن
يكون حراً ، وأنا خاصة لا
أتصور الفن إلا حراً ولا
أحب أن تصدر إلى أوامر
السياسة بأن أقول في هذا
الموضوع وألا أقول في ذاك !

وفي العالم الآن هذان المذهبان :
مذهب الالتزام اليسير الطبيعي
الذي لم يبرأ منه أديب ولا

كاتب ولا شاعر ، ومذهب
هذا الالتزام السياسي الذي
جاءنا من الغرب الأوروبي ثم
وصلت أطراف منه إلى البلاد
العربية ، هذا الالتزام السياسي
إنما جاء من البلاد الشيوعية .

فالبلاد الشيوعية هي التي تسيطر
على العقل ولا تريد أن يكتب
الكاتب ولا أن ينشئ الشعراء
شعرهم ولا أن يصور المصورون
ولا أن ينحت المثالون إلا في
نطاق الحدود التي يرسمها الحزب
الشيوعي والمذهب ، فهذا
الالتزام بهذا المعنى شيء ممقوت
بالطبع وهو يعادي حرية الفن
ويقتل الفن ولا ينتج إلا كلاماً
رسمياً ترضى عنه الدولة !

وإذن فهناك هذان النوعان من
الالتزام ، التزام طبيعي لا يبرأ
منه كاتب ولا شاعر ، والتزام
تفرضه السياسة يجب أن يبرأ
منه كل صاحب فن حر !

الملحق السابع :
مقال للدكتور طه حسين
نشرته جريدة (الجمهورية) المصرية
في عددها ١٩٥٨/٧/٢٩
أرض البطولة ١

لم تكد السفينة تبلغ مرساها في جبل طارق حتى رأينا أنفسنا محاطين بجماعة كريمة من المغريين والمصريين قد تفضلوا فأقبلوا للقائنا وأبى عليهم كرمهم أن ينتظرونا في المغرب فعبروا المضيق أو الزقاق كما كان القدماء يقولون للقائنا في الأرض الإسبانية التي يحتلها الإنجليز .

وكنا قد قضينا في تلك السفينة ثلاثة أيام كاملة لا نسمع العربية إلا من أنفسنا حين يتحدث بعضنا إلى بعض وإذا نحن الآن لا نسمع إلا العربية التي أخذتنا من جميع أقطارنا، فريق يتحدثها في أناة وهدوء وهم المصريون وآخرون يتحدثونها في لهجة سريعة قوية كأن ألفاظها تحدر وتصطك في تحدرها من القمة إلى السهل وهم المغريون^(١) .

ونحن بين أولئك وهؤلاء حائرون لا ندرى كيف نجيب ولا على من نجيب ثم

يتقدم مستشارنا الثقافي فيعرفنا إلى المستقبلين ويعرفهم إلينا ، منهم من يمثل وزارة الخارجية المغربية ، ومنهم من يمثل وزارة التربية والتعليم المغربية أيضًا ومنهم من يمثل حاكم طنجة. ومنهم من أقبل ليحيى عهدًا بأستاذه القلم الذي عرفه في جامعة القاهرة حين كان يختلف إلى دروسه في كلية الآداب، وآخرون أرسلتهم سفارتنا للقائنا قبل أن نبلغ المغرب .

ولست أدري كيف اختطفنا هؤلاء السادة واختطفوا معنا أمتعتنا ونقلونا من سفينتنا تلك الضخمة الفخمة إلى سفينة صغيرة عبرت بنا المضيق إلى العدو المغربية ، بل لست أدري كيف عبرنا هذا المضيق ، فقد رأيتني غارقًا في الحديث مع هؤلاء السادة كأنني لم ألقهم منذ وقت قصير، وما هي إلا أن نبلغ العدو المغربية

* كان الأستاذ سعيد العريان يمت اللهجة المغربية بألفاظ " قذافية " ١

وهو مؤمن بأنه لم يصنع شيئاً ذا خطر
وإنما أدى أيسر ما يجب على المواطن
المخلص للوطن الحبيب ، ولا أكاد أذكر
لجلالته بعض ذلك حتى يُحوّل الحديث في
يسر وسماح كأنه لا يجب أن يثنى عليه
أحد لأنه أدى إلى وطنه بعض ما يجب
عليه !!

ونخرج من حضرة الملك مكرمين
شاكرين فلا نكاد نبليغ الفندق ونقضي
فيه ساعات قليلة حتى نغرق في حفاوة
المغرب بنا وإكرام المغرب لنا ، ونظل
غرقى في هذا الكرم وتلك الحفاوة
أسبوعين كاملين ولا نعود إلى أنفسنا أو
لا تعود أنفسنا إلينا إلا بعد أن يردنا
الذين أخذونا من سفينتنا إلى هذه السفينة
نفسها بعد أن بلغت تلك الأرض
الإسبانية التي يحتلها الإنجليز وهى جبل
طارق.

الحديث عن المغرب الأقصى شاق
عسير لأنه متشعب لا يدرى الكاتب من
أين يبدأه ولا إلى أين ينتهي به . ففنون
كثيرة وألوانه مختلفة لأن المغرب الأقصى
نفسه على وحدته واثلافة وانسجامه

فنخطف من سفينتنا الصغيرة إلى
السيارات التى تمضى بنا بسرعة لا تلوى
على شئ حتى تبلغ بنا بيت الحاكم ،
وهناك أعلم أننا ضيف على الحاكم
سنقضي عنده ما بقى من النهار
وسنقضي عنده الليل أيضاً وسنغدو مع
الطير لنبلغ الرباط قبل الظهر في الغد ،
لأن جلالة الملك قد تفضل فقرر أن
يستقبلنا ظهر اليوم الذى نبليغ فيه الرباط
كأنه يلقانا في عاصمة ملكه تكريماً لبلادنا
ولنا . وقد جرت الأمور حسب البرنامج
الموضوع ، وشرفنا بلقاء الملك وسمعنا من
جلالته خير ما يجب المصري أن يسمع
عن وطنه وعن حكومته . وحين ما يجب
كاتب متواضع مثلى أن يسمع من تحية
وثناء يصدران من رجل عظيم بأدق
معاني هذه الكلمة وأوسعها .

لم يكتسب عظمته من الملك وإنما
اكتسب عظمته من نفسه ، من إباءه
للضيم وصبره على المكروه واستبساله في
مقاومة العدو واحتماله إذايته لا لشيء إلا
أن يكون ملكاً كريماً لوطن كريم ، بذل
هذا الجهد كله واحتمل هذا المكروه كله

التجديد ، ومنهم الذين يلائمون أروع
ملاءمة بين الحديد والقدم، وينشئون بهذه
الملائمة في أنفسهم وفي بيتهم نوعاً من
الموسيقا المستعذبة في النفوس المحبة إلى
القلوب، وإذا أردت أن تتحدث عن
السياسة وجدت المشكلات المعقدة أشد
التعقيد التي يتصل بعضها بسياسة المغرب
مع فرنسا . ويتصل بعضها بسياسة
المغرب مع إسبانيا ، ويتصل بعضها
بسياسة المغرب مع أمريكا ، ويتصل
بعضها بسياسة المغرب مع سائر البلاد
العربية الأخرى .

فالمغرب الأقصى عربي على رغم
الاستعمار الفرنسي وعلى رغم المحاولات
الفرنسية العتيقة لصرفه عن العروبة
وتزهيده فيها ، والتقصير به عنها ، هو
عربي بأقوى ما تدل عليه هذه الكلمة ،
حريص أشد الحرص على التراث العربي
المشرقي والمغربي والأندلسي ، دارس لهذا
كله مؤمن بهذا كله أشد الإيمان وأقواه .
هو بعد ذلك مؤمن بحاضر العروبة
ومستقبلها ، عالم بكل ما يحدث في
الوطن العربي من ألوان التطور السياسي

واتساق أموره كلها ، مختلف أشد
الاختلاف. إن أردت أن تتحدث عن
طبيعته وجدت فيه البحر والمحيط والسهل
والجبل والغابات والبحيرات وما إلى ذلك
من هذه الطبيعة الواحدة المتعددة. وإن
أردت أن تتحدث عن حضارته وجدت
فيه ألواناً مختلفة من الحضارة : لونا مغربياً
خاصاً توارثه أهل المغرب منذ كانوا قبل
أن يصل الرومان إلى بلادهم فضلاً عن
العرب وقبل أن تكثر الصلات بينهم وبين
الأمم المختلفة، ولونا عربياً خالصاً صفواً
فما أعرف بلداً حافظ على التراث العربي
رغم ما اختلف عليه من الأحداث وما
تتابع عليه من الخطوب كالمغرب
الأقصى، ولونا أوروبياً بعضه يصور
الحضارة الفرنسية كما هي الآن وبعضه
يصور الحضارة الإسبانية كما هي الآن
أيضاً ، وبعضه يصور ما تنتجه الحضارة
الأمريكية المعاصرة .

وإن أردت أن تتحدث عن أهله
وجدتهم ، على اتحادهم وائتلافهم
متميزي الاختلاف : منهم المحافظ الممعن
في المحافظة ، ومنهم المجدد المغالى في

والاجتماعي والثقافي وهو من البلاد العربية التي تقرأ كتب المصريين أكثر مما يقرأها المصريون أنفسهم^(١).

ليس من اليسير إذن أن يتحدث كاتبٌ عن المغرب الأقصى بعد أن يقضى فيه أسبوعين لا أكثر لكثرة فنون الحديث عنه ولحاجة الكاتب أن يتنقل فيه فيكثر التنقل ويتحدث فيه إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم فيكثر التحدث، ومع أن شيئاً من ذلك قد أتيح لي فإنه لا يبلغ أن يعطيني من العلم بشؤون المغرب ما يسمح لي بالتحدث عن هاته الشؤون في ثقة وأمن من الخطأ والزلل، على أن هناك شيئاً يستطيع الكاتب أن يقوله وهو مطمئن إلى أنه لم يخطئ ولم يزل، ذلك أن الذي يزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطناً من أوطان البطولة حقاً، فمن أعسر الأشياء وأشقها أن نتحدث إلى رجل من رجال الحكم، أو من رجال الثقافة

الحديثة أو من المحافظين على الثقافة القديمة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهداً وأنه قد ذاق من الفرنسيين ألوان المحن وفنون العذاب، وهم يتحدثون إليك بذلك باسمين مطمئنين إلى أنهم لا يحدثونك بشيء غريب، وإنما يتحدثون بشيء ملائم أشد الملاءمة لطبيعة الأشياء. فهم كانوا طلاب استقلال، وكانوا يعلمون حق العلم أن من طلب الاستقلال وجب عليه أن يؤدي ثمنه غالباً، قد يكون السجن الطويل وقد يكون العذاب، وقد يكون السني وقد يكون الموت أحياناً، كانوا يعلمون هذا كله ويطلبون الاستقلال مع ذلك ويؤدون ثمنه مهما يكن مُبهِصاً ثقيلاً.

وقد ظفروا باستقلالهم فلم يدركهم^(٢) ولم يغرهم عن أنفسهم ولم يظنوا أنهم قد أتوا بالمعجزات وإنما هم متواضعون يتحدثون إليك في يسر بأن الاستقلال

(١) تذكروني شهادة طه حسين هذه في العقرة التي أجاب بها جلالة الملك الحسن الثاني في شهر مايو ١٩٩٧ أحد كبار الصحفيين المصريين وقد سأله: عن غياب الكتاب المصري بالمغرب "كان جواب العاهل المغربي: "إن حصور الكتاب المصري بالمغرب أكثر بكثير من حصور الكتاب العربي في مصر" (جريدة الأبناء) ٢٦ مايو ١٩٩٧
(٢) يلاحظ أن هناك ستة سطور تحت كل صلب من الأصلاخ الستة لم تصور كما يجب... (صفحة ٣) فلم تهتد لترميمها.

قطع ولا ظهراً أبقي. فهم يحققون آمالهم في أناة ويسمون إلى الرقي في رفق . ويعلمون أن لكل شيء إبانة ويبلغون مع ذلك من الإصلاح شيئاً كثيراً ، وحسبك أن تعلم أنهم حين استقلوا لم يجدوا في المدارس إلا مائتي ألف من التلاميذ فلم يمض عامان على الاستقلال حتى بلغ عدد التلاميذ الذين يتعلمون في المدارس سبعمائة ألف ! ومعنى ذلك أنهم هيؤوا كل شيء في أقل من عامين لتعليم نصف مليون من أبناء الشعب .

ومثل آخر لابد من أن أذكره وهو أن أهل المغرب الأقصى سبقونا كما سبقنا التونسيون إلى إصلاح التعليم الديني فنفذوا تلك الخطة التي دعوت إليها في مصر منذ حين فاهتمت بالكفر والإلحاد والخيانة والمروق ، وهي أن يتعلم التلاميذ تعليمهم الابتدائي والثانوي في المدارس الثانوية ثم يذهب منهم من شاء إلى جامعة القرويين أو غيرها من معاهد التعليم الديني والتخصص في علوم الدين وفي علوم اللغة العربية أيضا .

ليس إلا الخطوة الأولى وبأن بعد هذه الخطوة خطوات كبيرة أخرى ليست سهلة ولا ميسرة وإنما هي محتاجة إلى الجهد أشد الجهد وإلى الجهاد أشد الجهاد. فهم قد استقلوا ولكن الجيوش الأجنبية لم تجل عن بلادهم بعد جلاء تآمرا. وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أمامهم شعباً آمياً لم يعلمه المستعمرون ، وليس له بد من أن يتعلم ، ومن أن يتعلم في أسرع وقت ممكن ، وعلى أحسن وجه ممكن . وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أن الفرنسيين قد آثروا أنفسهم بالخير كله، وليس من بد أن يرد إلى هذا الشعب المستقل حقه الكامل في ثمرات أرضه على اختلافها وليس هذا بالشيء اليسير الذي يجب أن يطلب لينال وإنما هو محتاج إلى الجهد المتصل والوقت الطويل والمال الكثير، وهم مع ذلك يستقبلون حياتهم باسمين لها ويستقبلون مشكلاتهم مصممين على حلها . يأخذون أمرهم بالعزم والحزم والرفق فهم يؤمنون بأن الجهود يجب أن تبذل، ويؤمنون مع ذلك بأن المنبت لا أرضاً

وليفكر فيها الذين يعنون بحفظ التراث
العربي وإحيائه والذين يعنون بأن يتحقق
للعالم العربي ما ينبغي له من الاستقلال
والرقى وما ينبغي له مع ذلك من اجتماع
الكلمة واتحاد الآراء واتئلاف الأهواء .
وليس لي بد من أن أهدي أجمل الشكر
وأصدقه إلى حكومة المغرب التي دعيتني
إلى زيارته وإلى وزير التربية والتعليم في
الجمهورية العربية المتحدة الذي يسر لي
هذه الزيارة ودفعني إليها دفعًا وأتاح لي
أن أقضي أسبوعين في أرض البطولة
وطن الأبطال .

فعل ذلك التونسيون كما قلت ذلك
في الجمهورية بعد زيارتي لتونس في العام
الماضي ، وفعله أهل المغرب الأقصى .
وتحدث إلى به الزعيم علال الفاسي في
يسر وسماح وشيء من الرضا والاعتزاز
أيضًا (*) .

هذه لمحات خاطفة أسجلها الآن في
هذا الحديث القصير بعد أن عدت من
رحلتي السريعة للمغرب الأقصى ولكن
هناك أشياء أخرى تحتاج إلى أن أتحدث
عنها في أناة وهدوء ، ولابد من أن أفرغ
لها ومن أن أتحدث عنها ليعتبر بها المعتبرون

(*) د. التازي : تاريخ جامعة القرويين ، طبعة بيروت ١٩٧٢ ج ٣ ص ٧٧٧ .

الملحق الثامن :

صفحة من مذكرات السيدة سوران

حرم الدكتور عن زيارته للمغرب

... أما في المغرب ، فكان هو
المرحلة الأخيرة من الطريق الذي كان
يحمل طه على امتداده غالبًا تحية مصر
وكلمتها ، وأتطلع برضا إلى صورة يبدو
فيها الملك محمد الخامس وهو يعانقه .
كان الوجهان معًا جميلين .
لقد أبحرنا إلى طنجة ، واصطحبونا
إلى مقر حاكمها بأقصى سرعة مخوفين
بحسود على درجائهم البخارية التي لا
تكف بفرقتها العالية وبصفارات حادة
تثقب الأسماع ، إنه أمر معتاد بالنسبة
لكبار هذا العالم - ولم نكن منهم -
ولهذا سررنا عندما تخلصنا من هذا
الضحيج الكثير .
كانت دار الحاكم دارًا ساحرة ،
وكانت أعلى من المدينة ، وكنا نلمح عبر
أشجار أوكاليتوس والصنوبر على
شرفاتها البحر ومضيق جبل طارق . كان
مضيفونا تجسيدًا للطف . أما في الرباط ،
فقد سمحت لنفسني - لأن طه لم يكن حرًا

كما هو واضح - بالقيام بنزهة شاعرية
ومتوحدة ، أمام المحيط الذي لم أره منذ
سنوات عديدة .
وفي الدار البيضاء ، بعد أن ألقى
حديثه ، احتفظوا به وقتًا طويلًا بحيث
إنني وقد رأيته تأخر عن العودة بت هلة
من القلق ...
وقد كان مفعماً فرحاً إذ وجد نفسه
في فاس ، كان السيد علال الفاسي معنا.
وتدبرنا أمرنا للحصول على السيارة
الصغيرة التي كانت في خدمة الملك قبل
فترة من ذلك الوقت ، فسيارة عادية لا
تستطيع السير في هذه المدينة ، كما أنه لم
يكن من الممكن أن يحاطر طه بالسير
وقتًا طويلًا في طرقات ضيقة تفصل بينها
سلام غير منتظمة ، في جو حار جدًا ،
فيتعب ويرهق. إذ إننا كنا في شهر يونيه.
وعصر ذات يوم ، صعدنا إلى مدينة
صغيرة تقوم على الطريق إلى الأطلس، لم
يكن لدينا وقت كاف ، للأسف ،

صوراً غير مستقرة في حين كانت تطفو
بعض الأغصان الصغيرة .

ودُعى طه للحضور إلى تطوان ،
فوجب الذهاب إليها . واجتازنا خلال
وقت طويل - على الأقل بدا لي طويلاً -
مساحات واسعة قاحلة . كان الطلاب
مرحين ودودين ، ولن أنسى أنني تلقيت
منهم عند وفاة طه رسالة مؤثرة جداً .

لم أتمكن من شراء شيء مهم من
المغرب ، لكنني حملت معي على كل حال
دثاراً صغيراً جميلاً أبيض اللون مطرز
الحواف باللون الأزرق ، خاصاً بطفل
رضيع هو طفله مؤنس (*) .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

للمضي صعداً في هذه الجبال . كان الجو
جميلاً وندياً ، وكان المنظر يختلف تماماً
عن منظر مدينة فاس الذي يتسم
بالخشونة العارية ! وكان هناك رجل
لطيف ، اعتذر عن عدم تذكري اسمه ،
يملك دارة استقبلنا فيها بأروع ما في
العالم من طرق في الاستقبال ، وكنت
سعيدة لتنزهني في إحدى هذه الحدائق
ذات المسطحات المتدرجة التي أحبها
كثيراً والتي كانت مزروعة بأشجار
الصنوبر والسرو . كان ظل الأوراق
الضعيف على مياه المسبح الزرقاء يرسم

(*) مؤنس هو ابن الدكتور طه حسين وقد تروح بليلى حفيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، وقد تزوجت ابنته أمية بالدكتور محمد
حسن الزهات الذي وقع عليه اختيار جلالة الملك الحسن الثاني ليكون عضواً معاً في أكاديمية المملكة المغربية .

القول الفصل

في ترتيب الكتاب المقتضب للمبرد*

تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة

للأستاذ الدكتور أمين علي السيد

مقدمة :

المقتضب للمبرد ، الذي يعتبر أكبر كتاب ألف في النحو حتى عصره بعد كتاب سيبويه ، والذي جمع مسائل النحو وفروعها، الذي يعد .. مرجعاً من مراجع النحاة^(١) .

بدأت هذه الصلة في سنة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) حين اتجهت إلى الدراسات العليا فكان موضوع رسالتي للحصول على الماجستير : "الكتاب المقتضب للمبرد : دراسة وتحليل ونقد " بإشراف العالم المحقق الأستاذ عبد السلام هارون عضو الجمع السابق . وقد أنجزت هذا البحث في سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) وحملت نفسي وحملت كل من يتصدون لقراءة المقتضب أو الاطلاع عليه أو الانتفاع به - المسؤولية أمام التاريخ وأمام الأمانة العلمية عما هو عليه من

بما لا شك فيه أن تحقيق كتاب المقتضب لأول مرة عمل علمي عظيم ، سد فراغاً في تاريخ علم النحو وتطوره ، وأصبح مرجعاً يعتمد عليه في كثير من البحوث ، وقد اقترن اسمه باسم محققه . وهو الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة الأستاذ بجامعة الأزهر . وقد قام بطبعه ونشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . وظهر الجزء الأول منه في سنة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م) . وظهر الجزء الثاني والجزء الثالث في سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ، ثم ظهر الجزء الرابع في سنة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م) .

وقد كانت لي صلة وثيقة بكتاب المقتضب للمبرد ، يعزى الفضل فيها للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد عضو الجمع الموقر، فقد كتب عنه يقول: كتاب

* لقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والمستين، يوم الأربعاء ١٩ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .
١- مدرسة للبصرة النحوية : ٥٣٣ - توزيع دار المعارف .

حطاً في الترتيب .. والنسخة وحيدة وصلت إلى دار الكتب المصرية في صورة سلبية رديئة ووضعت تحت رقم (١٥٢٥ - نحو) وأصلها محفوظ بمكتبة كوبريللي زاده بالآستانة بتركيا .

وقد قام المحقق بمحاولة لإعادة الترتيب للكتاب المقتضب ، على أساس استقامة العبارة ومناسبة ما ينقل لما ينقل إليه ، فقد نقل عددا من الصفحات من وضعها في المصورة إلى وضع آخر ، كما أعاد بعض الأجزاء المتفرقة إلى أصلها ، وربط بين أجزاء بعض الموضوعات وبعضها الآخر. ولكنه لم يتبع الإحالات ولم يستجب لها ، بل نظر إليها نظرة جعلته يقول^(١) : " لقد خبرت الميرد في كثير من وعوده في الكامل وفي المقتضب فتبين لي أنه مسرف في هذه الوعود " . ثم بذل جهداً كبيراً حين وضع قدراً كبيراً من كتاب سيبويه في حواشي المقتضب ، فقد نقل عنه (١٥٥٠) نص، كما وضع قدراً كبيراً من كتاب تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب للميرد، تأليف

سعيد بن سعيد الفارقي، وكذلك فعل في كتاب الانتصار لابن ولاد، وكتاب مسائل الغلط في كتاب سيبويه للميرد. وقد درست هذه الكتب دراسة علمية جادة في رسالي سالفه الذكر. وقد أثنى على عمل الشيخ الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في تقديمه المقتضب فقال : "وقد اقتضى عمله في المقتضب إحياء ثلاثة كتب قديمة لا تتجاوز القرن الرابع: نقد الميرد لسيبويه ورد ابن ولاد عليه في كتاب الانتصار ، وتفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب لسعيد بن سعيد الفارقي. لخص هذه الكتب جميعها ووشى بها حواشي الكتاب"^(٢).

وهنا أسوق نصاً للأستاذ عبد السلام هارون ، يبين رأيه في التعليق. قال بعد أن بين استحسان التعليقات الضرورية^(٣) : "ولكن بعض المحققين يسرفون في هذه التعليقات، مما يخرج عن هذا الغرض العلمي، إلى حشد المعارف القرية والبعيدة من موضوع الكتاب. وهذا الأمر إن أعجب بعض العلماء فإنه حري ألا

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ص ٨١٠ .

(١) مقدمة المقتضب ص ٧٥٠ . (٢) مقدمة المقتضب ص ٤ .

يعجب جمهورهم، لذلك لم يكن بد من الاقتصاد في التعليق .

التحقيق والتجربة :

أطلق الشيخ على عمله في المقتضب اسم (تجربة) وقد صدق في هذا تحقيقا لقول العرب: جربت الشيء تجربة إذا احترته مرة بعد أخرى، وفي هذا الإطلاق مطابقة العمل للواقع ، لأن التجارب إنما تجري للتوصل إلى الحقائق، ولأن فيها ما يحتمل الصواب والخطأ ، ولأن إصلاح الخطأ أمر لا مفر منه. وقد جمعي العمل مع المحقق في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكتب كل منا مقالا في العدد الحادي عشر من مجلة هذه الكلية سنة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) وكان عنوان مقاله : "تجربتي مع تحقيق التراث" من (١٥٧- ١٧٧) وقد تحدث فيه عن المقتضب وعن احتمال النقص في أصله المحقق، وعن الاضطراب في النسخة ، وعن نقد المبرد لسيبويه ، وعن الانتصار لابن ولاد وعن تفسير المسائل المشككة في أول المقتضب لسعيد بن سعيد الفارقي، وعن ربطه

المقتضب بكتاب سيبويه، وعن فهرسته للمقتضب ، وعن الإقبال عليه ونفاد طبعته الأولى . وكان مقالي بعنوان " من كتب التراث : الكتاب المقتضب للمبرد" من (٢٤١-٢٥٠) وقد أثبت فيه على عمل المحقق، ووجهت النظر إلى وجوب إعادة ترتيب المقتضب عند إعادة طبعه، وبينت وضع المقتضب كما أراده صاحبه، وذكرت أمثلة مما يجب تليته من الإحالات التي في المقتضب ولخصت في ختام المقال الأدلة التي تثبت أن الترتيب الحالي للمقتضب المحقق غير صحيح، وهذه الأدلة هي :

- ١- كتاب الفارقي المشار إليه من قبل.
- ٢- الإحالات التي تعين على تصحيح الترتيب.
- ٣- الأرقام التي على عدد كبير من الصفحات غير صحيحة لعدم ارتباط بعضها ببعض .
- ٤- علم المبرد بكتاب سيبويه يجعلنا نقول: إنه عندما ألف المقتضب جعل النحو في جانب والصرف في جانب ثم ختمه بالإدغام ومخارج الحروف كما فعل

سيبويه من قبل^(١) ولا شك في أن الشيخ قد قرأ هذا المقال وأعاد قراءته ، وعرضه على ما بين يديه من الكتاب المحقق. وقد التقينا بعد ذلك أكثر من مرة ، ولكنه التزم الصمت، ثم انتقل إلى رحمة الله ولعل في هذا شيئاً من الرضا عن إعادة النظر في ترتيب الكتاب المقتضب .

ومما جاء في مقالي : "ومحقق الكتاب المقتضب قد بذل فيه الجهد ما يستأهل من أجله الشكر والثناء من كل مطلع على هذا العمل العلمي الكبير .. هذه كلها تجمعنا نطالب ملحين بإعادة النظر في ترتيب المقتضب عند إعادة طبعه ، حتى يوضع الأمر في نصابه، وتبرأ ذمة المبرد من همة يرتفع عنها قدره ، وتجعل عنها مكانته".

ومما دام الشيخ قد أطلق على عمله هذا اسم تجربة فإني أستعين في التعليق على هذه التسمية بقول الأستاذ عبد السلام هارون: "إن الخطأ في معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعاً ، لا إثم فيه ولا حوب ولكن كتمان الخطأ

فيه الإثم والتقصير في أداء الأمانة . ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل"^(٢). وقد كان من واجب المحقق أن يهدر الأرقام التي وجدها على صفحات المصورة، وأن يرجع إلى تاريخ النسخ ليتبين العلاقة بين رسم هذه الأرقام ، ورسمها ذاتها في تاريخ النسخ في القرن الرابع الهجري .

فالأرقام المدونة على صفحات المصورة ليست من عمل الناسخ يقينا . وهذه الأرقام في رسمها لا تتناسب مع التاريخ الذي نسخ فيه الكتاب. وقد وضعت هذه الأرقام بعد اختلال الترتيب واختلاط الأوراق . إنها الأرقام التي نستخدمها اليوم فهي أرقام حديثة وهي (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠) ،

أما الأرقام التي تعزى إلى القرن الرابع الهجري فإنها تختلف عن هذه كما تجيء بين القوسين (١-٢-٣-٤-B-٦-٧-٨-٩-١٠) .

الأرقام والتحقيق :

لقد لفت نظري رسم الأرقام التي

(٢) تحقيق النصوص وبشرها : ٩٩ .

(١) رسالتي للماجستير ص : ١٢٩

دونت على صفحات المصورة المودعة بدار الكتاب المصرية للمقتضب ، وحين تأملتها وجدتها أرقامنا التي نستخدمها الآن، وكان سبب تأملي فيها تفكيري في إظهارها ، كي اطمئن على التسلسل العددي فيها، ولكي أتحسس العلاقة بين هذه الأرقام وبين ترتيب الأوراق ، ثم تأملت بعض الصفحات التي اختل ترتيبها فوجدتها في تسلسلها العددي الصحيح، وأخذت من هذه دليلا على أن خلط الأوراق واختلال الترتيب قد وقع قبل الترقيم ، إذ إن أوراق المخطوطة كانت مفككة فتعرضت للخلط واختلال الترتيب ، ثم كان ترقيم الصفحات بعد هذا ، وكانت الأرقام التي وضعت على الصفحات هي أرقامنا التي نستعملها كما قلت من قبل .

ثم تذكرت عبارة للأستاذ عبد السلام هارون يقول فيها : ^(١) " وكذلك الأرقام تحتاج إلى خبرة خاصة ، وهذه صورة الأرقام التي ترد في بعض المخطوطات القديمة (٣٢١ ع كا ٦) وهي (١، ٢، ٣،

٤ ، ٥ ، ٦) .

فالنقطة قديمة عند العرب ، وكانت ترسم بحرفة هكذا (٥) وكان يضعها الناسخ قديما لتفصل بين الأحاديث النبوية ، وكان قارئ النسخة على الشيخ أو معارضها على النسخ يضع نقطة أخرى مصممة داخل هذه الدائرة (٥) ليدل بذلك على أنه انتهى في مراجعته إلى هذا الموضع. ومن هنا ترسم العشرة بالألف هكذا (١٥) أما السبعة والثمانية والتسعة فقد جاءت كما نرسمها الآن هكذا (٧-٨-٩) ثم رجعت لنفسى ففكرت في تاريخ النسخ لهذه المخطوطة المحفوظة بمكتبة كوبريللي زاده، فإذا هو القرن الرابع الهجري، وفي عام ٣٤٧ منه، وأعدت النظر في الأرقام المدونة على صفحات هذه المخطوطة، فوجدتها هي هي أرقامنا التي نستعملها الآن، ووجدت المرقم قد جعل الكتاب قسمين: القسم الأول ويشتمل على الجزء الأول والجزء الثاني في تسلسل عددي بلغ (٦٢٣) لوحة . والقسم الثاني يشتمل على الجزء

(١) تحقيق النصوص ونشرها : ٥٧، ٥٨ .

الثالث والرابع في تسلسل عددي آخر بلغ (٦٧٩) لوحة . وقد بلغ عدد اللوحات أكثر من ألف وثلاثمائة لوحة في الأجزاء الأربعة، وعند الطبع جعل المحقق لكل جزء ترقيما خاصا به: وقد انتهى الجزء الأول بالصفحة رقم (٢٧٨) . وانتهى الجزء الثاني بالصفحة رقم (٣٧١) . وانتهى الجزء الثالث بالصفحة رقم (٣٩٢) . وانتهى الجزء الرابع بالصفحة رقم (٤٣٤) . وقد اعتمد المحقق على ترقيم المصورة رقم (١٥٢٥ - نحو) المأخوذة عن المخطوطة بمكتبة كوبريللي زاده رقم (١٥٠٧) ، (١٥٠٨ - نحو) وأثبت المحقق الترقيم المذكور على هامش التحقيق بخطه وصوابه ، والتزم هذا الوضع حتى حين نقل بعض الصفحات من جزء إلى آخر، نقلها بأرقامها . وقد نقلت المصورة (١٥٢٥ - نحو) على (ميكروفيلم) وأودعت في خزائن محكمة للحفاظ عليها وصونها من التقلبات الجوية التي يمكن أن تتعرض لها وأصبح الطريق إليها ثلاثة أرقام بدلا من الرقم الواحد، وقد جعل لكل

جزء منها رقم ما عدا الجزء الرابع: رقم الجزء الأول : ١٦٣١٧ ، ورقم الجزء الثاني: ١٦٣١٦ ، ورقم الجزء الثالث : ١٦٧٥٣ ، ورقم الجزء الرابع برقم، ويظهر أنه تابع لرقم الجزء الثالث. وأول ما نبه إليه المحقق عن النقص في النسخة جاء في قوله: "في المجموع الأول لا نجد الصفحة التي تحمل رقم (٤٠٤) . لعة الترقيم تنبئ بنقص هذه الصفحة . ولو احتكمنا إلى ارتباط الكلام واتصال الحديث لا نرى أثرًا لهذا النقص . المبرد مثل للمصدر الميمي واسمى الزمان والمكان بسبع آيات من القرآن الكريم ، وبيتين من الشعر ، وهذا القدر يكفي في التمثيل والاستشهاد ، وأعتقد أن المقام لا يحتمل أكثر من هذا القدر ، حتى نحكم بأن هناك صفحة ناقصة في أثناء هذا الاستشهاد ، وقد سبق أن عرض المبرد لهذا الموضع في ص : ٦١ واستشهد بآيتين وبيتين، كما عرض له في الكامل ومثل بآيتين وبيتين^(١) .

ويغني عن هذا التعليق جملة واحدة

(١) مجلة كلية اللغة العربية: ١٦٠، ١٦١ - مقدمة المقتضب: ٧٥ .

يقال فيها: "سقط هذا الرقم سهواً" ولغة الترقيم التي ذكرها الشيخ لا تنبئ بنقص صفحة ، وإنما تنبئ بنقص رقم فقط، مادام الكلام متسقا . وعند حديث المحقق عن الاضطراب في النسخة^(١) ذكر عدة أمور منها:

*ص (١٣٧) من المجموع الأول كررت ، وأخذت رقم (٢٧٧)، ولم يتصل بها ما قبلها ، كما لم يناسبها ما بعدها، فهي حشو في وضعها الثاني. وليس لهذا ظل من الحقيقة، فقد جاءت. ص: (١٣٧) من المجموع الأول مفردة غير مكررة ، ووضعت في سياق الكلام ، وهي واقعة في ص: (١٤٣) في الجزء الأول من المطبوع. فأخر الصورة رقم : (١٣٦) قوله: (فإن احتاج إلى) . وأول الصورة رقم (١٣٧) قوله: (صرف ما لا ينصرف صرفه) والربط بين آخر الصورة السابقة وأول الصورة اللاحقة لا يحتاج إلى بيان لأن حرف الجر (إلى) جاء في آخر ص: ١٣٦، والجور بعده جاء في أول ص: ١٣٧ .

(١) مقدمة التحقيق ص : ٧٤ .

أما الصورة رقم (٢٧٧) التي قال المحقق عنها: إنها أخذت هذا الرقم من الرقم المكرر للصورة رقم (١٣٧) ولم يتصل بها ما قبلها ، كما لم يناسبها ما بعدها، فهي حشو في وضعها الثاني . وقد كتب عنها المحقق في الهامش رقم (١) في الجزء الأول من المطبوع ص (٢٦٣: هي ص: (١٣٧) كررت هنا، وأخذت رقم (٢٧٧) . وقد أسقط المحقق هذه الصورة ، ولم يضعها في موضعها ، علما بأنها مرتبطة بما قبلها وبما بعدها تمام الارتباط ، وفيما يلي بيان من واقع الصورة : آخر ص (٢٧٦) من المصورة قوله: (وإن ثنى ألحق الألف). وأول ص: (٢٧٧) قوله: (على ما وصفت لك ، فقال الهدان قامت، فالتاء علامة التأنيث والألف للتثنية). وآخر ص: (٢٧٧) قوله: (وذلك قولك: رأيتك ومررت) وأول ص: (٢٧٨) قوله: (بك للمخاطب) فالجار والمجرور (بك) متعلق بممرت. وقد ترك المحقق سطرًا خاليا من الكتابة ، مليئا بالنقط المتجاوزة كأنها علامة حذف للوحة رقم (٢٧٧) . والصور المرفقة

مصدق ذلك (١٣٦، ١٣٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨).

* ص : (٥٥٠-٥٩٠) من المجموع الأول وضعت كل واحدة منهما مكان الأخرى. ويستقيم الكلام بوضع كل منهما في موضعها. وقد كتب المحقق عن ذلك في هامش الصفحة رقم (٢٨٢) من الجزء الثاني المطبوع يقول: وضعت في النسخة ص: (٥٩٠) مكان ص: (٥٥٠) كل منهما مكان الآخر خطأ ، فجاء الاضطراب في الموضعين . وينقل ص: (٥٩٠) إلى هنا يستقيم الكلام ، كذلك بوضع (٥٥٠) هناك استقام الكلام. وكتب في هامش ص: (٣٢٢) من نفس الجزء المذكور آنفا : نقلنا ص: (٥٥٠) مكان ص: (٥٩٠) كما فعلنا العكس واستقام الكلام في الموضعين. وهاتان الصورتان قد جاءت كل منهما في موضعها، فالرقم الذي قبل رقم: (٥٥٠) هو رقم (٥٤٩) وكلتا الصفحتين في لوحة واحدة ، وكذلك الرقم الذي قبل رقم : (٥٩٠) هو رقم : (٥٨٩) وكلتاها في لوحة واحدة. ولكن المحقق

أصر على أن يثبت الخط في الهامش ، فوضع (٥٩٠) في التسلسل بعد (٥٤٩) ووضع (٥٥٠) بعد (٥٨٩) والرقم الصحيح هو الذي تنطق به الصورة في الموضعين . وكان الأخرى وضع كل منهما مكان الأخرى. ولا نستطيع تعليل هذا ، إلا بأن يكون الخلط واختلال الترتيب قد وقع بعد التصوير، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يقول به. وقد سبقت الشيخ إلى إصلاح هذا الخطأ في رسالتي ص: (١٢٥، ١٢٦) "وقلت : وهاتان الصورتان في (١٥٢٥-نحو) هما رقم (٥٩٠) ورقم (٥٥٠) وضعت كل منهما مكان الأخرى خطأ وذلك في القسم الثالث من الجزء الثاني" والمتفق عليه أن تصحيح الخطأ واجب .

* نقل الشيخ صفحتين من الجزء الأول إلى الجزء الثالث، وكتب في هامش ص: (٢٦٠) من الجزء الأول المطبوع رقم (٣): صفحتا: ٢٧٣، ٢٧٤ وضعتا هنا خطأ ، ومكاهما بعد ص: (١٥) من الجزء الثالث، وبنقلهما إلى هناك التحم الكلام. وهذا النقل من تصحيح الخطأ أيضًا .

وقد أنكرت الوضع الذي عليه
المقتضب من قبل أن يحقق، كما أنكرت
هذا الوضع الذي آل إليه بعد التحقيق،
لأن عمل المحقق لم يشف الغليل، ولم
يفصح عما يحويه هذا السفر القيم، ولقد
شبهته بعقد ثمين انفرطت حباته، فضاعت
بهجته ونقصت قيمته، وأصبح في حاجة
إلى عليم خبير يعيد له هذه البهجة،
ويضيف إليها تلك القيمة. لقد درست
هذا الكتاب بعد التحقيق دراسة جادة،
وعادت صليتي به أقوى مما كانت عليه قبل
التحقيق.

وقد فات المحقق أن يحصل على
صورة أخرى من الأصل المودع بتركيا،
قد تفيده في عمله، فاستدركت هذا الأمر
وحصلت على أصل هذه الصورة
(ميكرو فيلم) وقمت فور ذلك بمراجعته
على الأصل المحفوظ بدار الكتاب،
فوجدته طبق الأصل منه قبل أي تغيير في
الصواب وفي الخطأ فانصرفت عن التفكير
في تكبيره. ثم نظرت في الأرقام التي
وضعت على صور الصفحات فإذا هي

(*) تحقيق النصوص ونشرها : ٥٧ .

أرقامنا التي نستخدمها الآن، وليس بينها
وبين الخط المكتوب في القرن الرابع
المجري صلة، لأن الأرقام الحديثة قد طرأ
عليها بعض التغيير فالواحد والثلاثة
والسبعة والثمانية والتسعة لم تتغير، أما
الاثنان والأربعة والخمسة والستة والعشرة
فإن رسمها في القرن الرابع المجري هكذا
(٢-ع-كا-٦-١٥)(*)

ولو تنبه المحقق إلى أن هذه الأرقام
المدونة على صفحات المصورة ليست بخط
الناسخ، ومدادها ليس بالمداد الذي كتبت
به النسخة، وليس بين هذه الأرقام وخط
الكتاب صلة، وقد وضعت بعد خلط
الأوراق واختلال الترتيب، وإحلال بعض
الأوراق محل بعضها الآخر - لو تنبه إلى
ذلك لكان حريا به أن يعدل عنها ويصلح
ما وقع فيها من أخطاء . هذا وقد تعامل
المحقق مع الأرقام في عدة مناسبات من
مقدمة المقتضب ولكنه مر عليها دون أن
ينتبه إلى كيفية كتابتها، ولم يخطر بباله
تاريخ نسخ المقتضب وكيفية رسم الأرقام
في هذا التاريخ شأنه شأن الكثيرين .

القول الفصل في ترتيب الكتاب المقتضب
بعد أن يسر الله لي الحصول على
(ميكروفيلم) للكتاب المقتضب من مكتبة
(كوبريللي راده) قمت بمقابلته بالمصورة
المودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم
(١٥٢٥-نحو) بمعاونة الأستاذ فؤاد سيد
رئيس قسم المخطوطات حينذاك فوجدته
مطابقا لها في الصواب والخطأ، فأمسكت
عن تكبير (الميكروفيلم) وتراخيت سنين
عددا. ثم أصبحت الصورة المكبرة
للمقتضب تحت يدي، وقد جاءت على
خلاف الصورة المكبرة بدار الكتب،
وضوحا وبقاء وصفاء .

لقد قرأت المقتضب في الصورة رقم
(١٥٢٥-نحو) أكثر من مرة، وقرأه
كثيرون من قلبي ومن بعدي، ولكن أحدا
لم يلحظ الأرقام المدونة أمام كل موضوع
من موضوعات الكتاب المقتضب، وقد
كتبت بخط النسخ، وبالمداد الذي كتب
به النص، وبالطريقة التي كانت ترسم بها
الأرقام في تاريخ النسخ سنة ٣٤٧هـ،
على ما أشرت من قبل.

(*) رسالتي للماجستير : ١٢٣ .

لقد أسرعت بالمرور على كل
الأجزاء، ثم أعدت النظر في رموس
الموضوعات فوجدت قرين كل باب رقما
عدديا مكتوبا بخط النسخ، وبالمداد الذي
كتب به النص، وبالطريقة التي كانت
ترسم بها الأرقام في تاريخ النسخ، وقد
جاء ترقيم أبواب الكتاب كلها في
تسلسل عددي واحد من أوله إلى آخره .
" إن كل من يتصدى لقراءة
المقتضب أو الاطلاع عليه، أو الانتفاع به
مسؤول أمام التاريخ وأمام الأمانة العلمية
عما فيه من أخطاء في الترتيب"^(*) وعليهم
أن يشغلوا أنفسهم بالتفكير والتدبر
والدعوة إلى تصحيح الوضع في هذا
السفر.

وما من شك في أن من بعث الكتاب
من مرقده، وأتاح للباحثين فرصة الانتفاع
به لن يحرم أجر المجتهد، وسيظل عمله أثرا
طيبا مشكورا، مهما تكن الأخطاء التي لم
يطرق سبيل تصحيحها. إن مراعاة أرقام
الموضوعات التي يسر الله لي الطريق إلى
الكشف عنها أمر يجب أن نحتكم إليه في

ترتيب الكتاب ترتيباً يطابق أرقام الموضوعات. ومهما يكن في الكتاب المطبوع من أخطاء في الترتيب فإن المحقق مقبول العذر لعدم اكتشاف هذه الأرقام المقارنة لكل موضوع فيه.

لقد نفذت الطبعة الأولى للكتاب، والحاجة ملحة لإعادة طبعه، لكن بعد أن نقوم بترتيبه ترتيباً يطابق ترقيم الأبواب الذي يسر الله الطريق إلى الكشف عنه.

ومما يثير العجب قول المحقق في المقدمة : "فقد صحبت المقتضب منذ ربيع قرن من الزمان . استنسخته لمكتبي، وقربته من نفسي، وبقيت حفياً به، مراعيًا له، مقبلاً عليه"^(*) . ومع هذا كله لا ينتبه لأرقام الموضوعات .

إن تجربة الشيخ في تحقيق المقتضب فيها صواب كثير، ولكنها لم تحل من هنوات تجب ملاحظتها عند إعادة الطبع، وأرجو ألا يقتصر الأمر على ذلك وأن تراجع هذه التجربة مراجعة دقيقة لكي يبرأ الكتاب من كل عيب، وتقرب التجربة من الكمال، فلا يبقى على خطأ

(*) مقدمة المقتضب ص : ٥ .

مهما كان يسيراً.

إن هذه الصورة التي اعتمد عليها الشيخ صورة سلبية، تعرض الدارس للوقوع في كثير من الأخطاء، ولعلها من أسباب انصراف الباحثين عن هذا الكتاب، فضلاً عما فيه من أخطاء الترتيب واختلال الأوراق واختلاط بعضها ببعض.

وليس من الخطأ بأرقام الموضوعات التي اكتشفت أخيراً، لأن تصويره الأول مما يساعد على خفاء هذه الأرقام. وقد اشترك في هذا كل من اطلع على هذا الكتاب قبل التحقيق وبعده، ومن هؤلاء: * قسم المخطوطات بدار الكتب، وتقصيره في عدم عرض هذه الهدية على لجنة التراث التي تضم عدداً من المختصين. * أهل العلم الذين أتاحت لهم فرصة الاطلاع عليه.

* الطلاب وأصحاب الرسائل الجامعية الذي رجعوا إلى المقتضب واستعانوا به مرجعاً أساسياً في رسائلهم .

* أصحاب الكتب الذين رجعوا إليه ،

ونقلوا عنه.

* الناسخون الذين قدموا لدار الكتب المخطوطة رقم (١٩٠٩- نحو) والآخرون الذين قدموا لجامعة القاهرة المخطوطة رقم (٢٦٠٦١- نحو) والمشرّفون على النسخ هم المسؤولون.

وإذا كان التصوير رديئاً فلا بد أن تكون الأخطاء كثيرة، وعندما تسلمت الصورة المكبرة عن الميكروفيلم وجدت الأرقام بخط غير خط الكتاب ووجدت أن بعضها قد محيت أجزاء منه، فقامت بتوضيحها على صور المقتضب، ووجدتها كاملة في تسلسلها، ولم يسقط منها إلا رقم (٤٠٤) من الجزء الثاني، وقد علق المحقق على هذا في الهامش رقم (٦) من الصفحة رقم (١٢٠) في خمسة عشر سطراً، لكي يجيب على السؤال: (هل نقص الكتاب صفحة؟) وقد وضع علامة الحذف في ثلاثة أسطر في نفس الصفحة. وليس لهذا الأمر داع. وقد صورت النسخة ثانية لتبقى الصورة الأولى على ما هي عليه، كي تكون مرجعاً معتمداً للتحقيق الأول لهذا الكتاب، وبيانا صادقاً

لما صعبه المحقق من تعبيرات ، وتقديراً لما بذل من جهد .

أما الصورة الثانية فسأبقى فيها على نص الكتاب، وأصرف النظر عن أرقام الصفحات التي كتبت بعد خلط الأوراق فيها، وحالفت نظام الكتابة الموافق لتاريخ النسخ، وليس هذا إهداراً لهذه الأرقام، إنما هو تصحيح لحطاً لا يجوز السكوت عليه.

ولابد بعد هذا من ترقيم الصفحات بعد الترتيب الموافق لأرقام الموضوعات، ثم يكون لنا الخيار في التحقيق بين الأمور الآتية:

* أن نبقى على تحقيق الشيخ مع إصلاح كل ما يخالف ترتيب الموضوعات والإحالات التي تصدق في جملتها بعد الترتيب.

* أن يختصر تحقيق الشيخ، ويستبعد منه كل ما ليس له صلة بالنص المدون في الكتاب المقتضب كالحشو والتكرار والاستطراد وغيرها مما هو بعيد عن النص.

* أن يعاد تحقيق الكتاب ويكتفى بتوضيح الغامض وشرح ما يحتاج إلى شرح على

شرط أن تكون تعليقات الشيخ وحواشيه هي المرجع الأول .

وفيما يلي بيان موجز للموضوعات العشرين الأولى من الجزء الأول المرتب، اكتفيت فيه بذكر رقم الباب وعنوانه ورقم اللوحة من الجزء المصور ورقم الصفحة من الجزء المطبوع. ثم يلي ذلك عرض موجز لترتيب الأبواب في بقية الكتاب.

الجزء الأول

بدأ بالبسملة، وجاء بعدها: "هذا تفسير وجود العربية وإعراب الأسماء والأفعال" وليس أمام هذا العنوان رقم. وهو في اللوحة رقم (٤) من المصور. وفي الصفحة رقم (٣) من المطبوع. وجاء بعده الباب الثاني . وعنوانه: "هذا باب الفاعل" وأمامه رقم (٢) وهو في اللوحة رقم (٨) من المصور. وفي الصفحة رقم (٨) من المطبوع. وجاء بعده الباب الثالث. وعنوانه: "هذا باب حروف العطف" وأمامه رقم (٣) وهو في اللوحة رقم (١١) من المصور. وفي الصفحة (١٠) من المطبوع. وجاء بعده الباب الرابع.

وعنوانه: "هذا باب من مسائل الفاعل والمفعول به" وأمامه رقم (٤) بخط الناسخ، وبمنظام الكتابة الموافق لتاريخ السسخ. وهو في اللوحة رقم (١٤) من الجزء الأول المصور. وفي اللوحة رقم (٣٨٢) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٣) من الجزء الأول المطبوع.

عمل المحقق :

وقد نقل المحقق عشر لوحات من الجزء الرابع المصور إلى الجزء الأول المطبوع، تبدأ من (٣٨٢) وتنتهي برقم (٣٩١) وقد احتفظ بأرقامها ودونها على هامش الصفحات المطبوعة من الجزء الأول . وقد وافقت أرقام الصور المنقولة من الجزء الرابع أرقام الصفحات المطبوعة من الجزء الأول (من ١٣-٢٥) على النحو الآتي:

٣٨٢=١٣ ، ٣٨٣=١٤ ، ٣٨٤=١٥ ،
٣٨٥=١٦ ، ٣٨٦=١٨ ، ٣٨٧=١٩ ،
٣٨٨=٢٠ ، ٣٨٩=٢١ ، ٣٩٠=٢٤ ،
٣٩١=٢٥ .

ثم يجيء الباب الثامن . وعنوانه " هذا باب إعراب ما يعرب من الأفعال وذكر عواملها والإخبار عما بنى منها " . وأمامه رقم (٨) . وهو في اللوحة رقم (٤٠٧) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٨٠) من الجزء الرابع المطبوع . ثم يجيء الباب التاسع .

وقد جاز الزمان على رقمه فمجاه . وعنوانه : " هذا باب الفعل المتعدي إلى مفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد " . وهو في اللوحة رقم (٤٠٤) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٨٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب العاشر . وعنوانه : " هذا باب من مسائل كان وأخواتها " . وأمامه رقم (١٠) .

وقد رسمت العشر بنقطة مجوفة هكذا (١٥) وهو في اللوحة رقم (٤٢٢) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٩٨) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب الحادي عشر . وعنوانه : " هذا باب الأحرف الخمسة المشبه بالأفعال " وأمامه رقم (١١) . وهو في

وهذه اللوحات العشر أول ما يتعين نقله من الجزء الرابع إلى الجزء الأول . ثم جاء الباب الخامس .

وعنوانه : " باب . وتقول في مسائل طوال يستحق بها المتعلمون " وأمامه رقم (٥) الذي رسم بخط النسخ الموافق تاريخ الأرقام . وهو في اللوحة رقم (٣٨٩) من الجزء الرابع المصور .

وفي الصفحة رقم (٢٢) من الجزء الأول المطبوع .

ثم يجيء الباب السادس .

وعنوانه : " هذا باب المفعول الذي لا يذكر فاعله " وأمامه رقم (٦) . وهو في اللوحة رقم (٣٩١) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٥٠) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب السابع . وعنوانه : " هذا باب من إعمال الأول والثاني ، وهما الفعلان اللذان يعطف أحدهما على الآخر " . وأمامه رقم (٧) . وهو في اللوحة رقم (٤٠١) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٧٢) من الجزء الرابع المطبوع .

اللوحة رقم (٤٢٧) من الجزء المصور. وفي الصفحة رقم (١٠٧) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب الثاني عشر . وعنوانه: "هذا باب من مسائل باب كان وباب إن في الجمع والتفرقة. وأمامه رقم (١٢) . وهو في اللوحة رقم (٤٣٣) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١١٥) من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الباب الثالث عشر. وعنوانه: "هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما ما لا يستغني كل واحد عن صاحبه " وأمامه رقم (١٣). وهو في اللوحة رقم (٤٤٢) ، ٤٤٣ من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٢٦) من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الموضوع الرابع عشر. وعنوانه : "هذا باب الإضافة " . وأمامه رقم (١٤). وهو في اللوحة رقم (٤٥١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٣٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب الخامس عشر. وعنوانه: "هذا باب اسم الفاعل الذي مع الفعل

المضارع" وأمامه رقم (١٥). وهو في اللوحة رقم (٤٦١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٤٨) من الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء الباب السابع عشر بعد. وعنوانه: "هذا باب الصفة المشبهة. بالفاعل فيما يعمل فيه، وإنما تعمل فيما كان من سببها، وذلك كقولك: هذا حس الوجه وكثير المال" . وأمامه رقم (١٧). وهو في اللوحة رقم (٤٧١) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (١٥٨) من الجزء من الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء الباب الثامن عشر بعد ذلك . وعنوانه: "هذا باب من المفعول، ولكننا عزلناه مما قبله لأنه مفعول فيه وهو الذي يسميه النحويون الحال". وأمامه رقم (١٨). وهو في اللوحة رقم (٤٧٧) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٦٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ويجيء الباب التاسع عشر بعد . وعنوانه: "هذا باب الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وفاعله مبهم، ولا يتصرف تصرف غيره من الأفعال، ويلزم طريقة واحدة لأن

وجاء الباب رقم (٢٤) ورقمه واضح.
وجاء بعده باب محي رقمه ، وهو الباب
رقم (٢٥).

وجاء بعده الباب السادس والعشرون،
وقد ظهر رقمه. ثم جاء باب لم يظهر
رقمه، وقد أضفت إليه رقم (٢٦ مكرر).

وقد ظهرت أرقام الأبواب متتابعة من رقم
(٢٧ إلى رقم ٣٣) . ثم جاء باب بدون
رقم، وقد وضعت أمامه رقم (٣٤).

وكذلك جاء بعده باب بلا رقم ، وقد
وضعت أمامه رقم (٣٥) وهنا سبعة أرقام
لسبعة أبواب نقصت من الكتاب من
(٣٦ - ٤٢) وبعدها جاء الباب رقم (٤٣)
وقد ظهر رقمه.

ثم جاء بعده باب بلا رقم ، فوضعت
أمامه رقم (٣٤ مكرر).

ثم تظهر أرقام الأبواب ابتداء من رقم
(٤٤) إلى رقم (٧٢).

وقد أظهرت رقم (٧٣) لأن بقاياها تدل
عليه. والأبواب رقم : (٧٤، ٧٥، ٧٦)
أرقامها كلها ظاهرة. وهذه هي آخر
الجزء الرابع المحقق، وقد نقل إلى الجزء
الأول.

المعنى لزمه على ذلك، وهو باب
التعجب". وأمامه رقم (١٩) وهو في
اللوحة رقم (٤٨٤) من الجزء الرابع
المصور. وفي الصفحة رقم (١٧٣) من
الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء بعد ذلك الباب العشرون وعنوانه:
"هذا باب ما جرى في بعض اللغات بحرى
الفعل لوقوعه في معناه وهو حرف جاء
لمعنى ، ويجري في غير تلك اللغة بحرى
الحروف غير العوامل ، وذلك الحرف (ما)
النافية" وأمامه رقم (٢٠). وهو في اللوحة
رقم (٤٩٩) من الجزء الرابع المصور. وفي
الصفحة رقم (١٨٨) من الجزء الرابع
المطبوع.

وبقية أبواب الجزء تكاد تطرد في تسلسلها
العددي. والذي يهم القارئ أن توصف
حالة الأرقام من حيث الوضوح والخفاء
والنقص والتكرار .

ثم جاء الباب رقم (٢١) والباب رقم (٢٢)
والباب (٢٣) وأرقامها ظاهرة أمام العناوين.
وبعدها باب بلا رقم ، وضعت له رقم
(٢٣ مكرر) لضرورة التسلسل فيما
بعده.

وبيانات هذه الأبواب فيما يأتي :

الباب الرابع والسبعون. وأمامه رقم (٧٤).
وعنوانه: "هذا باب الجمع بين إلا وغير،
والحمل على المعنى إن شئت".

وهو في اللوحة رقم (٦٧٧) من الجزء
الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٤٢٦)
من الجزء الرابع المطبوع. وبعده الباب
الخامس والسبعون. وأمامه رقم (٧٥).
وعنوانه " هذا باب الاستثناء بليس ولا
يكون" وهو في اللوحة رقم (٦٧٩) من
الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم
(٤٢٨) من الجزء الرابع المطبوع .

وبعده الباب السادس والسبعون. وأمامه
رقم (٧٦) . وعنوانه: "هذا باب ما
حذف من المستثنى تخفيفا واجتزأ بعلم
المخاطب" وهو في اللوحة رقم (٦٧٩)
من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة
رقم (٤٢٩) من الجزء الرابع المطبوع .

وبهذه الموضوعات الثلاثة ينتهي النقل من
الجزء الرابع ، وهي آخر الجزء الرابع
المحقق.

ثم نعود إلى الجزء الأول فنجد أرقام
الأبواب التي وضعت فيه بعد الباب الرابع

تبدأ من رقم (٢٧٤) وعنوان هذا الباب:
"هذا باب ما كان لفظه مقلوبا فحق ذلك
أن يكون لفظه جاريا على ما قلب إليه".
وقد وضع هذا الباب اجتهادا في الجزء
الأول المحقق في الصفحة رقم (٢٩) .
وموضع هذا الباب في الجزء الرابع الذي
بدأ بالباب المنبه عليه في آخر الجزء الثالث
يقول المؤلف: تم الجزء الثالث والحمد لله
رب العالمين ، ويتلوه في الجزء الرابع من
كتاب المقتضب:

" هذا باب إيضاح الملحقه وتبيين الفصل
بينها وبين غيرها".

وقد ظهر الرقم الخاص بهذا الباب أمام
العنوان وهو رقم (٢٦٣) تاليا آخر رقم
في الجزء الثالث وهو رقم (٢٦٢) ثم
تسلسلت الأرقام بعد دون نقص إلى رقم
(٢٧٤) الذي ذكر عنوانه وبيانه من قبل،
وهذه الأبواب كلها تأتي في الجزء الرابع
المرتب.

وقد سجل المحقق في الهامش رقم (٢) من
صفحة (٢٩) قوله:

نقلنا بقية ص (٣٨١) من الأصل
والصفحات (٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥،

جليا، وهو رقم (٧٨) وعنوانه: "هذا باب المضممر المتصل. ورقم اللوحة التي حاء فيها هو رقم (٢٧٥) من الجزء الأول المصور، وهو الصفحة رقم (٢٦١) من الجزء الأول المطبوع .

* ولأنها في صدر صفحة وفي أول سطر منها، وهذا علامة على سقوط شيء قبلها. * وقد بدئت بحرف الاستثناء (إلا) وهو من الحروف التي لا يبتدأ بها فهي تكملة لباب سقط من أوله قدر غير معلوم.

* وفيها دلالة على موضوع هذا الباب، ولعله عن إعراب جمع المذكر والملحق به إعراب الواحد بخلاف المثني. وقد ورد هذا في الجزء الثالث والرابع . والباب الذي أتمته هذه العبارة يمكن أن يكون رقمه (٧٧). ثم يأتي بعده الباب رقم (٧٨) كما ذكر. ويظهر من بعده رقم الباب (٧٩) وعنوانه: "هذا باب الإضممار الذي يلحق الواحد الغائب وتفسير أصله. وأين يجوز أن يبدل من الواو التي تلحقها الياء والعلة في ذلك".

كذلك يظهر رقم الباب (٨٠) وعنوانه: "هذا باب ما يختار فيه حذف الواو والياء

٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠) وشيء من ص (٣٩١) إلى الجزء الأول المطبوع ص ١٣ - ٢٩. وللشيخ في هذا النقل أجر من اجتهد فأخطأ .

وفي الهامش رقم (٣) من صفحة (٢٦٠) من الجزء الأول المطبوع قال المحقق: صفحتنا (٢٧٣، ٢٧٤) وضعنا هنا خطأ، ومكانهما بعد صفحة (١٥) من الجزء الثالث. وبنقلهما إلى هناك التحم الكلام أهـ. وأصبح لدينا دليل على النقص ، لأن آخر لوحة (٢٧٢) عبارة (يقول) وجمليتها لم تتم . وفي صدر اللوحة رقم (٢٧٥) هذه العبارة :

"إلا نوعا واحدا ، لا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا ، كما يقع جمع أكثر من جمع". ولم يعلق المحقق على هذه العبارة وكان الواجب يقتضي أن يشتها في نص الكتاب للأسباب الآتية :

* لأنها جزء من النص، والتحقيق أداء النص كاملا .

* ولأنها أتت ختاماً لباب من أبوابه، بدليل إردافها بباب ظهر رقمه واضحا

السيب تستابع أرقام الأبواب
(٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦) ظاهرة.

ثم يعدو الزمن على رقم الباب (٨٧)
فيمحوه، ولا تظهر منه إلا آثار لا ترشد
إليه، لكنه مرتبط بما قبله وبما بعده تمام
الارتباط من حيث المحتوى ، فأظهر الرقم.
وبعده باب عنوانه: "هذا باب الواو"
وأمامه رقم (٨٨) وهو في اللوحة رقم
(٣١٢) من الجزء الثاني المصور . وفي
الصفحة رقم (٢٥) من الجزء الثاني المطبوع.
ولا تظهر أرقام الأبواب (٨٩، ٩٠، ٩١،
٩٢) وهي:

(٨٩) هذا باب (أو) . (٩٠) هذا باب
(أن). (٩١) هذا باب (الفعل بعد أن) .
(٩٢) هذا باب (حتى) . وهذه الأبواب
في اللوحات (٣١٥ - ٣٢٨) من الجزء
الثاني المصور.

وفي الصفحات (٢٨ - ٤١) من الجزء
الثاني المطبوع.

ثم يتتابع ظهور أرقام الأبواب من (٩٣ -
١٠٢) .

ثم يستكرر هذا الرقم (١٠٢) بعد باب لم
يظهر رقمه ، ولكنه مرتبط بالباب المرقم

من هذه الهاءات" وهو في اللوحة رقم
(٢٨١) من الجزء الأول المصور، وفي
الصفحة رقم (٢٦٦) من الجزء الأول
المطبوع. والباب الذي بعده عنوانه: "هذا
باب إصمار جمع المذكر" ولم يظهر له
رقم، ولكن هذه الأبواب الأربعة الأخيرة
في موضوع واحد، وتسلسل الترقيم
يقتضي أن يضع رقم (٨١) للباب الذي
لم يظهر له رقم، ويؤيد هذا ظهور الرقم
(٨٢) في مستهل الجزء الثاني ، وبهذا تتم
أبواب الجزء الأول بعد الترتيب واحدا
وثمانين بابا على وجه التقريب .

الجزء الثاني

يبدأ الجزء الثاني من الكتاب المقتضب
بالسبب الثاني والثمانين، وقد ظهر الرقم
واضحا أمام الباب المعين لبدء هذا الجزء،
كما في العبارة الآتية: تم الجزء الأول يتلوه
في الجزء الثاني باب عنوانه: "هذا باب
إعراب الأفعال المضارعة، وكيف صار
الإعراب فيها دون سائر الأفعال . وأمامه
رقم: (٨٢) وهو في اللوحة رقم (٢٩٢)
من الجزء الثاني المصور. وفي الصفحة رقم
(١) من الجزء الثاني المطبوع. وبعد هذا

الجزء بنقص باب هنا أو نقص الرقم وحده.

وفي وضوح تام تجيء أرقام الأبواب من (١٢٣) إلى (١٣٦).

ونفاجاً بعد ذلك بتكرار الأرقام (١٣٣)، (١٣٤، ١٣٥، ١٣٦) مع أبواب جديدة في نفس الباب غير ما تقدم.

ثم يظهر رقم (١٣٧) ورقم (١٣٨) ولا يظهر رقم (١٣٩) قرين الباب الذي بعدهما وعنوانه: "هذا باب تحقيق الظروف من الأرمنة" وهو في اللوحة رقم (٥٤٢) المصورة من الجزء الثاني ، وفي الصفحة رقم (٢٧٥) من الجزء الثاني المطبوع.

وابتداء من رقم (١٤٠) إلى آخر هذا الجزء الذي انتهى بالموضوع رقم (١٦٧) لم يستعص على القراءة إلا رقم (١٤٣) ولكن ارتباط الموضوع بما قبله ناب عن الظهور ، فوضعنا هذا الرقم في تسلسله.

فإذا أضيفت الأرقام الأربعة المكررة إلى عدد أبواب هذا الجزء بلغ (٨٩) بابا ، وجاء بعد ذلك قوله: تم الجزء الثاني والحمد لله رب العالمين يتلوه في الجزء

قبله تمام الارتباط. والباب المرقم قبله عنوانه: "هذا باب الأفعال التي تدلها ألف الوصل والأفعال الممتعة من ذلك". والباب غير المرقم عنوانه: "هذا باب دخول ألف الوصل في الأسماء غير المصادر".

ثم يحىء باب عنوانه: "هذا باب أفعال المطاوعة" يحمل رقم (١٠٣) وتظهر الأرقام واضحة إلى رقم (١٠٣) وتظهر الأرقام واضحة إلى رقم (١١٠).

فإذا وصلنا إلى الباب الذي يتلوه وجدنا الساقى مه رقم (١) وبجواره جزء صغير من الرقم الذي يليه، وقد بدأ كالنقطة المسمطة، وانمحت آثار الواحد الثالث الذي يكمل الرقم (١١١) بينته على الصورة الثانية .

ثم يتتابع ظهور أرقام الأبواب من رقم (١١٢) إلى رقم (١٢٠).

فإذا دققنا النظر في رقم الباب (١٢١) وجدنا الباقي منه ثلاثة أجزاء رسمها هكذا (١-١) وهو مرتبط بما قبله وبما بعده. ونقص بعده رقم (١٢٢) ولا نستطيع

الثالث : " هذا باب أن المفتوحة وتصرفها".

الجزء الثالث

بدأ هذا الجزء بالباب الذي عين آخر الجزء الثاني ، وهو : "هذا باب أن المفتوحة وتصرفها" وقد ظهر رقم الباب بجوار عنوانه يتلو رقم الموضوع الأخير في الجزء الثاني .

وبدأ الجزء الثالث بالباب رقم (١٦٨) وتتابع أرقام الأبواب في تسلسلها ظاهرة واضحة إلى آخر هذا الجزء ، وقد انتهى بالباب رقم (٢٦٢) أمام عنوانه وهو : "هذا باب الأمثلة التي يمثل بها أوزان الأسماء والأفعال".

ومن حسنات المحقق - رحمه الله - أنه نقل لوحيتين من الجزء الأول هما رقم (٢٧٣، ٢٧٤) من النسخة المصورة، نقلهما إلى موضعهما في الجزء الثالث، وقد دون في هامش الجزء الأول من النسخة المطبوعة ص (٢٦٠) هذه العبارة أمام الهامش رقم (٣): صفحتا (٢٧٣، ٢٧٤) وضعنا هنا خطأ ، ومكانهما بعد ص (١٥) من الجزء الثالث

ونقلهما إلى هناك التحم الكلام . وفي صدر ص (٢٧٥) من الجزء الأول المصور هذه العبارة: (إلا نوعا واحدا، لا يكون اثنين أكثر من اثنين عددا كما يقع جمع أكثر من جمع).

ولم يعلق المحقق عليها مع دلالتها على نقص قبلها، كما وضحت ذلك فيما سبق.

تم إعادة تدوين هذه الملاحظة في الجزء الثالث ص (٢٣) من النسخة المطبوعة، في الهامش رقم (٢) وذلك عند بدء الصفحة رقم (٢٧٣) من الجزء الأول المصور - قال في هذا الهامش:

وضعت الصفحتان خطأ في الجزء الأول فنقلناهما إلى وضعهما هنا، وانظر كيف استقام الكلام، وارتفع الاضطراب ، واطرد الحديث، حتى الجملة الواحدة استكملت متعلقا بوضع هاتين الصفحتين، والاتصال كان مع ما قبلهما ومع ما بعدهما أتم اتصال .

وقد سلم الجزء الثالث بتسلسل أرقام الأبواب، وجاءت في آخره هذه العبارة ، تم الجزء الثالث والحمد لله رب العالمين.

يتلوه في الجزء الرابع من كتاب المقتضب:
"هذا باب إيضاح الملحقه وتبيين الفصل
بينها وبين غيرها".

الجزء الرابع

بدأ هذا الجزء بالموضوع الذي نبه عليه في
آخر الجزء الثالث بقوله: تم الجزء الثالث
والحمد لله رب العالمين. يتلوه في الجزء
الرابع من كتاب المقتضب: " هذا باب
إيضاح الملحقه وتبيين الفصل بينها وبين
غيرها".

وقد ظهر بجوار هذا العنوان رقم الباب
واضحا، وهو رقم (٢٦٣) وجاءت بعده
أرقام الأبواب واضحة حتى وصل إلى رقم
(٢٧٤) في اللوحة رقم (٣٨١) من
المصورة في الجزء الرابع قبل الترتيب.
وعنوان هذا الباب رقم (٢٧٤) : " هذا
باب ما كان لفظه مقلوبا، فحق ذلك أن
يكون لفظه جاريا على ما قلب إليه".

فمن ذلك قسي ، وإنما وزمها فعول، وكان
ينبغي أن يكون/ وبعد هذه العبارة في
اللوحة رقم (٣٨٢) جاء قوله: " بدلا منه"
ولا ارتباط بين هاتين العبارتين، كما
ترى.

وقد قام المحقق بنقل تنمة العبارة الأولى من
الجزء الأول لوحة رقم (١٧) وهي قوله:
قوروس لأن الواحد قورس ..

وقد علق على ذلك في الهامش رقم (١)
من الصفحة رقم (٢٩) من الجزء الأول
المطبوع فقال : نقلنا هذا من الجزء الرابع،
لأن هنا مكانه ، وانظر: كيف استقام
الكلام، فجزءا الجملة الواحدة كانا
مفرقين في الجزء الرابع والأول .

وكذلك وضع المحقق للوحة رقم (٣٨٢)
من الجزء الرابع المصور بعد اللوحة رقم
(١٦) من الجزء الأول المصور، وعلق على
ذلك في الهامش رقم (١) من الصفحة
رقم (٢٨) من الجزء الأول المطبوع فقال:
نقلنا من الجزء الرابع ما كان حقه أن
يكون هنا، وانظر : كيف التحم الكلام
ورفع الاضطراب واكتملت الجملة
الواحدة، فقد كان المفعول الثاني لجعل في
الجزء الرابع .

ثم قام بنقل عشرين لوحة من رقم (٥٤٢)
إلى رقم (٥٦١) من الجزء الرابع المصور
ووضعها بين اللوحتين رقم (٥٢١) ورقم
(٥٢٢) من الجزء نفسه .

ومما لا شك فيه أن مسائل الفاعل والمفعول مكانها هنا، ويؤكد ذلك تأليف سعيد الفارقي فقد سمي كتابه: (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب). وبدأ بالمسائل الأولى ، وهي المذكورة في عجز ص (٣٨٢) من المجموع الثاني بالجزء الرابع.

وقد رأيت أن أكتفي بنقل مسائل الفاعل والمفعول . أما نائب الفاعل ومسائله والمسائل الأخرى فأبقيتها في الجزء الرابع، لأن هدفنا أن يستقيم الكلام، ويرتفع الاضطراب، وإن كنت أعتقد أن نائب الفاعل ومسائله وما بعدها - مما كان في صدور الكتاب، كما يشهد بذلك صنيع الفارقي في كتابه .

هذا التعليق وضعه المحقق في ص (١٣) من الجزء الأول المطبوع. وفيه يقرر اعتقاده بأن موضع المسائل المشكلة هو صدر الكتاب، ولكن هدفه استقامة الكلام.

وأضيف إلى هذا فقرة من مقاله المنشور في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعنوان: "تجربتي في تحقيق التراث" يقول في هذه

وهذا النقل تصحيح لخطأ وقع في داخل الجزء الرابع المطبوع، وتأكيد لوضع الأرقام على الصور بعد اختلاط الأوراق. ودليل هذا أنه لم يخل بنظام ترقيم الأبواب، ففي أثناء هذا العدد من اللوحات جاءت الأبواب متتابعة في موضوع واحد هو النداء.

ونقل إلى الجزء الأول من الجزء الرابع اللوحات المصورة من رقم (٣٨٢) إلى رقم (٣٩١) وهي عشر لوحات وضعها بعد خمسة أسطر من اللوحة رقم (١٤)، وبعد هذا التغيير أتى بباب من الجزء الرابع في اللوحة رقم (٣٨٢) عنوانه: "هذا باب من مسائل الفاعل والمفعول به" وعلق على هذا في هامش بلا رقم بقوله: "العنوان لمسائل الفاعل والمفعول به، ولكن الحديث عن البديل وأقسامه.

وبعد أن ذكر ثلاثة أقسام من البديل انتقل فجأة إلى القلب المكاني في قسي، ونجد في ص (٣٨١) من المجموع الثاني عنوانا للقلب المكاني، وفي بدء حديثه عن قسي ينتقل إلى بدل الغلط في ص (٣٨٢) ثم إلى مسائل من الفاعل والمفعول.

محض خيال .

وصفحة عنوان الجزء الرابع رقم (٣٤٤) وقد سقطت ثلاثة أرقام قبلها هي (٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣) وابتداء الجزء الرابع في اللوحة رقم (٣٤٥) وفي أولها : "بسم الله الرحمن الرحيم" هذا باب إيضاح الملحق وتبين الفصل بينها وبين غيرها (٢٢) ورقم هذا الباب (٢٦٣) وقد ظهر أرقام الأبواب من رقم (٢٦٣) إلى رقم (٢٧٤) وعنوان الباب رقم (٢٧٤) هو "هذا باب ما كان لفظه مقلوبا فحق ذلك أن يكون لفظه جاريا على ما قلب إليه" وقد سبق أن بينا ما نقل من الجزء الرابع إلى الجزء الأول طبقا لترقيم الأبواب وهو قدر كبير يشكل أرقام الأبواب من (٥ - ٧٦) وهو في المصورة من رقم (٣٨٩ - ٦٧٩) وفي المطبوع من رقم (٥٩ - ٤٢٩) وبعد الباب رقم (٢٧٤) تتابع أرقام الأبواب ظاهرة إلا الباب رقم (٢٨٤) فإنه لم يظهر من ترقيمه إلا الأربعة وما قبله وما بعده رقم كل منهما ظاهر وهو مرتبط بهما تمام الارتباط .

الفقرة: "هذه المسائل مكانها في صدر المقتضب ، وقد جاء عنوان مسائل الفاعل والمفعول به" في الصفحة الرابعة عشرة، وعنوان كتاب الفارقي في (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب) ولكننا نجد هذه المسائل في الجزء الرابع.

وتفسيري لهذا أن بعض من تملكوا النسخة بعد السراي - ضاق ذرعا بوضع هذه المسائل في أول المقتضب، فنزعها من مكان ورمى بها في الجزء الرابع.

هذا تفسير المحقق . ولا يستطيع أحد من المشتغلين بالتحقيق أن يجد مسوغا لهذا التفسير للأسباب الآتية :

لأن الخلط في الأوراق والخلل في ترتيبها لم يقتصر على هذه المسائل.

ولأن ترقيم اللوحات لا يقف بجانب هذا التفسير البعيد عن الواقع . ولأن هذا الترقيم إنما وضع لإحصاء عدد الصفحات المصورة قبل تصويرها . ولأنه ليس بين رسم هذه الأرقام ورسم الأرقام المستعملة في تاريخ النسخ صلة.

ولأن قوله: (فنزعها من مكانها ورمى بها في الجزء الرابع) قول غير مقبول لأنه

وذلك أن الباب رقم (٢٨٣) عنوانه: باب معرفة بنات الخمسة بغير زيادة وهو في اللوحة رقم (٥٤) من الجزء الأول المصور وفي الصفحة رقم (٦٨) من الجزء الأول المطبوع. والباب رقم (٢٨٤) عنوانه: باب معرفة الأبنية وتقطيعها بالأفاعيل وهو في اللوحة رقم (٥٧) من مصورة الجزء الأول وفي الصفحة رقم (٧١) من الجزء الأول المطبوع والباب رقم (٢٨٥) عنوانه هذا باب معرفة الأفعال أصولا وزوائدها وهذه كلها مسائل صرفية يرتبط بعضها ببعض. ويترد ظهور الأرقام بعد ذلك إلى الباب رقم (٢٩٤) وهو آخر رقم ظاهر وعنوان هذا الباب: هذا باب ما كان على ثلاثة أحرف مما عينه ياء أو واو وهو في اللوحة رقم (١٠٢) من الجزء الأول المصور وفي الصفحة رقم (١١١) من الجزء الأول المطبوع. ثم يأتي بعد ذلك اثنان وثلاثون بابا لم تظهر أرقامها ولكنها جميعا من مباحث علم التصريف ولا يوجد ما يستند إليه

ترك هذه الأبواب في الجزء الأول لأن الجزء الأول قد اكتملت أبوابه بما جاء منه في أوله وفي آخره وبما نقل إليه من الجزء الرابع.

وكذلك الجزء الثاني تم بأبوابه المتسلسلة الأرقام، والجزء الثالث لم تنقصه إلا الصفحتان اللتان نقلتا إليه من الجزء الأول كما مر. أما الجزء الرابع فما تزال أبوابه مفتوحة.

وخط هذه المجموعة من الأبواب هو خط الكتاب من أوله والكتاب هو مهلهل بن أحمد كما هو مدون في صفحة العنوان. وليس في الأجزاء الثلاثة الأولى المرتبة فراغ رقمي يمكن أن يتسع لهذا العدد من الأبواب.

وهذه الأبواب كلها من مباحث علم التصريف الذي يجيء بعد علم النحو وفيها باب الإدغام الذي ختم به سيبويه أبواب الكتاب والذي قال عنه أبو حيان: الإدغام هو آخر ما يتكلم فيه من علم التصريف^(*) وقد اشتركت هذه الأبواب مع بقية الكتاب في اطراد الخط وعدد

(*) مع الهوامع للسيوطي ٢: ٢٢٥ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

السطور في الصفحات وعدد الكلمات في السطر الواحد ونظام النقط والضبط وغيرها .

خاتمة المقتضب

قال المحقق في الصفحة السادسة والسبعين من مقدمة المقتضب: "بقى شيء آخر قد يشعر بنقص في النسخة وذلك أن المبرد لم يذكر في ختامها ما يدل على أنه أنهى القول وختم كتابه وقد أنهى الكامل بما يشعر بالختم " وقد رجعت إلى آخر كتاب الكامل فوجدت فيه قوله ٢: ٢٩٧ - ط (صبح ١٣٤٧هـ) " وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه " وقوله في الصفحة التالية (٢: ٢٩٨) وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا أنها سذكراها في آخر الكتاب " ثم جاء قوله في (٢: ٣٠٦) " هذا الكتاب قد وفينا جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه " فإذا كان الأسلوب هو الشخص كما يقولون فإن المبرد قد ختم كتابه المقتضب من قبل كما ختم كتابه الكامل فقد جاء في آخر المقتضب بعد الترتيب (والآن في ص: ٢٥٤، ٢٥٥ من الجزء الأول المطبوع)

* قال أبو العباس : كنا قدمنا في أول كتابنا وبعد ذلك أشياء جرى ذكرها لما يشاكلها في مواضعها ولم يكن موضع تفسيرها فوعدنا أن نفسرها إذا قضينا القول فيما قصدنا عند ذكرها فمن ذلك لام الخفض .

* وقال (ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧ من الجزء الأول المطبوع) وكنا ذكرنا في صدر هذا الكتاب أمر الأفعال والأسماء ووعدنا أن نخبر : لما كانت الأسماء على ثلاثة أنحاء وكانت الأفعال على ضريين . ٢. فهذا وقت تفسيره وموضعه .

* وجاء بعد ذلك باب عنوانه: "هذا باب مصطفين" (وهذا الباب في ص ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠ من الجزء الأول المطبوع) ثم جاء بعد العنوان قوله: قال أبو العباس وهذا أيضًا مما لم يفسر .

إذا كان الاسم مقصورا فإنما تأويل قصره أن يكون آخره ألفا هذه عباراته في آخر الكتاب وفي كل عبارة من هذه العبارات المذكورة ما يلفت النظر. ففي العبارة الأولى قوله: "قال أبو العباس" ولم يسبق لهذه العبارة نظير من أول الكتاب إلى هنا

الكامل، ولكن الخاتمة لم تصل إلينا،
لستعرض الأوراق الأخيرة في المخطوطات
لكثير من أسباب البلى . مع العلم بأن
هذه المخطوطة قد مر عليها أكثر من ألف
وسبعين عاما .

وقد أصبحت الصفحة رقم (٢٦٠) من
الجزء الأول المطبوع هي الصفحة الأخيرة
في الجزء الرابع المرتب وهي تقابل اللوحة
رقم (٢٧٢) من مصورة الجزء الأول قبل
الترتيب .

وأخر كلمة في هذه اللوحة هي كلمة
(تقول) وليس بعدها شيء يمكن أن يكون
مقولا للقول وما جاء بعدها في اللوحة
رقم (٢٧٣) قد نقل إلى الجزء الثالث في
موضعه ، وهذا دليل نقص سكت عنه
المحقق بل إنه حذف كلمة (تقول) وملاً
السطر الأخير بالنقط التي يعدها العلماء
علامة للحذف وكذلك العبارة التي
جاءت في صدر اللوحة رقم (٢٧٥) دليل
آخر على النقص الواقع قبلها وقد سكت
المحقق عن التنبيه عليه وقد سبق الحديث
عنها وقد وجدت عبارة بمعناها في الجزء
الرابع المطبوع ص (٣٧٠) وهي في

وكانه يؤكد نسبة الكتاب إلى نفسه قرب
نهايته وفيها قوله: "في أول كتابنا " وهذا
يعني أنه الآن في آخر كتابه.

وفيها قوله : " فوعدنا أن نفسرها إذا
قضينا القول فيما قصدنا له عند ذكرها"
وقضاء القول فيما قصد له المؤلف يعني
انتهاءه والاشتغال بما فاتته من مسائل .

وفي العبارة الثانية قوله: "وكنا ذكرنا في
صدر هذا الكتاب " وهذه العبارة تعني أنه
الآن في آخره. والعبارة الثالثة في أول
"باب مصطفىين" وكأنه يستدرك ما فاتته
فيقول: "وهذا أيضًا مما لم يفسر " وقبل
هذه الاستدراكات جاء باب الإدغام في
آخر المقتضب مهورا بقول المؤلف: "تم
الإدغام" وقد جاءت هذه العبارة مستقلة
في وسط السطر. وكأن الميرد يقول: تم
الإدغام وبتمامه تم هذا الكتاب لأن
الإدغام آخر ما يتكلم فيه من علم
التصريف ولم يبق إلا الاستدراكات التي
سبق ذكرها، وسبق التعليق عليها، وقد
جاء بها وفاء بالوعد قبل أن يضع القلم .

وبإعادة النظر فيما تقدم نرى أن الميرد قد
ختم الكتاب المقتضب من قبل أن يؤلف

(٨١) وهذا الرقم خاتم الجزء الأول وقد وضعته بين قوسين، وهو في اللوحة رقم (٢٨٣) في النصف الأسفل منها، وقد استوعب اللوحات رقم (٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨) وبعد هذا جاء قوله: تم الجزء الأول يتلوه في الجزء الثاني (هذا باب إعراب الأفعال المضارعة ، وكيف صار الإعراب فيها دون سائر الأفعال ؟) وقد ظهر رقم الموضوع الأول من الجزء الثاني وهو (٨٢) .

وقد نقل من الجزء الرابع المطبوع إلى الجزء الأول المرتب قدر كبير يبدأ من ص (٥٩) ويستهي من ص (٤٢٩) ويضاف إلى هذا (٢٩) صفحة من بداية الجزء الأول المطبوع كما يضاف إليه من آخر الجزء المذكور ما يحتمل نقصه قبل صفحة (٢٦١) وما بعد ذلك إلى ص (٢٧٢) وهو آخر الجزء الأول المطبوع .

فليس بين دفتي الجزء الأول المطبوع منه إلا جزء في أوله وجزء في آخره فالجزء الذي في أوله من ص (٣) إلى ص (٢٩) والجزء الذي في آخره من ص (٢٦١) إلى ص (٢٧٢) وعدد صفحات الجزء الذي

اللوحة رقم (٣٧١) وهي قوله:
* " ولم يجوز أن يكون إعراب المثنى كإعراب الواحد، لأن الثنية لا تأتي مختلفة وقد دللنا على هذا في أول الكتاب " ويمكن الربط بين العبارتين هكذا:

لأن الثنية لا تأتي مختلفة (ولا تأتي) إلا نوعا واحدا (لأنه) لا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يقع جمع أكثر من جمع.

لكني أفضل ما قدمت من أن هذه العبارة بقية من الباب رقم (٧٧) بالجزء الأول المرتب وقد ظهر بعدها رقم (٧٨) وعنوان بابيه (هذا باب المضمير المتصل، ثم ظهر رقم (٧٩) وعنوان بابيه " هذا باب الإضمار الذي يلحق الواحد الغائب وتفسير أصله، وأين يجوز أن يبدل من الواو التي يلحقها الياء والعلة في ذلك " وكذلك ظهر بعده رقم (٨٥) وقد رسم الصفر بجوفا كالخمسة وعنوان بابيه (هذا باب ما يختار فيه حذف الواو والياء من هذه الهاءات) ثم جاء بعد ذلك باب عنوانه (هذا باب إضمار جمع المذكر) ولم يظهر قرين العنوان رقم ، ولكن ارتباط هذا الباب بما قبله يحتم أن يكون رقمه

الرابع فقد ظهرت أرقام الأبواب ابتداء من الباب رقم (٢٦٣) وانتهاء برقم (٢٩٣) ثم جاء بعد ذلك اثنان وثلاثون بابا لم تظهر أرقامها ، وقد دونت لها أرقاما ووضعت كلا منها بين قوسين فأصبح الجزء الرابع مكونا مما يأتي .

١- من صفحة العنوان ورقمها (٣٤٤) إلى صفحة (٣٨١) من أصل الجزء الرابع المطبوع .

٢- من صفحة (١٧) من أصل الجزء الأول المطبوع إلى صفحة (٢٧٢) .

أمين علي السيد
عضو الجمع

في أوله (٢٧) صفحة وعدد صفحات الجزء الذي في آخره اثنتا عشرة صفحة، وما بينهما منقول إليه من الجزء الرابع.

وكذلك الجزء الرابع ليس فيما بين دفتيه إلا قدر قليل منه يبدأ من أوله وينتهي في ص (٥٨) وكل ما جاء بعد ذلك منقول إليه من الجزء الأول وتسلسل الموضوعات في الأجزاء الأربعة بعد الترتيب كما يأتي.

الجزء الأول من رقم (١) إلى رقم (٨١)
الجزء الثاني من رقم (٨٢) إلى رقم (١٦٧)
الجزء الثالث من رقم (١٦٨) إلى رقم (٢٦٢)
الجزء الرابع من رقم (٢٦٣) إلى رقم (٣٢٥)
وقد ظهرت الأرقام في الأجزاء الثلاثة الأولى بعد الترتيب في جملتها أما الجزء

التعبير عن معاني ودلالات السوابق (Prefixes)

في اللغة العربية*

للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

معروف أن الاشتقاق عن طريق التصريف الداخلي (internal inflexion) يمثل الطريقة الرئيسية لظهور المفردات الجديدة في اللغة العربية . وفي حقيقة الأمر يكمن معجم اللغة العربية بل معجم اللغات السامية عامة في منظومتين كبيرتين متقاطعتين: منظومة الجذور ومنظومة الأوزان أو الصيغ .^(١) لكن ذلك لا يعني أن اللغات السامية - ومن بينها اللغة العربية - لم تستخدم اللواصق (affixes) إطلاقاً إلا أن عددها كان محدوداً جداً ولم تخلق اللغة العربية لواصق أخرى إلى جانب اللواصق القديمة^(٢) المتمثلة في عدة سوابق (prefixes) (الهمزة والتاء والميم والياء) وعدة لواحق (suffixes) (النون والستاء المربوطة وياء النسبة المشددة وتاء المصدر الصناعي) . وبفضل نظامها الصرفي ونظامها الصوتي وكون الجذور

الثلاثية الأحرف غالبية على نظام جذورها، لم تتأثر اللغة العربية كثيراً بلغات أخرى لا في مجال الأصوات ولا في مجال الصرف إلا بشكل استثنائي طيلة عصور تطورها، بل لم تقتض ولم تستعر اللغة العربية للأسباب نفسها إلا عددًا قليلاً من الألفاظ الأجنبية بالقياس إلى معجمها الضخم . أما اللواصق فلم تدخل اللغة العربية مع هذه الألفاظ إلا بوجه طارئ وبطريق الصدفة .

لكن في العصر الحديث احتكت اللغة العربية باللغات الأوروبية الواسعة الانتشار مثل الفرنسية والإيطالية والإنجليزية، التي تلعب اللواصق دوراً مهماً في تطوير معجمها . وفي عملية تكوين المصطلحات اللازمة لمختلف ميادين العلوم والفنون والحضارة الحديثة أصبح من الضروري أن تعبر العربية عن معاني ودلالات اللواصق

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأربعاء ١٩ من ذي القعدة

سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م .

الموجودة في هذه اللغات أو تقلدها .
ويمكننا القول إنها تمتلك في الوقت الحاضر
مظومات اللواصق في هذه اللغات وتعبّر
عن معانيها ودلالاتها. لكن في نفس
الوقت تحتفظ هذه الأدوات - إذا أمكن
تسميتها هكذا - بمعانيها الأصلية وتدخل
في تراكيب وتعابير عادية بمعانيها
الأساسية .

وباستثناء أداة السفي " لا " تسبق
عادة اسمًا مرفوعًا أو نسبة مرفوعة
وأصبحت بذلك سابقة حقيقية بحيث
تلتصق باللفظ الذي تسبقه ، نجد أن سائر
الكلمات والأدوات المستخدمة لأداء دور
السوابق والتعبير عن دلالاتها لم تكتسب
ملامح السوابق الحقيقية على ما عيّنها
وعرّفها الباحثون ^(٣) . إلا أن جميع هذه
الألفاظ - من حروف وأسماء وأفعال على
مختلف أنواعها - تعبّر عن معاني ودلالات
السوابق بفضل المقابلة بل المضادة في
أحيان كثيرة بين هذه التركيبات وبين
الألفاظ الأساسية.

وفي صدر العصر الحديث اتصل
العرب بالأوروبيين في مختلف ميادين الحياة

المادية والحضارية. وفي مطلع القرن التاسع
عشر بدأ محمد علي يشجع العلاقات
الثقافية مع فرنسا ^(٤) ومنذ ذلك الحين
أثّرت اللغة الفرنسية تأثيرًا مستمرًا في
تحديث اللغة العربية وبالأخص المعجم
العربي بحيث أصبح يتجاوب ويتمشى مع
متطلبات العصر الحديث ، إما عن طريق
استعارة الألفاظ أو عن طريق استعارة
معاني الألفاظ أو عن طريق إيجاد طرق
للتعبير عن معاني ودلالات السوابق
واللواحق القائمة في هذه اللغة . ويبدو أن
تأثير اللغة الإنجليزية بدأ لاحقًا وكان أكثر
محدودية . ونظرًا لأن السوابق التي
ستعرض لها في هذا البحث أخذت نفس
الصيغة أو صيغة مماثلة في الإنجليزية
والفرنسية - رغم كون أصل معظمها في
اللغتين الإغريقية واللاتينية القديمتين -
سنعتمد في حديثنا وفي ذكر الأمثلة
وترجمتها على اللغة الإنجليزية ولن نستعين
باللغة الفرنسية إلا عندما لا نجد الألفاظ
المقابلة في الإنجليزية أو عندما يبدو لنا أن
الصيغة الإنجليزية غير كافية لتفسير
التركيب العربي. وقد مارست اللغتان

- أ - a-,an-,un-,in-,non-,de-,des
 ب - anti-,contra
 ج - mal-,mis
 ٢ - سوابق التشديد بدرجتين :
 ١ - الدرجة العليا: ultra-,extra-,hyper-,super-,sur
 ب - الدرجة السفلى : hypo-,infra-,sous-,sub-
 ٣ - السوابق التي تعبر عن معاني النصف والتقريب : quasi-,pen-hemi-,demi-,semi-
 ٤ - السوابق التي تعبر عن الموقع المكاني والزمني :
 أ - avant-,anté-, pré
 ب - post-
 ٥ - السوابق التي تعبر عن الموقع :
 أ - داخل شيء : intra
 ب - خارج شيء : extra
 ج - بين شيئين : inter
 ٦ - السوابق التي تعبر عن العدد :
 أ - الأفراد : uni-, mono-
 ب - الجمع : multi-, poli-
 ج - الأعداد من اثنين إلى عشرة : bi-, di-, tri-, quadri-(quadru-,quadr-),pent(a)-,hex(a)-,sept-,oct(a)-,nona-,deca-

المذكورتان تأثيرهما على العربية ولا تزالان تؤثران عليها بواسطة وسائل الإعلام وبخاصة الصحافة ، لكن دور الإذاعة والتلفزيون ازداد بوجه ملحوظ في الفترة الأخيرة^(٥).

إن هذا البحث لن يدعى أن يكون شاملاً وافياً، إنما هو محاولة لتناول قضية تناولها بوجه أو آخر باحثون آخرون من قبل وربما تناولها المجمع في دوراته السابقة لكننا نأمل في أن نأتي بإسهام ولو متواضع في تسليط الضوء على هذه القضية وتوضيحها واستخلاص بعض الاستنتاجات على أساس دراسة تزامنية انطلاقاً من أمثلة مختارة من اللغة المعاصرة من الصحف بصورة خاصة، ومن النصوص الأدبية في أحيان أخرى، واعتماداً على القواميس الشائية اللغة أيضاً.

وقد انطلقنا من تصنيف للسوابق في اللغتين الفرنسية والإنجليزية أعددها على أساس دلالاتها^(٦) ثم بحثنا في طرق التعبير عنها في اللغة العربية، على ما يأتي :

- ١ - سوابق النفي والحرمان المقسمة إلى ثلاث مجموعات فرعية :

الفلسفية اليونانية إلى العربية . وفي تناول هذه القضية سننتقل من الأساليب والطرق والأدوات العربية المقابلة لدلالات هذه السوابق .

١-١ - لاشك أن أداة النفي " لا " تستخدم في اللغة العربية الحديثة للتعبير عن دلالات متباينة لسوابق النفي والحرمان. وقد أصبحت " لا " السابقة الحقيقية الوحيدة في اللغة العربية - إلى جانب السوابق العربية القديمة التي ذكرناها في أول البحث، طبعاً - وذلك لأنها التصقت عادة باللفظ الذي تسبقه عن طريق النحت . وقد ترجم القدماء المصطلح الفلسفي الإغريقي " agnostic " بـ " لا أدري " والاسم المقابل له أي " agnosticism " بـ " لا أدريه " . وبما يلفت النظر في هذه الصيغة أن الاسم المذكور هو صيغة المضارعة للمتكلم من الفعل " درى - يدري " ونعتقد أن اشتقاق نسبة ومصدر صناعي من فعل مضارع - وربما هذا المثل من الأمثلة القليلة من هذا النوع - ليدل فيما يدل على جرأة المترجمين وقدرتهم على

٧- سوابق الاقتراب والحب

لأشخاص أو لأشياء معينة:

pro-,phylo.

٨- سابقة الإعادة : re-

٩- أشباه السوابق : auto-,aero-

,neo-etc.

مجموعة سوابق النفي والحرمان

يلاحظ من ذكر السوابق التي تشمل عليها هذه المجموعة أنها الأكثر عددًا في اللغتين الفرنسية والإنجليزية وغيرهما من اللغات الأوربية وأنها تغطي سلماً واسعاً من الدلالات الفرعية التي تتراوح بين النفي والحرمان والمضادة والإساءة . ومن هنا يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات :

١- النفي والحرمان : non-,a-

,an-,un-,de-,des-,dis-, i-,in-

٢- المضادة : anti-, contra-

٣- الإساءة : mis-, mal-

١- وجد الناطقون بالضاد طرقاً وأدوات مختلفة للتعبير عن معاني ودلالات هذه السوابق وبخاصة السابقة " a-" الإغريقية الأصل والتي عبروا عنها منذ العصور القديمة، وبالتحديد في عصر ترجمة المؤلفات

- التصرف في اللغة . وفي النصوص الفلسفية والعلمية العربية المنقولة من لغات أخرى إلى اللغة العربية في عصر ازدهار الحضارة العربية في ظل خلافة المأمون، وبعده يمكن اكتشاف العديد من الألفاظ التي دخلت عليها أداة النفي "لا" للتعبير عن دلالة السابقة الإغريقية "لا"^(٧) إلا أن استخدام هذه الأداة بصفة سابقة في العصر الحديث اتسع وتنوع كثيرا ولا ريب أن انتشار استخدامها بهذه الوظيفة يعود - على الأقل جزئيا - إلى تأثير صيغ مماثلة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية .
- ومعروف أن المعنى الأصلي والعام للصفة التي دخل فيها الحرف " لا " كان ولا يزال ضدًا بالقياس إلى اللفظ الأساسي، كما هي الحال في ألفاظ مثل: قانوني : " legal " - لا قانوني "illegal" إنسان "human" - لا إنساني "inhuman" محدود "limited" - لا محدود "unlimited" ديني "religious" - لا ديني "irreligious" لكن أداة النفي " لا " أصبحت تعبر عن دلالات أخرى مثل :
- أ- النفي المطلق (non-) المقرون أحيانا
- بالتعبير عن الصفة المضادة :
- لا شيءية : "nonexistence"
- لا نهائي : "infinite"
- لا معقول "unreasonable"
- ب- الحرمان :
- لا دينية "atheism"
- ج - عكس دلالة اللفظ الأساسي:
- لا مركزية "decentralization"
- د- المضادة النشطة أو المضادة عن طريق التالي :
- لا قومي "antinational"
- لا ديمقراطي "antidemocratic"
- لا سامي "antisemite"
- والحقيقة أن الألفاظ المسبوقة بالسابقة "لا" باتت تعامل مثل أي ألفاظ عربية أخرى وبخاصة الأسماء منها، حيث يمكن تعريفها بـ " أل التعريف " أو بالمضاف إليه، مثل: انفجر مكنون اللاوعي كالبركان^(٨)
- "unconscious"
- لا منطقية الزمان " illogic "
- لا منطق العالم الجديد " illogic "
- وقد اندمجت الألفاظ المنحوتة بأداة النفي " لا " في النظم الصرفي والنحوي

لا إرادي " involuntary "

لا واعٍ " inconscious "

لا متناهٍ " unlimited "

لا محدود " unlimited "

لا مقبول " unreasonable "

وفي العصر الحديث شهد التركيب
الذي تسبق فيه " لا " اسماً أو مصدرًا
منصوباً غير معرف والمعروفة بـ " لا
النافية للجنس " انتشاراً متزايداً . صحيح
أن هذا التركيب عربي أصيل إلا أنه انتشر
كثيراً في العصر الحديث ويقابل عدداً
كبيراً من الألفاظ الإنجليزية والفرنسية التي
تظهر فيها سوابق النفي والحرمان .
وجدير بالذكر أن الحرف " لا " لا يتصل
في مثل هذه التراكيب العربية الأصلية
بالاسم المسبوق . وبعد الاسم المنفي يمكن
أن يأتي أحياناً حرف جر (في أكثر
الأحيان " لام الجر ") تسبق ضميراً متصلاً
ويعتبر هذا التركيب بمحل نعت بالنسبة
للإسم الذي يسبقه:

لا أثر له : " ineffective, ineffectual "

لا وجود له : " nonexistent "

لا نهاية له " infinite "

والمعجمي للغة العربية وأصبحت تشكل
مظلومة من الأضداد التي يمكنها أن تحل
محل الألفاظ الأساسية في أي سياق .
ووجدنا أن " لا " النفي تسبق اسماً
أو مصدرًا أو مصدرًا صاعياً مرفوعاً
اللامبالاة " the indifference, the
" unconcern
اللاوعي " the unconscious "
اللاتسامح " the intolerance "
اللانهاية " the infinity "
وخلال السبعينيات تداولت الصحف
العربية جميعاً عبارة " اللاسلم واللاحرب "
" non-peace and non-war " . وتدل
هذه العبارة وغيرها من التراكيب المماثلة
فيما تدل على قابلية سابقة " لا "
للاتصال بأي اسم من الأسماء ودون تأثير
أجنبي بل دون مقابل أجنبي في أحيان
كثيرة .
كما تسبق هذه السابقة نسبة أو اسم
فاعل أو اسم مفعول وكلها مرفوعة أيضاً:

لا قانوني " illegal "

لا إنساني " inhuman "

لا أخلاقي " amoral "

لا حد له " unlimited "

لا مرد له " irresistible "

لا حصر له " immeasurable ,

"innumerable

١-٢- الاسم " غير " أصبح كذلك قابلا

للتعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان

عندما يضاف إلى اسم مفعول أو اسم

فاعل أو نسبة في التركيب العربي الأصل

القديم المعروف بـ " الإضافة " (٩) .

لكن هذا الاسم الذي يحتل مكانة متميزة

بين الأسماء العربية في نحو هذه اللغة كان

يستخدم حتى في العصور القديمة بالقيمة

داتها وفي مثل هذا التركيب بالذات للتعبير

عن الأضداد، وكان يضاف إليه إما اسم

الفاعل أو صفة (١٠) . إلا أن بعض

المستشرقين يرون أن أسلوب التعبير عن

الأضداد بمساعدة الاسم " غير " يعود

كذلك إلى عصر الترجمة من اللغة

الإغريقية (١١) . ومهما كان الأمر نجد أن

عدد التراكيب التي دخل فيها الاسم

"غير" ارداد في العصر الحديث ونميل إلى

الاعتقاد بأن عددا لا بأس به منها نشأ

نتيجة لتأثير الألفاظ الفرنسية والإنجليزية

التي اشتقت بالسوانق .

إن عدد التراكيب التي أضيف فيها

الاسم " غير " إلى صفة ليس كبير،

ونذكر منها على سبيل المثال " غير قليل "

"non-little" و "غير صحيح" " non

correct " و "غير شريف" " -not-

"honest" إلخ ، إلا أن هذا الاسم أصبح

يضاف في العصر الحديث في تراكيب لا

تحصى إلى أنواع أخرى من الأسماء التي

تكتسب بذلك قيمة الأضداد، وهو

يضاف إلى :

أ- اسم الفاعل :

غير فاعل " ineffective "

غير ممكن " impossible "

غير كاف " insufficient "

غير صالح لـ " unfit for "

غير مناسب " inadequate "

ونذكر هنا وجود العديد من

التراكيب التي يضاف فيها اسم الفاعل

"قابل لـ " المنفي بـ "غير" للتعبير عن

دلالات سوابق النفي والحرمان ودلالات

اللواحق — able, -ible - في آن

واحد، مثل:

السابقة " extra- " من الألفاظ الفرنسية
والإنجليزية :

اجتماع غير عادي "extraordinary
meeting"

أهمية غير عادية "Extraordinary
importance "

ووجدنا أثناء عملية الاستقصاء عن أمثلة
لإعداد هذا البحث أن الاسم "غير "

يعرّف أحيانا بأداة التعريف - مثله في
ذلك مثل الحرف "لا" - مما يجعلنا نميل

إلى الاعتقاد بأن المتحدثين بالعربية بدؤوا
يشعرون بأنه يؤدي وظيفة سابقة وبالتالي

يعاملونه على هذا الأساس. إن مثل هذه
التراكيب ليست صحيحة من الناحية

النحوية لكنها تدلل فيما تدلل على تطور
جديد في هذا الاتجاه ونرى من واجبنا أن

نلفت انتباه المجمع الموقر أيضًا إلى هذا
الأسلوب واتخاذ موقف إزاء هذا

الأسلوب ، إما قبولاً له أو رفضاً له. (١٢)

ونذكر على سبيل المثال عدة تراكيب من
هذا النوع مستخرجة من الصحف

المصرية :

الطائرات الغير مسلحة

غير قابل للتطبيق " inapplicable "

غير قابل للتجزئة " indivisible "

ب- اسم المفعول :

غير مشروع " illegal "

غير مسؤول " irresponsible "

غير مقبول " innacceptable "

غير مصدق " incredible "

ج - لكن عدد التراكيب التي يضاف فيها

الاسم " غير " إلى نسبة تنتهي باللاحقة

"-ى" أكبر بكثير :

غير علمي " unscientific "

غير طبيعي " abnormal "

غير عادي " unusual "

غير رسمي " unofficial "

غير إنساني " inhuman " .

وتمثل هذه التراكيب أحيانا مرادفات

للتراكيب التي تدخل فيها أداة النفي " لا "

بوصفها سابقة :

غير مباشر = لا مباشر " indirect "

غير إنساني = لا إنساني " inhuman "

ومما استرعى انتباهنا أن الاسم "غير "

يعبر في عدد محدود من الحالات عن دلالة

الضباط الغير صالحين

عدم القابلية لـ "incapacity off"

التوزيع الغير عادل

عدم التدخل "nonintervention"

لكن التراكيب التي تأتي فيها جميع
الأسماء الثلاثة معرفة بـ "أل التعريف"
تبدو أكثر غرابة ويصعب تفسيرها ، مثل:
الأمل الغير المحدود .

وفي عدد محدود من الحالات تمثل
التراكيب الاسمية التي يدخل فيها الاسم
"عدم" مرادفات لتراكيب اسمية أخرى
تدخل فيها أداة النفي " لا " ، مثل :

١-٣- تقابل تراكيب اسمية من نوع
الإضافة يدخل فيها المصدر "عدم" بصفة
مضاف ومصدر فعل آخر أو مصدر
صناعي بصفة مضاف إليه بانتظام تقريبا
التراكيب ذات القيمة النعتية التي يدخل
فيها "لا" و"غير" . ومن ناحية أخرى
تقابلها ألفاظ فرنسية وإنجليزية مشتقة
بسوابق مثل : "non-,un-,in-,des-" مما
يسرهن على أن الاسم "عدم" يعبر هو
الآخر في مثل هذه التراكيب عن دلالات
سوابق النفي والحرمان .

عدم القبول=اللاقبول "nonacceptance"
عدم المركزية=اللامركزية "decentralizatio"
وربما عن طريق الجاذبية أصبح النعت
"عدم" يضاف أيضاً إلى اسم للتعبير عن
قيمة نعتية . وتقابل هذه التراكيب
تراكيب ذات قيمة اسمية يدخل فيها
الاسم "عدم" . ويمكن تفسير العدد
المحدود من هذه التراكيب بالمنافسة القائمة
بينها وبين التراكيب التي يدخل فيها
الاسم "غير" والذي أصبحت مكانته في
اللغة أكثر متانة بفضل سهولة إنشاء
تراكيب بمعان مماثلة بمساعدته. ونذكر
على سبيل المثال:

ونذكر على سبيل المثال :

عدم القبول "nonacceptance".

عدم الاستقرار "instability".

عدم الوجود "nonexistence".

عدم الإمكانية "impossibility".

عدم المساواة "unequality".

عدم الحياة "inanimate".

عدم الخطر "non-dangerous".

عدم النظير "unequalled".

عدم الفائدة "unprofitable".

عدم الإحساس "insensitive" .

عدم الأهلية "incapable" .

١-٤ - بالإضافة إلى طرق وأساليب

التعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان المذكورة أعلاه وجدنا كذلك سلسلة من الطرق التي يمكن اعتبارها عرضية طارئة والتي تنتج عنها معان ودلالات شبيهة بمعاني الألفاظ المشتقة بمثل هذه السوابق في اللغات الأوروبية . ونذكر من بين هذه الطرق وأدواتها :

أ- الظرف " دون " :

دون انقطاع "uninterrupted"

دون كلل وملل "untired"

دون قيد وشرط "unconditional"

ب- المصدر "قلة" والصفة المقابلة له "قليل" :

قلة الحياء "impudence, impertinence"

قليل الحياء "impudent, impetinent" .

قلة الأدب "impoliteness" .

قليل الأدب "impolite, uncivil" .

ج - المصدر "قصور" والصفة المقابلة له "قصير" :

قصور الباع "inability, incapability"

قصير الباع "unable, incapable" .

د- المصدر "نزع" واسم المفعول المقابل له "منزوع" :

نزع السلاح "disarming" - منزوع

السلاح "disarmed, demilitarized"

هـ - المصدر "تجريد" من "واسم المفعول المقابل له "بجرد من " :

تجريد من السلاح "disarmament" مجرد

من السلاح "demilitarized, disarmed"

و - المصدر "فروغ" واسم الفاعل المقابل له "فارغ" :

فارغ الصبر "impatience" .

بفارغ الصبر "impatiently" .

ز - اسم الفاعل "خال من " :

خال من السكان

"uninhabited" "unoccupied"

خال من الضرر "inoffensive"

ح - المصدر "انعدام" :

انعدام الوزن "imponderability"

ط - اسم الفاعل "فائق" :

فائق الحد "unlimited"

فائق الوصف "indescribable"

ب- ويستخدم اسم الفاعل "مضاد" على الأخص مع أسماء الآلات الحربية :

مدفع مضاد للدبابات "antitank gun"

مدفع مضاد للطائرات "antiaircraft gun"

لكنه يستخدم مع أسماء أخرى كذلك:

مواد مضادة للحيويات "antibiotics"

ج - أما أسماء الفاعلين "مناهض" و"مساوئ" و"مناف" فإن استخدامها

للتعبير عن معنى السابقة "anti-" محدود

وينحصر في نفس الحالات، ويبدو أنه

حديث العهد حيث لا نجدها مذكورة

بهذا المعنى في القواميس الصادرة قبل

منتصف هذا القرن مثل قاموس "هانس

فير" العربي - الألماني أو قاموس "برانوف"

العربي - الروسي وهما من أشهر

القواميس الصادرة في منتصف هذا القرن.

ونذكر من التراكييب التي وجدناها في

الصحف خلال العقود الأخيرة :

مناهض للاستعمار والرجعية

"antiimperialistic and antireactionary"

مناوئ للاستعمار "antiimperialistic"

مناوئ للفاشية "antifascist"

مناف للشيوعية "anticommunist"

ي - اسم المفعول "مقطوع" واسم

الفاعل "منقطع":

مقطوع النظير "incomparable"

منقطع النظير/القرين "unmatched"

"unrivalled" "incomparable"

"unequaled"

ك - اسم الفاعل "نافذ" :

نافذ الصبر "impatient"

ل - الظرف "فوق" :

فوق العادة "unusual"

فوق الحد "infinite, unlimited"

٢- أما السابقتان "anti-" و"counter-"

فقد لاحظنا أن اللغة العربية استخدمت

أسماء الفاعل والمصادر المشتقة من عدة

أفعال على وزن "فاعل" تعبر عن دلالات

المعارضة والمقاومة والعداء . وحسب

مدى استخدامها. وهذه الأفعال هي:

"عَادَى" و"ضَادَّ" و"ناهض" و"ناوَأَ"

و"نَافَى" و"عَاكَسَ" .

أ- لاشك أن اسم الفاعل الأكثر استعمالاً

للتعبير عن هذا المعنى هو "مُعَادٍ" :

مُعَادٍ للشعب "antipopular"

مُعَادٍ للاستعمار "anticolonialist"

مكافحة / معاكسة الجاسوسية

"counterespionage"

ويلاحظ أن هذه الأفعال كلها على وزن "فَاعَلَ". ويعبر هذا الوزن عن دالتين متعارضتين : فمن ناحية يعبر عن المساعدة والمعاونة والمشاركة والمشاركة ومن ناحية أخرى يعبر عن دلالات المنافسة والمعارضة والمقاومة والمجاهمة . وتطورت من الدلالة الثانية الدلالات الخاصة التي تقابل السابقتين "anti-" و "counter"

٣- أما السابقتان "mal-" و "mis-" فيقابلهما في اللغة العربية الاسم "سوء" والصفة "سيء" والفعل "أساء" .

ونذكر من التراكيب الاسمية:

سوء البخت/الحظ "misfortune"

سوء الإدارة "mismanagement,"

"maladministration"

سوء السلوك "misbehavior,"

"misconduct"

سوء المعاملة "mistreatment"

سوء التغذية "malnutrition"

ونذكر من التراكيب النعتية :

مناف للديمقراطية "antidemocratic"

ويستخدم في الوقت الأخير اسم

الفاعل "مضاد" واسم الفاعل "معاكس"

أكثر فأكثر - لكن في تركيب نعني أي

بصفة نعت - للتعبير عن المعارضة على

شكل رد فعل أو الرد أو التكرار ، أي

بمعنى السابقة "counter-"

هجوم مضاد "counterattak"

هجوم معاكس "counteroffensive"

خطة مضادة "counterproject"

إجراء مضاد "countermeasure"

اقتراح مضاد/معاكس "counterproposal"

أما مصادر الأفعال المذكورة فإنها مقابل

سابقة "anti-"

من التراكيب الاسمية :

معاداة السامية "antisemitism"

معاداة الديمقراطية "antidemocratism"

مناهضة الاستعمار "antiimperialism"

وبالإضافة إليها نجد المصادر "مكافحة"

و"محرابة" و "معاكسة" بالمعنى نفسه :

مكافحة الاستعمار "anticolonialism"

مكافحة البيروقراطية "antibureaucracy"

مكافحة الفاشية "antifascism"

وقد سبق أن أشرنا في معرض الحديث عن الألفاظ المستعملة للتعبير عن دلالات مختلف سوابق النفي والحرمان إلى أن أداة النفي "لا" أصبحت السابقة الحقيقية الوحيدة من بين الأدوات المذكورة في هذا البحث، حيث تلتصق باللفظ الذي يسبقه عن طريق النحت وذلك منذ العصور القديمة. أما سائر الأدوات المستخدمة للتعبير عن معاني سوابق النفي والحرمان ودلالاتها فتستعمل في أنواع مختلفة من التراكيب لكن سبقها دائماً - ما عدا التراكيب العرضية والتراكيب التي يظهر فيها اسم الفاعل "مضاد" واسم الفاعل "معاكس" - يجعلها تشبه السوابق القائمة في اللغات الأوربية.

ويعتبر استخدام الاسم "غير" معرّفاً بـ "التعريف" أمراً عرضياً طارئاً ويبرهن ذلك على اتجاه جديد ويعتبر نتيجة للتأثر بالسوابق وبخاصة من جراء اختصار الأدوات المستعملة للتعبير عنها. إلا أننا وجدنا كذلك مثلاً آخر على هذا الاتجاه حتى داخل المجموعة موضع البحث. ويجري الحديث عن عبارة "الضد نسافة"

سيئ الحظ "Fr. "malheureux"
Engl. "unfortunate";

سيئ السمعة "Fr. "malfamé"
Engl. "disreputable";

سيئ المقاصد "Fr. "malicious"
Engl. "malevolent";

سيئ التغذية "Engl. "malnourished"

وبداً يستعمل الفعل "أساء" أيضاً للتعبير عن دلالة السابقتين المذكورتين في التراكيب الفعلية :

أساء التصرف "misbehave"

أساء الاستعمال "misuse"

أساء المعاملة "mistreat"

أساء الفهم "misunderstand"

ونلاحظ من الأمثلة المذكورة أن الاسم "سوء" والصفة "سيئ" يقابلان سوابق أخرى من مجموعة سوابق النفي والحرمان.

٤- يدلّل فيما يدلّل العدد الكبير من الأساليب والطرق التي تستخدمها اللغة العربية للتعبير عن معاني السوابق ودلالاتها القائمة في اللغات الأوربية على تطور إمكانيات اللغة العربية لتحديث معجمها بحيث يتجاوب ويتماشى مع متطلبات ومقتضيات الحضارة المعاصرة .

تشتمل على ألفاظ تقابل سوابق النفي والحرمان تتميز بقيمة معجمية واضحة حيث إنها تعتبر أضدادا للألفاظ الأساسية المقابلة لها .

لاشك أن منظومة سوابق النفي والحرمان من اللغات الأوروبية وبخاصة الفرنسية والإنجليزية أثرت على ظهور الطرق المذكورة للتعبير عنها في اللغة العربية إلا أن هذه الطرق أصبحت تنفصل عن التأثير المذكور. وفي الوقت الحاضر تدخل في تراكيب جديدة لا تنطلق بالضرورة من نماذج أوروبية . وأفضل دليل على ذلك وجود العديد من مثل هذه التراكيب في اللغة العربية دون مقابل لها في اللغات الأوروبية . ويمكن الحديث عن نقل نظام التعبير عن دلالات مثل هذه التراكيب أو تعريبه مما يسمح بنشوء تراكيب جديدة على هذا المنوال في اللغة العربية من غير أن يكون من الضروري وجود ألفاظ فيها سوابق تقابلها في اللغات الأوروبية .

نيقولا دوبريشان

عضو المجمع المراسل

من رومانيا

بمعنى "contre-torpilleur" (باللغة الفرنسية) والتي تعتبر في رأي الباحث الذي ذكرها نوعاً من النحت.^(١٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن عدد التراكيب الفعلية التي تقابل أفعالاً ذات سوابق في اللغات الأوروبية محدود جداً بالقياس إلى التراكيب الاسمية والنعتية، على ما تبين من عرضنا هذا . ولعل ذلك يعود إلى وجود منظومة فعلية محكمة عريقة ذات ملامح واضحة، ويتعذر إدخال التغييرات عليها. ومن جهة أخرى تعتبر الأوزان الفعلية قادرة على التعبير عن دلالات متنوعة دقيقة مما جعل ممكناً التخلي عن استعمال أدوات أو طرق مختلفة للتعبير عن معاني بعض السوابق الفعلية القائمة في اللغات الأوروبية أو معانيها .

ويبدو أن استخدام الطرق المذكورة للتعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان - ما عدا استخدام "لا" عن طريق النحت وتراكيب عرصية أخرى- يعود إلى مطلع العصر الحديث وامتد إلى أيامنا هذه.^(١٤) ويمكن التقدير أن جميع التراكيب التي

- 7) Jozef Bielawski, Deux périodes dans la formation de la terminologie scientifique arabe, Rocznik Orientalistyczny, 20, 1956, p.283.

٨) نجيب محفوظ ، السمان والخريف ، دار مصر للطباعة ، ص ٧ .

- 9) V.Monteil, op.cit., p.140. (١٠) بعض الاستخدامات القديمة

لاسم " غير " ، راجع التفاصيل في عدد الرحمن التاج، القول في "غير" وحكم إضافتها إلى المعرفة ودخول "أل" عليها، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ٢٥ ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠ وما يليها .

- 11) Jozef Bielawski, op.cit., p.284.

١٢) وقد وجدنا تطورا مماثلا بالنسبة للاسم "شبه" والاسم "تصف" اللذين يعبران " إلخ ... راجع في هذا الصدد : semi-,hemi- " عن معاني سوابق مثل

Nicolae Dobrisan, Cours de lexicologie araba, Bucuresti, 1984, p.194.

- 13) Léon Bercher, Lexique arabe – français avec un index français – arabe correspondant, 1935, apud V.Monteil, op.cit., p.142.
- 14) Jozef Bielawski, op.cit., p. 284.

المراجع

- 1) Jean Cantineau, Racines et schèmes, Semitica, 3, 1950, P.73.
- 2) Henri Fleisch, Traité de philologie arabe, I, Beyrouth, 1961, P.408; D.Cohen, Remarques sur la dérivation nominale par affixes dans quelques langues sémitiques, Semitica, 14, 1964, P.76.
- 3) Jean Dubois, Etude sur la dérivation suffixale en français moderne et contemporain, Paris, 1962, P.1.
- 4) Johe Haywood, Modern Arabic Literature, London, 1971, P.31.
- 5) V.Monteil, L'Arabe moderne, Paris, 1960, P.172.
- ٦) نيقولا دوبريشان، اللغة العربية خارج حدودها، في مجموعة "اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦، ١٢٦.

دواعي التطور اللغوي في قضايا اللغة العربية*

للأستاذ الدكتور عباس محمد الصوري

١- الظاهرة :

هناك ظاهرة مفارقة ، يجامها عادة المربون في تعليم اللغات الحية وإن كان بروز هذه الظاهرة يحصل بنسب متفاوتة بحسب نوعية اللغة ومكانتها ووظيفتها في المجتمع، لكنها في حالة اللغة العربية لأبنائها تشكل حالة خاصة، ونعني بها ظاهرة وجود مستويين لغويين يتفاوتان بحسب خصوصية كل لغة على حدة. فقد تضيق المسافة بين هذين المستويين إلى حد لا يحصل من تفاوتهما قضية بيداغوجية تحتاج إلى البحث وإعادة النظر، وقد تتسع المسافة إلى حد التباين أو القطيعة ، وبناء على ذلك يمكن تصنيف علماء اللغة في موقفهم من اللغة العربية إلى فريقين ، فريق يقول بالتباعد إلى حد القطيعة، وفريق ينظر إلى الظاهرة من زاوية التقارب الذي يمكن أن يصل إلى حد التكامل .

أما اللغويون القدماء فقد كان لمنهجهم في الجمع والتصنيف أثر في موقفهم من الظاهرة بحيث إنهم " أسقطوا من حسابهم الظواهر التاريخية " د. مصطفى التوي / التغير اللغوي " ومن ثم كان مفهومهم للغة مفهوما سكونيا في عملية التدوين عندما اقتصر على عصر واحد حددوا فيه مجال الأخذ عن العرب بشكل فصل فيه صاحب المزهر هكذا. "والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم أقتدي ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين القبائل هم قيس وئيم وأسد . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم" (ج1، ص211).

لقد حدد السيوطي القبائل التي أخذ عنها اللسان العربي باعتبارها نموذجاً تكتمل داخله جميع السمات المطلوبة في النموذج ، ومنها صفاء المتن، والبداوة،

* ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأربعاء 19 من ذي القعدة سنة 1418هـ من مارس (آذار) سنة 1998م .

والتأخير ، أما بنية اللغة فما زالت سليمة تؤدي مقاصدها، والدراسات اللغوية الحديثة تأخذ بعين الاعتبار مبدأ التغير اللعوي وتعتبره من أعقد المشكلات اللسانية ، وهم ينظرون إليه من عدة مستويات :

- التغير الصوتي : وهو مألوف في سائر اللغات ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بانتشارها زمانيا ومكانيا ولدى الأفراد.

- التغير المعجمي : وهو مجال انتقال المفردات في الاستعمال فتتغير دلالاتها وقد يتبع التغير المعجمي التغير الصوتي وما يحدث فيه من إسقاط وحذف وتسكين أو إدغام أو إبدال أو دمج... إلخ.

- التغير التركيبي : وهو الذي أشار إليه ابن خلدون ، ولعله أخطر أنواع التغيرات ، الذي إذا تجاوز حدا معينا تحدث القطيعة ، أما التغيرات على مستوى الأصوات أو المعجم فهي من الأمور الاعتيادية التي تحدث في سائر اللغات حتى بين أفراد نفس المجموعة

يقول "لم يؤخذ عن حضري قط" لأن مخالطة الحضرة لغيرهم من الأمم أدى إلى فساد لسانهم ، أما أهل البداوة ممن عاش بعيدا عن أطراف الجزيرة العربية، فقد بقيت لغتهم سليمة صافية يبلور سلامتها وصفاءها خاصية الإعراب ، الإعراب في معنى مقابل للحن ، يقول الزبيدي صاحب (طبقات النحويين) (طبائع أهل السبدو الإعراب ، وطبائع أهل الحضرة اللحن) ويعتبر النحاة الإعراب فرعاً ، به تتم سلامة اللسان لأصل يفسر علل هذه السلامة وهو النحو .

فالعربية المستعملة بعد عصر التدوين في الحواضر خاصة يعوزها سلامة المتن، ويشوبها اللحن . يلاحظ ابن خلدون في مقدمته ، أن لغة العربي في زمانه "مغايرة للغة مضر وحمير" ، فهل معنى ذلك أن عريبتهم لم تعد عربية وأن المغايرة قد أدت إلى القطيعة ؟ يرى ابن خلدون أن الأمر بخلاف ذلك ، فهو يوضح أن التغير الذي أصاب لغة المشافهة في زمانه أصابها في دلالة الحركات أي الإعراب الذي استعاض عنه الناس بالرتبة أي التقديم

2 - مفهوم التطور اللغوي :

من المفاهيم اللسانية التي استعارها علماء اللغة من الدراسات اللغوية الغربية مفهوم (التطور اللغوي) بمقتضى تمييزهم حسب ثنائية التحقيب والتزامن تبين المنظور التاريخي للغة والمنظور الواقعي الذي آلت إليه اللغة . والمنهج الوصفي الذي ساد مع التيار البنيوي ، إنما ركز في دراساته على اللغة في وضعها التزامني، وهذا شيء ينسجم مع الواقع اللغوي الغربي فلم يعد أحد يتكلم اللغة اللاتينية أو الإغريقية التي انبثقت عنها كثير من اللغات الأوروبية الحالية . لقد انقطعت الصلة مثلا بين اللغة الفرنسية الحالية واللاتينية القديمة وهي اللغة الأم لها بحكم قوانين التطور اللغوي التي تصيب اللغة في كيانها الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي .. وعمر اللغات الحديثة الفرعية لا يقدر بقرون كثيرة مثلما هو الحال في اللغة العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية منذ 15 قرنا ، وبقيت نشيطة مستعملة في المجال الثقافي والإداري والأدبي مثلما يلاحظ كثير من

اللغوية الواحدة ، وتعمل فيه أحيانا دوافع نفسية أو سيكولوجية إلخ .

وكان العرب يعتبرون التغير في أي شكل من أشكاله يخرج اللفظ من مستوى الفصاحة ويجعله مولدا ، والمولد في نظرهم محدث وهو إما مقبول أو مرفوض ، يرى مثلا الناقد حازم القرطاجني " أن اللفظ عندما يستعمله العرب كثيرا فهو حسن وفصيح ، وقد تستعمله العرب وخاصة المحدثين بكثرة دون عامتهم فيكون مقبولا، أما إذا كثر استعماله على ألسنة العامة واستغنت عنه العرب بتغير اللفظ فهو مرفوض" (المزهر ج 1 ، ص 190)، لماذا؟ لأن التغير في نظرهم يؤدي إلى الابتذال ، وهذا مصطلح كان يروج كثيرا عند البلاعيين أمثال حازم القرطاجني فاللفظ يصبح مبتذلا ، إذا كثر استعماله، خصوصا إذا كان الاستعمال في اتجاه عمودي إلى عصر الاستشهاد فإنه يؤدي إلى العكس من ذلك إلى الفصاحة لا إلى الابتذال المرفوض .

الباحثين الذي يتحدثون عن حيوية اللغة العربية وقابليتها للإيفاء بحاجيات العصر . لكن المسألة لا يمكن الحسم فيها بهذه البساطة. فالتغير الذي يتحدث عنه اللغويون والذي يحصل في لغة ما خلال مسارها التاريخي له أبعاد متعددة ، فهناك التغير الذي يحدث في اللغة بفعل الانتشار في الزمان والمكان ، وهناك التغير الذي يحدثه الأفراد المتكلمون حسب أحوالهم النفسية والثقافية والاجتماعية ... إلخ .

فالتداخل بين هذه العوامل يجعل عملية الحسم ليست يسيرة ، وقد حاول علماء اللغة أن يوجدوا قاعدة لضبط تيار عوامل التغير الجارفة ، يمكن تسميتها بقاعدة التغير اللغوي ، ولاحظوا أن لكل لغة معدل تغير يكاد يكون ثابتا ، ولكنه بطيء جدا ، كما أنه ليس واحدا بالنسبة لجميع اللغات . وهذا ما يفسر بقاء الاتصال بين الأجيال المتعاقبة مستمرا بشكل من الأشكال رغم ما يصيب اللغة من تحولات بفعل الزمن واختلاف أوضاع الاستعمال. واللغة العربية لا يمكن أن تشكل شذوذا عن هذه القاعدة،

لكننا لا يمكن أن نسقط على مسارها مسار غيرها من اللغات الغربية التي أضحت أمهاتها ضمن اللغات الميتة ، وقد لاحظ مثلا فيرجسون عالم اللغة الاجتماعي في دائرة المعارف البريطانية أن اللغة العربية تتغير ببطء "فدرجة الاختلاف مثلا بين عربية القرن 18 وعربية القرن 20 أقل قلة واضحة منها بين إنجليزيي هذين القرنين " (اللسان 83/20). وعلى هذا الأساس يرى كثير من علمائنا أن العربية لم يطرأ عليها تغير شديد. والسبب في ذلك كما يجمع على ذلك جل الباحثين يعود إلى أنها لغة القرآن الشيء الذي حال بينها وبين طفرات التغير، وحد من تأثير اختلاف البيئات والتباين الحاصل بين مستويات الاستعمال في اللغة العربية ، لكن معيار الفصاحة الذي تبناه علماء اللغة قديما وقف سدا في وجه نشاطها وحركيتها كما سنرى .

3 - مسالك التطور في الفصحى :

تقتضي دينامية التطور حصول تحولات في البنية اللغوية على جميع المستويات ، ومعنى ذلك أن اللغة العربية

ليست بدعاً، فالتغير الذي يصيب الفصحى قد يكون ظاهراً أو خفياً رغم أي مجهود يسعى إلى تهميشه ، لذا يعترض الشيخ أمين الخولي على الفهم القاصر لمدلول " التطور اللغوي"،الحاصل في اللغة العربية فيقول " يقرر الإحصائيون ... أن التطور يتم مع الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ، وبالفصحى من مفرداتها وشواردها ، ولا ندري أي تطور هذا الذي يكون بلا تغير".

لكن علماء اللغة خلال فترة التدوين كان لهم موقف سلبى من فكرة التغير ، لعدة أسباب ، يأتي على رأسها معيار الفصاحة الذي شكل مرجعية حاسمة في اختيار لغات القبائل التي قد تستجيب للمقاييس التي حددوها وإقصاء ما عداها، ومن هذه الأسباب أيضا المنهج الذي وظفوه في عملية الانتقاء والتصفية، كان يتنافى مع التصور التاريخي للتطور اللغوي في شبه جزيرة العرب ، بحيث إنهم كانوا يسعون إلى " تععيد اللغة تععيداً تزامنياً ، أي أنهم يريدون أن ينهجوا النهج الوصفى للغة . فأسقطوا

من حسابهم الظواهر التاريخية ، ومنها بطبيعة الحال التنوعات اللغوية الموجودة في أطراف الجزيرة العربية، بل وأن يعتوها بالفساد اللغوي"، فالمنهج الوصفى إذن كان عاملاً انتقاءً زامنياً ومكانياً أدى عملياً إلى تهميش لغات كثيرة بسبب ما لاحظها علماء اللغة من ظواهر لا تنسجم مع معيار الفصاحة ، هكذا ذهبت لغات كانت تتم بلكنات معينة لم تدرج إلا على نطاق ضيق في الأقيسة الشاذة التي تذخر بها كتب النحو التي تعوزها وسائل التدليل في العلل والتأويل ، فتعقدت المادة النحوية قديماً إلى حد الألغاز .

وهذه اللغات ، وإن كانت مهمة على مستوى التدوين ووظفت بعضها لغايات جدلية بين مدرستي الكوفة والبصرة، فإنها لم تمت على ألسنة المستعملين من أصحابها ، وسنجدها فيما بعد تشكل رافداً مهماً مما سيسمى باللهجات...

وهكذا سارت اللغة العربية بعد عملية التصفية والانتقاء في مسلكين :

ويسدرج العلاقة بين الفصحى ولهجاتها ضمن ما يسمى بالتنوع اللغوي (La diglossie) الذي يراه طبعيا وغير مقصور على اللغة العربية وحدها ، وإنما هي سمات تتسم بها سائر اللغات الحية الكرى .

ولقد أثار استعمال مصطلح " التنوع اللغوي diglossie " في وصف العلاقة بين اللغة الفصحى ولهجاتها ردودا متباينة عندما أطلقه عالم اللسانيات الاجتماعية (فيرجسون C.A Furguson) لوصف حالة اللغات العربية في مقال له نشره بالانسيكلوبيديا الإنجليزية، خصوصا من قبل اللسانيين العرب الذين تناولوه بالقد. أما "فيرجسون " فهو بعد زيارة لبعض الدول العربية (خصوصا مصر والسودان) ، يرى أن مصطلح " diglossie " أنسب من غيره للتمثيل على وضع اللغة العربية في العالم العربي . فماذا يقصد بهذا المصطلح ؟

يرى فيرجسون أن (La Diglossie) التنوع اللغوي ، وضعية لسانية تعكس تنوعين (Variétés) أو أكثر لنفس اللغة

المسلك الفصيح الذي انبنى على الأسس التي وصفها النحاة واللغويون والبلاغيون والذي سار على هجته كبار الشعراء وكتاب الدواوين ، وأصحاب العلوم المختلفة ، والمسلك اللهجي الذي يعد امتدادا للغات العربية القديمة يضاف إليها ما استجد من مولد ودخيل ومعرب إلخ...

يرى كثير من الباحثين أن مفهوم "اللهجة " قديما أو حديثا يمكن تفسيره بمعنى التطور اللغوي أو التنوع داخل نفس اللغة التي انبثقت عنها اللهجة . يقول د. حسني محمود: "إن ما نتعارف على تسميته (لهجة)، كان العرب قديما يطلقون عليه (لغة) أو كلمة (لحن) .. أما اللغة عندهم فكان يشار إليها بلفظ (لسان) ثم يضيف " وما كان يسمى في كتب اللغة والنحو (لغة) من الاستعمالات غير المألوفة أو قل غير صحيحة ، تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هذيل أو عقيل أو أسد أو طيء أو غير هؤلاء ، لم يكن إلا من قبيل هذا التطور في اللغة" (اللسان 83/20) .

الواحدة ، تستعمل من قبل المتكلمين في ظروف مختلفة بحيث يؤدي كل تنوع دورا محدودا . يقع اكتساب التنوع الأول في ظروف طبيعية وهو ما يطلق عليه اسم "لغة الأم" ، ويستعمل في محيط الأسرة والأصدقاء .. أما التنوع الثاني فهو يكتسب عن طريق نظام التعليم ويستعمل غالبا في مستوى الكتابة أو في المواقف الخطابية الرسمية ويكون موازيا للأول . لكنه مختلف عنه ، بحيث يكون أكثر تعقيدا على المستوى النحوي ويكون حاملا لأدب واسع رفيع مكتوب .. ويقترح فيرجسون ، للتمييز بينهما تسمية التنوع الأول : (Variété) الذي اكتسب للاستعمال المحلي باسم " النوع الأدنى " ، والنوع الموازي الذي اكتسب عن طريق المدرسة " بالنوع الأعلى " . وهذا الموقف يتناسب مع مفهوم التعقيد النسقي للغة في العصر الحديث . لم يعد أحد يقول بنقاء اللغة وصفاء معجمها وخلوها من التأثير والتأثر خارجيا باللغات المجاورة ، أو داخليا بفعل استعمال أصناف متباينة من الطبقات الاجتماعية والثقافية

لغة ، مما يؤدي داخل اللغة الواحدة إلى ظهور مستويات أو تنوعات (Variétés) سواء على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيبي ، تشكل بدورها أنساقا فرعية داخل النسق الأم. وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين اسم " اختلاط السنن MC" ويقصد به وجود تنوع (Variété) أو عدة تنوعات لغوية مختلفة في خطاب المتكلمين، ويعزى ذلك لعدة أسباب . من بينها استعراض المستوى الثقافي للمتكلم ، وأحيانا يكون السبب راجعا إلى الميل إلى عدم بذل الجهد في البحث عن اللفظ المناسب، فيستعير المتكلم أي لفظ عن له بالصدفة، وقد يكون من مصدر مخالف للسنن الذي يتحدث به . وأكثر ما تكون الاستعارة بين سنن وآخر على مستوى المعجم وهذا ما جعل "الدراسات تنصب على ظاهرة اختلاط السنن" (حوليت سائب 90) .

وإذا كان بعض الباحثين قد أبدى تحفظا تجاه مفهوم (La diglossie) وما يترتب عنها من القول بالتغير اللغوي داخل النسق اللساني الواحد ، فإن آخرين

قد تبنيه جملة وتفصيلا وحاولوا أن يفسروا العلاقة بين الفصحى والعامية على ضوءه . ومن هؤلاء د. مصطفى زكي التوني في كتابه (علل التغيير اللغوي) فهو يعقد فصلا كاملا في كتابه لتحليل ماهية : "التنوع في إطار اللغة الواحدة (التوني 93) ، وبعد أن يشرح معنى "التنوع" في اللغات الإنجليزية والإسبانية وغيرهما والعوامل الفاعلة في ظل ذلك ، يتقل إلى وضعية اللغة العربية ولهجاتها واستعمال المتكلم العربي لمختلف التنوعات اللغوية داخلها ويلاحظ أننا : "أيضا سرنا في البلدان العربية نجد اللغة العربية حبا إلى جنب مع اللهجة الدارجة، وتعد اللغة العربية الفصحى المستوى الرفيع (H) ، وتعد اللهجة العربية الدارجة المستوى الأدنى (L) ويستخدم المستوى الأول في التعليم والطباعة والمواقف الرسمية في حين أن المستوى الثاني يستخدم في المواقف التي هي دون المواقف السابقة في المعاملات الأسرية والبيع والشراء وبين الأصدقاء " (نفسه) فهو يستعمل نفس مصطلحات

"فيرجسون" دون الإشارة إليه طبعا ، ويرى أن ظاهرة التنوع في مستوى اللغة العربية كانت دائما بارزة حتى في عصر الاحتجاج ، وهو يشير هنا إلى لغة المولدين التي كانت هي اللغة العامية إذ ذاك ، وقد كانت لغة خالية من الإعراب ولذلك اعتبرها اللغويون - كما أشرنا - لغة فاسدة، فقد روي عن حماد الراوية وهو مشهور بغزارة حفظه وروايته للغة والشعر، أنه " كان يكذب ويلحن ويكسر، فأجاب حماد : يا أخي إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها " ، ويروي عن الجاحظ قوله: "إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطعام ، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا ... فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها " (د.عبد العزيز مطر 67).

ومعنى ذلك : أن المؤلف يرى أن هذه التنوعات بين اللهجات من جهة وبينها وبين الفصحى من جهة أخرى طبيعية ويمكن للباحث أن يبرزها من الناحية اللغوية، حسب قوانين المماثلة

والقلب المكاني والقياس والصياغة
الصرفية والتركييبية المعروفة عند
اللغويين.

فبالنسبة لقانون المماثلة في إحداث
التنوع اللغوي ، يقال إن بني تميم كانت
"تقلب السين ضادا مع بعض الأصوات
المفخمة كأصوات الإطباق وكذلك مع
القاف .. " مثل " السقر والصقر " . وأن
قريشا تقول كشطت ويقول غيرهم
"كشطت" بإبدال الكاف قافا ، وبعضهم
يبدل السين زايا في "غرس وعرز" ... إلخ.
وقد لاحظ نفس الظاهرة أبو بكر
الريدي صاحب كتاب " لحن العامة "
لدى الأندلسيين ، فهم ينطقون " خمن "
بإبدال النون ميمًا مثلما يحدث في اللهجة
المغربية، فيقولون ، " خمم "، وينطقون
"حق" بإبدال القاف كافا، "حك" إلخ ...
ويدخل هذا باب المماثلة .

وبالنسبة لقانون القلب المكاني أورد
المؤلف عدة أمثلة ، منها : جذب وجذب
وربض ورضب وصاعقة وصاقعة وصور
ممارسته في العاميات متعددة مثل (لحن
ونعل) و (معه وعمه) إلخ ...

ومن الظواهر الأخرى للتنوع اللغوي
أورد المؤلف التنوعات التي تتم بسقوط
نهاية الكلمات فكلمة "طس" أتت من
"طست" ، واستعمال "الي" وهو
اختصار يحذف النهاية للذي والتي ، وهي
عملية منتشرة في سائر اللهجات العربية
تعود في نظر المؤلف إلى قبيلة ربيعة التي
كانت تسقط "نون اللذين واللتين " ،
وهكذا .. ولكن العلاقة بين الفصحى
وعامياتها تتضح أكثر على مستوى
المعجم، وقد أنجزت عدة دراسات
حديثه لبيان الرصيد المشترك بين الفصحى
واللهجات العامية من جهة كما أن هناك
أبحاثا أخرى للكشف عن الرصيد المشترك
بين العاميات نفسها من جهة أخرى .

يبدو أن المعجم الفصيح كانت له
مكانة خاصة ودور حاسم في تحديد
المستوى اللغوي لأي لهجة عربية ..
فكلما ارتفع مستوى الحديث قليلا أو
كثيرا عن معالجة الأمور العادية في الحياة
اليومية وجدنا المتكلمين يرتفعون
معجمهم إلى المستوى الفصيح ، نلمس
ذلك في الملتقيات الثقافية وفي الأحاديث

في السنة الثانية و 2% في السنة الثالثة) .
وهذه النتائج التي توصل إليها الباحثون
نستخلص منها ملاحظتين : الأولى كما
يلاحظ د. يونس نفسه تتعلق بمكانة
الرصيد المعجمي الفصيح في لغة الأطفال
التي تؤكد أن الفرق بينه وبين العامية
يكاد يكون غير ذي أهمية مما يوحي
بالمبالغة في تقديره . والملاحظة الثانية
تؤكد ما قدمناه سابقا من أنه كلما ارتقى
مستوى المتكلم من الناحية التعليمية
اقتربت لغته من النموذج الفصيح .

وقد أجريت دراسات على مستوى
النطق بهذه المفردات المشتركة بين
الفصحى والعامية ، وقد قلنا إن التغيير
الذي يحصل في الفصحى كثيرا ما يرتبط
بنطق المفردات فينتج عن تنوعات تحدث
بفعل القلب المكاني أو الحذف أو الإبدال
إلخ ... لا يكفي أن تكون المفردات
مشتركة ، يجب أن يكون هناك تطابق
على مستوى التلفظ حتى لا يحصل خلل
في الفهم ، وهذا ما حاول أن يرصده
بعض الباحثين في لغة الأطفال ، فعمد إلى
جمع عينة تتكون من المفردات الأكثر

العادة التي تتطلب نوعا من الدقة في
استعمال المفردات. لذلك يرى بعض
الباحثين أن الفصحى بقيت بالنسبة
لللهجات العربية هي النموذج الذي
تسعى اللهجات إلى التطور نحوه على مر
العصور. بل يمكن اعتبارها تشكل "المعيار
اللغوي" لهذه اللهجات . وسنجد هذا
واضحا في كتب القراءة التي تؤلف
للتلاميذ في المرحلة الابتدائية. يعرض د.
فتحي يونس دراسة لمحمد قدرى لطفي
تشير إلى: " أن حوالي 73% من الكلمات
ذات التكرار العالي في كتب القراءة ..
في المرحلة الابتدائية موجود في اللغة
العامية"، كما أنه نقل عن محمد محمود
رضوان في دراسة حول " تعليم القراءة
للمبتدئين " أن "حوالي 80% من كلمات
الأطفال المصريين الذين لم يدخلوا
المدرسة بعد توجد في اللغة الفصحى " ،
والمؤلف نفسه أجرى دراسة ميدانية
انكشف له من خلالها " أن الكلمات
التي تمت بصلة إلى الفصحى والموجودة في
لغة الأطفال المصريين الشفهية قد بلغت
3.5% في السنة الأولى الابتدائية و 2.5%

شيوعا في أحاديثهم ليرى مدى اتفاقها من حيث التلفظ مع الفصحى، كانت العينة تتألف من 372 مفردة شائعة فوجد " أن 79 كلمة من بين ال 372 لا تختلف عن الفصحى في النطق إلا بتغيير واحد في أحد أصوات الكلمة بنسبة 21% وإن من بينها 28 كلمة تفرق عن نظرائها في الفصحى في تغييرين اثنين بنسبة 8% تقريبا .. ويتضح من خلال هذه الأرقام أن نسبة الالتقاء تصل إلى 81% " (محمود السيد 85).

إن هذه الدراسات وأمثالها تحاول أن تبين لنا أن العاميات ، عكس ما يقال عنها، لم تنفصل عن الإطار الفصيح، فهي في ديناميتها لا تنزع إلى الانفصال عنه بل تجعل منه معيارا ونموذجا للتطور والترقي داخله . لكننا - كما نلاحظ - نتحدث عن عاميات وليس عن عامية واحدة، تنتشر في ربوع العالم العربي شرقا وغربا ، فالمسار اللغوي لكل عامية يختلف عن الأخرى بحكم التاريخ والظروف الإقليمية التي تأثرت بها . وقد لاحظ ذلك ابن هشام اللخمي (ت 577

هـ) عندما ألف كتابه " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" (عبد العزيز مطر 67) ليوضح من خلاله أن لحن عامة الأندلس يختلف عن لحن عامة المشرق . وللسرد على كتابي " لحن العامة " لأبي بكر الزبيدي و " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان " لأبي حفص بن مكى الصقلي اللذين سارا تقريبا على النهج المشرقي في معالجة اللهجات العامية ينطلق ابن هشام من فكرة "توسيع دائرة الصواب " ليشمل اللغات العامية إذا ما دل على كلامها وجه يجعلها ضمن دائرة الصواب، ولهذا حاول أن يدافع عن عامية الأندلسيين ملتصبا لما يقولونه عذرا معقولا أو وجها من الصواب ، فقد رد على الزبيدي تصويبه " غلقت الباب " بدون تشديد الشائعة في لهجة الأندلس ، ولم يعتبرها لحنا ، وروى أن اللغوي ابن دريد (حكى فيه : غلقت) بالتخفيف) وهي لغة ضعيفة ، والأفصح في ذلك : غلقت ثم أغلقت ، وهي وإن كانت لغة ضعيفة فلا يجب أن تلحن بها العامة ، لأنها من كلام العرب ، وإن قلت

والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية ، وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا ... (اللسان 84/22) ، وبعد تحليل مصادر اللهجتين المصرية والمغربية غير الفصحى كاللغة الفارسية والتركية .

فاللهجتان تلتقيان في عدة مفردات ، وللدلالة على ذلك أشار إلى دراسة أجريت على 59 كلمة من صميم لهجة القاهرة اتضح من خلالها أن 35 كلمة فيها مشتركة مع اللهجة المغربية ، وهذا ما شجع الأستاذ ابن عبد الله لإعداد نموذج لقاموس للعامية المغربية والمصرية نشره بمجلة اللسان العربي الذي يشرف على إصدارها مكتب تنسيق التعريب بالرباط (العدد 1984/22) .

وهذا التقاطع بين اللهجات العربية لا يهم فقط ما أشار إليه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله بصدد تأليفه لقاموس اللهجة المصرية المغربية ، فقد قام د. إبراهيم السامرائي بمحاولة لجرد الألفاظ

وضعت) ، ويرد عليه في تخطيطته قولهم "نبلة" لواحدة النبل " إن ابن جني حكى أن واحد النبل نبلة ، فلا معنى لإنكاره على العامة على قلته " ويرد كذلك على تخطيط الأندلسيين في قولهم " أجاص" للكثير ، ويستشهد بأبي حنيفة الذي يقول " الإجاص عند أهل الشام الكثير ، ويسمون الإجاص (المشمش) ، وإذا كانت هذه لغة شامية ومنهم بنو أمية الذين حكموا الأندلس ونشروا بها لغتهم ، فكيف تلحن بها العامة.

ومن هذا المنطلق أيضا تناول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الباحث المغربي مسألة حيوية اللغة العربية كما تتجلى من خلال العاميات العربية المختلفة ، وحاول أن يقيم الدليل على وجود أكثر من رباط بين العاميات العربية مستندا في ذلك على نموذج العلاقة بين اللهجة المغربية واللهجة المصرية في القاهرة . ويبدو لي أن الباحث المغربي عمد إلى المقارنة باللهجة القاهرة بعد أن تأسس في مجمع اللغة العربية لجنة لسلهجات التي تكفلت باستقراء الألفاظ

الفصيحة في اللغة العراقية الدارجة في كتابه : (تنمية اللغة العربية في العصر الحديث) ، ونحن عندما نتأمل عينة من هذه المفردات سنجد كثيرا منها رائجا عندنا في المغرب بنفس المعنى والاستعمال، وهذه أمثلة :

بزل (شق) - تختخ العجين (إذا خمر)
- الجزة (صوف الشاة) - جمز (قفز/عدا) -
حجل (رفع رجلا وقفز على الأخرى) -
شبح (مده ليجلده) - شكوة اللبن
(وعاؤها) - الشياط (الاحتراق) - النحط
(شبه الزفير) - المرس (الدق) - خنزر
(نظر بمؤخرة عينه) - دحس (أدخل الشيء
بالقوة) - تربع (جلس جامعا قدميه) إلخ.
ويفسر د. السامرائي وجود مثل هذه
المفردات في اللسان العراقي اللهجي
بكونها فصيحة في بداية أمرها ، فيحدث
للواحدة منها أن "تبتعد عن اللغة

الفصيحة فيعرف عنها أهل الاستعمال وتستقر في اللغات الدارجة حتى ليخيل لكثيرين أن الكلمة عامية ولا صلة لها بالفصيحة " . وقد أشار إلى أن أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق (وهو الأستاذ شفيق جبري) كان يسمى مثل هذه الألفاظ بـ "بقايا الفصح" والواقع أن كثيرا من هذه البقايا الفصيحة منشورة في كل اللهجات العربية وهي التي تشكل الرصيد المشترك بين المناطق العربية التي يساعد على حسن التواصل بين سكانها ، ويمثل في نفس الوقت الأساس اللغوي الذي يربط بين المتعلمين وتراثهم العربي والإسلامي ، ومن هنا دعت الحاجة إلى مزيد من البحث لتحديد ما يوحد بين اللهجات فيما بينها من جهة ، وما يوحدتها مع الفصحى في مستواها العالي من جهة أخرى .

عباس محمد الصوري

مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط

مراجع البحث

- 1- أمين الخولي : مشكلات حياتنا اللغوية ، دار المعرفة القاهرة 1956 .
- 2- حسن ظاظا : كلام العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت 1976 .
- 3- مصطفى زكي التوني : علل التغيير اللغوي ، حليات كلية الآداب / جامعة الكويت 1973 .
- 4- ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم ، بيروت ط. السادسة 1986 .
- 5- منذر عياشي : قضايا لسانية وحضارية ، طلاس ، دمشق 1991 .
- 6- د. فتحي يونس تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب، دار الثقافة بالقاهرة 1978 .
- 7- يوهان فك : العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة د. عبد الحليم النجار ، مطبعة الكتاب العربي ، القاهرة 1951 .
- 8- د. محمود السيد : في قضايا اللغة التربوية ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
- 9- د. عبد العزيز مطر : لحن العامة ، درا الكتاب العربي ، القاهرة 1967 .
- 10- د. إبراهيم السامرائي : تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة 1973 .
- أعداد من مجلة اللسان العربي / مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

العامي الفصيح

من المعجم الوسيط (باب الغين وباب الفاء)*

للأستاذ الدكتور أمين علي السيد

تقديم :

ثم انشغلت ببحث عن تقارض الصيغ

بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي.

وفي مؤتمر العام الماضي (١٩٩٧م) قدمت

باب الطاء وباب الظاء وباب العين .

وفي هذا العام (١٩٩٨م) أتقدم

بباب الغين وباب الفاء .

وقد عقدت العزم على المتابعة ،

راجيا العون من الله العلي القدير ، حتى

يتم هذا العمل ، ليكون أساسا لمعجم

(العامي الفصيح من المعجم الوسيط) .

والله من وراء القصد .

باب الغين

• الغاز : حالة من حالات المادة الثلاث.

وقد أصبحت كلمة الغاز عند العوام

كثيرة الاستعمال ؛ لاستخدامه في المواقف

والإضاءة والتدفئة وغيرها . ويعرفون غاز

الخرذل السام المستخدم في الحروب .

يرجع تاريخ هذا العمل إلى عام (١٩٩٠)

حين كان موضوعا للبحث المقترح في

المؤتمر الذي يعقد في كل عام مرة .

وفي ذلك العام وما بعده قدمت

للمؤتمر ما يأتي :

في عام (١٩٩٠م) قدمت: باب

الهمزة وباب الباء وباب التاء وباب الثاء.

وفي عام (١٩٩١م) قدمت : باب

الجيم وباب الحاء .

وفي عام (١٩٩٢م) قدمت: باب الخاء

وباب الدال وباب الذال وباب الراء.

وفي عام (١٩٩٣م) قدمت: باب

الزاي وباب السين وباب الشين وباب

الصاد وباب الضاد .

وكان هذا خاتمة الجزء الأول من

المعجم الوسيط .

* ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة سنة

١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

فلان مغبون في البيع أو غيره وتغابن القوم: غبن بعضهم بعضا .

• غبي: الغبي عندهم من لا يفهم ولا يدرك الأشياء والغباوة : عدم الإدراك كالغباء.

• غت : غت فلانا في الماء : غمسه فيه. وغت الدابة بالسوط : ضربها به ومن كلامهم : فلان غت فلانا بالسكين إذا طعنه.

• الغجر : قوم جفاة منتشرون في جميع القارات ، يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم ، ويعتمدون في معاشهم على التجارة ، والواحد منهم غجري ، والعوام يقولون : فلان غجري إذا ساءت أخلاقه .

• الغدر : غدر فلانا : نقض عهده ، وترك الوفاء به ، فهو غادر ، وغدار ، وغدور وهي غادرة وغدارة.وغادر المكان مغادرة: تركه ، ومنه رسم المغادرة . والغدارة : آلة لإطلاق القذائف بين المسدس والبدقية . والغدفة : شبه القناع تلبسه نساء الأعراب، والعامية يقولون غطفة . وغداه : أطعمه الغداء . والغد: اليوم الذي بعد يومك ، واليوم المترقب

• الغازوزة : شراب حلو له ألوان مختلفة ، لكل لون طعم خاص به ، والكلمة مجمعية والجاري على السنة العوام (كازوزة) ولعل المجمع يقرها .

• الغب : في الزيارة : زار في الحين بعد الحين، ومن محفوظاتهم زر غبا تزدد حبا. ومن استعماله لهذا المعنى قولهم فلان لا يقنع ولكنه يغب - بضم الغين .

• الغبار : من معجمهم ، ويستعملون كثيرا من مشتقاته مثل اغبر الشيء إذا علاه الغبار، وعبر بمعنى أثار الغبار، وتغير: تلطخ بالغبار .

• الغبش : ظلمة آخر الليل . وغبش اللون كدرته ، ويستعملونه مجازا فيقولون : فلان أغبش الحظ . ووجه فلان في هذا الأمر كان أغبش .

• الغبط : من كلامهم : فلان مغبوط أي حسن الحال.واعبط فلان : فرح بالنعمة. والغيط: ما يوضع على ظهر البعير ليركب، ووعاء ذو عدلين كالخرج يوضع فيه التراب أو السماد تحمله الدواب للفلاح.

• الغبن: في البيع والشراء وسائر المعاملات معروف عندهم ، ومن كلامهم

وإن كان بعيدا ، ومن محفوظ بعضهم إن غدا لناظره قريب .

• غربت : الشمس غربا : اختفت في مغربها . وغرب فلان غربة : بُعد عن وطنه، وكذلك: تغرب . واستغرب الشيء: عده غريبا . ويقولون حبلك على غاربك - يريدون اذهب حيث شئت . والغراب معروف ، ومن معجمهم غراب البين ، ومنه إذا شاب الغراب . والغرب : جهة غروب الشمس . والغريب : غير المعروف أو المألوف ، والرجل ليس من القوم ولا من البلد . والمغرب مكان غروب الشمس، وزمان غروبها وبلاد المغرب معروفة ، وكذلك صلاة المغرب .

• غربل: غربل الحب ونحوه : نقاه بالعربال من الشوائب ، وفي المثل : "اللي يغربل الناس ينخلوه". والعربال معروف عندهم ويجمعونه على غرابيل .

• غرد: غرد الطائر والإنسان تغريدا : رفع صوته بالغناء ليطرب به ، وقد سموا بناهم بتغريد .

• غر : رجل غر أي جاهل بالأمور . يقال غره الشيطان ونحوه ، وغرته الدنيا ،

ومن كلامهم : دنيا غرور ، وهو مغرور ، ورجل أغر أي سيد شريف كريم الفعال ، وهي غراء . واغتر فلانا : طلب غفلة . والغرارة : وعاء من الخيش ونحوه ، يوضع فيه القمح ونحوه . والغر : من ينخدع إذا خدع . وبيع الغر معروف عندهم ، وهو بيع ما يجهله المتبايعان كبيع السمك في الماء . والغرة من كل شيء أوله ، وغرة الشهر ليلة استهلال القمر .

• غرر : غرز الشيء في الشيء : أثبتته فيه . يقال : غرر الإبرة في الثوب ، وغرز العود ونحوه في الأرض . والغريزة: الطبيعة والقريحة والسحية .

• غرس: غرس الشجر ونحوه غرسا: أثبتته في الأرض فهو مغروس وغريس وغرس .

• غرض : العرض معروف عندهم بمعنى الهدف الذي يرمي إليه ، وبمعنى الحاجة والقصد، ومن كلامهم عرفت غرض فلان أي قصده ، وفلان مغرض أي صاحب غرض في شأن ما .

• غرغر: الغرغرة : ترديد الماء أو الدواء في الحلق دون بلعه. وغرغرت الروح: ترددت في الحلق عند الموت والاحتضار.

أداؤه تأديبا أو تعويضا . ويقولون : حكم القاضي على فلان بالغرامة . والغرم الدائن. والمغرم المولع بالشئ لا يصير على مفارقتة. ويعرفون الغرام بمعنى الحب، ومن الأغاني الشائعة عندهم يا دنيا يا غرامي .

• الغراء : ما يلصق به الورق والجلد والخشب . والعوام ينطقونها غره - يقصرون الممدود ويلحقون به هاء بدلا من المد . والإغراء معروف عندهم ، ومن كلامهم : فلان يغيرني بكذا لأفعل كذا. ويكسرون حرف المضارعة أو يلحقون بأول الفعل باء فيقولون : ييغيرني . ومنه فتيات الإغراء .

• غزر : من كلامهم : فلان يعطي بغزارة أي بكثرة .

• غز: غز الثوب أو الجسم بالإبرة ونحوها: وخزه وخزا خفيفا (محدثه).

• غزل: غزل الصوف والقطن ونحوهما: فتله خيوطا بالمغزل - وهم يفتحون ميم المغزل، والغزل: الشغف بمحادثة النساء والتودد إليهن. وغازل فلان فلانة: تودد إليها وحادثها، وتغزل فلان بفلانة. والغزال والغزالة من معجمهم. والغزل:

ومن كلامهم : تغرغر فلان بالدواء للغرغرة ، ومنه تغرغرت عيناه إذا تردد فيها الدمع .

• غرف : غرف الطعام : أخذه بيده أو بالمغرفة ، واغترف الماء بيده ، وانغرف الطعام . والغرفة ما غرف من الماء وغيره باليد ، والغرفة : الحجرة (مولد) وهي من معجم العوام ومنه : غرفة فلان ورقم الغرفة ، وغرفة العمليات أو غرفة العناية المركزة بالمستشفيات والغرفة التجارية والغرفة الزراعية أو الصناعية من المتداول بينهم (محدثه) والمغرفة: ما يغرف به الطعام وغيره ويجمعونها على : مغارف ، والفصيح بكسر الميم .

• غرق : يقولون : فلان غرق - بكسر فاء الكلمة إتباعا لكسر عينها ، ومن كلامهم: فلان غرق في الدين أو البلوى ، وغرقت السفينة إذا رسبت في الماء ، واستغرق فلان في الضحك إذا بالغ فيه .

• غرم: يقولون : فلان غرم غرامة كبيرة - بكسر فاء الكلمة إتباعا لكسر عينها . والغرام التعلق بالشئ تعلقا لا يستطيع التخلص منه. والغرامة: الخسارة ، وما يلزم

"غشيم" بمعنى الجاهل بالأمر وهي محدثة.

• غشى : ومن هذه المادة يعرفون :
الغشاء والغشاوة والغشية غشية الموت وما
ينوب الإنسان حينئذ من غيبوبة .

• غصب : غصب الشيء غصبا أخذه
قهرا وظلما . وجرائم الاغتصاب مما شاع
في بعض المجتمعات .

• غص : الغصة : ما اعترض في الحلق من
طعام أو شراب .

• غصن : غصن الغصن غصنا : قطعه .
والغصن ما تشعب من ساق الشجرة
والغصون والأغصان من معجمهم .

• غضب : غضب عليه غضبا : سخط
عليه وأراد الانتقام منه . فهو غضبان وهي
غضبانة . وأغضبه حمله على الغضب .
والغضب انفعال يؤدي إلى الاعتداء .
والمغضوب عليهم يكررونها في قراءة الفاتحة .

• الغضروف : كل عظم لين رخص في
أي موضع كان . وهو معروف عندهم
وجمع غضاريف . ويقولون عند فلان
انزلاق غضروفي .

• غض : غض البصر وغض الصوت :
كفه وخفضه . وغض فلان حقه : نقصه

المغزول . والمغزل ما يغزل به الصوف
ونحوه - بفتح الميم كما سبق ، والفصيح
كسرها .

• غزا : يعرفون الغزوة بمعنى الحرب
والقتال . ويعرفون غزوات الرسول صلى
الله عليه وسلم .

• غسل : غسل الشيء غسلا : أزال عنه
الوسخ ونظفه بالماء ، واغتسل بالماء :
غسل بدنه به . والغسالة : امرأة حرفتها
الشيء بالغسل . والغسالة : امرأة حرفتها
غسل الثياب ، وآلة تغسل الثياب أو
الأواني ، وتدار بالكهرباء (مجمعية)
والغسول ما يغسل به كالصابون ونحوه .
والغسيل ما يغسل من الثياب . والمغسل
موضع الغسل . والمغسلة المكان العام
لغسل الملابس ، وخشبة يغسل عليها
الميت (محدثان) .

• غش : غش صدره : انطوى على الحقد
والضغينة ، وغش صاحبه غشا : أظهر له غير
ما يضر . وغش الطالب في الامتحان فهو
غاش (مولد) وغششه : أمكنه من الغش
(محدثة) والغشاش والمغشوش من معجمهم .
• غشم : يعرفون من هذه المادة كلمة

إياه. والغضاضة : الذلة والمنقصة ،
والغضاضة العيب .

• الغضنفر : من معجم العوام ، ويعرفون
أنه الأسد .

• غضن : من كلامهم : قال فلان في
غضون حديثه كذا وكذا ، أي في أثنائه .
ومنه وجه فلان تغضن ، وفي وجهه
غضون كثيرة أي تنن وتكسر .

• غضا : يعرفون من هذه المادة : فلان
يتغاضى عن عيوب فلان ، أي يتغافل
عنها ولا يظهرها .

• غطرس : يقولون فلان يتغطرس على
غيره ، أي يتكبر ويتطاول ، وفلان فيه
شيء من الغطرسة ، وبعضهم يعرف
الغطريس بضبطه الفصيح .

• غطس في الماء غطسا : انغمس فيه ،
وغطس الشيء في الماء : غمسه فيه ،
وغطس فلان فلانا . والغطاس من
السفينة أسفلها الذي يغيب في الماء
(محدث) والغطاس عيد من أعياد النصارى ،
يسمونه عيد الغطاس ، يحتفلون فيه بذكرى
تعميد المسيح . والغطاس : من حرفته
الغطس ، والغطيس الأسود . والمغطس - بفتح

الطاء عندهم - موضع الغطس في الحمام .

• غط : غط في نومه : سمع له صوت ،
وغط النائم ، وغط المذبح وغط
المخنوق ، ومن كلامهم فلان يغط في نومه
- بضم الغين - ومنه غط الشيء في الماء
غطا أي غطسه وغمسه فيه . وفلان انغط
في الماء أي انغمس وغاص فيه . ومنه
غطط عليه النوم إذا غلبه .

• غطا : يعرفون من هذه المادة : الغطاء -
مع تغيير - وغطاه وتغطى ، وغطاء
المائدة ، وغطاء الفراش .

• غفر : غفر الله ذنبه : ستره وعفا عنه ،
والله غافر وغفور وغفار . واستغفر الله
من ذنبه : طلب منه أن يغفره .

• غفل : غفل عن الشيء غفلة : سها من
قلة التحفظ واليقظ . وأغفل الشيء :
غفل عنه ، وغفله وأغفله وتغافل أي
أظهر أنه غافل وليس به غفلة . واستغل
فلانا إذا ترقب غفلته . والمغفل من لا
فطنة له .

• غفا : غفا غفوة إذا نام قليلا .

• غلب : غلب فلان فلانا : قهره فهو
غالب وغلاب . وتغلب على بلد كذا :

إياه. والغضاضة : الذلة والمنقصة ،
والغضاضة العيب .

• الغضنفر : من معجم العوام ، ويعرفون
أنه الأسد .

• غضن : من كلامهم : قال فلان في
غضون حديثه كذا وكذا ، أي في أثنائه .
ومنه وجه فلان تغضن ، وفي وجهه
غضون كثيرة أي تنن وتكسر .

• غضا : يعرفون من هذه المادة : فلان
يتغاضى عن عيوب فلان ، أي يتغافل
عنها ولا يظهرها .

• غطرس : يقولون فلان يتغطرس على
غيره ، أي يتكبر ويتطاول ، وفلان فيه
شيء من الغطرسة ، وبعضهم يعرف
الغطريس بضبطه الفصيح .

• غطس في الماء غطسا : انغمس فيه ،
وغطس الشيء في الماء : غمسه فيه ،
وغطس فلان فلانا . والغطاس من
السفينة أسفلها الذي يغيب في الماء
(محدث) والغطاس عيد من أعياد النصارى ،
يسمونه عيد الغطاس ، يحتفلون فيه بذكرى
تعميد المسيح . والغطاس : من حرفته
الغطس ، والغطيس الأسود . والمغطس - بفتح

وتغلف : إذا صار له غلاف . والغلاف معروف عندهم .

• غلق : غلق الباب غلقا : أوصده . وأغلق الباب أوثقه . وغلق الأبواب ، ويحفظون من سورة يوسف قوله تعالى : "وغلقت الأبواب " وانغلق الباب خلاف انفتح .

• غلّ : انغل في الشيء واغتل فيه : دخل . واستغل المزرعة : أخذ غلتها . واستغل فلانا : انتفع منه بغير حق ، ومن كلامهم : فلان رجل استغلالي . والغل : العداوة والحقد الكامن ، ومن كلامهم : فلان يمتلئ قلبه بالغل . ومنه : شمي فلان غليله أي غيظه .

• غلم : العوام لا يعرفون الغلطة ، ولكن يعرفون الغلام والغلمان .

• غلا : غلا السعر : زاد وارتفع ، والسعر العالي أي المرتفع . واستغلى الشيء : وجده غاليا . والغالي خلاف الرخيص . والغلا ارتفاع السعر . وغلا الماء ونحوه . والغلاية إناء يغلي فيه السائل (مجمعية) .

• غمد : يعرفون منها : تغمّد الله فلانا برحمته أي غمره بها .

استولى عليه قهرا . والأغلبية الكثرة . والأغلبية المطلقة ، والأغلبية النسبية (محدثان) .

• غلت : غلت الشيء بالشيء : خلطه به . يقال غلت الحنطة بالشعير ، ويسمون الخليط : غليثة ، ولكنهم يقلبون الثاء تاء . والغليث : الخبز من شعير وحنطة ، مع قلبهم الثاء تاء أيضا .

• غلط : ينطقونها بكسر أولها تبعا لكسر ثانيها ومعناها : أخطأ وجه الصواب ويقولون : غلط في الأمر ، أو في الحساب فهو غلطان . وغالطه ، وغلطه إذا نسبته للغلط والغلطية : المرة من الغلط . والغلاط : الكثير الغلط . والمغلطاني : الذي يغالط الناس في حسابهم .

• غلظ : من هذه المادة يعرفون الغلظة ، والغلظة بمعنى العنف والشدة ، ويعرفون أغلظ الأيمان ، ويعرفون : رجل فيه غلظة أي فظاظة وقسوة .

• غلغل : غلغل الشيء في الشيء : أدخل فيه . • غلسف : لم يستعملوا الفعل الثلاثي ، وإنما استعملوا مضارع العين فقالوا : غلف الشيء ، إذا جعلوا له غلافا ،

- غمر : عمر الماء : كثر حتى ستر مقره .
- غمر في الماء انعمس . ومن معجمهم :
فلان رجل مغمور أي غير مشهور .
- غمز : غمرت الدابة أي مالت برجلها
في المشي إذا عرجت . وغمز فلان فلانا
بالعين أو الحاجب إذا أشار بهما . وغمز زرّ
الجرس أي ضغط عليه بإصبعه (محدثه)
- الغمز : العيب ، والمغموز : المتهم بعيب .
- غمس : غمس الشيء بالماء : غمره به .
والغموس : ما يؤتدم به (محدثه) وتغامس
القوم : غمس بعضهم بعضا في الماء .
- غمض : غمض المكان والشيء :
خفي ، وغمضت الدار : بعدت عن
الشارع . وغمضت عينه : نام . وغمض
عنه في البيع والشراء : تساهل . وغمض عن
الشيء : تجاوز . وغمض عينيه : أغمضهما .
وغمض في البيع : تساهل . والشيء
الغامض : الخفي وهو خلاف الواضح .
- غمط : غمط الحق : أنكره وهو يعلمه .
ومن كلامهم : فلان حقه مغموط .
- غمغم : الغمغمه : الكلام الذي لا يبين .
- غمغم الأبطال صوتوا عند القتال ، وفلان
يغمغم أي لا يسمع له صوت ولا يفهم
- منه كلام .
- غمق : يعرفون الغامق من الألوان ،
وهو المائل إلى السواد (بجمعية) .
- غم : غم فلان فلانا : حزنه . وغم
الثور ونحوه وضع الغمامة على عينيه وهو
يدور في الساقية أو الطاحون ، والغمامة
في نطقهم : (الغمى) بضم الغين وفتح
الميم وألف مقصورة (غمى) واوية يائية .
وغم عليها الهلال : لم يروه لغيم أو
ضباب ، وأكثر عوام المسلمين يحفظون
الحديث الشريف : " صوموا لرؤيته
وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا
عدة شعبان ثلاثين يوما " . ويعرفون الغم
بمعنى الحزن ومن كلامهم : انغم فلان أي
حزن ، فهو مغموم ، والغم : الكرب
والحزن . والغمة من معجمهم ، ومن
محفوظهم في صفة الرسول صلى الله عليه
وسلم : "نصح الأمة وكشف الغمة " .
- غمى : غمى عليه : عرض له ما أفقده
الحس والحركة فهو مغمى عليه ، وأغمى
على فلان ، والغماء يوضع على وجه
الدابة وهي تدور في الطاحون (محدثه)
وينطقونها الغمى كما تقدم .

• غنجت : غنجت المرأة : تدللت على زوجها ، والفصيح كسر النون ، ولكنهم يفتحونها ، ويعرفون الغنج والغناج بمعنى الدلال .

• غنم : يعرفون غنيمة الحرب والظفر بمال العدو . والغنم : الفوز بالشيء من غير مشقة . ومن عباراتهم : "الغنم بالغرم" والغنم : القطيع من الماعز والضأن . والغنام : صاحب الغنم والقائم عليها ، والمغنم من معجمهم .

• غنّ : الغنة : صوت يخرج من الخيشوم ، وكثير من العوام يعرفون حروف الغنة عندما يتلون القرآن الكريم ، أو يتعلمون تلاوته .

• غنى : الغنى والفقر معروفان عندهم ويستعملون كلمتي الغنى والفقر كثيرا . ومن عباراتهم : الغنى غنى النفس . وأغنى الله فلانا أي جعله غنيا . وتدعو الأم لولدها قائلة : ربنا يغنيك عن خلقه يا ولدي . وغنى : ترنم بالكلام موزونا أو غير موزون . واستغنى : اغتنى . والأغنية : ما يترنم به من الكلام الموزون وغيره ويجمعونها على الأغاني . والغناء ضد الفقر .

والغناء التطريب . والغني : من أسماء الله الحسنى ، ومن أسمائهم عبد الغني ، وكذلك المغني والمغني : محترف الغناء .

• غاث : غاثه الله وأغاثه : أعانه ونصره . وأغاثهم الله برحمته : كشف شدتهم . والاستغاثة : طلب الغوث .

• غار : غار الماء : ذهب في الأرض . وأغار الجيش على الأعداء . والغار : كل منخفض من الأرض ، والبيت المنقور في الجبل . والغارة : الهجوم على العدو . والمغار والمغارة : الغار في الجبل . وفلان مغوار أي مقاتل كثير الغارات على أعدائه .

• غاص : غاص في الماء غوصا : نزل تحته . وغاص في البحر على اللؤلؤ : نزل تحت الماء ليستخرجه . وفلان يغوص على حقائق العلم ، وما أحسن غوصه عليها ! . والغواص : الشديد الغوص ، ومن يحترف الغوص ، والمجتهد في تدبير معاشه . والغواصة : سفينة حربية مهيأة للغوص في الماء والمكث فيه لصيد سفن العدو (محدثة) والمغاص : موضع الغوص ومه مغاص اللؤلؤ للمكان الذي يستخرج منه .

- غاط: غوط البثر إذا حفرها وأبعد قعرها. وتعوط : ترز . والغوطة : مجتمع السبات والماء ومنه غوطة دمشق ، وهي أحد مناره الدنيا السبعة لكثرة ما فيها من الرياض والفاكهة والرياحين . والغيط من الأشياء البعيد القعر ومنه بثر غويطة . والغيط عند أهل مصر : الحقل .
- الغاعة : يستعملون هذه الكلمة بمعنى الغوغاء ، وهي الصياح والجلبة ، والسفلة من الناس لكثرة لغطهم وصياحهم .
- غاله : لا يقولون : غاله بمعنى أهلكه ، وإنما يقولون : اغتاله ، والاغتيال : الأخذ على غفلة ، والاغتيالات السياسية من معجمهم ، والغول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه ويعدونه أحد المستحيلات الثلاثة ، وهي (الغول والعنقاء والخل الوفي) .
- غوى : غوى فلان إذا أمعن في الضلال ، وأغوى فلان فلانا : أضله ، وكذلك استغواه .
- غاب : غاب يغيب - بكسر حرف المضارعة وغياب وعيب وغيبة وغيوبة ، وتغيب واغتاب وجل ما أخذ من هذه
- المادة من معجم العوام .
- غاث : غاث الله البلاد : أنزل بها المطر، الذي يسقي الزرع ويدر الضرع .
- الغادة من الفتيات : الناعمة اللينة ويسمون بها بناتهم .
- غار: غار الرجل على المرأة وغارت المرأة على الرجل فالرجل غيران والمرأة غيرى ، وفلان غيار ، وهي غيارة - إذا انصرف أحدهما عن الآخر . وغير الإنسان ثيابه أو دابته أو داره أو نحو ذلك. وغير الشيء : بدل به غيره ، ويقولون : عيرت داري إذا بناها بقاء غير الذي كان .
- كما يقولون : غيرت مسكني إذا انتقل إلى مسكن آخر . والغيار بمعنى البديل ، وهو البديل من كل شيء ، ومنه الغيار على الجرح . و"غير" من الكلمات الكثيرة الدوران على ألسنة العوام ، لكنهم يكسرون أوله. ولا ضمير على الفصحى إذا ضمت (غير) بكسر أولها إلى معجمها .
- الغيط : يطلقه أهل مصر على الحقل ، كما تقدم .

والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا " ويجمعون الفؤاد على الأفتدة ، ومنهم من يحفظ قوله تعالى : " نار الله الموقدة التي تطلع على الأفتدة " ويذكرونها إذا أصابهم وجع شديد .

• الفأر : حيوان معروف ، وتسهل الهمزة عند العامة والخاصة ، ويجمع على فيران ، وفأرة السنجار التي يقشر بها الخشب معروفة عندهم ، (محدثة) ، ويكون بقله الفيران عند الفقر .

• الفأس : آلة ذات يد ملساء من الخشب وسن عريض من الحديد ، يستخدمها الفلاح كثيرا في حقله ، يحفر بها ويعزق الأرض ، ويسهلون همزتها ، ويقولون في جمعها : فوس ، بإسقاط الهمزة .

• فافأ : من كلامهم : فلان يفافئ في كلامه ، ويسكنون حرف المضارعة عند الوصل ، ويكسرونه إذا جاء في أول الكلام .
• الفأل : قول أو فعل يستبشر به ، وتسهل الهمزة . ومما يجري على ألسنتهم : فلان دائما متفائل ، ولكنهم يكسرون الميم ويسكنون التاء . ومن كلامهم : خذوا فألكم من صغاركم ، مع إبدال الذال دالا .

• غاظه : أغضبه أشد الغضب ، وغازظه وغيظه وهو مغتاظ وعوام مصر يحدثون به قلبا مكانيا ، فيقولون : فلان اتغاز من فلان وهو متغاز ويكسرون الميم في الكلمة الأخيرة . وكلمة العيظ تجري على ألسنتهم كثيرا ولكنهم يكسرون أولها .

• غامت السماء : غطاها الغيم : وغيمت السماء ، وتغيمت ، والغيم : السحاب ، والغيمة : القطعة من السحاب ، ويستعملون الغيم والغيمة بكثرة ولكنهم يكسرون العين .

• الغاية : من معجمهم ، وكثيرا ما يقرنوها بكلمة النهاية ، فيقولون : ... بلغ الغاية والنهاية في الجودة ، وبلغ فلان غايته ، وغاية الأمر : كذا وكذا . والغايات من معجمهم ، ويحرفون كلمة غاية في نحو قولهم : فلان غيته كذا ، يعنون رغبته وهدفه . أما قول العرب : هو ولد غية بمعنى ولد زنية " نقيض " هو ولد " رشدة " فلا يعرفونه .

باب الفاء

• فآد : الفؤاد بمعنى القلب ، ومن أسمائهم : فؤاد ، ومنهم من يحفظ هذه العبارة القرآنية : " إن السمع والبصر

• ويتتبع أمور الناس ، والمفتش : موظف يقوم بتفتيش أعمال حكومية أو غيرها (محدثه) والعوام يقولون : فتش فلان سر فلان أي أذاعه ولم يحفظه .

• فتق:الفتق .بمعنى الشق . والمفتقة : انحلاط من عقاقير وأفاوية تعقد بالزيت والعسل وتؤكل للتسمين (محدثة) والفتق: بروز جزء من الأمعاء من فتحة في جدار البطن.

• فتك : فتك به : غدر به واغتاله ، أو قتله مجاهرة . وفتك القطن : نفشه . والفتاك : الشديد الفتك .

• قتل: قتل الحبل ونحوه: لواه وبرمه، فهو مفتول،وقتل الشيء قتله. والقتلة : القطعة من خيط القطن والحريز ونحوهما (محدثه) والفتيلة : ذبالة السراج معروفة عندهم .

• فتن : فلان فتنه المال ، أو فتنته الدنيا ، أو فتنته المرأة .بمعنى شغلته وصرفته عما يجب عليه أن يؤديه . وهو مفتون بكذا . والفتان: الشيطان .

• فتاه: فتاه فتوا - غلبه في الفتوة ، والذكر فتى والأنثى فتاة ، واستفتاه في أمر أو مسألة.أو شأن : سأل رآه . والمفتي :

•الفتة:الفتات أكثر شيوعًا على ألسنتهم من الفتة، وبخاصة عند الترشيح لمجلس الشعب أو مجلس الشورى. ومنهم من ينطق بالجمع بكسر الفاء وتشديد الياء المفتوحة .

• فته: دقه وكسره . ومن عباراتهم : أحسب الرقاق المفتوت باللبن . والفت : كسر الخبز والمشرية بماء اللحم (مولد) . ولا يعرفون الثريد .

• فتح : فتح الله عليه : هيا له سبل الخير. وفتح الباب المغلق . وفتح الكتاب . وفتح المسلمون مصر . وفتح القاضي الجلسة . وفتح قلبه لفلان . وافتتح الكلام باسم الله. وانفتح السباب . وتفتح اللوز عن القطن . والفتاحة من الكتاب الكريم : سورة الحمد. والفتاح اسم من أسماء الله الحسنى . والفتاحة (مجمعية) والمفتاح : آلة الفتح، والمفاتيح جمعه .

• فتر: فتر الماء الساحن . وفتر العامل عن العمل.وفتر البرد. وفتر السحاب. والفاتر: ما بين الحار والبارد.والفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما .

• فتش : فتش الشيء ، وفتش عن الشيء، والفتاش : الذي يكثر التفتيش

من يتصدى بين الناس وهو فقيه تعينه الدولة ليحيب عما يشكل من المسائل الشرعية . ومنهم من يحرف كلمة الفتوة وينطبق بها الفتونة، ولكن أكثرهم يقولون: الفتوة.

• فجأ : فجأة الأمر ، وفجأه ، فجأة ومفاجأة ، والفجأة : ما فاجأ الإنسان ، وموت الفجأة ما يأخذ الإنسان بغتة ، وهو موت السكنة .

• الفج : الطريق الواسع البعيد معروف من قوله تعالى: " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " .

• فجر : يعرفون الفجور بمعنى الانبعاث في المعاصي بغير اكتراث . وفجر الرجل القذيفة : أشعلها لتنفجر (محدثه) . وانفجر اللغم . وانفجر فلان باكيا . والفجر : الصبح . والفاجر : الفاسق غير المكترث . وفلان من الفجار أو من الفجرة . والفجرة : انكشاف ظلمة الليل عن نور الصبح ، ويفرقون بين الفجر الصادق والفجر الكاذب . والمتفجرات : مواد كيميائية ناسفة تصنع منها القذائف

والألغام (بجمعية).

• فجّل : لا يعرفون من هذه المادة إلا الفعل وواحدته فجلة ، ويكسرون الفاء وهي في اللغة الفصحى بالضم .

• فحش: الفاحشة بمعنى القبيح من قول أو فعل. وجمعها الفواحش. والفحشاء، يطقونها بحذف المد والهمزة من آخرها ، ويضعون مكانهما تاء التأنيث، فيقولون مثلا : فلان يمارس الفحشة ، وربما أرادوا بها الزنا .

• فحص : فحص الطبيب المريض : جسسه ليعرف ما به من علة . وفحص عن الأمر: استقصى في البحث عنه . وفحص الكتاب ونحوه: دقق النظر فيه ليعلم كنهه. وفحص الإنتاج العلمي لفلان تمهيدا لتعيينه أو لترقيته .

• فحفح: يقولون من هذه المادة : فحفحت رائحة الطعام ، إذا انتشرت في أنحاء البيت، وهذا المعنى ليس في القاموس المحيط ولا في لسان العرب .

• فحل : يعرفون الفعل بأنه الذكر القوي من كل حيوان ، والفحل الفحيل: الكريم المنجب . واستفحل الأمر إذا تجاوز الحد . ومن عباراتهم : فلان مستفحل

تصنع من الطين وتحرق. والفاخورة: مصنع الفخار (محدثة).

• فخفخ : الفخفخة تجري على ألسنتهم وهي الفخر بغير حق .

• فخم : الفخامة : عظم القدر ، وفخمه عظم قدره ورفع ، والشيء الفخم من معجمهم .

• فدغ : فدغ الشيء فدغا : كسره . وانفدغ الشيء : لان عن ييس .

• فدم : رجل فدم : ثقل الفهم غبي .

• فدن : الفدان في مصر : مقدار من الأرض الزراعية مساحته ٣٣٣١/٣ قصبه ، أو ٤٢٠٠ متر مربع ، وجمعه : فدادين .

• فدى : فداه فداء : استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه . وفاداه مفاداة وفداء: دفع فديته ، أو قبل فديته وفداه بنفسه : فداه وقال له جعلت فداك .

وتفادى الأمر تحاماه . والفداء ما يقدم من مال ونحوه ، وهو في بعض العبادات . والفدائي : المجاهد في سبيل الله أو الوطن، مضحيا بنفسه، والجمع : فدائيون (محدثة) والفدية من معجمهم بنطقها الفصيح .

علينا، ولكنهم يكسرون الميم التي في أوله.

• الفحم : الفحم معروف عندهم وهو مادة سوداء ذات مسام تتخلف من إحراق الخشب ونحوه إحراقا جزئيا ، ويفرقون بين الفحم النباتي والفحم الحجري ، ويقولون لبائع الفحم : فحام ، كما يقولون للصبي إذا اشتد بكأؤه : الولد انفحم من شدة البكاء .

• فخت : لا يعرفون من هذه المادة إلا قولهم: فلان فخت عين فلان بمعنى فقأها، ولا يوجد هذا المعنى في القاموس المحيط ولا في لسان العرب ، والذي فيهما : فخت رأسه بالسيف : قطعه ، وفخت الإناء كشفه ..

• فخذ : يعرفون الفخذ ، لكنهم يسكنون الخاء ويقلبون الذال دالا، وتسكين الخاء فصيح ، أما قلب الذال دالا فقد شاع عند العوام .

• فخر : الفخر معروف عندهم ، وكذلك : افتخر فلان بكذا ، وتفاخر بمعنى تعاظم وتكبر ، وتفاخر القوم : فخر بعضهم على بعض . والفخار : أوان

الحيوان والنبات والشجر وغيرها ، ومن
الزراع : ما انعلق عنه الحب . ومن
الورق: صحيفة تختلف مقاييسها حسب
حاجة الاستخدام للكتابة والطباعة
(محدثه) وجمعه : فروخ . والمفرخة :
موضع الاستفراخ وجمعها على مفارخ .
• فرد : فرد الشيء : إذا جعله أفرادا ،
وفرد الأشياء : إذا باعد بين بعضها
وبعض (محدثان) . وانفرد بالأمر :
استبد ولم يشرك معه أحدا . واستفرد
بالأمر أو الرأي: انفرد. واستفرد فلانا: خلا
به. والإفراد يعرفه الحجاج وهو عدم الجمع
بين الحج والعمرة في الإحرام . والفرد :
وعاء من الخوص توضع فيه الحبوب
كالقمح والأرز ونحوهما (محدثه) والفرد:
الواحد، والأنثى : فردة والفردية: نزوع
الفرد إلى التحرير من سلطان الجماعة
(محدثه) ومن أسماء بناتهم "فريدة"
وبحذف التاء يسمى الذكر "فريد".
• فردوس : يعرفون الفردوس اسما من
أسماء الجنة ويدعون قائلين اللهم إنا
نسألك الفردوس الأعلى ، ويطلقون اسم
"فردوس" على بناتهم .

• فرتك : فرتك الشيء : قطعه مثل الذر،
وفرتك النسيج ونحوه : نقضه وأفسده .
• فرج : فرج الله الكرب أو الغم :
كشفه . وأفرج عن الحبس أطلقه .
وأفرج عن المال: أعطاه لصاحبه أو طالبه.
وانفرج لهم : انكشف . وتفرج الرجل
على كذا: تسلى بمشاهدته . وتفرج على
السلعة: عاينها عند الشراء (محدثه) ،
والفرج بفتح الفاء والراء من معجمهم ،
ومن عباراتهم: فرج الله قريب . والفرجة:
مشاهدة ما يسر (محدثه) ، والفرجية :
ثوب واسع الأكمام يتزيا به علماء الدين
(محدثه) ، والفروج : فرخ الدجاجة
والجمع : فراريح. ومن محفوظاتهم :
"اشتدى أزمة تنفرجي".
• فرح : الفرح بمعنى السرور والرضا
الابتهاج . والفرح بمعنى بطر النعمة .
والفرح : حفلة العرس على المجاز (محدثه)
والفرحة : السرور والبشرى . وفرح فلان
فلانا : سره بأمر من الأمور .
• أفرخ: من معجمهم: فرخت البيضة إذا
انفلقت عن الفرخ . وفرخ الزرع إذا
نبئت أغصانه . والفرخ : كل صغير من

- فر : الفرار بمعنى الهروب . ومن فكاهات العوام ما ينسبونه إلى شيخ الخفراء من قوله للمأمور المركز بلاغا عن حادث ضرب : "قبضنا على المضروب والضارب فر هاربًا يا فندم " . ويقول رئيس الجماعة في الجيش عمن غاب بدون إذن : "فلان بلغ فرار يا فندم : .
- فرز : فرز الشيء بمعنى ميزه ونحاه . وفرز القطن ونحوه : فصل رديئه عن جيده . وتحديد موعد الفرز للمحدين لأخذ اللائق منهم بالخدمة . والإفراز معروف كإفراز العرق من مسام الجسد . والفرزاز : من يقوم بفرز الأشياء ليميز الطيب من الرديء ومن كلامهم هذا شيء مفروز أو هو على الفرازة .
- فرس : افترس الفريسة : صاهاها وقتلها . والفرارس : الماهر في ركوب الخيل . وسلاح الفرسان معروف في الجيش ، والفرسان هم الذين يحاربون على ظهور الخيل . والفراسة : العلم ببواطن الأمور ، ولكنهم يفتحون الفاء في أولها ، والفصيح كسرهما ، ومن كلامهم : فراسة فلان لا تخيب والفرس واحد الخيل للذكر
- والأنثى . وفرس البحر : جنس من الأسماك ، وفرس النهر : حيوان ثديي معروف . والفريسة : ما يفترس السبع من الحيوان .
- فرش : فرش النبات يفرش - بكسر حرف المضارعة : انبسط على وجه الأرض . وفرش الشيء فرشًا : بسطه . وفرش لفلان بساطًا أو نحوه : بسطه له في ضيافته . وفرش الدار ونحوها بالحجارة : بسطها فيها . وانفرش الشيء : انبسط . والفراش معروف عندهم . والفراش : ما يفرش من متاع البيت . والفراشة : واحدة الفراش . والفراشة حرفة الفراش (مجمعية) والفراش : من يتولى أمر الفراش وخدمته في المنازل ونحوها (مجمعية) ومن يؤجر الفرش للناس في الأعراس والمآتم ونحوها من سرادقات وبسط وكراسي (مج) والمفرش : غطاء يبسط فوق المائدة ونحوها (محدثه) ومن المعروف عندهم الشقة المفروشة .
- فرشح : بمعنى باعد ما بين رجله . ومن كلامهم : فلان قاعد مفرشح - محرفة - . وفرشحت الدابة وسعت ما بين رجلها للحلب .

• فرص : يعرفون من هذه المادة "الفرصة" وهي الشيء المرغوب فيه يسنح ويتسابق إليه الناس ، ويقال : انتهز فلان الفرصة إذا اغتنمها وفاز بها (وهذا التعريف من المعجم الوجيز) والفرصة بالصاد وبالسین، وهكذا ينطقها العوام . ويقول بعضهم لبعض: هذه فرصتك فاغتنمها ، وهذه فرصتك الأخيرة . والفرصة : النوبة تكون بين القوم يتناوبونها على الماء . ويقولون لصاحب النوبة جاءت فرصتك من السقي.

• فرض : الفرض معناه عندهم ما أوجب الله على عباده ، وما يفرضه الإنسان على نفسه . والفريضة : ما أوجبه الله على عباده من حدوده التي بينها بما أمر به ونهى عنه ، والحصصة المفروضة بقدر معلوم في الزكاة أو في الميراث ونحوهما . وكثيرا ما يقولون : نفرض أن كذا حدث فماذا نفعل؟ ويكسرون حرف المضارعة . ومن عباراتهم : نفترض حصول كذا بكسر حرف المضارعة أيضا ، ويستعملون من هذا الفعل الماضي والأمر . ويفرقون بين السنة والفرض في العبادات .

• فرط : في معجمهم : انفرط العقد ، إذا تفرقت حباته وهي محدثة ، وفرط في الأمر إذا قصر فيه . والفراطه آلة يفرط بها حب الذرة (محدثة) ويسموها (مكنة تفريط) وفرط حمل الحمل ، ويفرطه ، وأفرطه بمعنى إنزاله عنه وفك الحبال التي يربط بها المحمول.

• فرطح: فرطح الشيء : بسطه ووسعه . ومنه رغيف مفرطح ، بكسر الميم عندهم.

• فرطس : يعرفون فرطوسة الخنزير ، ويفتحون الفاء ، والفصيح ضمها .

• فرع: في معجمهم من هذه المادة الفرع، والفروع ، وتفرع ولكنهم يسكنون التاء في أوائل هذا الفعل ويحتلبون همزة وصل في أوله ليتمكن النطق به، ومتفرع من كذا، مع كسر الميم وإسكان التاء . وهو فارع الطول . وفلان فارعة . وفروع الشجر أغصانها . وفروع الرجل أولاده . وفروع الموضوع ما نشأ عنه .

• فرع: تفرعن فلان إذا تجبر وطغى وتخلق بأخلاق الفراعنة (مولد) وفرعون : ملك مصر في التاريخ القديم ، وقصته معروفة عند العوام . وهم فراعنة أي طغاة ظلمة.

ومنه : فريق الألعاب ، وفرقة المطافئ
والفرقة المدرسية (محدثة)

• الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي
ثابت الموقع تقريباً ، يهتدى به وهو
المسمى بالنجم القطبي ، ولكن العوام في
مصر يسمونه : "وتد النجم" .

• فرقع: الشيء إذا فجره وسُمع له
صوت، وفرقة الأصابع معروفة ،
والمفرقات : المتفجرات ، وهي مواد
قوية الانفجار تستعمل في الحرب والهدم
وبعض الصناعات (محدثة).

• فرك : فرك الشيء إذا حكه ليزيل ما
عليه من القشر. والفريك معروف عندهم
وهو أول ما ينضج من الذرة أو البُر ،
والسر يشوى أول نضجه ثم يبيس ويحش
ويطبخ (محدثة) والمفروكة : طعام لأهل
مصر، يتخذ من فطير الذرة ، يفرك ويغطى
باللبن والزبد (مولد).

• فرم : فرم اللحم فرما : فراه
(محدثة) والفرامة: آلة الفرمة (مجمعية)
والفرمة هي الفرامة ، ويستعملونها
بفتح الميم ، والفصيح كسره لأنها اسم
آلة .

• فرغ : فرغ الإناء مما كان فيه أي حلا،
وهم يضمون الفاء والراء . والإناء فارغ
أي حال مما كان فيه . واستفرغ فلان إذا
قأ واستفرغ بجهوده في كذا : بذله كله
فيه واستقصاه. وتفرغ من العمل : تخلّى
عنه. وتفرغ للعمل: تخلّى له . والفراغ
والمفرغ. ومن السائق بينهم : كلام فارغ،
وفلان محه فارغ ، وبيته فارغ . وبين بيتنا
وبيتكم فراغ أي مكان خال . وفرغ
الشيء : أخلاه .

• فرفر : فرفر القطن إذا نفشه ونقضه .
والفرفور : الغلام الشاب بفتح الفاء .

• فرق : بين الشيئين فرقا : فصل وميز
أحدهما عن الآخر. و فرق بين المتخاصمين:
حكم وفصل . وفرق الشيء : قسمه .
وفارقه : باعده . وفرق القاضي بين
الزوجين : حكم بالفرقة بينهما . وفرق
الشيء : جعله أجزاء ووزعه . وتفرق
الرجلان : ذهب كل منهما في طريق .
والفاروق اسم كثير من الرجال ، ولقب
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، واسم
ملك مصر قبل الثورة . والفراق والفرقة
والفرقان والفرق والفريق والفارق والفرقة

قولهم: فزّورة وجمعها على فوازير ، ولهذا اللفظ عندهم شيوع كبير .

• فزّ : بمعنى فزع ، وبمعنى نشط وتوقد ، واستفزع فلان فلانا بمعنى أثاره وأزعجه ، والفزة الوثبة بالانزعاج .

• فزع : من معجمهم الفزع بمعنى الخوف والذعر .

• الفستان : ثوب مختلف الأشكال والألوان، من ملابس النساء (ج) فساتين (مع).

• الفستق : معروف عندهم ، ولكنهم يبدلون السنين زايًا ، والتاء دالا ، فيقولون: فزدق . ويقولون : لون فزدقي، أي ذو خضرة تشبه لون الفستق .

• فسح : فسح له في المجلس : وسع له ليجلس . وانفسح المكان اتسع . وانفسح صدره: انشرح. وتفسح: طلب الفسحة من عمل ليستريح . والفسحة الراحة في أثناء العمل، أو الراحة بين عمليين (محدثة).

• فسد : فسد اللحم أو اللبن ونحوهما فسادًا إذا أنسن أو تلف . وفسد العقد ونحوه إذا بطل . وفسد الرجل إذا جاوز الصواب والحكمة . وفسدت الأمور إذا

• الفران : الخباز . والفرن : موقد للخبز وغيره . والأفران معروفة عندهم .

• فرهد: فرهدت نفس الغلام إذا ضاقت. والفرهود والفرهد من الغلمان : الحسن الممتلئ . وفرهد الغلام امتلأ وحسن . والعوام يستعملون الفعل من هذه المادة متعديا فيقولون : هذا الشيء فرهدني بمعنى أتعبني وأجهدني . ومن أسمائهم فرهود، ولكنهم يفتحون الفاء ، والفصيح ضمها قياسًا على : فعلول .

• الفرو : جلد بعض الحيوان ، والفروة : الجلدة ذات الشعر ، ويعرفون فروة الرأس، وفروة الدب ، وفروة الأرنب ، وفروة الثعلب ، ويميزون بينها ، ويستخدمونها . وأبو فروة معروف عند المصريين، يشوي وينزع قشره ثم يؤكل.

• فرى : فرى الشيء : فتنه . ويقولون : فلان افترى بمعنى تجبر وظلم غيره ، ويقولون : هو يفترى على الله الكذب .

• فزر : فزر الثوب ونحوه إذا شقّه . وفزّر الثوب . وانفسز الثوب وتفزر . ومن معجمهم العامي الذي لم أجد له أصلا في القاموس المحيط، ولا في لسان العرب

• فسل: الفسيلة : النحلة الصغيرة ، تقطع
من الأم ، أو تقلع من الأرض لتغرس في
مكان آخر . والرجل الفسل الذي لا
مروءة له .

• فسا : يشددون السين في استعمالها
فيقولون : فسّى إذا أخرج ریحًا من مفساه
بلا صوت يسمع . والمفسى : مخرج الريح
من الحيوان . ويجرفون الفساء فينطقونها
بكسر الفاء والسين وبعدهما هاء .

• فشج : يقولون فشج بتشديد الشين إذا
فرج بين ساقية لبول أو غيره . ومنهم من
ينطقها مخففة ، ومن عباراتهم : فلان فشج
على فلان وبرك فوقه .

• فشخ : فلان فشخ إذا استرخى وارتخت
مفاصله ، وخارت قواه .

• فش: فش الورم إذا خف وهبط . وفش
غليله إذا نفس عن نفسه وخف غضبه .
وفش القفل إذا فتحه من غير مفتاح .
وانفش الجرح إذا هبط ورمه ، ومن
كلامهم : انفشت علة فلان إذا زال .
والفشة معروفة عندهم ، وهي تفش ما
فيها من الهواء (محدثه) والفشوش من
الأشياء: ما لا فائدة فيه ومن عباراتهم

اضطربت وأدركها الخلل . وأفسد فلان
بيني وبين فلان . وأفسد الرجل القوم إذا
أساء إليهم ففسدوا . والفساد معروف
عندهم وكذلك المفسدة والمفاسد .

• فسر : فسّر، ويفسر بكسر حرف
المضارعة ، والتفسير والاستفسار عن كذا
من معجمهم.

• الفسطاط: لا يعرفون البيت الذي يتخذ
من الشعر بهذا الاسم ، وإنما يطلقون عليه
اسم الخيمة ، ولكنهم يعرفون جامع
عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر القديمة .

• فسفس : من التداول بين الصغار في
مصر قولهم : فلان فسفس اللعبة إذا
أفسدها أو عطّلها . ولا يعرفون فسفس
فلان بمعنى : اشتد حمقه ، ولا الفسفساس ،
ولا الفسفس ، ولا الفسيفساء .

• فسق : فسق فلان إذا عصى وخرج عن
حدود الشرع ، فهو فاسق ، وجمعه فساق
وفاسقون، وهي فاسقة . وفسق فلان فلانا
عده فاسقا، والفسق والفسوق: العصيان.
والفسقية: حوض من الرخام ونحوه مستدير
غالب ، توضع فيه نافورة ، تكون في
القصور والحدائق والميادين (دخيل).

• فصد : الفصد : إخراج مقدار من دم الوريد بقصد العلاج . وأبو فصادة طير من الفصيلة الفتاحية ، يتغذى بالحشرات _ معروف .

• فص : فصص الشيء : فصله وانتزعه من غيره . والفص : ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة وغيرها ، ومن الليمون ونحوه ، أو الثوم ونحوه : الفلقة من فلقة . وفص العين : حدقتها . وفص الشيء جوهره . والجمع فصوص . والفصاص : صانع الفصوص للخواتم . وفصص الموضوع : وضحه وبينه .

• فصفص : فلان إذا أتى بالخير اليقين ، وبين الحقيقة . وفصفص عندهم بمعنى فصص ، يقولون : فصفص البرتقالة للصغير أي : جعلها فصوصا ليسهل عليه أكلها .

• فصل : فصل بين الشيئين فصلا ، إذا فرق بينهما . وفصل الحاكم بين الخصمين : قضى وفصل الشيء عن غيره : أبعده . فصل الشيء : قطعه . وفاصل شريكه : فض ما بينهما من شركة . وفصل الخياط الثوب : قطعه على قد صاحبه . وانفصل

المتداولة : النتيجة فشوش .

• فشفش : فشفش الشيء : أتلفه وأفسده ، هذا استعمالهم لهذه الكلمة ، أما المعنى المدون في المعجم الوسيط فهو : فشفش : ضعف رأيه ، وفي قوله : أفرط في الكذب .

• فشل : فشل في عمله إذا أخفق فيه فهو فشل ، والعامة تقول : فاشل وهذا المعنى مجمعي ، وهو كثير الاستعمال عندهم . وفشل فشلا : تراخى وجبن . وفشل عن الأمر : هم به ثم عجز عنه ونكل . وقد ألحقت العامة بهذه المادة كلمات (فشول وفشولة ومفشولة) والخباز يقول : العجينة مفشولة إذا كانت غير متماسكة .

• فشأ : أفشى فلان سر فلان إذا أذاعه ونشره . وتفشى الخبر : انتشر . وتفشى المرض في القوم : انتشر فيهم وعمهم .

• فصح : الفصاحة انطلاق اللسان بكلام صحيح واضح ، والوصف منها الفصيح . وعيد الفصح معروف عند النصارى . وفلان يتفاصح - بكسر حرف المضارعة وإسكان الستاء ، وربما جعلوا قبل الهاء باء .

عليه، ولا فض فوك ، دعاء له . فضّض الشيء إذا طلاه بالفضة أو حلاه بها . وانفضّ الجمع إذا تفرق ، وانفض الشيء إذا تكسر . والفضة معروفة ، ويتختمون بها ويصنعون منها بعض الحلبي ، وتستخدم في سك النقود .

• فضفض : فضفض الثوب إذا وسعه . وثوب فضفاض أي : واسع . ومن كلامهم فلان فضفض عن نفسه إذا أزال همه وحزنه بالكلام أو البكاء ، ولم يرد هذا المعنى في المعجم الوسيط ، ولعله مجاز من قولهم : عيش فضفاض .

• فضل : فضل الشيء إذا زاد على الحاجة . وهذا رجل فاضل . والفضيلة صفة من الصفات الحسنة . وفلان أفضل من فلان . وهو يفضل شيئاً على شيء . والناس يتفاضلون . إذا تنافسوا في الفضل . تفضل فلان على فلان بكذا ، إذا أعطاه عطاء كثيراً . والفاضل : الباقي الزائد على الحاجة . والفضالة : البقية من الشيء - ويكسرون الفاء والفصيح ضمها . والفضل الإحسان . والفضلة : ما بقي من الشيء، وللفضلات مواسم للبيع والشراء .

الشيء : انقطع . والفاصل بين الشيتين معروف وكذا الفاصولية . والفصل : أحد فصول السنة الأربعة . والفصل أحد أقسام المدرسة ، ويسمى الصف (محدثة) والفصلة النخل المنقولة من موضعها . والفصيلة : فرقة من الجيش . والمفصلة أداة من حديد ونحوه ذات جزأين يثبت الأول في مصراع الباب والثاني في عضادته (محدثة) وجمعها مفصلات .

• فضح : فضحه كشف معايه، فهو فاضح وهي فاضحه . والعوام يلحقون نون الوقاية باسم الفاعل فيقولون : فلان فاضحن ، وفلانة فاضحاني ، ولهذا صلة بما وصفه النحاة بالشذوذ . ويقولون افتضح الرجل بمعنى انكشف معايه ، لكنهم يقدمون التاء على الفاء في أكثر استعمالاتهم فيقولون : اتضح . والفعل الفاضح ما يחדش الحياء ، والفضيحة بمعنى العيب جمعها عندهم فضايح بالياء على الأصل دون قلبها همزة .

• فضّ : فضّ الجمع إذا فرقه ، وفضّ المال على الفقراء إذا وزعه عليهم، وفضّ الأمر إذا قطعه ، وفضّ الله فاه ، دعاء

به قبل نضجه ، والرأي الفطير : الفاسد .
والفطيرة خبزة تؤدم بزيت ونحوه ، ولها
أنواع (مولدة) وتجمع على فطائر بالياء
والفصيح بالهمزة .

• فطس : مات من غير علة ظاهرة .
وفطس إذا انخفضت قصبه أنفه ، فصار :
أفطس ، والأنثى فطساء ، ولكن العوام
يقولون : فطسة بتاء التأنيث .

• فطم : فطمت الموضع الرضيع : قطعت
عنه الرضاعة ، فهي فاطم وفاطمة .
وانفطم الرضيع إذا انقطع عن الرضاع .
وانفطم عن الشيء : انصرف . والفطام :
انقطاع الولد عن الرضاع . والفطيم :
المفطوم ذكراً كان أو أنثى . ويعرفون
السيدة فاطمة الزهراء ، ويسمون بناتهم
باسمها ، كما يعرفون الدولة الفاطمية التي
أسسها المعز لدين الله الفاطمي (سنة
٣٥٩هـ - ٥٦٧هـ) .

• فطن : الفطانة والفطنة وفطين وفطن
وفطنه بالأمر أي جعله يفطن له .
• فظّ : يعرفون الفظاظاة بمعنى القسوة
والإساءة ، ويقولون : عند فلان فظاظاة
ويصفونه بقولهم : هو فظّ . ومنهم من

والفضول : الذي لا فائدة فيه ، والفضولي
من الرجال : المشتغل بالفضول . والفضائل
غير الرذائل ، وهم ينطقون الهمزة ياء .

• فضا : المكان فضاء : خلا . والفصاء :
ما اتسع من الأرض أو الخالي منها .

• فطحل : الفطحل : الغزير العلم .
وقول المولدين لكبار العلماء : فطاحل ،
على التشبيه (مولد) يطقون هذا الجمع
نطقاً سليماً . أما المفرد فينطقونه بقولهم :
فلان فطحول .

• فطر : فطر الله العالم : أوجده . وأفطر
الصائم : قطع صيامه بتناول المفطر .
وأفطر فلان : تناول طعام الصباح .
وأفطر على كذا ، إذا جعله فطوره .
وعمل يفطر الصائم أي يفسد صومه .
وفطر الصائم إذا قدم له ما يفطر به .
وانفطر الشيء إذا انشق ، ومن كلامهم :
بكى الصغير حتى انفطر ، على الحجاز .
وعيد الفطر، وزكاة الفطر، وصدقة الفطر.
والفطرة : الطبيعة السليمة التي لم تشب
بعب . والفطور : تناول الصائم طعامه بعد
غروب الشمس . وتناول الطعام الأول في
الصباح (بجمعية) والفطير : كل ما أعجل

يحفظ خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك".

• فضع : هذه المادة مستعملة عندهم ومن ألفاظها : الفضاة والفضيع وفضع الأمر واستفزع الأمر إذا رآه فظيغاً .

• فعفع : في أمره إذا أسرع . والففعاع : الجبان - لا يعرفون هذين المعنيين ، ولكنهم يستعملون هذا الفعل في معنى إقلاق النائم ، فيقولون : فلان فعفع فلانا إذا أقلق نومه .

• فعل : فعل الشيء إذا عمله ، وافتعله إذا اختلقه وزوره ، وانفعل بكذا إذا تأثر به انبساطاً وانقباضاً. وتفاعلا : أثر كل منهما بالآخر . والفاعل العامل الذي يشتغل في أعمال شاقة كالبناء وغيره، ومن كلامهم: فلان يشتغل في الفاعل . ومنه: فلان له فاعلية في هذا الأمر ، أي له تأثير في إنجازه (بجمعية) والمفاعل الذري (بجمعية).
• أفعى : الأفعى حية من شرار الحيات قاتلة، وجمعها الأفاعي .

• فقد : الشيء فقداً وفقداناً : ضاع منه. يقال فقد الكتاب، وفقد المال، خسره

وعدمه. وفقد الصديق ، وفقدت المرأة زوجها ، وفقد الرجل زوجته ، فهو فاقد، والمفعول مفقود وفقيد . وافتقد فلانا: سأل عنه عند غيابه . وتفقد أحوال القوم: دقق النظر فيها ليعرفها حق المعرفة. والفاقد من النساء التي مات زوجها أو ولدها أو حميمها . والفقيد : المفقود .

• فقر : الفقر والفقير ، والفقيرة ، والفقراء ، وأفقر الله فلانا : جعله فقيراً ، وفلان افتقر : صار فقيراً ، وفقر الدم (مولد) والفقير إلى الله - كل هذا معروف عندهم .

• فقس : فقس الطائر بيضته : كسرهما ليخرج الفرخ. والفقوس : نوع من القش. • فقش : فقش البيضة ونحوها : كسرهما بيده ليخرج ما فيها .

• فقط : الحساب : ختمه بكلمة (فقط) حتى لا يزداد عليه (مولد) .

• فقع : فقع : تشدق وجاء بكلام لا معنى له. ومن عباراتهم : فلان كلامه مفقع . وفلان فقع فلان كفا - أي ضربه بكفه. وفقع الشيء المنفوخ : ضربه بكفه فانثشق وصوت . وانفقت الكرة :

انشقت . وفقاقيع الجمع معروف ، ولا يعرفون المفرد.

• فقفق : فلان فقفققت يده من كثرة العمل بالفأس ونحوها ، ويده مفققة .
• فقم : تفاقم الأمر : استفحل شره ، ولكنهم يسكنون التاء ، ويأتون قبلها بهمزة وصل.

• فقه : الفقيه : العالم الفطن، والعالم بأصول الشريعة وأحكامها ، ومن يقرأ القرآن ويعلمه . ويحذفون الهاء من آخر الكلمة ويقولون : فقي ، ومنهم من يكسر الفاء ويقول : فقي . والجمع عندهم : فقهه . يحذف المد والهمز ، وإلحاق الهاء في آخر الكلمة .

• فكر : فكر في الأمر بالتضعيف أشيع في الاستعمال من المخفف . والتفكير والفكر والفكرة والمفكر ، والمفكرة : دفتر صغير يدون فيه ما يراد تذكره (محدثة).

• فك : فك الشيء : فصل أجزائه ، ويقال: فك الآلة ونحوها. وفك النقود: قدم وحدة كبيرة من العملة وحصل على ما يقابل قيمتها من العملات الصغيرة (مولد) وانفك الشيء : انفصل . انفكت

العقدة ونحوها : انحلت . وتفكك الشيء انفك . والفك : اللحي ومغرس الأسنان، ولكل حيوان فكان : أعلى وأسفل . والمفك : أداة تدار بها المسامير اللولبية لكي تثبت أو تفك ، والجمع مفكات (محدثة).

• فكه : الفكاهة تعني المزاح وما يستمتع به من طرف الكلام . والفكه الذي يكثر من الدعابة . وتفكه بالشيء : تمتع وتلذذ به . والفاكهة : الثمار اللذيذة والحلواء (ج) فواكه والفاكهاني : بائع الفاكهة ، وينطقونها : فكهاني .

• فلت : الولد الذي غلط فلت من العقاب ، أو أفلت منه . وانفلت : تخلص ونجسا بسرعة، والفلتة : الأمر يحدث من غير روية وإحكام، والهفوة غير المقصودة. وبعضهم يقول: هذا من فلتات اللسان .

• فلج : يعرفون من هذه المادة : رجل مفلج الثنايا ، أي منفرجها . وفلجت المرأة أسنانها ، إذا فرقت بينها للزينة .

• فلح : فلح الأرض للزراعة إذا أعدها بالحرث وما يتبعه من أعمال . والفلاح : محترف الفلاحة . وأفلح فلان : ظفر بما

يريد . و " قد أفلح المؤمنون " أي فازوا
بنعيم الآخرة . وحي على الفلاح من
محفوظاتهم .

• تفلحس : من معجمهم ، لكنهم يعنون
بها من يتحدث بالهراء وسخف القول مما
لا يدري عواقبه ، وكأنه متطفل . أما
الإلحاح في السؤال فلا يعرفونه .
والفلحاس من الرجال : القبيح السمج .
وإذا قالوا فلان فلحاس كان شتما .
• فلد : الفولاذ معروف وهو نوع من
الصلب متين جدًا ، ويصنع بخلط الصلب
بعناصر أخرى (مجمعية).

• فلس : من هذه المادة يعرفون : أفلس
فلان، إذا فقد ماله ، ويقولون عنه : فلان
مفلس أو مفلس — بتشديد اللام
مكسورة. وفلس القاضي فلانا : حكم
بإفلاسه . والإفلاس : حالة تترتب على
توقف التاجر عن الوفاء بديونه (مجمعية)
والفلس والفلس : عملة متداولة في بعض
البلاد العربية، والفلس في مصر ترادف
النقود بالغة ما بلغت .

• فلسف : كلمة الفلسفة يعرفها كثير من
العوام، ويعرفون بعض مشتقاتها كالأفعال

وبعض الأسماء . ومن قبل كانوا يتحدثون
فيها قلبا مكانيا ، فيقولون "فلسة" وفلان
قاعد يتفلس ، وهذا تطور ملموس في
العامية .

• فلطح : فلطح الشيء : بسطه ووسعه ،
ومنه رغيف مفلطح (وانظر فرطح).
• فلفل : فلفل الطعام : جعل فيه الفلفل .
وفلفل الأرز : أنضجه دون أن يتعجن
(محدث) والفلفل معروف عندهم .
والمفلفل : ما يتبل بالفلفل . والفليفلة —
بوزن المصغر معروفة عندهم أيضًا ،
لكنهم يحذفون لام التعريف وينطقونها
(افليفلة) ويفرقون بين الحريف منها وغيره.
• فلق : فلق الشيء: إذا شقه . فلق الشيء
مبالغة . فلق الشيء : تشقق . والفلق:
الشق ، وجذع النخلة يشق اثنين. والفلق
مفرق الشعر في الرأس . والفلق : الصبح
ينشق من ظلمة الليل . والفلقة : القطعة
ويستحون الفاء منها . والفلقة — بثلاث
فتحات: خشبة وعود يتصل به حبلان
تمسك بهما القدمان للجلد (مولد).

• فلك : الفلك السفينة (للمذكر والمؤنث
والواحد والجمع) وعلم الفلك معروف ،

- الفلية : نبات بري معروف عند المصريين ذو رائحة عطرية ، يتداوى بالزيت المستخرج منه ولهم أغنية تقول :
"بياع الفليه يا عالي عليه " .
- الفم : من الإنسان معروف ، وبداخله جهاز النطق وجهاز المضغ . والعوام يضمون الفاء ، ومن دعائهم لمن يحسن القول : يسلم فمك ، بكسر حرف المضارعة، وصم الفاء وتشديد الميم . وهذا كله عامي فصيح .
- الفنجان : هو الفنجال المعروف والجمع فناجيل أو فناجين .
- فنخ : فنخ العقد والعزم إذا لم يمضه ، وفنخ بالتضعيف مبالغة فيه . ومن كلام العوام : خطبة فلان لفلانة فنخت — بالتخفيف — أو فنخت بالتضعيف ومعناه : فسخت الخطبة . وربما قالوا : فنخت بإبدال النون الثانية ياء ، هربا من التضعيف ، وهذه الصيغة الأخيرة ليست في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ، ولها وجه .
- فند : فند رأي فلان : أضعفه وأبطله .
- الفندق : من الكلمات المستعملة كثيرا الفندق والفنادق ، (معربة) .
- وأول الشهر فلكيا أي بحساب علم الفلك، والمشتغل بهذا فلكي . والفليكة السفينة الصغيرة ، والعوام يقولون فلوكة (للمركب الصغير أو القارب) .
- فل : الفلة سداة القارورة من الفلين (محدث) والفل اسم يطلق على الياسمين.
- الفلم : شريط تسجيلي أو تصويري ، وجمعه أفلام (مجمعية) وكلمة فلم كثيرة الدوران على الألسنة .
- الفلين : مادة معروفة عند العوام ، وتصنع منها سدادات القوارير (دخيلة).
- فلان : كناية معروفة عن العلم المذكر العاقل ، مؤنثه فلانة . ومن استعمالهم لها قولهم : اجتمعنا وحضر فلان وفلان ، دون ذكر الأسماء ، وقولهم : الشيء الفلاني أو السكن أو الأمر أو العمل — لا يصلح لك ولا يليق بك .
- فلي : لم يستعملوا المخفف منها ، وإنما استعملوا المضجع فقالوا : فلي الشعر أو الثوب أو نحوهما ، إذا بحث عما قد يكون فيه من قمل ونحوه . والأم تفلي رأس أولادها . والفلاية مشط تضيق فرج أسنانه يفلى به الشعر (مولد).

مال قارون يفنيه - بكسر حرف المضارعة. ومنه أيضًا: فلان يتفانى في عمله إذا أجهد نفسه فيه حتى كاد يفنى (محدثه).
• الفهد : سبع بين الكلب والنمر ، وهو معروف عندهم .

• الفهرس : يعرفه من يعرف القراءة من العوام ، وينظر في فهرس المصحف الشريف ليستبين رقم الصفحة التي توجد بها السورة التي يريد قراءتها .

• فهم : يعرفون من هذه المادة الأفعال الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر : فهم يفهم افهم، ويعرفون اسم الفاعل الفاهم ، واسم المفعول المفهوم، كما يعرفون المصدر الفهم. ويعرفون المزيد منها ومشتقاته أيضًا كالتفاهم والتفهيم والتفهم والاستفهام.

• فات : فات الأمر فواتا : مضى وقته. وفات فلان : مر ومضى . وفات الأمر فلاننا: لم يدركه . فوت فلان الأمر : جعله يفوته . وتفاوت الشيئان : اختلفا في التقدير. ومن العبارات المعروفة : (فوت علينا بكرة) برد الفعل إلى أصله وعدم حذف عين الأجوف مع سكون لامه . ولام حرف الجر مكسورة . وهذا

• الفنار : مصباح قوي الضوء ينصب على سارية عالية ، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن في البحار والمحيطات إلى طرق السير وتجنب مواطن الخطر (محدثه) (وهو المنار محرفاً) .

• الفانوس : معروف عندهم ويجمع على فوانيس (معرب).

• فنش: فنش في الأمر: استرخى فيه، وفنش عنه : نكص ورجع عنه . وهم يقولون: فلان نجح وفلان فنش بمعنى رسب.

• الفنطاس : حوض لادخار الماء العذب ، ويستعمل للتموين في السفينة . ووعاء كبير أسطوانى لحفظ السوائل (محدثه) والجمع فناطيس .

• الفنيك : محلول سام مطهر (دحيل) ويستعملونه في تطهير دورات المياه ونحوها.

• الفن : يعرفون الفن بمعنى المهارة التي يدركها الذوق ، وجمعه : فنون . والفنان صاحب الموهبة.

• فنى : فنى الشيء إذا انتهى وجوده ، ويحفظون قوله تعالى : "كل من عليها فان"، ومن كلامهم : فلان مبذر لو عنده

القدر إذا جعلها تفور . والفور أو الوقت ،
وهم يقولون : احضر فوراً - بفتح الفاء ،
ولكنهم يضمونها عندما يقولون الدفع
فوري أي في الحال . ويعرفون الفور من
الدواء ونحوه .

• فاز: فاز فلان بالخير يفوز ، إذا ظفر به ،
والفوز عندهم بضم الفاء . والفائز
والفائزة - بالياء بدلا من الهمزة ، ومن
كلامهم : الجائزة للفائز ، لكنهم يضعون
الياء بدلا من الهمزة ، ويحذفون ألف المد
من الجائزة ويشددون الجيم بعد همزة
الوصل ويسقطون اللام ، فتصبح عبارتهم
(إجيزة للفائز).

• فاوض : فلان فاوض فلانا في الأمر إذا
بادله الرأي فيه بغية الوصول إلى تسوية
واتفاق . وفوّض الأمر إليه : جعل له
التصرف فيه . ومن محفوظهم قول الله :
"وأفوض أمري إلى الله " ، ويدعو المظلوم
على الظالم فيقول فوّضت أمري إلى الله
في فلان . والفوضى من الناس من ليس
لهم رئيس . والمفاوضة تبادل الرأي في
شأن طلبا للوصول إلى تسوية واتفاق .
والوزير المفوّض ، يمثل دولته في بلد أجنبي ،

شائع في العامية نحو قولهم : قوم بدل قم .
ونام بدل نم ..

• الفوج : الفوج الجماعة من الناس .
والحجاج يسافرون أفواجا فوجا بعد
فوج ، وهم ينطقونها بضم الفاء والفصيح
فتح الفاء . لكن العامية تضم ما قبل الواو
في كل ما شابه هذه الكلمات مثل العوم
والنوم واللوم ، بصم ما قبل الواو .

• فاح : فاح الشيء إذا انتشرت رائحته
طيبة أو غير طيبة . وفاحت رائحة الأمر
إذا انتشرت له سمعة سيئة .

• فاد : استفاد المال وغيره : حصله .
والفائدة لفظة مستعملة عندهم ، لكنهم
يجعلون الهمزة ياء ويحذفون ألف المد ،
فيقولون (فيدة) والفائدة : المال الثابت
وما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو
غيره ، وربح المال في زمن محدد بسعر
محدد (بجمعي) ويجمعون الفائدة على :
فوايد - بالياء في موضع الهمزة .

• فار : فار الماء فورانا إذا خرج من
الأرض وجرى متدفقا فهو فوّار . وفارت
القدر إذا اشتد غليانها وارتفع ما فيها .
وفارت النار إذا اشتد اشتعالها . وفوّر

الفول. والمعجم الوسيط لم يضيف
"الفولة" إلى متن اللغة العربية ، وينبغي أن
تضاف لأنها جارية على القياس .

• الفيتامين : من الكلمات المحفوظة عند
العوام بأنواعها المختلفة .

• فاح : فاح المسك إذا انتشرت رائحته ،
ويقال فاحت رائحة المسك . وفاح الحر :
اشتد وهاج . وفاحت القدر : غلت
(واوية يائية).

• فاد : أفاد فلان علما ومالا : اكتسبه
(واوية يائية).

• الفيروز : حجر كريم غير شفاف
معروف بلونه الأزرق ، يتحلى به (معرية)
واللون الفيروزي هو اللون الأزرق المائل
إلى الخضرة قليلا .

• فاض : فاض الماء فيفيض فيضانا : كثر
حتى سأل . ومنه فاض النهر ، وفاض
السييل . والماء فائض - وينطقونها بالياء
بدل الهمزة. وفاض الإناء : امتلأ حتى
طفح . وفاض الخير : كثر . وفاض الخير
ذاع وانتشر . وأفاض الحجاج من عرفات
إلى منى : انصرفوا إليها بعد انقضاء
الموقف . واستفاض الخير : انتشر .

ورتبته دون السفير وفوق القائم
بالأعمال، ومقر عمله يطلق عليه: المفوضية.

• الفوطة : نسيجة من القطن ونحوه يجفف
به الوجه واليدان . أو توضع فوق
الركبتين عند الأكل وقاية للثوب من
الطعام . وجمعها فوط (مولدة) والفواط :
من ينسج الفوط أو يبيعها .

• فاق : فاق أصحابه : فضلهم وصار
خيرا منهم . وأفاق فلان من غشيته ،
وأفاق من سكره ، أو من جنونه ، أو من
نومه . وأفاق النعاس عن فلان . وتفوق
فلان على أقرانه : فاقهم وترفع عليهم .
والفائق : الجيد من كل شيء ، والممتاز
على غيره من الناس . وفوق : ظرف
مقابل لتحت . ومن كلامهم : رأي فلان
فوق رأي فلان أي أفضل منه . وفلان
أعلاهم فوق أي حظا وبصيا .

• الفول : معروف ، ويستعمل غذاء
للإنسان والحيوان ، والقوال : بائع الفول.
ومن كلامهم : الفول فطور الأمير وغذاء
الفقير وعشاء الحمير . والفولة : قدر
تخصص لإنضاج الفول فيها ، وتوضع
غالبا على سخان كهربائي حتى ينضج

• الفيل : حيوان ضخيم الجسم ذو
خرطوم طويل يتناول به الأشياء، وله
نابان بارزان كبيران يتخذ منهما العاج ،
وهو معروف عندهم ، ويجمعونه على
أفيال ولكنهم يحذفون الهمزة ويسكنون
الفاء ويأتون قبلها بـهمزة وصل مكسورة .
ويعرفون داء الفيل، كما يعرفون أصحاب
الفيل .

والحمد لله رب العالمين

أمين على السيد

عضو الجمع

الإفاضة : انصراف الحجاج من عرفة .
وطواف الإفاضة : طواف يوم النحر
والعودة إلى منى. والفائض:فائدة تعود على
المراي من رأس المال (محدثة) وتنطق بالياء
والظاء . والفيض : الكثير الغزير .
ومن كلامهم: فيض الله كثير. والفيضان:
طغيان النهر واندفاعه ، وينطقون الفيضان
فصيحة ، ويكسرون فاء فيضة .

الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة*

للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

لا يزال موضوع الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة مطروحاً بقوة على صعيد حياتنا الثقافية بعد مضي أكثر من قرن على بروزه. وتبدو اليوم أماننا أخطار التقصير في الوفاء بمتطلباته، متجلية بصورة حادة لم يسبق لها مثيل، في أزمات تفجرت في بعض أنحاء وطننا العربي الكبير فعل انعدام الحوار بين التيارات الثقافية فعله في تكوينها وتأجيحها وهناك مجال لعمل صالح لمعالجة هذه الأزمات ولقيام أمتنا بإسهام حضاري في عالمنا من خلال العناية بهذا الحوار وتكثيفه، والوصول إلى جوامع أفكار وأفكار جامعة يلتقي عليها العاملون، وينطلقون منها إلى الإصلاح.

يستدعي إلى خاطري وأنا أتأمل في هذا الموضوع الحيوي شريط سينمائي شاهدته قبل أربعة عقود من السنين مأخوذ عن مسرحية ظهرت آنذاك في

بريطانيا اسمها "موائد منفصلة"، تدور أحداثها في نزل بمجتمع حل فيه نزلاء، كانت تجمعهم قاعة الطعام، فيجلسون إلى موائد منفصلة، كل مجموعة منهم أو فرد يعيش عالمه الخاص، لا يتواصل مع الآخرين. ثم تطرأ أحداث وتطورات تلزمهم بالتواصل وتحثهم عليه، فإذا بالموائد في قاعة الطعام تصبح متصلة.

تشبيه لحال التيارات الثقافية في وطننا فيما يخص علاقتها ببعضها ببعض، أنها تسكن جزراً في يم، لا جسور بينها. وقد طرحه قبل حوالي عقدين من السنين المفكر العربي زكي نجيب محمود. ودعا إليه في مقاله يومذاك - الذي بقي راسخاً في ذاكرتي - إلى أن نقيم جسوراً بين تلك الجزر. وحين تداعى إلى خاطري هذا التشبيه رجعت إلى بعض كتب زكي نجيب محمود، ومنها كتابه "هموم

* ألقى هذه البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة

١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) ١٩٩٨م.

الاتصال القديمة الشفهية في التجمعات والمقروءة في الكتب.

نركز النظر على المشاركين في هذه الحركة، فنجد جلهم من المتلقين يستقبلون ثقافة تقدم لهم. وفيهم من يبحث عما يشده ويستهو به من الثقافة المتداولة. ونميز من بينهم قلة مبدعة أعطت الثقافة حقها ونذرت نفسها لها وسعت إلى الابتكار. ونرى حول هؤلاء المبدعين ناشرين للثقافة مثقفين وغير مثقفين يعمدون إلى نشر الأعمال الإبداعية؛ وبعض هؤلاء من التجار الذين أدركوا ما يمكن أن تدره بعض أنواع الثقافة "الخفيفة" من أرباح؛ وفيهم حامل رسالة ثقافية.

يلفتنا أن هؤلاء جميعا يتوزعون بمجموعات، كل منها يمثل في حركته تياراً يمجج بمن فيه. ونلاحظ أن تيارين منها متباعدان، وأن في أحدهما فريقين يحتدم بينهما جدل، ويتبادلان معاً نظرات شزر ملؤها الشك والاستنكار. وهناك تيار ثالث يتواصل مع التيارين. ونرى باستمرار أفراداً من هذين التيارين ينتقلون

المثقفين" و"هذا العصر وثقافته"، فوجدته قد عاود معالجة حال هذه التيارات والدعوة إلى الحوار بينها مرات. لقد عني الفكر العربي بهذا الموضوع الحيوي، فتناوله بالنظر عدد من مفكرينا. وأذكر أنني عرضت لبعض ما طرحوه من أفكار بشأنه ولما وصلت إليه في بعض كتيبي، وبخاصة "فكر وفعل" و"حوار ومطارات" و"وحدة التنوع" و"عمران لا طغيان" و"تجديد الفكر"، وأخيراً "تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض". وأود في هذا الحديث أن أتناوله بالوقوف أمام واقع حال هذا الحوار، والأخطار الناجمة عن ضعفه، وما ينبغي عمله لمتابعته وتوجيهه إلى المسار الصحيح الموصل.

نظرة طائر على واقعنا الثقافي العربي :

حين نلقي نظرة طائر على واقعنا الثقافي العربي، نلاحظ حركة نشطة إلى حد لا بأس به، تجري عبر مختلف وسائل الاتصال الثقافي الحديثة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية (تلفزة) ومسرح وسينما وأشربة مسموعة ومرئية، وعبر وسائل

إلى هذا التيار الثالث ، وأحياناً بين بعضها.

يستدعى إلى خاطرنا ونحن نستحضر تاريخنا الثقافي الحديث أن ما نراه اليوم رأيئنا، مع أجيال سبقتنا على مدى ما يقارب قرنين من السنين. فالتيارات الثلاثة هي هي منذ برزت في القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي، مع اختلاف محدود في عدد كل منها بين فترة وأخرى .

جديد ظاهر نراه اليوم هو انشغال التيارات الثلاثة بكيفية التعامل مع ثقافة مصنوعة وافدة تضغط عليها جميعا يجري فرضها عبر وسائل الاتصال بإعلام ترويجي، من سماء إعلاء قيمة الاستهلاك والعناية بزخرف الخطف الأبصار، وهدفها صياغة إنسان مستهلك يتمشى مع متطلبات "العولمة". وحين نمن النظر في هذه الثقافة الوافدة نلاحظ أن جذورها تعود إلى ما يقارب القرنين من السنين في حلقات متصلة في سلسلة . كما نلاحظ أن لكل من التيارات الثلاثة موقفه من الحضارة التي أوجدت هذه السلسلة حين

احتكت بحضارتنا.

في واقعنا الثقافي المعاصر إذا ثلاثة تيارات ثقافية نجحت عن احتكاك حضارة الغرب بحضارتنا العربية الإسلامية. فأما الأول فقد اتخذ موقف "انكماش" من الحضارة الغربية التي حاولت أن تفرض نفسها علينا بقوة السلاح والتسلط بغزو استعماري. وأما الثاني فقد اتخذ موقف "انغماس" بتلك الحضارة بعد أن سلم لها بالغلبة ، ظناً من السائرين فيه أنهم بتقليدها يحاذون أبناءها . وأما الثالث فقد اتخذ موقف "الاستجابة الفاعلة" لتحديات تلك الحضارة ونصب عينه توفير شروط النهوض والوفاء بها وتحقيق انبعاث حضاري لحضارته العربية الإسلامية.

لقد أوضحت في كتاباتي التي تناولت هذا الواقع الثقافي أن موقف الانكماش والانغماس ينتميان إلى رد الفعل، في حين أن موقف الاستجابة الفاعلة ينتمي إلى الفعل الذي يدخل فيه عنصر الفكر وتحكمه الإرادة . كما أوضحت أن رحلة الإنسان الفكرية تشهد انتقاله بين الموقفين الأول والثاني ثم إلى الموقف الثالث حين

ينضج . ويستوقفني وأنا أراجع ما كتبه زكي نجيب محمود عن " أزمة المثقف العربي" في كتابه " هموم المثقفين" أنه بعد أن أوضح أن التيار الأول " يجعل ثقافتنا الموروثة هي معيار الصواب والخطأ" ، وأن التيار الثاني " يجعل الثقافة الغربية العصرية هي معيار الصواب والخطأ" ؛ قرر أن المجموعة الأولى تلوذ من حاضر الدنيا بركن من أركان التاريخ انقضت عهوده، وأن المجموعة الثانية تفر من الحاضر العربي إلى حيل من حيال أوروبا أو أمريكا لتعصم به. وقد فات المجموعتين لب المشكلة. وحديثه هذا يذكرنا بحديث أرنولد تريبي عن المتعبين " الزيلوتيين" والمقلدين "الهيرودين".

نزداد فهمًا لهذه التيارات الثقافية الثلاثة حين نستحضر نشأتها مع بداية الغزو الاستعماري الغربي لدائرتنا الحضارية ووطننا العربي، وما طرأ عليها من أحداث على مدى قرنين. فالسياسة الاستعمارية عمدت إلى التركيز على حقل التربية والتعليم وأسست مدارس التبشير وعلمت طلاب هذه المدارس

اللغات الأوروبية وما اصططلحت على تسميته بحضارة الدولة الغربية المعنية، فرنسية كانت أو ألمانية أو إيطالية أو بريطانية . وهكذا خرجت طلابا مهيين بحكم ما تعلموه لأن يكونوا انغماسيين. وقوى هذا الاتجاه نظام البعثات إلى بلاد الغرب. وناصبت السياسة الاستعمارية حين احتلت البلاد وتسلطت معاهد العلم القائمة العداء، فتهايم طلابها بحكم وطأة هذا التسلط لأن يقع بعضهم في أسر الانكماش. واتسعت الهوة بين التيارين مع ممارسات المستعمر الهادفة لذلك. وحدث في الربع الثاني من القرن العشرين أن شهد تيار الانغماس بروز مدرستين فيه بفعل الخلاف الذي احتدم في الغرب بين "الليبرالية الرأسمالية" و"الاشتراكية الماركسية". وكان " تيار الاستجابة الفاعلة" الثالث يشق طريقه أثناء ذلك، ويجذب إليه أفرادًا متميزين من التيارين، من بينهم مبعوثون عبروا مرحلتهم "العكوف" التي تجاوزوا أثناءها مجتمعاتهم إلى مرحلة "العودة" إلى مجتمعاتهم والتلاحم معه.

حين نستحضر تاريخ أمتنا في القرنين الأخيرين ، نرى بوضوح الأثر الكبير للواقع الثقافي العربي بتياراته الثلاثة على مختلف جوانب الحياة في وطننا العربي. وقد بان هذا الأثر على حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعقيدية؛ وذلك بفعل ما للثقافة من فعل. وهكذا رأينا كلا من هذه الجوانب موزعاً بين توجهات انكماشية وأخرى انغماسية وثالثة مستجيبة فاعلة .

لقد استشعرت الأمة، منذ أن برزت فيها هذه التيارات الثلاثة الثقافية بين أبنائها ، الحاجة إلى حوار يجري بينهم يستهدف تجاوز سلبيات الاختلاف وتوظيف إيجابياته للنهوض بحياتنا. وقد قوي هذا الاستشعار للحاجة إلى هذا الحوار في فترات تضخمت فيها السلبيات بسبب ضعفه وانعكست على مختلف مجالات حياتنا، تحبّطاً في السياسات الاقتصادية، وإخلالاً في السلام الاجتماعي والعلاقة بين شرائح المجتمع، وتفرداً سياسياً يرفض التعددية والمشاركة ويقع في هاوية التسلط، وسطحية فكرية

تعتمد الحكم المطلق على الأفكار وتقطع الطريق أمام تلاقحها، وتطرفاً عقيدياً لا يعرف السماحة وينزع إلى الإكراه. وتستوقفنا فترات أخرى شهدت مباشرة هذا الحوار وقطفت الأمة خلالها ثمراته الطيبة، وحدة وطنية على صعيد كل قطر ، ونهوضاً في مختلف مجالات الحياة، وقدرة على مواجهة المستعمر المعتدي، وتقدماً في طريق تحقيق مشروع الأمة الحضاري بأهدافه الستة تحريراً ، وتوحيداً للجهود، وشورى ديمقراطية، وعدلاً ، وتنمية ، وتجددًا حضارياً. ولكن ما كان أقصر تلك الفترات . وتلفتنا في الواقع الثقافي القائم جهود مباركة مكثفة على الصعيد الأهلي تعنى بتقدم هذا الحوار. ومع ذلك فإن الانطباع العام الذي تخرج به نظرة الطائر على الواقع الثقافي العربي المعاصر هو أن الحوار بين التيارات الثقافية العربية المعاصرة دون المستوى المطلوب بكثير . وقد نجم عن قصوره في ربع القرن الأخير تفاقم أزمات سياسية في عدة أقطار عربية تفجر بعضها عنفاً، وطرح بقوة قضية الهوية .

أخطار قصور الحوار :

تعد الأخطار الناجمة عن قصور الحوار بين التيارات الثقافية في المجتمعات أخطاراً شديدة . وفي مقدمة هذه الأخطار غلو في الرأي والموقف ، يتزايد ويتصاعد مع استمرار القصور في الحوار، يتجلى في التطرف والبعد عن الوسطية، ويولد ردود أفعال . ويؤدي هذا الغلو إلى اهتزاز الهوية في المجتمع، ومن ثم إلى المساس بوحدة المجتمع الوطنية ، ويحول بذلك دون الوصول إلى المشروع الوطني الذي يلتقي عليه الجميع.

الأمثلة على الأزمات السياسية التي تنشأ عن تفاعل الأخطار، نراها في أماكن مختلفة من عالمنا، في إقليم الباسك وإسبانيا في شبه جزيرة أيبيريا، وفي أيرلندا الشمالية وبريطانيا، وفي الفلبين وفي البلقان. ونذكرها تتالي في الأمريكتين . كما نراها في دائرتنا الحضارية الإسلامية ، في تركيا وفي أفغانستان وفي كشمير. ونراها في قلب هذه الدائرة في وطننا العربي في الجزائر بعد أن اكتوينا بنارها في لبنان ، ونرى نذراً لها في أكثر من قطر عربي .

الغلو في الرأي والموقف ، الناجم عن قصور الحوار بين التيارات الثقافية ، تجلى في كتابات أهل قلم من التيارين الانغماسي والانكماشى تناولت قراءة تاريخنا والحديث عن واقعنا واقتراح ما يكون عليه مستقبلنا . وما أسخن الممارك التي نشبت بسبب هذه الكتابات . ويستدعى إلى الخاطر مثلاً عليها، اعتبار البعض غزو بونابرت لمصر وحملته العسكرية عليها وعلى فلسطين بداية النهضة في مصر. وقد بلغ الأمر بواحد من المغالين أن نسب إلى هذه الغزوة بناء "مؤسسة الديوان" الذي كان قائماً عبر تاريخ طويل، فضلاً عن أمور أخرى لاسند تاريخي لها، ساكتاً في الوقت نفسه عن جرائمها الفظيعة وكونها عدواناً صارخاً . وهنا نحن لا نزال نرى اليوم بقايا هذا الغلو، بمناسبة مضي قرنين على ذلك العدوان الصارخ ، متمثلاً في قضية الاحتفال بذكره .

هذا الغلو الناجم عن قصور الحوار يصيب برشاشه أكثر ما يصيب لسان الأمة، فيمس أحد أركان الهوية الثلاثة ،

فرحة (الضاد) في الدساتير سادت
 غربة الضاد واقعا جر حزنا
 غالها الأبعدون بالأمس ، لكن
 غيلة اليوم أقربون وأدن
 يا دعاة التفرنس اليوم ، مهلا
 خفتم العهد في الغد المتمنى
 ما أخطر هذا الغلو حين يحكم
 سياسات تتبناها حكومات في تعاملها مع
 التيارات الثقافية المختلفة في المجتمع ،
 فتعتمد إلى حرمان واحد منها من التعبير
 عن نفسه، وترفض الحوار معه فارضة عليه
 عزلة وحصارا، ومقاومة حوار التيارات
 الأخرى معه، ومحاولة استمالتها في إحكام
 العزلة والحصار عليه. الأمر الذي يؤدي
 إلى لجوئه للنزول تحت السطح والوقوع
 في أسر رد فعل مغال. وفي ظل هذا
 الوضع يتعرض المجتمع بسبب التضيق
 على حرية التعبير المسؤولة إلى " نقص
 مناعة"، يؤدي إلى بروز عنف في العلاقة
 التي تحكم السلطة والناس. ويؤثر هذا
 العنف على مختلف جوانب الحياة في
 المجتمع، وعلى جيل الشباب بخاصة. ذلك
 أن بعض هؤلاء الشباب ينساقون إلى

ومن ثم ركن عقيدة الأمة وركن تراثها.
 وإذا كان حافظ إبراهيم قد تحدث بلسان
 لغتنا العربية وهي تنعى حظها بين أهلها
 عام ١٩٠٣م فقال:
 رجعت لنفسي فاهمت حصاني
 وناديت قومي فاحتسبت حياتي
 رموني بعقم في الشباب وليتني
 عقلت فلم أجزع لقول عدائي
 وسعت كتاب الله لفظا وغاية
 وما ضقت عن أي به وعظات
 فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
 وتنسيق أسماء لمخترعات
 فإن غلو دعاة الفرنكفوية اليوم مسَّ
 حرمت اللسان العربي، الأمر الذي دعا
 صالح الخرفي إلى القول مستحضرا دور
 رابطة العلماء ، والشيخ بشير الإبراهيمي
 في الحفاظ على العربية :
 رسل (الضاد) هل دروا أن حرفا
 زف بالروح ، أصبح اليوم رهنا
 يا أبا (الضاد) ، يا بشير الأمازي
 حسرة (الضاد) في رحيلك عنا
 تشتكي (الضاد) غربة في حماها
 كنت منها تزلزل الدار ، ركنا

دورة العنف هذه بحكم نزوع جيلهم إلى المغالاة ، كما يفر بعضهم منها بعيداً عن المشاركة في الحياة العامة، وأحياناً من الحياة نفسها بالعيش في عالم وهمي تصنعه كيماويات "تسطل".

في ظل نقص الحوار بين تيارات الثقافة، وغلبة الغلو والمغالاة والمغالين على النطق بلسان كل منها والتعبير عنها، تعاني مناهج التربية والتعليم من عجز عن إقامة جسور الحوار في المجتمع وتمثل ثقافته وحضارته، الأمر الذي يؤدي إلى اهتزاز الهوية، ويفعل الإعلام المعبر عن عزلة كل تيار فعله في هذا الاهتزاز واصلاً به إلى مداه، وفتاح الباب أمام صراع ثقافي لا يلبث أن يتفجر حرباً أهلية، تفسح المجال لتدخل عامل خارجي يستغلها لإضعاف الأمة والتسلط عليها واستنزافها اقتصادياً بتسويق أسلحته لها، وتمزيقها نفسياً بفعل العداء المستشري بين الأخوة .

لقد وصل الأمر في ظل هذا الصراع الثقافي في بعض الأقطار إلى أن يبرز التساؤل بين بعض أبنائه " أهو عربي الهوية؟ أم نصف عربي؟ أم غير عربي؟ في

حمى الاقتتال؟" وحدث في الاقتتال الذي نشب في أكثر من قطر المساس بحرمات كثيرة واقتراف جرائم بشعة . وكم احتاج إيقاف الحرب المتفجرة التي نشبت من جهود. وكانت مباشرة الحوار هي السبيل إلى الاتفاق . ويتداعى إلى الخاطر هنا ما كتبه كريم بقردوني في كتابه " لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج " ، كمثل من بين أمثلة كثيرة، في فصل "هوية وطن" عن "مسألة علاقة لبنان بمحيطه العربي" التي ثارت في أوساط تيار ثقافي بعينه فبدت أمامه " علامة استفهام محورية ومعضلة مطروحة قبل الاستقلال اللبناني وبعده، وقبل الحرب اللبنانية وبعدها" وهو يقرر أن السنين الخمسين المنصرمة علمتنا أن الاتفاق بين اللبنانيين حول حد أدنى من الجواب كان حافزاً رئيسياً من حوافز الاستقلال عام ١٩٤٣، كما أن الاختلاف حول هذا الحد الأدنى كان دافعاً أساسياً من دوافع الحرب عام ١٩٧٥. ونحمد الله أن الحوار بين أهلنا في لبنان أوصل إلى إنهاء تلك الأزمة بتأكيد هويته وبالاتفاق على دوره

وصاحبها وكتاها . ونحن نرى اليوم متابعة هذه الجهود تظهر في تجليات عدة ، منها "جوائز" خصصت للإبداع العربي في الأدب وفي العلوم ، و"مخاف" لتحقيق التعارف والتفاعل بين المثقفين العرب ، و"مجالات" و"صحف" تعنى بهذا الهدف من بين أهداف عدة .

تتحلى هذه الجهود على الصعيد الرسمي العربي في "بجامع" قطرية تضم بين أعضائها عرباً من أقطار الوطن الكبير ، وفي "أسابيع ثقافة" و"مهرجانات" و"ندوات" و"مؤتمرات" يلتقي فيها مثقفون عرب من مختلف التيارات. وهذا المهرجان مثل. ومعارض الكتب ومنها معرض القاهرة الدولي مثل آخر .

تداعى إلى الخاطر هنا جهود أخرى عنيت بالحوار على صعيد الفكر السياسي بعامة وفي مجالات محددة منه أحياناً . ولافت أن صيغة المؤتمر القومي العربي التي برزت منذ مطلع التسعينيات الميلادية، جمعت في إطارها مختلف تيارات الفكر العربي ملتقية على العمل لتحقيق المشروع الحضاري العربي. ولافت أيضاً أن صيغة

وخصوصيته في إطار الكل . ولكن محنة قطر آخر عربي لا تزال على أشدها تنتظر الحوار الشامل الذي يؤكد الهوية ويوصل إلى الاتفاق على "جامع مشترك" للدور والخصوصية . كما أن نذر عن أخرى تمثل أحياناً هنا وهناك، مهددة بالتفكيك والتفتيت ، ومذكرة بصراعات نشبت في دائرتنا الحضارية حين توقف الحوار بين أبناء الحضارة الواحدة واصطنع التناقص بين أركان الهوية الثلاثة .

جهود للتقدم بالحوار :

حق لنا وقد وقفنا أمام أخطار قصور الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة وتوقفه، أن نقف أمام تلك الجهود المباركة المكثفة التي عنيت بتقدم هذا الحوار في وطننا العربي، ولفتننا إليها .

كثير من هذه الجهود قامت بها طلائع عربية على المستوى الأهلي ، استشعرت أهمية الحوار وخطورة توقفه، واستلهمت تراثاً حضارياً موحياً تألق إبان ازدهار حضارتنا العربية الإسلامية من خلال الحوار وتلاحق الأفكار وتوليدها ونذكر من بين أمثلة عدة مجلة " الرسالة "

معرفة أدق لعالمنا المعاصر، وتفاعلا حضارياً صحيحاً أساسه الندية مكن من الاستفادة مما لدى الآخر من إيجابيات حقيقية، بعيداً عن الانبهار والتوهم. كما مكن من الإسهام الحضاري في شؤون عالمنا . وأمثلة على هذه الجهود نراها في الحوار الإسلامي المسيحي والحوار العربي الأوربي وحوارات أخرى متنوعة دولية . وخلق بسنا أن نعني بكتابة تاريخ هذه الحوارات، ليتابع النهوض بمسؤوليتها جيل جديد.

إن ما نخلص به من هذه الوقفة أمام أخطار قصور الحوار وأمام ثمار الجهود المباركة لمتابعته والتقدم به ، هو اقتناع بمتابعة هذه الجهود بقوة للوصول بالحوار إلى المستوى المطلوب ، والإفادة من الدروس المستخلصة في الحاليين في ترشيد مساره .

تقوية جسور الحوار :

الحاجة ماسة اليوم لتقوية الجسور التي قامت بين جزر تيارات ثقافتنا العربية المعاصرة في بحر وطننا العربي الكبير في دائرة حضارتنا العربية الإسلامية الواسعة ،

المؤتمر القومي الإسلامي التي بررت عام ١٩٩٤م ميلادي بعد خمس سنوات من حدوث ندوة الحوار القومي الديني، ضمت في إطارها إخوة مسلمين ونصارى من التيار الديني وأخوة عرباً مسلمين ومسيحيين من التيار القومي بكل مدارس.

إن مؤرخ الأفكار متشوف المستقبل يعنى بتتبع هذه الجهود . وهو يقف أمام ما تثمره من صنع مناخ صحي وأجواء صافية في الوطن الكبير وفي سمائه وأمام ما تعد به من خير مستقبلاً . وهو يرى من واقع اعتباره ازدهار الحوار علامة من علامات الانبعث الحضاري ومعيّاراً له، إن هذه التحليلات دليل على هذا الانبعث وعلى صحوة نعيشها اليوم ، يهيب بنا أن نتابع الجهد ليلبغ الانبعث غايته تألقاً حضارياً وعمراناً .

أمر آخر يلفت نظر مؤرخ الأفكار متشوف المستقبل هو أن مباشرة الحوار بين تيارات ثقافتنا العربية المعاصرة أهلنا لمباشرة حوار حضاري على الصعيد العالمي. وقد أثمرت جهودنا المبذولة فيه

ولتوسيع هذه الجسور وإقامة جسور أخرى، كي تتقارب الموائد المتباعدة المنفصلة وتتصل . فما السبيل المتابعة الجهود الرامية إلى الوصول بالحوار القائم بين هذه التيارات إلى المستوى المطلوب ؟

منطلق هذا السبيل ومبدؤه هو التسليم بأن الحوار فرض لازم وجّه الله الخالق سبحانه بني آدم إليه ليتعارفوا على البر والتقوى . وهو تعالى يسمع هذا التحاور، ويدعو مباشره إلى أن يكون بالقول المناسب وبالتالي من الأحسن أن تحكمه الحكمة والاقتناع بأن الاختلاف القائم بين المتحاورين من سنن الاجتماع الإنساني، وأن ما يعبر عنه من تنوع يغني الحياة، وأن جميع أفراد الأمة في سفينة واحدة؛ وأن الحوار الرشيد له آدابه، ومنها صيانة حرية التعبير عن الرأي واحترام الرأي الآخر واستهداف الحقيقة ، وأن هذا الحوار يثمر أطيب الثمار. وهذا ما يصدقه تاريخ ازدهار العمران والحضارات ، ومنها حضارتنا العربية الإسلامية التي شهدت مجالس من أمثلتها ما حفظه لنا أبو حيان التوحيدي في

"الإمتاع والمؤانسة" وفي "مقابساته" وما حدثنا عنه أحمد أمين في فجر الإسلام وضحاها وظهره ويومه، وغيره من مؤرخي الأفكار ، وما شاهده تاريخنا الحديث .

سياج هذا السبيل التي تصونه وتحميه، وتحول دون الخروج عنه واتباع سبل تفرق بنا إلى سبل أخرى يضعف فيه الحوار ويقف، هو التزام "السلطان" بحرية التعبير المسؤولة، والحرية قرينة المسؤولية. واعتراف "السلطان" قبل ذلك بكل حقائق التنوع في المجتمع .

التقدم في هذا السبيل يقتضي استحضار المثقفين والسلطان على السواء لأطلس المجتمع بكل خرائطه أقوامًا ومللا وأنماط حياة بدوًا وريفًا وحضرًا . وشرائح اجتماعية ، واستذكار حكمة تباين الأجيال وخصائص كل منها وروعة تواصلها .

تتسابق إلى الذهن الأمثلة المشرقة الإيجابية على السير في هذا السبيل . والمجال لا يتسع إلا إلى إشارات لبعض منها. فمتحف النوبة الذي تم افتتاحه في أسوان أواخر العام الميلادي ١٩٩٧

الموافق رجب ١٤١٨، قدم للثقافة العربية المعاصرة عطاءً سخياً ، وعبر عن موقف صحيح من الثقافات الفرعية في إطار الثقافة الواحدة. ومعجم اللسان الأمازيغي الذي أصدرته بالأحرف العربية أكاديمية المملكة المغربية من تأليف العضو محمد شفيق، عطاء سخى آخر عبر عن هذا الموقف الصحيح. ولا أزال أذكر سعادتي بقراءة ترجمة من الكردية إلى العربية لقصة "مم دزين" في دمشق في الخمسينيات ، وأحاديثي مع أخوة أكراد متتمين للثقافة العربية عنها. وقد حرصت في كتاب حديث لي هو "تفاعلات حضارية وأفكار للسنهوض" على أن أعرض لثلاثة أعلام رحلوا أعطوا الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة حقه هم: محمد أنيس ، وإسحق موسى الحسيني، وإبراهيم مذكور. كما أفردت فصلاً لجهد العالم يوسف القرضاوي في حوار العروبة والإسلام .

يعترض التقدم في السبيل الموصل لازدهار الحوار بين تيارات ثقافتنا العربية ضغط قوى طغيان خارجية علينا لفرض حوار مع عدد يحتل الأرض ويمارس

العنصرية ويجاهر بالعدوان ، باسم حوار السلام وبزعم بلوغ هدف ترسيخ ثقافة سلام. وما ذاك بحوار ، وإنما هو "إملاء". وما ذاك "السلام" إلا استسلام وثقافته "رضوخ". وتعتمد قوى الطغيان هذه إلى استمالة نفر من المثقفين للانخراط في هذه "التمثيلية" مستخدمة أساليب ترغيب ثم ترهيب، وقصدها أن تغطي بها عدوان المعتدي الصهيوني اليومي ، وتمكنه من المضي فيه ، وأن تعكر صفاء مناخ الحوار الحق في أوساطنا وتلبد سماءه بالغيوم.

إن التقدم بالحوار يقتضي استحضار الثوابت التي يكون منها الانطلاق والبدء، ونصب عينيها تعزيز الهوية وتحقيق المشروع الوطني. وهذا يتطلب أن يأخذ الحوار مكانه اللائق به في مناهج تربية الأجيال وتعليمها احتراماً وممارسة عملية، في البيت والمدرسة والمجتمع . وقد أولى الفكر التربوي العربي هذه المناهج عنايته. ويبقى أن يبذل جهد لتعميمها نظرياً وتقديماً الأمثلة العملية لها. ولا بد هنا من التأكيد على أن هذه التربية تبدأ منذ مرحلة الطفولة الأولى ، وإن من بين

حقوق الطفل علينا أن يحاورنا ونحاوره ونجيبه عن أسئلته المتتالية التي من خلالها يصل إلى المعرفة.

هذا التقدم يتطلب أيضًا أن يخدم الإعلام الحوار ، ويساند عملية التربية والتعليم . وأثر الإعلام اليوم قوي في ظل ثورة الاتصال ، وللتلفزة والسينما والحاسب جاذبيتهم . وهناك مجال واسع رحب لتقديم صورة صحيحة من خلالهم للحوار المثمر . وهذا يتطلب الحذر من الوقوع في أسر حوار الصم وما بدأ يشيع من " مصارعات حوارية " تحت اسم الرأي والرأي الآخر .

التقدم بهذا الحوار يتطلب فيما يتطلب أن يلتزم " السلطان " بالحوار ، يحترمه ويوليه عناية ويمارسه ويحرص على مستلزماته، ويتحمل بالصبر . ومستلزماته كما سبق أن أوضحنا حرية تعبير مسؤولة واعتراف بحقائق التنوع وحق الاختلاف وصولاً إلى واجب الالتزام الفردي . وهذا الالتزام السلطاني الرسمي هو السبيل إلى ممارسة الشورى والديمقراطية وقطف ثمارها الطيبة ، أصوب الآراء والتلاقي

على تحقيق المشروع الوطني ومشروع الأمة الحضاري وبلوغ الأمن الاجتماعي . لن نمل نحن أهل الفكر من الحديث عن قصور الحوار على هذا الصعيد، ومن التنبيه على مخاطر هذا القصور . وسنظل ندعو إلى أن تكون " السياسة الأمنية " الرسمية في إطار السياسة العامة جزءاً منها وليس حاكماً عليها مهيماً . وهذا يتحقق حين تغتنى هذه السياسة الأمنية الرسمية بالفكر وآراء المفكرين. ولافت أن المؤسسات المعنية لا تزال في غالبيتها مغفلة تلبية حاجتها هذه .

إن من أهم جوانب الحوار الرسمي هو ذاك الذي يتصل بجيل الشباب في المجتمع . وعلى صعيده يجب أن يتحلى التحمل بالصبر في أروع صوره. ذلك لأن لجيل الشباب خصائصه التي من بينها نزوع إلى الغلو والتطرف. وهذا النزوع لا يتعامل معه بالقمع الذي يورث العنف. وإنما بتوظيفه لصالح المجتمع من خلال الحوار . ولن يفقأ الشيخ المفكر يذكر بحق جيل الشباب على جيله وجيل بلوغ الأشد وهو يتابع بأسى ما ينساق إليه

"السلطان" أحيانا من "عنف" في التعامل مع بعض أبنائنا من الشباب . ويسلم الشيخ المفكر بأن الغلو في مجموعه ليس حسناً ولكن السماح به من خلال حرية الفكر يمكن أن يخفف منه ويأتي به إلى الوسطية والاعتدال هذا فضلا عن أن في الشباب " حدساً" أشار إليه ابن الخطاب كما ذكر الماوردي في "أدب الدنيا والدين"، تشتد حاجة صاحب القرار للاغتناء به حين يبلور قراره. وقد أوضح جمال إلينا في حديثه عن الإسلام والحرية أنه إذا كان الغلو في مجموعه سيئاً ، فإن حرية التعبير عنه تفسح المجال لاستكشاف ما لا يستكشفه النقاش المألوف، واستشهد بما قاله شوقي في رثاء أمين الرافعي :

قيل غال في الرأي قلت هبوه

قد يكون الغلو رأياً أصيلاً

وكم استنهض الشيوخ وأذكى
في الشباب الطماح والتأملا .

وبعد

فإن هذا الحديث عن الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة يدعو إلى الخاطر ما جاء به الهدي الإلهي من تعليم الله الخالق مخلوقه الإنسان البيان، وإخباره نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم " والله يسمع تحاوركما " حين جادلته الصحابة رضي الله عنها في زوجها واشتكت إلى الله، وأن الكثير من آيات الكتاب المبين جاءت في صورة حوار شمل نماذج شتى ، فنحمد الله سبحانه ونصلي على رسله وخاتمهم محمد بن عبد الله ، ونستلهم من ذلك عزيمة للمضي في سبيل الحوار الموصل إلى تحقيق مشروع أمتنا الحضاري الذي يلتقي عليه أبناء الأمة من مختلف تيارات ثقافية ، ليسهموا في عمران عالمنا.

أحمد صدقي الدجاني

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

اللغة العربية لغة الإسلام *

للفريق يحيى بن عبد الله المعلمي

اللغة: أي لغة هي لسان كل الشعب المعبر
عن أفكاره وآرائه ومشاعره وأحاسيسه
وآماله وآلامه وتطلعه وطموحه .

كما أن اللغة وما دُون من آثارها من
شعر ونثر وفكر وأدب هي تاريخ الأمة
وتراثها الذي تعتز به وتباهي .

ولذلك فكل أمة تفخر بلغتها ، وتعز
بها ، وتحرص على انتشارها ومنع
اختلاطها بغيرها من اللغات لتظل نقية
صافية .

وأمة العرب تتميز عن جميع الأمم
بأن لغتها ليست لغة شعب أو وطن أو
إقليم . وإنما هي لغة أمة عظيمة العدد .
متعددة الأوطان ، منتشرة على مساحة
كبيرة من رقعة العالم . فهي لغة الإسلام :

الدين الحنيف الذي يدين به مئات الملايين
من البشر في مختلف بقاع المعمورة وبه
تقام شعائر الإسلام في كل بلد ، فالأذان
يرتفع خمس مرات من المآذن في كل

مدينة أو قرية في كل وطن به عدد من
المسلمين . والقرآن الكريم يرتل كل يوم
بأفواه المقرئين وتنقله الإذاعة المرئية
والمسموعة إلى المسلمين في كل بلد .

والقرآن الكريم يتلى أيضًا في كل بيت فيه
مسلم . ومن لا يجيد قراءة القرآن الكريم
باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل سورة
الفاتحة أم الكتاب وسورًا أخرى من قصار
السرور في القرآن الكريم يقيم بها صلاته
ويؤدي بها ما فرض عليه من مشاعر
ومناسك .

ولذلك فإن تعلمها وإجادة النطق بها
وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين
قبل أن يكون واجبًا وطنيًا أو قوميًا .

ونحن نرى الأمم من حولنا تعمل
الكثير من أجل نشر ثقافتها عن طريق
الإذاعات أو الأشرطة المسجلة . أو إنشاء
المعاهد في الدول التي لا تتكلم لغاتها

إضافة إلى إنشاء المعاهد العالية والكليات

* ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة

سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م .

الدعوات الاستعمارية التي كانت تحاول طمس اللغة العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية وتشجيع الكتابة باللغات العامية لتبديد شمل الأمة العربية وتشتيت لغاتها وإضاعة تراثها العريق المجيد.

ولكن الله الذي وعد بحفظ القرآن الكريم حمى اللغة العربية وسيظل يحميها من كيد الكائدين وعنت المستعمرين الطاغين .

ولكن المشكلة الكبرى التي تواجه اللغة العربية هي عقود أبنائها وسعيهم في سبيل حصارها وتحطيمها بالقول والفعل . ومن أفاعيلهم إهمال اللغة الفصيحة واستبدال لهجات محلية بما لا يقتصر استعمالها على الحديث الشفهي وإنما أدخلوها إلى الصحف والمجلات . وأقاموا المهرجانات الدولية للأزجال العامية . ورصد بعض الأثرياء العوام جوائز مالية ضخمة فتسابق الناس إلى ارتضاخ العامية والخوض في مستنقعاتها لم تمنعهم غيرة على عربيتهم ولا حمية دينهم .

ففي بلد عربي كريم تصدر الصحف اليومية وفيها صفحات تبلغ نصف عدد

المتخصصة لتعليم اللغة، وآدابها ، وتاريخها، ونحوها ، وصرفها ، وما تحويه من معان ومن أوجه الإبداع فيها .

والدول العربية تبذل في هذا الاتجاه جهودًا مشكورة فأنشأت المدارس والمعاهد التي تنشر اللغة العربية وتعلمها لغير الناطقين بها وتجعل الناطقين بها أكثر إجادة لقواعدها وتطبيقاتها .

ومدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة في المساجد والزوايا والأحياء ، والمسابقات تنظم للتشجيع على حفظ القرآن الكريم ، والجوائز المغرية تقدم للناجحين في ذلك على مستوى كل بلد عربي ، وعلى المستوى الدولي الإسلامي، ولا يغيب عنا مسابقات حفظ القرآن الكريم ونحوه التي تقام في ماليزيا وإندونيسيا وغيرها من الدول الإسلامية وترصد لها الجوائز المالية للفائزين . ويقوم على التحكيم فيها قراء من مختلف الدول العربية وبخاصة من الأزهر الشريف الذي يُعد حصنًا للغة العربية ، ومعقلًا من معاقلها الحصينة التي لها فضل الكفاح والدفاع عن اللغة العربية في مواجهة

صفحات الجريدة كلها وهي كلها باللغة العامية من الأزجال التي أطلقوا عليها اسما جذابا وقالوا بأنها شعر شعبي فخلعوا عليها لقب الشعر وهي تخلو من أهم صفة من صفات الشعر وهي سلامة اللغة ونسبوا إلى الشعب العربي كله والشعب ليس كله من العوام بل إن منه العلماء والأدباء والكتاب والصحفيين والطلاب والموظفين والقضاة والمحامين ورجال الأعمال وكلهم متعلمون يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية الفصحى ولا تخفى عليهم معانيها .

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى أفهام الناس، ونحن نرى الناس كلهم يذهبون إلى صلاة الجمعة كل أسبوع ويستمعون إلى خطبة الجمعة ولم يقل أحد منهم، إنه لم يفهم الخطبة، ونراهم يقرؤون القرآن الكريم ولم يقل أحد إنه عسير الفهم وإذا أشكل عليه فهم شيء منه أسرع إلى من يعرف القرآن واللغة فاستوضح منه .

ولم يدع أحد أبداً إلى الخطبة بالعامية لكي يفهم الناس الموعظة .

ولم يدع أحد إلى قراءة القرآن وطبعه باللغة العامية ليكون سهلاً على الجهلاء . وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى الوجدان في الغناء وهم يستمعون إلى أغاني أم كلثوم باللغة العربية مثل : ولد الهدى ، ولهج البردة وقصة الأمل وذكريات ، وحديث الروح ، وإلى عرفات الله ، وإلى أغاني محمد عبد الوهاب مثل الكرنك ، والجنود ، وكليوباترا ، والنهر الخالد ، وفلسطين وغيرها فيطربون لها أيما طرب ويستمتعون بالحائما ويتذوقون كلماتها ومعانيها .

وهذه الأغاني هي التي سوف تخلد فن أم كلثوم وعبد الوهاب وليس الطقاطيق الأمية التي انتشرت ثم اندثرت ولما يمض عليها ربع قرن من الزمان .

وزعموا أن اللغة العامية هي التي يتحدث بها الناس وأن علينا أن ننزل إلى مستوى العوام. وأنا أقول لهم : إن من العار أن يتحدث مثقف باللغة العامية في منزله أو في السوق وتتضح شناعته إذا كان المتحدث مدرسا في فصل أو خطيباً في محفل أو متحدثاً في مجلس رفيع يتناول

موضوعات الساعة من سياسة واقتصاد
ومشكلات دينية أو دنيوية .

ونحن نقول : إن من واجبنا أن نرفع
الساس إلى مستوى اللغة العربية الفصحى
لا أن ننزل إلى مستواهم وكذلك عندما
نرى المستحذلقين يخاطبون أتباعهم من
الخدم والسائقين الذين استفدناهم من
دول لا يتكلم أهلها العربية . فإننا بدلا
من أن نحملهم على فهم لغتنا والحديث
بها نلوي ألسنتنا فنذكر المؤنث ، ونؤنث
المذكر ، ونخاطب الفرد والجمع بضمير
الغائب الفرد ونظن أننا بذلك نيسر اللغة
ونحسن نعقدها ونجعلها صعبة عسيرة على
السامع .

والأدهى أن ينشأ أطفالنا فيألفون لغة
الأتباع ويشأ حيل جديد ضيع اللغة
العربية ولم يتقن لغة أجنبية فكان

كالغراب الذي خطر له أن يقلد خطو
الحمام فأصيب بالعرج وسمي أبا مرقال .
وبعد أيها الأخوة الكرام فأنتم تعلمون
عندما نكون في المغرب العربي إذا تحدث
أحدهم مع الآخر بلغته العامية لا تفقه من
حديثه شيئا أما إذا تكلم اللغة الفصحى
فإننا نفهمها جميعا .

ولذلك فاللغة العربية تربط الشعوب
العربية وتوحد لغتها وتربط قلوب أفرادها
بعضهم إلى بعض وقد لقيت من الدفاع
عن اللغة العربية ومهاجمة العامية عنتا
ولكني أقول :

أحمي حمى الفصحى وأفخر أنها
لغتي بها جاء الكتاب المنزل
وبها أحاديث النبي المصطفى
وبغيرها القرآن ليس يرتل
وسلمت اللغة العربية ورفع الله شأنها
يجيى بن عبد الله المعلمي
عضو المجمع المراسل
من المملكة العربية السعودية

أصل الكلمة العربية "هرم"

والتي تعني "Pyramid"

للأستاذ الدكتور إسكندر فودور

إن أصل كلمة "هرم" (وجمعها: أهرام) هي المماثل لكلمة "Pyramid"، وعلى ما يبدو فإنها لم تحتل مكانا خاصا في الأبحاث العلمية. وطبقا للطبعة القديمة لدائرة المعارف الإسلامية فقد ورد عن كلمة "هرم": "كلمة قبطية مشكوك في مصدرها (١)"، بيد أن الطبعة الجديدة كانت أكثر حذرا، فكل ما جاء عنها هو: "كلمة ذات أصل مشكوك فيه" (٢). ومن مظاهر عدم التحيز لأصل كلمة "هرم" وفيما يتعلق بمشتقاتها، فإن كلتا الطبعتين لدائرة المعارف الإسلامية قد استشهدت فقط بدراسة كتبها "دي ساسي" في سنوات ماضية. (٣) وبالرغم من أسفنا فإن تلك الدراسة لم تتمكن من التوصل إليها، لكنني حصلت على دراسة كتبها "هاجر" "Hager" نقل خلالها إلينا آراء "دي ساسي" حولها. (٤)

وفي استعراض تاريخي، فإن المضمون المختصر لدراسة كل من "دي ساسي" و"هاجر" سيكون له قيمة واضحة. وسوف نرى أنهما لم يحاولا ببساطة اقتفاء أصل كلمة "هرم" بل تتبعوا الأصل العام المزعوم لكلمتي "هرم" و "Pyramid".

وقد عدّد "دي ساسي" في مبدأ الأمر الاشتقاقات المتنوعة لكلمة "Pyramid" التي اقترحها آخرون، وتبعا لذلك فإنها ترجع إلى كلمات يونانية: نار وبر (حنطة) كلمة "Pyr" و "Pyros"، وإلى كلمة فرعونية تعني رجلاً "Piromi" ومحاولة ربطها بمعنى كلمة قبطية للدلالة عن ملك ومولد، "puro" و "misi" أو ربطها بكلمة قبطية تعني شمساً، أي "Pire" أو "Pira" أو بالأداة المصرية (القبطية) "pi" وربطها بكلمة سامية تعني الارتفاع، أي "rama" وللتوصل إلى عرض آرائه

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة

سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م.

٥) وأخيراً فإن حرف الابلون اليوناني "Y" في كلمة "pyramis" اليونانية كان ولا بد أن يكون سابقة من الإغريق أنفسهم .

وبالنسبة "هاجر" فإنه كان من المهم لديه أن يقيم الدليل قبل كل شيء بأن المصريين قد استخدموا في الواقع هذا المصطلح . ولم يجد "هاجر" في ترجيحه للتفسيرات المشتقة للكلمة قبولاً لديه ولا سيما أنه أراد أن يرجح استخدام كلمة "هرم" وتخريجها من العصور القديمة الأثرية ومن الكلمة "Hermes" و "Hermonthis" أو "Cheremon" والتي اعتبرها اشتقاقاً مباشراً لكلمة "هرم" . وأشار "هاجر" مدلاً بأن المسألة إذا كانت كذلك فإنه ليس من الضروري أن اسم Pyramid يشتق من "الهرم" ذات الأصل العربي .

في الوقت الذي أسقط "هاجر" فرضية "دي ساسي" ، فإنه قدّم رأيه الخاص في الاشتقاق . وطبقاً لذلك، فإن نماذج الأهرامات المصرية، توجد في الأضرحة الضخمة للملك بابلون

الخاصة فإن "دي ساسي" ذكر بأنه تتبع لبعض آراء المستشرقين فوجد أن كلمة هرم تعني "pyramid" وهي ترجع إلى جذر عربي ثلاثي وهو "هرم" بمعنى "هرم" بكسر الهاء وفتح الراء وذلك للدلالة عن مبنى "الهرم" القديم والعتيق .

وتسبّع ذلك بعرض رأيه الخاص بأن كلمة "pyramis" اليونانية ذات الأصل العربي "حَرَم" وتعني "المقدس" وبمعنى آخر فإنها تعني بالأصل المبنى المقدس جانب استحالة ذلك تاريخياً فإن فرضية "دي ساسي" تقودنا إلى افتراضات غير مقبولة بالأساس وهي:

(١) إن هرم العربية وتعني pyramid يجب أن تنطق بحرف الحاء الحلقي .
(٢) ورغم ذلك فإن المصريين القدماء لم يكن لديهم بد من استخدامها .
(٣) إن أداة التعريف "Pi" كان ولا بد أن تسبقها .

(٤) ولنطقها فإن حرف الحاء كان ولا بد أن يختفي ، تاركاً النطق التالي : "Piram" لكل من "piharam" و "pihram" .

كلمة هرم (بفتح الهاء وكسر الراء) تعني "عتيق أو قديم" وإنما قد استخرجت من كلمة أهرام التي تعني "Pyramids" (٨) ومن البديهي أن جالينوس في القرن الثاني الميلادي لم يكن قد ذكر شيئاً مماثلاً لهذا ، ولكن من الأكيد فإن كلمة هرم (بكسر الراء) أي "عتيق" يمكن تتبعها بشكل منطقي من التصور "عادات" الأكثر قرباً من الـ "pyramids" عن انتحال أن الـ pyramid أخذت اسمها من كلمة هرم (بكسر الراء) كما ذكر دي ساسي .

في حين أن د. هـ. مولر تناول بشكل أكثر اقتراباً أصل كلمة هرم وذلك في أحد تذييلات مقالاته حول نقوش العربية الجنوبية المنشورة في عام ١٨٧٦م. (٩) فقد ذكر بأن "هرم" (من الثلاثي ر.و.م) يمكن أن تدل على بناء طويل في كل من الحميرية والعربية. وأضاف قائلاً بأن هناك مدينة في العربية الجنوبية تسمى (هرم) (١٠) . حيث قام ج. هالفلي بجمع العديد من النقوش التي كانت ذات شهرة بسبب العمارة التي أقامها الملوك الحميريون. واقتبس مولر

"mausilems" وهو المصطلح الذي قد يكون نابعا من كلمة سامية (العبرانية الكلدانية) أي كلمة عمود النار "ur-camud". وإن المصريين قد يكونوا بنوا صيغة "ur-amud" مزيلين بها أداة تعريفهم "pi" ، وهكذا تشكلت كلمة "piramis" . وكشرح بديل ، فإنه يذكر أيضاً احتمالية استخدام كلمة النار "pyr" اليونانية بدلا من المقطع الجزئي للكلمة أي "ur" والتي تعني النار كذلك في الكلدانية العبرانية .

وفي التحقيق في أصل كلمة "هرم" يجب التأكيد على خلاف ما قاله "دي ساسي" في أن كلمة "هرم" تعني pyramid ظهرت في وقت متأخر وطبقا لما نعرفه ، فإنها أول ما ظهرت للمرة الأولى كانت في أعمال كل من ابن خرداذبة (المتوفى في ٨٤٨م) (٥) وابن عبد الحكم (المتوفى في ٨٧١م) (٦) ثم لدى ابن معشر البلخي (المتوفى في ٨٨٥م) (٧) : والأمر الأكثر تشوقاً ، أن التقاليد العربية اعتبرت كلمة "هرم" كلمة قديمة تنتسب إلى اصطلاح منسوب إلى جالينوس، وتبعاً لهذا فإن

التي ذكرها مولر مرتبطة بالهرم "pyramis" وليس من خلال هرم العربية، ولكن من خلال الكلمة المصرية القديمة "mr" وتعني الهرم. وقد أراد إثبات أنها تتناسق في مساواتها مع المصطلح السامي (كنتيجة لقلب موضع حرفي "م" و"ر" والخلل في كتابة عين الفعل "y" أو "w") (١٢)

إن تلك الفرضيات لا تتلاءم ولا تفي بالغرض الأساسي لأنها قد تناولت بشكل مباشر وعلى سبيل الحصر القضية اللغوية كجانب من مشتقات "هرم" ولم تحاول أبدًا تحقيقها تاريخيًا . وفي التحليل الأخير فإن افتراضية مولر أيضًا قد بقيت فقط بمجرد فرض .

إن أصل العربية الجنوبية للكلمة العربية "هرم" تتناسب بالكامل مع الصورة التي رسمها "VADET" في إحدى دراساته (١٣) للعلاقات الوثيقة بين مصر في العهد الإسلامي وبين العربية الجنوبية . وكما برهن فإن القبائل اليمنية كانوا جنود الفتح الإسلامي لمصر وأنهم قد لعبوا دورا واضحا ونجحوا في ربط مصر ربطا جيدا مع العالم الإسلامي . فتنافس القبائل

ملحوظة لنشوان الحميري ، وهو من أشهر المؤلفين الذين وصفوا العربية الجنوبية القديمة بقوله: "هرم اسم مكان في "الجوف" باليمن حيث وجدت صروح شيدها ملوك حمير. والهرمان في مصر توجد فيهما على نفس النمط صروح مثيرة للعجب. وهي كما قيل كانت مقابر لاثنتين من ملوك مصر الأوائل ". وقد ظن المؤلف العربي بأنه قد كشف عن علاقة وثيقة بين اسمين يتشابهان في النطق. وفي النهاية فإن مولر دعم رأيه مستخلصا أن العرب أشاروا إلى النقوش الهيروغليفية كخط المسند (١١) ذات الأصل العربي الجنوبي وأنهم على نفس المنوال قد استخدموا كلمة هرم للدلالة على الأهرامات المصرية ذات الحجم الكبير.

ولم يلتقي تصور مولر مع أي استجابة في الأدبيات التي يمكن أن تكون قد تجاهلتها بالتمام. ومنذ بضع سنوات مضت فإن w.vycichi قد مزج الكلمة السامية "rym" وتعني : متراس أو لحد مع الجذر "rwm" التي تعني الارتفاع والعلو

اليمنية مع القبائل العربية الشمالية القوية من الناحية العسكرية ولم يكن أمامهم إلا تأكيد ماضيهم المجيد، وإظهار تفوقهم الحضاري. وقد حاولوا دائما الربط بين أسلافهم الذين اختفوا من صفحات التاريخ وبين واقعهم الجديد .

وقد استقرت القبائل اليمنية المشاركة في الفتح العربي لمصر في الحواضر والعواصم. وخلال القرون الأولى قد سادوا بشكل ظاهر على القضاء والضرائب والحياة الفكرية في البلاد . وقد نجحوا في إقامة علاقات طيبة مع المسلمين الجدد المحليين الذين وجدوا فيهم خير نصير لهم في تنافسهم مع أقراهم الشماليين

فقد كانوا يرتبطون برباط عام معهم إذ إنهما كانا يعتران أنفسهما ممن ورثوا حضارة قديمة. وإلى جانب وجهة النظر الثقافية فإن سياسة الانصهار والاندماج العربي كانت تهدف إلى تجريد المصريين إلى حد ما من الميراث المصري. ولم يذكر "vadet" المرتبات اللغوية لهذه المحاولة ولكنها بدون شك تبدو أنها قد تبست ونشرت كلمات عربية جنوبية مثل "هرم" و"مسند" .

إسكندر فودور
عضو المجمع المراسل
من المجر

(٧) ابن أبي أصيبع : كتاب عيون

الأنباء ، القاهرة ، ١٨٨٢ ص ١٦ .

(٨) جرايف: نفس المصدر ، ص ١٢ .

(٩) D.H. MULLER:
Himjarische Studien,
ZDMG , XXX/1876,704,n

(١٠) انظر مدينة هرم في

J.Hamordtmann: Miszellen
zur himjarische
Alttertumskunde.

ZDMG/XXXI/ 1877, 83; A.
Fakhry: An Archeological
Journey to Yemen, I, Cairo,
1952,145.

(١١) بالنسبة لاستخدام خط المسند

لدى المؤلفين العرب انظر،

G.WIET: L'Egypte de
Murtadi fils du Ghaphiphe,
Paris, =953, المقدمة ص ٨٥ .

وطبقا للروايات العربية فإن المسند

أطلق عليها هذا الاسم الذي أسند

بواسطة هود بن جبريل (وهب

بن منبه : كتاب التيجان، حيدر

آباد ص ٥٤) وحول الأرضية

الجنوبية للكلمة انظر : E.

OSIANDER: Zur
himjarischen
Alterthumskunde
ZDMG/XIX/1865,165,n

الحاشية

(١) دائرة المعارف الإسلامية (لندن -

ليبيج) ، ١٩٢٧ ، جزء ٢ ص
٢٧٨ انظر كلمة هرم .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (لندن -

لندن) ، ١٩٧١ ، جزء ٣ ص.
١٧٣ انظر كلمة هرم .

(٣) S.de Sacy : Observations
sur l'origine du nom donné
par les Arabes aux
Pyramides d'Aegypte, "
Magasin Encyclopédique,
1801, VI, 456-503 وهذه

المعطيات في دائرة خاطئة للأسف،

وحول المادة المنشورة (انظر

حاشية رقم ٤) ويمكن وجودها

في ١٨٠١ جزء ٥٥ والرقم

الصحيح للمجلد هو ٦/٤ .

(٤) HAGER: Observations sur
le nom et sur l'origine de
pyramides d'Aegypte ,
Magasin Encyclopédique,
1801, V, 334-347.

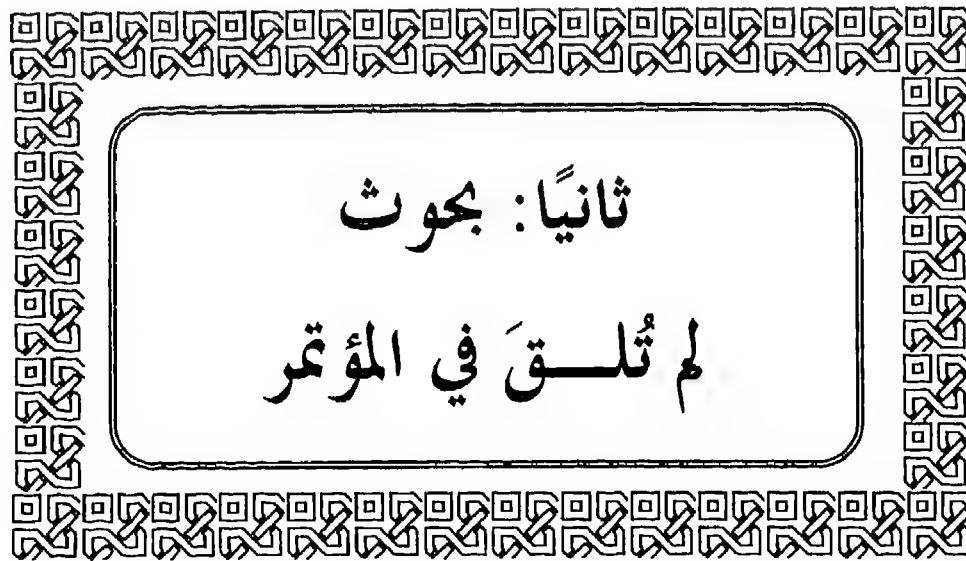
(٥) Graefe : خطط المقريري مادة

الأهرام (ليبيج ١٩١١) ص ٣٧ .

(٦) نفس المصدر، صفحات ٧٣ - ٧٤ .

W, Vycichl: Aegyptische (١٢
MR "Pyramide" und seine
arabische Etymologie h Le
Museum, 71/1958/149-152
J.C.VADET: (١٣
L'Acculturation des Sud-
Arabiques de Fustat au
lendemain de la conquête
arabe. Bulletin d'Etudes
Orientales, 22/1969, 7-14.

l; J. HALEVY: Etudes
vrbéenes JA, VII/I 1873,
441; MULLER: Himjarische
Inscriptionen ZDMG,
29, 1875, 594;
MORDTMANN: PP. 73
رايكمانز فيما يخص مصطلح القوش
RYCKMANS: Inscriptions
historiques sabéenes Muson,
66 / 1953/285f,
. 304, 306, 308



مقدمة لدراسة

الحدائث الشعرية العربية

للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

في ظل المتغيرات المتسارعة ، خلال
نصف القرن الأخير ، في الأنظمة
السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتطور
أساليب العلم والمعلومات واتصالات
الفضاء والتقدم التكنولوجي ، كان لابد
أن تحدث تحولات عميقة في صورة
المجتمعات ، والعلاقات الإنسانية ، وحياة
الأفراد ، وأن يكون لكل ذلك آثاره في
المشاعر والتصورات والرؤى والأفكار
والتطلعات . وهكذا لم يعد من المستطاع
أن تفصل أساليب التعبير وعناصره عن
بواعثه ودواعيه الفكرية والوجدانية
الجديدة المتغيرة ، ولا أن تثبت عند صورة
بعضها لا تتجاوزها حين كانت تلك
الأساليب والعناصر - على مدى سبعة
عشر قرناً - مناسبة لنبض الحياة، مواكبة
لتطورها المستدرج ، فألفتها الآذان
واستكانت لها ، والتصقت بها النفوس
حتى كانت لا تطيق عنها افتراقاً ، ولا

تكاد تتصور لها بديلاً .
وفي السنوات الخمسين الماضية
تلاحقت الأحداث السياسية ، واضطربت
المفاهيم والمقاييس ، واحتلقت القيم
والمثل ، ثم انطلقت صواريخ الفضاء
ومركباته ومحطاته واكتشافاته ، وجال
معها الإنسان حتى سبح في فراغ الفضاء ،
واستقرت قدماه على القمر ، وانطلق إلى
كواكب أخرى . وارتفعت وتيرة الحياة،
واشتد صخبها ، وتسارع نبضها ، وأخذ
الإنسان يلهث وراء كل ذلك مشدوهاً
مدهوشاً . فكان لابد له من صور للتعبير
تناسب، في موسيقاها وألفاظها ومعانيها،
مع نبض حياته الحقيقية الواقعية، ومع
نبض عصره هو ، وليس مع نبض حياة
أسلافه وعصورهم .

ولكن الأمر لم يكن سهلاً ، فهذا
التراث كانت له تقاليد الأدبية الضاربة
في أعماق التاريخ ، وكانت له جذوره

وجاءت محاولة جديدة تمثلت في إطلاق أواخر الأبيات من قيود القافية ، وسمّي هذا الشعر بالشعر المرسل ، وكان من أوائل رواده : توفيق البكري (في مطالع القرن العشرين الميلادي) ، ومن نظم هذا الشعر المرسل : الزهاوي وعبد الرحمن شكري وأحمد زكي أبو شادي وباكثير وغيرهم . ولم يكتب لهذا الضرب من التجديد الشيوع والسيورة ، فقد نبت عنه الأذواق والأسماع ، إذ كان تقليداً محضاً لما يسمى بالإنجليزية Blank Verse .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى كان نفر من الشعراء - من الجيل الثالث بعد رواد النهضة - قد اطلعوا على الحركات الشعرية التجديدية في الغرب ، وخاصة ما قام به عزرا باوند، وتوماس ستيرنز إليوت . فكان أن أدرك هؤلاء الشعراء أن جميع محاولات التجديد السابقة قد حافظت على البيت الشعري بشطريه، وعلى تفعيلاته المتكررة ، سواء أكان البيت تاماً أم مجزئاً أم مشطوراً . وأدركوا أن هذا الالتزام بالشطرين

الممتدة في باطن الأرض . ولا يستطيع المبدع أن ينحّي ذلك كله ، ويبدأ من جديد أو ينطلق من فراغ . وبذل رواد نهضتنا الأدبية - في أواخر القرن الماضي ومطالع القرن الحالي - جهوداً متواصلة لمسيرة المتغيرات في الحياة ، فتمثل جهد الرائد الأكبر محمود سامي البارودي في تمزيق الأكفان التي كادت تدفن شعرنا العربي، وانطلق يعبر عن مضامين جديدة بدباجة مشرقة وموسيقا عذبة ، أحيا بهما رونق الشعر العربي . وسار من تلاه من الشعراء على أثره ، وكان أوضح تجديد لشوقي الانتقال بالشعر من القصائد المتفرقة إلى المسرحيات الشعرية ، واستمر هو وغيره في التعبير عن الأحداث السياسية والاجتماعية في عصرهم ووصف المكتشفات والمخترعات الحديثة حينئذ . ومع ذلك ظل هؤلاء الرواد العظماء يدورون في موسيقا شعرهم وألفاظهم وشكله في دائرة التراث الشعري ، في عصور ازدهاره ، منذ الجاهلية حتى أواخر العصر العباسي .

والتفعيلات المتكررة يقيّد حرّيتهم في الانطلاق نحو تجديد يجعل من شعرهم نمطًا مغايرًا للبيت الشعري. فاتخذوا من التفعيلة أساسًا لشعرهم ، بدلا من الشطرة ، ونوّعوا في عدد هذه التفعيلات في السطر الواحد ، فهو أحيانا تفعيلة واحدة وأحيانا تفعيلتان أو ثلاث أو أكثر ، وانتفى التساوي في عدد التفعيلات، وأصبحت تُكتب في سطور تطول وتقصّر، بدل الأبيات المتساوية . وهكذا أحسّوا بالانعتاق والانطلاق ، والتدفق في التعبير عما يريدون التعبير عنه دون أن تُحدّهم قافية واحدة يلتزمونها دائما ، ودون أن تقيدهم الشطرتان بتفعيلاتهما المتساوية المتكررة .

وكان اتصال رواد النهضة الأدبية أولا ثم رواد هذا التجديد الشعري اتصالا وثيقا بشعر التراث عامّة في مختلف عصوره. وكان هذا الاتصال واضحا في ديباجتهم ونسجهم وألفاظهم واقتباساتهم وإشاراتهم ورموزهم وتضميناتهم ، وكل ذلك من الوضوح والكثرة بحيث لا يحتاج إلى ضرب الأمثلة .

ولم يسبدا رواد التجديد حرّكتهم - منذ أواخر الأربعين من هذا القرن - إلا بعد أن قطعوا شوطا بل أشواطاً في نظم الشعر الموروث أو العمودي ، واشتهروا أولا من خلال نظمهم لذلك النمط من الشعر ، ثم ساروا في طريق التجديد عن بيئة وبصيرة وعلى هدي سننٍ لاحب . حتى إن بعضهم لم يلتزم دائما بهذا النوع من الشعر في كل ما ينظم ، بل أخذ يُدخل في ثنياه أبيتا كاملة من ذات الشطرين .

ومع ذلك فقد أوغل بعض هؤلاء الرواد المجددين في تقليد الاتجاهات الأدبية الغربية الحديثة في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . وأسرفوا في استعمال لغة الحديث اليومي في الشعر ، ويكفي أن نقبس ما قاله ييتس Yeats : "لقد كنا نريد التخلص لا من مقاييس البلاغة وحدها فحسب ، بل من العبارات الشعرية أيضا ، لذلك حاولنا أن نخلع كل ما يتسم بالتكلف وأن نختار أسلوبا أقرب إلى الكلام ، بسيطاً كأبسط أنواع النثر ..." بالإضافة إلى ذلك غلب على

بعضهم أسلوب ت.س. إليوت باتباع الأسلوب الصوري ، والتعبير بتقديم صورة تعقبها صوراً غيرُها تنقل للقارئ فكرة القصيدة ، وكان الذي أقام هذا الأسلوب في العقد الأول من القرن العشرين الشاعر الأمريكي المولد عزرا باوند ، "ويعود الأسلوب في جذوره الأولى إلى الرمزية الفرنسية التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر ... ويقوم الأسلوب الصوري على بلورة صور أو سلسلة من الصور تؤدي إلى التعبير عن فكرة ..."^(*)

وكان إليوت واسع الثقافة ، متعدد مصادرها ، وكان يرى أن غزارة الحصيلة الثقافية وسعة قاعدتها لدى الشاعر هي أساس الشعر الذي يستحق هذا الاسم . وقد نشر أكبر قصائد القرن العشرين في اللغة الإنجليزية ، وأهمها ، وهي "الأرض اليباب" جمع فيها ثقافات عصره وثقافات السابقين عليه بلغات عديدة وملا القصيدة بإشارات إلى ٣٥ كاتباً وكتائباً ، بسبع لغات غير الإنجليزية، بغير شرح ولا تفسير

ولا إشارة قد تُروى الغليل . فترسّخت - من هذه القصيدة - صفة الغموض والتعقيد في شعر إليوت ، وظهرت فيها خلاصة مركزة للصور التي سبق أن رأيناها في بواكير شعره . ولا بدّ لمن يتصدّى لقراءة القصيدة أن يطيل التأمل في الصور والعلاقات التي تبدو غير مألوفة حتى بعد قراءات عديدة . ليس في "الأرض اليباب " "شكل" شعري أو "نمط" مألوف من حيث عدد التفعيلات أو الأبيات أو نظام القوافي مما ألفه قارئ الشعر . فهي مثالٌ على "الشعر الحر" الذي بدأه الأمريكي " والت وتمن " عام ١٨٥٥م يوم أصدر مجموعة "أوراق العشب " وأثار ضجة في الأوساط الأدبية بسبب غياب الوزن والقافية بالمعنى المألوف . في هذه القصيدة يستعوض إليوت عن ذلك كله ، بما يدعوه الناقد الكبير "رتشاردز" (I.A. Richards) باسم "موسيقا الأفكار " وهي التي تعوّض عن غياب الوزن التقليدي والقافية المعتادة . وفيها نجد " الفكرة " هي الأساس في

(*) عدد الواحد للؤلؤة ، جريدة الدستور (الأردنية) عدد ١٩٨٥/١/٤م.

لأساليب التفكير والشعور والكلام المعاصر . وبرز نوع جديد من الكتابات يقابل في أول الأمر بالإنكار والسخرية . ونسمع أن التقاليد قد حُقرت ، وأن الفوضى قد عمّت . وبعد حين تظهر الطريقة الجديدة أنها ليست عامل هدم أو تخريب إنما هي إعادة بناء وتكوين [إعادة خلق] . إن الأمر ليس أننا أنكرنا الماضي، كما يحلو للخصوم العنيد لكل حركة جديدة - وكذلك للمؤيدين الأغبياء - أن يعتقدوا ، ولكننا وسّعنا تصوّرنا للماضي ، ورأينا الماضي - في ضوء ما هو جديد - في صورة جديدة .

وهكذا نرى - مما نقلناه من كلام إليوت وما ذكرناه عن قصيدته " الأرض الياب " - أن الحداثة عند إليوت لم تكن قطيعة مع التراث ، بل كانت تواصل به وتفاعلا معه ، على نقیض ما ذهب إليه غيره من دعاة الحداثة، وخاصة من العرب . والكلام على الحداثة كلام طويل متداخل، فيه قدر من الغموض والتناقض،

القصيدة ، تتكرر أو تتواتر بطريقة أو بأخرى لتقدم صورة متكاملة لما يريده الشاعر. وكذلك فإن طول الشطر مرتبط بالعبارة التي تصور الفكرة وليس بعدد تفعيلات مفروضٍ على الشطر أو نوع قوافٍ يرصفها الشاعر طلبًا لموسيقا لفظية غنائية الأثر ... دعائم التراث هذه ضرورية في نظر إليوت لكل شعر يستحق الاسم ، ومن أجل ذلك كان شعر إليوت موضع اتهام بأنه "شعر الخاصة" أو "شعر الشعراء" وليس شعر العامة ومتوسطي القراء ، وكان الاتهام ، وما يزال ، أن هذا الشعر يتصف بإفراط في العقلانية وإفراط في الغموض ^(١) .

وقد أوضح إليوت رأيه في التطور والتجديد في الأدب، بقوله ^(٢) : " من حين إلى حين تحدث ثورة ، أو تحوّل مفاجئ في شكل الأدب ومضمونه . حيث يرى عدد غير قليل من الناس أن بعض الكتابات التي شاعت على مدى جيل أو أجيال ، أصبحت بالية ولم تعد تستجيب

(١) الفقرة السابقة مقتبسة بشيء من التصرف، من مقالة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة التي أشرنا إليها، المنشورة في جريدة الدستور.

(٢) نقلًا من : T.S. ELIOT, American Literature and American Language, 1965

. Revolutions of The word, Edited by Patricia Waugh, 1997

(Laicism أو Secularism) ووصل بها بعض المغالين إلى رفض الدين نفسه ، وليس الاقتصار على رفض سلطان الكهنوت.

٢- تقديس العقل والاعتماد عليه في فهم قضايا الكون ومظاهر الحياة . وذهب المغالون إلى إنكار الوحي ورفض النص الإلهي ، وتآليه العقل وحده .

٣- الأخذ بالعلم ومناهجه . وكما كان موقف المغالين من العقل ، كان كذلك موقفهم من العلم في تقديسه وتآليه .

٤- الإيمان بفكرة التقدم ، وأن الحاضر خير من الماضي، والمستقبل خير من الحاضر، والحياة تسير إلى الأحسن والأرقى . وذهب المغالون إلى أن التقدم وقفّ على أوربا ، وأن البلاد الأخرى بلاد متخلفة ، وخاصة البلاد الآسيوية والإفريقية ، ومن هنا نشأت فكرة الاستعمار ووجوبه لتمدين تلك البلاد.

وبهذه الأسس الثابتة تكون الحداثة منهجاً فكرياً ومذهباً اجتماعياً صالحين

حتى ليخيّل للمرء أن كل أديب أو ناقد له حدائته ، أو له فهمه الخاص للحداثة . وسحاول أن نقول كلاماً واضحاً في هذا الموضوع غير الواضح :

الأصل في الحداثة أنها منهج فكري ومذهب اجتماعي ونظرة في الحياة . وقد اختلف مؤرخوها في منشئها ، فذهب بعضهم إلى أنها تعود إلى عصر النهضة الأوربية ، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وذهب آخرون إلى أنها تعود إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر ، وتأخّر بها بعضهم إلى نهايات القرن التاسع عشر .

وكما اختلفوا في مبدئها ، اختلفوا كذلك في معناها ، وينكر أكثرهم أن تكون بمعنى العصرية ، كما يردّون قول القائل : لكل عصر حدائته ، فهم يرون أن الحداثة سمة عامة تصلح لكل عصر ، ولا تختلف باختلال العصور . ذلك أنها تقوم على أسس ثابتة ، أهمها :

١- رفض سلطان الكنيسة ورجال الدين، وقد تدرج هذا الرفض إلى ما يسمى بظاهرة العلمانية أو الدنيوية

لجميع العصور ، مستمرين مع الحياة ،
وليست خصائص أو سمات لعصر معين
تختلف باختلاف العصور .

و حين ننظر إلى ما عند المسلمين ،
منذ عصر النبوة وخلال تعاقب العصور ،
نجد أن الحداثة كانت من صفات الحضارة
الإسلامية ، بعد أن نخلص الحداثة من
الغلو وآراء المغالين . فليس في الإسلام
كنيسة ولا رجال دين من الإكليروس ،
بل إن الإسلام ينكر أن يكون أحد من
الناس وسيطاً بينه وبين الله ، والحاكم فيه
يستمد وجوده وسلطانه من الأمة بالبيعة ،
وإن كان يحكم بشريعة الله ، فهو ليس
ظل الله على الأرض ، وليست له قداسة ،
والحكم في الإسلام قائم على الشورى .
ثم إن الإسلام يمجّد العقل ، ويدعو إلى
استعماله ، وما أكثر الأحاديث التي تحضّر
على التفكير واستخدام العقل . والإسلام
دين العلم ، فالعلماء هم الذين يخشون الله
من عباده ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وغير
ذلك كثير مما يُستشهد به في هذا المقام
وفي المقام الذي قبله ، وهو العقل ، مثل :
الحث على طلب العلم ولو في الصين ،

(ولا يكون العلم الذي في الصين إلا علماً
دنيوياً ، وليس تفسيراً ولا فقهاً ولا حديثاً
نبوياً) ، ومثل الحث على الاجتهاد وإثابة
المجتهد ولو أخطأ . والإسلام مع التقدم ،
إذ هو دين العمل والأمل وعمارة الأرض .
وجميع ما ورد فيه عن تفضيل العصر
الأول ثم العصر الذي يليه ، إنما المقصود
منه قرب الناس من عهد النبوة والصحابة ،
فهو تفضيل ديني وليس تفضيلاً دنيوياً .

وقد تأثر الأدب بالحداثة ، وخاصة
الشعر والرواية والقصة ، وهو ما يسمّى
هذه الأيام بـ "الإبداع" . وحين نعود
إلى الصفحات السابقة سنستخلص من
أقوال النقاد والأدباء الذين ذكرناهم
الأسس التي قامت عليها الحداثة في
الأدب ، وربما كان أهمها :

١- الخروج على الشكل الشعري أو
النمط المؤلف من حيث عدد التفعيلات
أو نظام القوافي مما ألفه قارئ الشعر ، بل
غياب الوزن والقافية بالمعنى المعروف .
ويستعاض عن غياب الوزن التقليدي
والقافية المعتادة بما يسمّى "موسيقا
الأفكار" .

القصيدة أن يطيل التأمل في الصور والأفكار والإشارات والعلاقات التي تبدو غير مألوفة حتى بعد قراءات متعددة .

وقد حرصتُ في استخلاص هذه الأسس على اقتباس الألفاظ والعبارات نفسها التي أوردتها هؤلاء القاد والأدباء ، مع أنها تبدو تكراراً لبعض ما سبق ذكره .

ونعود إلى هذه الحركة أو الظاهرة التحديدية الحديثة في الشعر العربي ، فنجد أنها لم تنل الفرصة الكافية لتبلغ مداها ، وتحقق ذاتها ، وتتطور مع المراحل والأجيال المتعاقبة ، فقد وقفت عند رواد هذه الحركة ، ولم يقم من بين تلامذتهم وأتباع مدرستهم من يعمل على وضع أصول وقواعد واضحة المعالم لحركتهم ، ولم تتعاقب في أكثر شعراء الجيل الثاني بعد هؤلاء الرواد النماذج الشعرية التي تتجاوب مع الذوق العربي المعاصر بحيث تستسيغها الأذن وتُسَكِّرُ إليها النفس .

ويبدو أن تحرر أبناء هذه المدرسة من قيود الإيقاع المنظم وقيود القافية ، ومن التمرس بأساليب الشعر العربي الأصيل ،

٢- غلبة العقلانية بحيث تصبح "الفكرة" هي الأساس في القصيدة ، تتكرر أو تتواتر لتقدم صورة متكاملة . فطول الشطرة مرتبط بالعبارة التي تصور الفكرة. وتقدم صورة تعقبها صور غيرها تنقل للقارئ "فكرة" القصيدة . ذلك هو التعبير بالصور ، أو الأسلوب الصوري الذي يقوم على بلورة صورة أو سلسلة من الصور تؤدي إلى التعبير عن فكرة. وانتهى الشعر إلى الخلو من تدفق العاطفة وجياشاتها ، وأصبح كأنه مجموعة خواطرثرية .

٣- استعمال لغة الكلام اليومي في الشعر والتخلص من مقاييس البلاغة والفصاحة. فليست عندهم ألفاظ ولا عبارات شعرية أو غير شعرية ، وصار الشعر كلاماً أقرب إلى أبسط أنواع النثر.

٤- استخدام الأسطورة والرمز والإشارات التراثية وخاصة الصوفية ، فغلب على الشعر الغموض . وبسبب هذا الغموض ، واستخدام الصور المتراكبة أصبح على من يتصدى لقراءة

أعلن قبل موته^(١) : أن خطيئته عظيمة لأنه قد يكون مهَّد لهذا النوع من الشعر السائد الآن ! " . فكيف به لو عاش إلى أيامنا هذه ورأى ما نرى ؟ وبعدهما نجد الشاعر الروائي القاص جبرا إبراهيم جبرا يقول من حديث طويل لجريدة الحوادث^(٢) : " بعد ثلاثين سنة من بدايتنا في عملية التحديث الشعري تحقق الكثير لكنه في تحقّقه انفلت . كان للشعر العربي نوع من القدسية ، الآن فقد الشعر العربي هذه القدسية . لقد حضرنا ثلاثين سنة حتى أصبح قول مثل هذه القصائد الحديثة ممكناً ولكن يحيل لي أحياناً أننا أخطأنا بذلك التحضير لأننا مهدنا لهذا النوع من الشعر " .

ثم هذا هو الشاعر محمود درويش يشتدّ في توضيح موقفه ، فيقول : " إن ما نقرؤه منذ سنين بتدفقه الكمي المنهور ليس شعراً إلى حد يجعل واحداً مثلي متورطاً في الشعر منذ ربع قرن مضطراً

ومن رياضة النفس على العوص في أسرار اللغة واختيار الألفاظ والعبارات والأساليب الشعرية المصفاة ، ومعالجتها حتى تُسلس لهم القياد ، والانجراف إلى استعمال ألفاظ الكلام اليومي العادي ، بالإضافة إلى هذا الغموض الذي أسيء فهمه والهدف منه، كل ذلك جعل التلاميذ يستسهلون اقتحام ما ظنّوه محراب الشعر ، فأتوا بكلام لا يمتّ إلى الشعر بأدنى نسب، ولا إلى الكتابة الأدبية بأوهى صلة .

ولذلك أنكر الآباء أبناءهم ، وتبرأ الأساتذة من تلاميذ مدرستهم ، وأصبحوا يقولون فيهم ما كان يقوله فيهم الجيل السابق عليهم من الشعراء والنقاد . وربما كان أول من انقلب على هذه الاتجاهات الشاعرة العراقية المحددة نازك الملائكة ، فأصدرت في ذلك كتاباً تشرح فيه موقفها . ثم نجد رائداً آخر هو الشاعر المجدد المبدع صلاح عبد الصبور الذي

(١) مجلة "الحوادث" ١٩٨٢/٧/٩ م ص ٤٧ ، وحديث جبرا المصطل في العدد نفسه ص ٥١-٥٤ . وحديث محمود درويش نشر مفصلاً في جريدة الكرمل .

(٢) مجلة "الحوادث" ١٩٨٢/٧/٩ م ص ٤٧ ، وحديث جبرا المصطل في العدد نفسه ص ٥١-٥٤ . وحديث محمود درويش نشر مفصلاً في جريدة الكرمل .

إعلان ضيقه بالشعر . وأكثر من ذلك :
 بمقتته ، يزدرية، ولا يفهمه . إذ كيف
 تسنى لهذا اللعب العَدَمي أن يوصل إلى
 إعادة النظر والتشكيل بكامل حركة
 الشعر العربي الحديث ، ويغريها عن
 وجدان الناس إلى درجة تحولت فيها إلى
 سخرية ؟ لقد اتسعت تجريبية هذا الشعر
 بشكل فضفاض حتى سادت ظاهرة ما
 ليس شعراً على الشعر واستولت
 الطفيليات على الجوهر لتعطي الظاهرة
 الشعرية الحديثة سمات اللعب والركاكة
 والغموض وقتل الأحلام والتشابه الذي
 يشوش رؤية الفارق بين ما هو شعر وما
 ليس شعراً " .

ونستمر مع هؤلاء الشعراء المحددين
 الرواد فنرى الشاعر الناقد أحمد عبد
 المعطي حجازي يكتب في سلسلة مقالاته
 عن أحفاد شوقي في جريدة الأهرام فيقول
 عن قصيدة النثر^(١) : " إذا كنا نريد أن
 نأخذ قصيدة النثر مأخذ الجد ، وأن نميز
 فيها بين الجيد والرديء ، وأن نتوقع لها
 مصيراً نطمئن إليه بعض الاطمئنان ، فعلياً

أن نفهم الأساس الذي قامت عليه ، وأن
 نختبر ما يقال حولها من كلام ، وما
 يُستخدم في هذا الكلام من معلومات
 واصطلاحات . ولنبدأ بالاسم الذي يبدو
 لنا مس أول وهلة أنه يجمع بين طرفين
 متناقضين ، فالقصيدة من حيث هي شعر
 لا بد أن تكون موزونة ، فإن نخلت من
 الوزن فهي ليست شعراً وليست قصيدة .
 هذه النظرة قد تنهم بالمحافظة ، ويبقى
 علينا أن نختبر هذا الاتهام. إذا كنا ننظر إلى
 الشعر انطلاقاً من التراث العربي وحده،
 ومن معرفتنا لطبيعة الأصوات في اللغة
 العربية ، وبالتالي لطبيعة الوزن في الشعر
 العربي ، فالقصيدة لا بد أن تكون موزونة
 وإلا فلن تكون . لكن قصيدة النثر لم
 تظهر من التراث العربي ، ولم تأخذ اسمها
 من اللغة العربية ، وإنما ظهرت في الشعر
 الفرنسي ، وأخذت اسمها من اللغة
 الفرنسية Poeme en prosa ، وقد ترجمنا
 هذا الاسم إلى اللغة العربية فكان قصيدة
 النثر . معنى هذا أننا نحاول أن نلقح
 الشعر العربي بشكل جديد ينتمي في

(١) جريدة الأهرام ٢٦/٢/١٩٩٢م ، ص ١٦

الأصل إلى الشعر الفرنسي ، ويعتمد اعتماداً جوهرياً على الخصائص الصوتية للغة الفرنسية ، وهذا ما ينفي التناقض الذي وحدناه في الاسم من ناحية ، لكنه من ناحية أخرى يحدد المشكلة الأولى التي تواجهنا في كتابة قصيدة نثر باللغة العربية، وتمثل هذه المشكلة فيما بين لغتنا واللغات الأوروبية من اختلاف جوهري في الطبيعة الصوتية نشأ عنه اختلاف جوهري بين عروض الشعر العربي وعروض الشعر الأوربي، وهو اختلاف يسمح للشاعر الأوربي بأن ينشئ قصيدة غير موزونة يبدو أن اللغة العربية لا تسمح بها للشاعر العربي".

وبعد :

فهل آن الأوان — بعد نصف قرن من محاولات التجديد والتجريب، ومن الشعر

المرسل والشعر الحر (شعر التفعيلة) ثم من قصيدة النثر ، ومن شعر الحداثة وشعر ما بعد الحداثة (١) أن تستقر صورة الشعر الجديد أو الحديث على أسس فنية مستساغة؟ ما أظن ذلك بمسططاع ، فلا بد أن تتجاوز في كل عصر صور ومستويات مختلفة من الإبداع والإنتاج . ويرى ذلك في عصورنا الأدبية السابقة ، مثلما نراه في أوربا وأمريكا في هذا العصر ، إذ لا يمثل نتاج الحداثة أو تيارها إلا جزءاً من النتاج الأدبي هناك . فهل نقبل أن نوسع الحيز الشعري بحيث تتعايش الأنواع الشعرية المختلفة ، ونترك للقراء وللنقاد (الحقيقيين) أن يجولوا في هذه الأنواع كما يحلو لهم وكما تسيغه أذواقهم ، على أن لا يَلْبِسُوا الحقّ بالباطل ويكتموا الحق وهم يعلمون.

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع من الأردن

النص المعجمي في المعجم الوسيط

حرف الباء عينة (١)

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

- ١- مدخل : هل يمكن لنا أن نتحدث عن النص المعجمي مثلما نتحدث عن النص الأدبي محتوي ومقاييس من دون أن نستغرب من ذلك ؟ نحب عن ذلك بالإيجاب مبدئياً وتطبيقاً لأن كل المعاجم ترتكز على نصوص متنوعة ، ثرية وشعرية تزخر بالقضايا اللغوية والنحوية والدلالية ، والأدبية والثقافية والحضارية التي تحتاج إلى عناية ، لاسيما وأنها تتوافر في أشكال متنوعة ومتخالفة ، لا تستقر على حال من النظام منها الطويل الموسوعي ، والمطاوي الفوضوي ، والمختصر ، والمقتضب والتلغرافي المتميز بقحطه وجفافه . يضاف إلى ذلك أن أغلب معاجمنا قد بنت بصوصها على عصرين غالين ظاهرين للعيان وهما : الجمع والوضع حسب تعبير ابن منظور الإفريقي والمراد بهما : المادة من حيث محتواها شرحاً وتفسيراً ، ومن حيث
- ترتيبها على حروف الهجاء عموماً . ولم يفلح أحد حسب رأيه في التوفيق بينهما إذ قال - وهو على حق - : "ورأيت علماءها بين رجلين . أما من أحسن جمعه ، فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه . فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع " (٢) مما يفيد أنه كان على وعي بإشكالية النص المعجمي الذي كان و مازال ضالة كل معجمي ، فضلاً عن المستفيد منه وما يجد فيه من عناء لمقارنته وفهمه .
- إن كل ما سبق يكفي لأن نطرح قضية النص المعجمي لأنها من أهم القضايا المطروحة اليوم في اللسانيات الحديثة وفي المعجمية المعاصرة على وجه الخصوص . وقد فصلنا في هذا الموضوع في مؤلفاتنا المختلفة (٣) ، راجين أن يحظى النص المعجمي بالمكانة التي يستحق في أعمالنا المختلفة ، لاسيما المستقبلية

فالترتيب الخارجي متنوع منه الصوتي (٨) والأبجدي، والألفبائي (٩) والموضوعي (١٠) .. إلخ . أما الترتيب الداخلي - وهو مهم جدا - فيكون بالاشتراك أو بالتجنيس . ومفاد الأول أن نقتصر على مدخل واحد نحشر تحته كل المعاني والدلالات التي يعبر عنها في سياقات مختلفة ، ومفاد الثاني أن نخصص لكل معنى مدخلا خاصا به - مثال ذلك يخصص مدخل واحد للمفرد "عين"، تليها كل معانيها في الحالة الأولى . ويخصص مدخل مستقل لكل معنى من معاني "عين" في العربية في الحالة الثانية . والفرق واضح علميا وتربويا لأن ذلك يفترض على الأقل ترتيبا تاريخيا للمعاني لتحقيق الترتيب بالتجنيس ، وهو مفقود في كل المعاجم العربية المعروفة .

يأتي الحديث الآن على النص المحض وهو التعريف ، وقد سماه القدامى الشرح، أو التفسير . وهو عدنا ينقسم إلى تسعة أقسام : الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والمجازي والبلاغي والأسلوبي وبالشاهد وبالصورة . ومفادها باختصار ما يلي :

منها . فلقد أفادتنا اللسانيات الحديثة بمجموعة من المفاهيم والمصطلحات تتعلق بالنص المعجمي، سعيًا إلى أن نستخرج منها بنية نظرية وتطبيقية للمعجم عموما، وللمعجم العربي على وجه الخصوص ، وبصفة أخص للمعجم الوسيط الذي اتخذناه مثالا تطبيقيا لذلك .

٢- القضية : فما هو النص المعجمي حسب المفهوم الحديث وحسب تخريجنا العربي له ؟ يتكون هذا النص من عنصرين أساسيين ، يستوجبان العناية بهما ، ويستفرعان إلى أقسام مهمة (٤) وهما : العنوان والتعريف .

ويعني بالعنوان ما سماه القدامى المادة، ويسميه اللسانيون المحدثون المدخل (٥) - ويتكون من معجمة بسيطة (أي مفردة واحدة) مثل "عين" ، أو من معجمة مركبة (مركب ثنائي) مثل "فرس بحر" ، أو من معجمة معقدة (سق أو جملة) مثل عروة تأخر الطور (٦) . وهذا النوع الأخير كثير في المعاجم العلمية والتكنولوجية (٧) المعاصرة . ويرتب هذا المدخل ترتيبًا خارجيًا وترتيبًا داخليًا .

الاسمي (وهو بالمرادف ، وبالضد والإحالة .. إلخ) ، والمنطقي (وهو بطبيعة الشيء ووظيفته . وهو غالب في المعاجم العلمية والتكنولوجية) ، والبنوي (وهو تعريف الشيء بما يعوضه في نفس السياق .. إلخ) .

هـ - التعريف المجازي : وهو تعريف تاريخي تطوري دياكروني يستوجب التأريخ لتطوير المداخل حسب سياقاتها المختلفة زماناً ومكاناً . وهو أساسا تعريف تأصيلي ، عائب تماماً في المعاجم العربية، إلا ما قل ونذر . (١١)

و - التعريف البلاغي : ويعتمد للأدب الراقي المعياري ودرره الخالدة بالتعبير عن الصور البلاغية الواردة في نصوص المبدعين. وذلك ما مثل له الزمخشري في أساس البلاغة ، وإن كان اعتمد مصطلح "المجاز" المختلف عن تعريفنا السابق ، وعن تعريف ابن حجر العسقلاني (١٢)

ز - التعريف الأسلوبي أو التضميني : وهو الذي ينفرد فيه الص المعجمي باستعمالات وأساليب تعبير عدولا عن المعيار المعتمد. ولقد ضرب لنا أبو عبيدة

أ- التعريف الصوتي : وبالأحرى الفونولوجي - وهو غائب في معظم المعاجم العربية وإن كان الجوهري قد طرح قضيته في الصحاح . وتقتصر فيه معاجمنا المعاصرة على شكل حركة عين المضارع. وذلك لا يكفي إذ لابد من ضبط نطق المدخل كاملا حسب سياق المنطوق - فالباء العربية تنطق "P" في جملة "جاء يبيكي" و " T " الإنجليزية تنطق طاء في جملة " He is Tall " ، فضلا عن نطق " A " بعدها. وللتعريف الصوتي أهمية كبرى كذلك في المستوى الدلالي . فالفرق واضح بين كشح (بالفتح) وكشح (بالكسر).

ب- التعريف الصرفي : وعليه يعول للتمييز بين أشكال الصيغ وغاياتها الدلالية، لاسيما إذا كانت الصيغة المجردة تؤدي معنى الصيغة المزيدة مثل قَبْلَ وأَقْبَلَ.

ج - التعريف النحوي : وبه تميز المقولات النحوية ودلالاتها المختلفة - والفرق واضح في الجموع التالية من "بيت" بيوت - أبيات - بيوتات .

د- التعريف الدلالي : وهنا حدث ولا حرج . وهو ينقسم بدوره إلى فروع منها

معمر بن المثنى أمثلة منه في بحار القرآن - من ذلك "ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم". وقد ضمت أكل معنى ضم فتعدت بحرف معناها.

ح- التعريف بالشاهد : وهو تعريف كلي يشمل كل ما سبق تقريباً . ولعله أقوم التعريفات المعجمية وأصعبها ، كما أشار إلى ذلك أستاذنا الكبير شوقي ضيف في مقالته القيمة الصادرة بمجلة المعجمية العربية بتونس (١٣).

ط- التعريف بالصورة : وهي تستعمل غالبا للتعبير عن الأشياء مادية وحسية في معاجم العلوم والتكنولوجيا وكذا في المعاجم العامة ، وقل أن تدل على المفاهيم المجردة مثل الحب والصدق والثراء .. إلخ.

هذه أهم عناصر النص المعجمي النظرية بالمعجم العام على وجه العموم وبالمعجم العلمي على وجه الخصوص . فما هو نصيبها من معاجمنا القائمة ؟ لقد اخترنا للجواب عنها التطبيق لها على نصوص المعجم الوسيط ، في انتظار تطبيقها في مناسبة أخرى على المعجم الكبير إن شاء الله . ولا بد أن نؤكد هنا

على أن هذه الآراء تهدف أساسا إلى دعم منزلة المعجم الوسيط الإيجابية التي نقدرها كل التقدير .

٣- التطبيق : لقد ركزنا على حرف الباء من المعجم الوسيط واتخذناه عينة لذلك . والملاحظ في هذا الشأن أن حرف الباء يحتوي على ٣٣٥٥ مدخلا تقريباً ، وبالأحرى على ٣٣٥٥ عنوانا أو مدخلا بنصوصها وتعريفاتها . وغایتنا من ذلك أن نقاربا حسب الأنواع التي فرعها إليها المجمع . ونعني بذلك : المداخل الفصيحة والمداخل المعربة والمداخل الدخيلة والمداخل المحدثّة والمداخل المحمّية والمداخل المولدة . وهي ستة وما وراءها من نصوص. ولقد قررنا أن نأخذ مثالين عموما من كل صنف منها . فمن ذلك :

* المداخل الفصيحة العامة :

١- بت : مدخل فعلي - طويل نسبيا - مرتب خارجيا حسب الاشتراك الذي يزودنا بأحد عشر معنى أفعاله لازمة ومتعدية متداخلة - فيه تعريف صوتي جزئي يتعلق بحركة المضارع والباقي من التعريفات غائب .

* المداخل المحدثه : ويشار إليها بالوسيط
برمز (محدثه) . وهي أكثر من المعربات
والدخيلات عددا وتعزى للكتاب والأدباء
والصحافيين ... إلخ .

١- التبشير : مدخل اسمي - معرف
تعريفاً مقتضبا جداً رغم ما وراء هذا
المفهوم من خلفيات عقدية وحضارية
تستوجب نصاً معجمياً متكاملًا - فلقد
اقتصر تعريفه على : الدعوة إلى الدين .

٢- البنت : مدخل اسمي قديم حديث -
معرف بالترادف ، وبالنحو (تصغير
وجمع) وبلاغيا : بنات الهموم - بنات
الليل ، ومنطقيا : بنات نعش . وهي
أربعة تعريفات تستحق النظر .

* المداخل الجمعية : ويشار إليها في
الوسيط برمز (مج) : وهي كثيرة تأتي في
المرتبة الثانية بعد المداخل الفصيحة العامة
مما يدل على الجهد الكبير الذي بذله
المجمع لإثراء المعجم العربي بمداخل حديثة
من وضعه ، وهي تأتي عربية فصيحة ،
ودخيلة ومحدثة .. إلخ . ومنها :

١- البازلت : مدخل اسمي - معرف
منطقيا (بالطبيعة والوظيفة) .

٢- البين : مدخل - مرتب خارجياً
حسب الاشتراك - له تعريفان بالترادف
وتعريف نحوي وذلك بذكر جموعه :
أبيناء وبيناء وأبيان - يفتقر للتعريفات
الأخرى .

٣- البغام : مدخل اسمي - نصه يكاد
يكون معدوماً . عرف بالترادف فقط :
يمثل النص القحل .

* المداخل المعربة : ويشار إليها بالوسيط
برمز (مع) :

١- البخت : مدخل اسمي - معرف
بالمترادف ونحوها - جمعه بخوت - لا غير .
٢- البرقوق : مدخل اسمي - معرف
تعريفاً منطقياً طويلاً (بطبيعة البرقوق
ووظيفته) ، وبالصورة (غصن برقوق) -
الباقى من التعريفات غائب .

* المداخل الدخيلة : ويشار إليها بالوسيط
برمز (د) :

١- الباذنجان : مدخل اسمي - معرف
تعريفاً منطقياً متوسطاً كمياً (بطبيعة
الباذنجان فقط) وبالصورة .

البرش : مدخل اسمي - معرف تعريفاً
منطقياً فحسب (بطبيعته ووظيفته) .

٢- باحثه : مدخل فعلي - معرف بالترادف فحسب .

* المداخل المولدة : ويشار إليها بالمعجم برمز (مو) :

وقد جاء فيه أنها الكلمات التي دخلت اللغة بعد عصر الرواية ومنها :

١- البصار : مدخل اسمي - معرف تعريفا منطقيا (الوظيفة والطبيعة) . ويراد به مطبوخ متخذ من جريش الفول والملوخية أو النعاع وبعض الأفاويه .

تبعدهد : مدخل فعلي - معرف بالترادف فقط ويعني : زها عليه وتكبر .

هذه أنواع المداخل ونصوصها الواردة في المعجم الوسيط . ولقد سعينا

إلى استعراضها بعجالة وإلى أن نقيسها بمدخل ونصوص النص المعجمي النظري

تحليلا ومقارنة ، عسى أن نستشف منها بعض الملاحظات بغية تقييم معجمنا

العربي المعاصر على ضوء اللسانيات الحديثة والمعجمية العصرية ، طمعاً في

تطويره وتغييره ، وفقا لمتطلبات العلوم والمعارف الجديدة ومواكبة لها .

وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نبدي

الملاحظات التالية :

١- إن العينات المستقراة هنا تفيد أن المعجم الوسيط قد استعمل تقريبا كل التعريفات التسعة الواردة في النص المعجمي النظري المثالي .

٢- لم يوفق الوسيط إلى تطبيقها كاملة أو بنسبة معقولة على مثال واحد من العينات المذكورة ، ما عدا مثالا واحداً بلغ أربعة تعريفات (مدخل البنت لأنه اختلط فيه الفصيح القديم بالمولد) .

٣- الأمثلة المدروسة تفيد أن أغلب نصوص المعجم تقتصر في غالب الأحيان على نص متكون من تعريفين فقط، وذلك قليل لا يفي بالحاجة معرفيا وتربويا وثقافيا .

٤- النصوص مضطربة من مدخل إلى آخر، وحتى من نفس النوع ، سواء أكان مدخلا اسميا أم فعليا أم صفة أم من المداخل المختلفة (الفصيح والمغرب والدخيل والمحدث والمجمعي والمولد). ومن المنتظر أن تتفق الأساليب في تعريف المقولات المتشابهة.

٥- يوجد تنافس غالب في الوسيط يتمثل في المداخل العلمية التي كثيرا ما تكون

من نصوص يعتمد فيها التعريف على التعريف المنطقي بطبيعة الشيء ووظيفته ، مع صورة مرافقة .

٦- المداخل المقترحة مفردة لا تنافسها المداخل المركبة أو المعقدة . فلقد جاء المدخل المركب بخ بخ تحت مدخل مفرد وهو بخ وجاء تعريفه : كلمة - وهو كلمتان - تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح ، أو الفخر تقول بخ بخ ، بخ ، وتقول مكررا ، بخ بخ ، وبح بخ - والملاحظة أنه جاء ذكره في الحديث الشريف مكررا ، واستعمله المحدثون تعبيرا عن Bravo! Bravo الغريبة .

٧- النصوص المعجمية المقترحة ، لاسيما الحضارية منها تحتاج إلى عمق فيه من المعلومات والمعارف ما يفي بخلفياتها . ولقد ضربنا مثلا على ذلك بكلمة التبشير المستعجلة . واجتهد الجمع في تلافي ذلك . نسبيا في الكلمات العلمية .

٨- المفاهيم ومدخلها المعجمية النظرية التي عرفها الجمع في مقدمة المعجم مثل المغرب ، والدخيل ، والمحدث ، والجمعي والمولد ... إلخ . متداخلة متضاربة في

المتن . فلقد وصف الباذنجان والبيمارستان ، والبروتستنتية .. إلخ . بأنها معربة وهي دخيلة لأنها لا تخضع لأوزان عربية . أما المداخل مثل البشت والبشملة ، والبرمودة ، فإنها قد عدت من الدخيل رغم أنها على أوزان عربية - ومن المداخل ما لم يذكر نوعه بتاتا من ذلك البرتقال - من بلاد البرتغال - وقد سماه إخواننا الجزائريون تشيا لأنه عندهم من الصين . وذلك شأن البركان والبركار .. إلخ .

٩- المداخل الجمعية يقتصر على وضعها بأنها جمعية فحسب ، دون تعريفها بصفات أخرى إذ الكثير منها معرب أو دخيل مثل : الباليه (Ballet) والبدال (Pedales) والبرجوازية (Bourgeoisie) والبلشفية (Bolchevisme) والبنكوت (Banque Note) .. إلخ .

١٠- المداخل التي تعتبر مولدة تحتاج إلى نظير ، لاسيما عندما نقارن تعريف المولد النظري في مقدمة المعجم ، والتطبيق له في المتن . فإن أخذنا بأنه اللفظ القديم الذي استعمله الناس بعد عصر الرواية ، فما هي النصوص التاريخية الموثقة التي تسمح

وبالتالي نربط ولو شكليا بين الثابت والمتحول ، في انتظار تحقيق ذلك في معجم أكثر نظاما ودقة .

٤- الخلاصة : إن الص المعجمي قضية أساسية وعنصر جوهري في المعجم الدولي عموما وفي المعجم العربي على وجه الخصوص ، لأنه في حاجة ملحة إلى الاستدراك على نصوصه بنفس الدقة والجرأة اللتين اعتمدهما القدماء للاستدراك بدون هوادة بعضهم على بعض ، وذلك في سبيل المحافظة على منزلة هذه الأداة المعرفية والعلمية والحضارية التي نرجو لها أن تتخلص من سلباتها المذكورة سابقا - إن اتفقنا عليها - وأن تهتم لجنة الأصول، ولاسيما لجنة المعجم بالنظر من جديد في هذه القضايا ، وأن تتعاون مع الاختصاصيين من المعجميين لبناء المعجم العربي بجميع أنواعه على نصوص تتفق ومقاييس المهنة ومعايير المعرفة العلمية الصحيحة المتطورة .

محمد رشاد الحمزاوي

عضو الجمع المراسل

من تونس

للمجمع بأن يقرّ أن البُحران، وهو داء ، والبصارة وهي أكلة وبس بس وهما صوت، ألها مولدات؟ ذلك ما يحتاج إلى دليل لأن بس بس في الشرق هي بش بش في المغرب . فما هو المولد الصائب ؟ ولنفترض أن الأمر كما هو مذكور في الوسيط ، علينا حينئذ أن نعتبر كل المداخل مثل تبغدد، والمبلغ ، وحادث ، والبادنجان، والبنك ، والبسلة من معربات ودخيلات ، ومحدثات ومجموعات ، مولدات لا أكثر ولا أقل لأنها أتت كلها بعد عصر الرواية ، ونخلص نص المعجم السابق وخاصة من مفهوم الفصيح وأن يطلق على مفهوم "Neologisme" الأوربي الأمريكي الذي ترتب تحته أغلب المفاهيم السابقة. فهو اسم جنس وهي أنواع منه. والمطلوب أن تركز العناوين المداخل على ثلاثية نوعية:

١- العربي الفصيح ٢-المعرب ٣- الدخيل مع وصف كل واحد منها بقدم (ق) ومحدث(مع) ومجمعي(مع) لأن(١) و(٢) و(٣) مواصفات لغوية ثابتة و (ق) و(مع) و (مع) مواصفات زمانية متحركة.

الهوامش

- ١- لقد سبق لنا أن طرحنا نفس القضية في بحث عنوانه " النص المعجمي في المولدات والأعجميات - حرف التاء من المعجم الوسيط نموذجاً " إسهاما في تكريم الأستاذ الدكتور تمام حسان - وسيصدر هذا البحث بالسعودية - جامعة أم القرى - أما بحثنا هذا فهو يشمل كل أنواع مداخل المعجم الوسيط. وغايتنا من العودة إليه موسعا، العناية به والدعوة إلى أهميته.
- ٢- ابن منظور . مقدمة لسان العرب .
- ٣- محمد رشاد الحمزاوي: أ- من قضايا المعجم العربي - بيروت ١٩٨٦ م .
- ب- المعجم العربي - إشكالات ومقاربات - تونس ١٩٩١ م.
- ٤- انظر المشجر رقم ١ الملحق بهذا البحث .
- ٥- المدخل يعبر عنه بالفرنسية ENTRE وبالإنجليزية ENTRY . وهو مصطلح محايد قد استقر استعماله بالنسبة لمصطلحات أخرى كثيرة لا تفي بالحاجة .

- ٦- يمثل هذا التركيب وحدة معنوية متكاملة Syntagme لا يستقيم معناها إذا سقط أحد عناصرها - وهي مقابل Delay Lock Loop بالإنجليزية .
- ٧- انظر في هذا الشأن قائمة مصطلحات الاتصالات للاتحاد الدولي الذي أشرفنا على مشروع ترجمته إلى العربية- جنيف ١٩٨٧ م - ط أولى.
- ٨- ومثال ذلك ترتيب كتاب العين للخليل .
- ٩- ومثال ذلك ترتيب أساس البلاغة للزمخشري .
- ١٠- ومثال ذلك ترتيب المخصص لابن سيده الأندلسي .
- (*) انظرهما في المعجم الوسيط .
- والأمثلة من هذا القبيل واردة فيه بكثرة .
- ولابد أن نلاحظ بهذه المناسبة أن الجمع قد بذل جهوداً كثيرة لنقل الأصوات الأعجمية إلى العربية ، دون أن يفكر في نقل الأصوات نقلاً وظيفياً (فونولوجياً) لاعتمادها في المعاجم وفي سياقها المنطوق (Allophone) - انظر محمد رشاد

الحمزاوي : أعمال مجمع القاهرة بيروت

١٩٨٨م ص ١٩٧-٢٢٩ .

١١- سعى المستشرق الألماني فيشر

عضو المجمع إلى تحقيق ذلك لكن

معجمه لم ير النور ولقد قمنا في هذا

الشأن بمحاولة في نطاق المصطلحات

الحضارية في معجمنا " المفاهيم

الحضارية من خلال الرائد التونسي

(١٨٦٠-١٩٠٠) حيث سعينا إلى أن

نضع أسس المعجم التاريخي نموذجاً

لهذا التأصيل المعجمي التاريخي .

١٢- ابن حجر العسقلاني : غراس

الأساس ، الذي اتقد فيه مفهوم

المجاز عند الزمخشري .

١٣- شوقي ضيف: صعوبات الاستشهاد

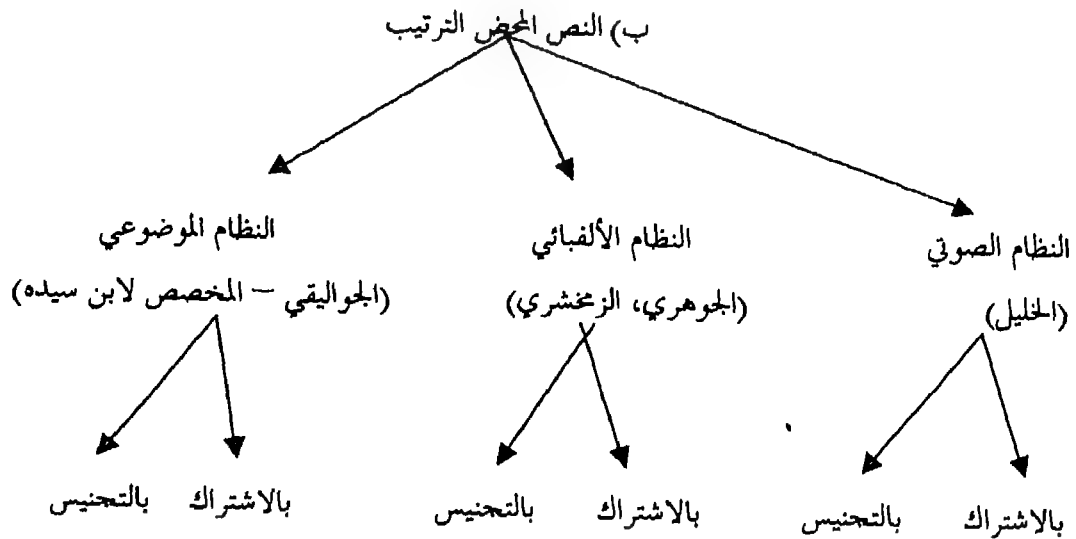
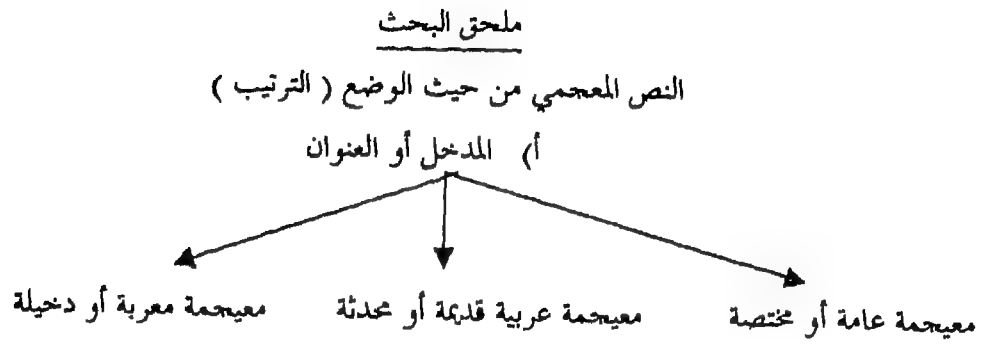
في المعجم التاريخي - مجلة المعجمية /

تونس عدد (٦) ١٩٨٩ م .

(*) انظر نصوص كل المداخل

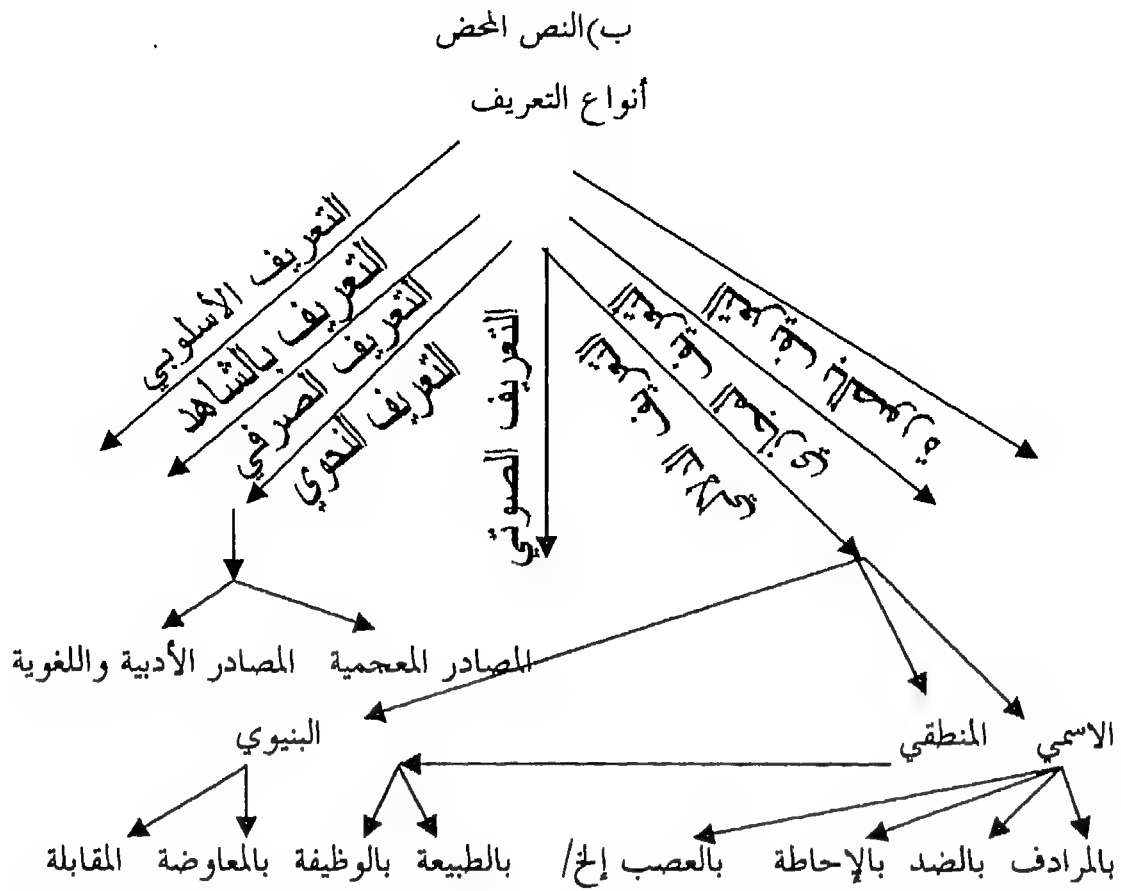
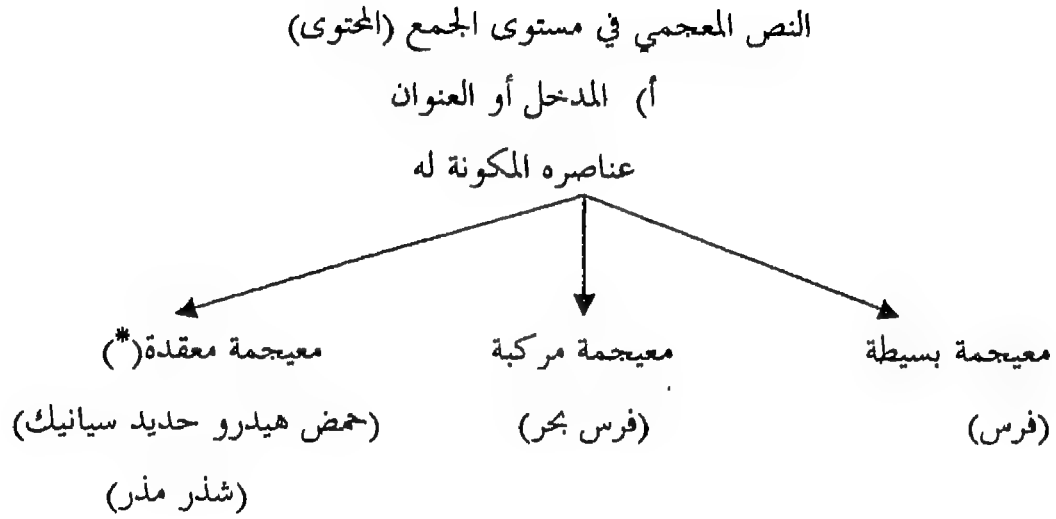
المدرسة هنا في مواقعها من المعجم

الوسيط - حرف الباء .

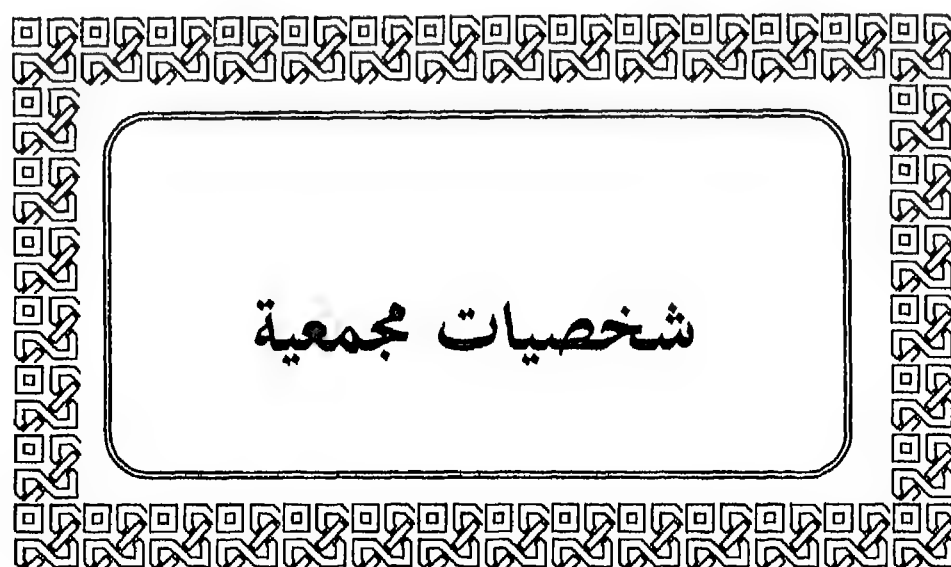


ملاحظة مهمة : هذه محاولة وقراءة لضبط النص المعجمي عموما والنص المعجمي العربي بالخصوص حتى نتخلص من الفوضوية الموسوعية (*) وحتى نجد له مقياسا عاما نسير عليه ، وإلا استحال قراءته ومقارنته وموازنسته ، فالمشجرات تفيدنا بغزارة وثراء عناصره التي تستوجب الإلمام بها وعفاهيمها.

(*) النصوص في لسان العرب أو تاج العروس متاحة لا نعلم رأسها من ذيلها ولا تدل على أنها مبنية على نظام مطرد .



(*) تعبيراً عن مصطلح "Lexie complexe" الوارد في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية بجمع القاهرة . وهذه المعجمات أطول من ذلك في معاجم التكنولوجيا.

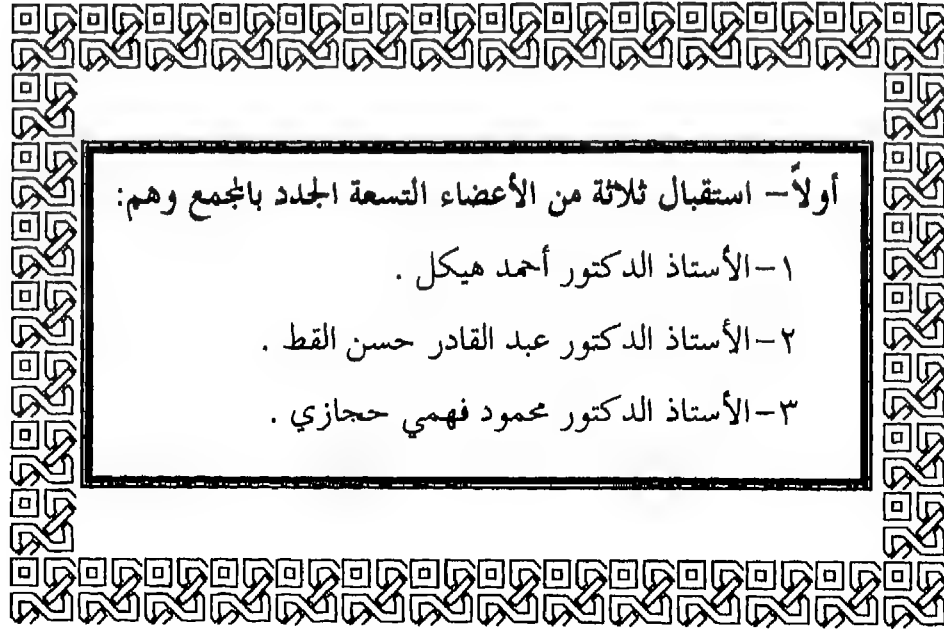


أولاً- استقبال تسعة من أعضاء المجمع الجدد وهم:

- ١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل
- ٢- الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .
- ٣- الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .
- ٤- الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع .
- ٥- الأستاذ الدكتور محمد عماد الدين فضلي.
- ٦- الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر .
- ٧- الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي
- ٨- الأستاذ فاروق محمد البغدادي شوشة.
- ٩- الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي .

تنويه

- رأى المجمع أن يحل السادة الأعضاء اللغويون محل نظرائهم اللغويين، ويحل السادة الأعضاء العلميون محل نظرائهم العلميين ، على النحو التالي :
- ١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع السابق .
 - ٢- الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ حسين مؤنس .
 - ٣- الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب .
 - ٤- الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع في المكان الذي خلا بوفاة
 - الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .
 - ٥- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي .
 - ٦- الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ محمود محمد شاكر .
 - ٧- الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيوني .
 - ٨- الأستاذ فاروق محمد البغدادي شوشة في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ مصطفى أمين .
 - ٩- الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكّي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ عبد الكريم العزباوي .



في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٧ من شعبان سنة ١٤٢٠ هـ الموافق
١٥ من نوفمبر سنة ١٩٩٩ م عقد الجمع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد
هم:

- الأستاذ الدكتور أحمد هيكل .
 - الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .
 - الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .
- وقد ألقى كلمة الجمع في استقبالهم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع .
وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع

في استقبال الأستاذ الدكتور أحمد هيكمل عضو المجمع الجديد

الزملاء المجمعون الأجلاء

السيدات والسادة:

هذا يوم عيد من أعياد المجمع اللغوي الذي يستقبل فيه تسعة من أعلام الأمة في اللغة والأدب والعلم . وإني أهنيئهم بجمعنا والمجامع اللغوية للأمة العربية وهيئاتها العلمية وجامعاتها؛ لما سيزودونها به من أفكار وآراء لغوية وعلمية خصبة للعربية والنهوض بها لغوياً وأدبياً وعلمياً. ويسعدني أن أستقبل باسم المجمع اليوم ثلاثة أعلام من هؤلاء الأعلام ، لكل أستاذ فيهم مدرسته وتلامذته ومريدوه. وأبدأ باستقبال الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكمل عضواً عاملاً بالمجمع.

وهو علم كبير في دراسة الأدب الأندلسي، والأدب المصري الحديث، وشاعر مبدع. ولد بمدينة الزقازيق في أبريل سنة ١٩٢٢ وأتم دراسته الابتدائية والثانوية بمعهد الزقازيق الديني سنة

١٩٩٤م والتحق بكلية دار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٤٨م بترتيب الأول في دفعته، وعين بالكلية معيداً، واختير سريعاً في أول بعثة للمعهد المصري الذي أنشأه الدكتور طه حسين بمدرسة للدراسات الإسلامية ومضى في جامعة مدريد يتخصص في الأدب الأندلسي، وظفر بدرجة الدكتوراه سنة ١٩٥٤م وكان موضوعها : "ابن سهل الإشبيلي: عصره وحياته وشعره" وقدم معها ملحقاً لها: تحقيق ديوان ابن سهل تحقيقاً علمياً دقيقاً. وعاد إلى كليته في سنة ١٩٥٥م وتدرج في مناصب هيئة التدريس بها حتى أصبح أستاذاً للأدب سنة ١٩٧١م وانتدب مستشاراً ثقافياً ومديراً للمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدرسة من سنة ١٩٧٣م إلى سنة ١٩٧٨م واختير عميداً لكلية دار العلوم من سنة ١٩٨٠م إلى سنة ١٩٨٤م إلى أن عين نائباً لرئيس جامعة

القاهرة في سنتي ١٩٨٤م و ١٩٨٥م واحتير وزيراً للثقافة من سنة ١٩٨٥ إلى سنة ١٩٨٧ ونُض بها على خير وجه، وعاد إلى كليته وانتدب أستاذا زائرا في جامعات عربية متعددة وحاضر في جامعات إسبانية مختلفة، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وأفاد طلابها بتوجيهاته العلمية السديدة، واشترك في مناقشة رسائل كثيرة بمصر وخارجها. ومؤلفاته العلمية والأدبية غزيرة ونذكر طائفة من أهمها، وفي مقدمتها:

١-الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية :

كتاب في أربعمئة وست عشرة صفحة درس الدكتور هيكمل فيه بالتفصيل فترة الولاة القصيرة وما كان بها من منازعات وإشاعات مبكرة للثقافة الإسلامية والأدب، وأفاض في الحديث عن عصر الدولة الأموية، وقسمه إلى فترات: فترة تأسيس الإمارة الأموية وما كان بها من أولية الثقافة الأندلسية ونشاط الشعر و يترجم الخمسة من الشعراء الأندلسيين.

ثم فترة الصراع وما كان بها من تحضر وتحرر ومن وثبة الثقافة والأدب واختراع الاتجاه الشعبي (الموشحات) و يترجم لشاعرين ويتحدث عن أولية النشر الأندلسي. وينتقل إلى فترة الخلافة وما كان فيها من رفاية ونهضة للثقافة والشعر والشعراء والنثر الفني والنثر التأليفي. ويتحدث عن فترة الحِجانة وهي فترة حكم استبدادي وتحمل اجتماعي، ويشيع في المجتمع الضياع والمرارة. وتتبع هذه الفترة فترة جمود الأدب. و يترجم فيها للشاعرين: الرّماديّ وابن درّاج ، ويتحول إلى فترة الفتنة و يترجم فيها لابن حزم وابن حيان. ويعرض حركة الشعر والشعراء و يترجم لأبي عامر بن شهيد وشعره. ويتحدث عن النثر الأدبي، ورسالة التوابع والزوابع ويقرنها إلى رسالة الغفران لأبي العلاء. ويعرض قصة المعراج وأثرها في الكوميديا الإلهية، ويمضي إلى النثر التأليفي ويعرض آراء نقدية لابن شُهيد وكتاب طوق الحمامة لابن حزم. وذكر في نهاية الكتاب مراجعه العربية من المخطوطات والمطبوعات، ومراجعته

الأوربية. والكتاب دراسة تاريخية نقدية تحليلية للأدب الأندلسي في نشأته وتطوره في زمن الإمارة الأموية، وزمن الخلافة الذهبي، وزمن الحِجَابَة، وما أعقبها من الفتنة، وهي دراسة علمية أدبية رائدة بديعة.

٢- تطور الأدب الحديث في مصر (من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية)

الكتاب موسوعة كبيرة في نحو ٤٤٠ صحيفة بدأها الدكتور هيكمل ببيان يحمل عن الحركة الثقافية والأدبية قبل العصر الحديث في مصر. ثم أخذ في بيان فترة اليقظة: من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ إلى ولاية إسماعيل سنة ١٨٦٣. ويتحدث عن محاولات التجديد في الأدب شعراً ونثراً. ويتحول إلى فترة الوعي من عهد إسماعيل إلى ثورة عرابي، وفيها تتضح الصلة بين الثقافة الحديثة والتراث العربي وتسفك الكتابة الديوانية من السجع، وتنشط الخطابة وتولد المسرحية. وينتقل الدكتور هيكمل إلى الفترة الثالثة التي تمتد من الاحتلال البريطاني لمصر حتى ثورة

سنة ١٩١٩م ويتحدث عن تطور النشر ونشاط المقالة فيه والخطابة والرواية بأنواعها وميلاد القصة والشطاط المسرحي. وتلي هذه الفترة فترة ما بين الحربين العالميتين، ويتحدث عن غلبة التيار الفكري الغربي والاتجاه التجديدي وبعض محاولات مسرحية وقصصية، كما يتحدث عن المقالة وخصائص طريقته عند خمسة من كبار كتابها، كما يتحدث عن ازدهار الخطابة، واستقرار اللون الفني في القصة وتأصيل الأدب المسرحي. والكتاب دراسة تاريخية تحليلية قيمة للأدب المصري الحديث وتطور فنونه حتى نشوب الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين.

٣- الأدب القصصي والمسرحي في مصر (بين الحربين العالميتين في القرن الحاضر) أجمل الدكتور هيكمل الحديث في كتابه "تطور الأدب الحديث في مصر" عن الأدب القصصي والمسرحي، فرأى أن يُفصّل الحديث عنهما في كتاب مستقل يقع في ٣٦٦ صفحة، ويبدأ فيه بالحديث عن القصة القصيرة ونموها وسماتها وأبرز

ريدون والمعتمد بن عباد. والكتاب مرجع في التعرف على بعض قضايا الأدب وبعض كبار الأدباء.

٥- قصائد أندلسية

هذا الكتاب تحليل نقدي بارع لمختارات من قصائد كبار شعراء الأندلس المجيدين؛ ليقف قارئه على ما يتميزون به في أفكارهم وتصاويرهم تميزا جذابا طريفا.

٦- شخصيات أدبية

الكتاب يعرض ثلاث عشرة شخصية أدبية مصرية مرموقة، وما نهضت به من أعمال، وأهم ما يميزها من بعض الخصائص، ومن شخصياته: الرافعي وهيكل وطه حسين والعقاد. وخص بهذا الكتاب البديع سلسلة القراءة للجميع.

٧- سيرة ذاتية

وهي بعنوان سنوات وذكريات، وتتميز بجمال العرض والأداء وروعة الأسلوب. وللدكتور هيكل كتابان ألفهما بالإسبانية أولهما: منهاج عربي للمتحدثين بالإسبانية (طبع مرارا). ومحاضرات عن

الأعمال فيها، وكتابها المبدعين، ويتحدث عن الرواية، وأهم ملامحها، وأهم الأعمال الروائية، وأصحابها، ويفصل الحديث في كل رواية عن كتابا الروائيين الكبار. ويمضي إلى عرض الفن المسرحي، ويعرض مسرحيات شوقي عرضا تحليليا وبالمثل مسرحيتي توفيق الحكيم: أهل الكهف وشهر زاد. والكتاب دراسة ممتعة مفصلة لأهم الأفاقيص والروايات والمسرحيات بين الحريين العالميتين في القرن الحاضر.

٤- دراسات أدبية

الكتاب في نحو ٣٠٠ صفحة موزعة على ثلاثة أبواب، يتناول الدكتور هيكل في أولها بعض قضايا الأدب من مثل الأدب بين الحرية والالتزام، وبين الأصالة والتجديد، وموسيقا الشعر بين التقسيد والتحرر، ولغة المسرح بين الشعر والنثر، والشعر الشعبي الأندلسي، ويعرض في الباب الثاني ثمانية من كبار الكتاب والشعراء، بينهم المنفلوطي وطه حسن وشوقي وإبراهيم ناجي ونجيب محفوظ. وخص الباب الثالث بستة من كبار الأدباء في الأندلس، بينهم ابن هانيء وابن

الإسلام ورسائله الكبرى ومبادئه وتعاليمه
الرفيعة .

والدكتور أحمد هيكل بجانب
كونه مؤرخاً للأدب العربي وناقداً ودارساً
مخلصاً شاعر بارع شغف بالشعر ونظمه
منذ بواكير حياته وله فيه ديوانان: أصداء
النأي، وحفيف الخريف، ويكثر فيهما من
الشعر الوجداني المرتبط بالأحداث الوطنية
والزعة الإسلامية.

والدكتور هيكل عضو في المجلس
الأعلى والقومي للثقافة والمجلس القومي
للتعليم والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
ومجلس أمناء الإذاعة والتلفزيون ومجمع

البحوث الإسلامية ومحكمة القيم العليا.
وعصو الأكاديمية الملكية للتاريخ بإسبانيا.
وبال جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٧٠م
والتقديرية سنة ١٩٨٤م ووسام العلوم
والفنون مراراً، ووسام الاستحقاق،
ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى
ووسام الاستحقاق من ملك إسبانيا،
ووسام سان مارتين من رئيس جمهورية
الأرجنتين.

وأنا أهني الدكتور هيكل بعضوية
مجمعنا وأهني المجمع بدخوله فيه ولا ريب
في أنه سيثري المجمع ببحوثه القيمة
وأشعاره التي تمتع القلوب والأفئدة.

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد هيكل في حفل استقباله عضواً جديداً بالجمع

الظروفَ لم تسمح بتحقيق ما تحمسوا له
وسَعَوْا إليه .. أسأل المولى سابعَ الرحماتِ
لأساتذتي : مهدي علام، وتوفيق الطويل،
والطيب النجار، وأحمد الحوفي، ولا أنسى
أستاذي " جاريثا جومث "، الذي كان
كلما جاء إلى القاهرة لحضور افتتاح دورة
الجمع السنوية، سألني: ألم يختاروك بَعْدُ
لعضوية الجمع؟؟ ولما كثرت التساؤلاتُ
منه وتكررت الإجابات بالنفي مِنِّي؛
زكاني لَدَى الأكاديمية الملكية للتاريخ في
إسبانيا، لأكون عضواً بها، وبفضل مسعاه
الحميد، تَمَّ اختياري لعضوية تلك
الأكاديمية، سنة ١٩٨٢م.

أيها السادة:

ومما يجعلني أضعفُ الشكر لجمع
الخالدين الموقر، اختياري لشغلِ الكرسيِّ
الذي خلا برحيل طيب الذكر، الأستاذ
الدكتور إبراهيم بيومي مذكور. فهذا
الاختيار ، فَضْلُ ثَانٍ يُسديه الجمع إلى،
بعد أن كرمني بفضله الأول حين خلع

أستاذنا الجليل، رئيس مجمع الخالدين.
صديقنا العزيز، الأستاذ الأمين.
أساتذتنا الأجلاء، أعضاء الجمع الموقرين.
سادتي حضورَ هذا الحفلِ الكريم:

بعد حمد الله يسعدي أن أتقدم
بأجزل الشكر وأعظم التقدير إلى مجلس
الجمع الموقر، الذي تفضل بمنحي شرفَ
عضويته ، وكرمني بهذا تكريماً أعتز به كل
الاعتزاز، وأدعو الله أن يجعلني دائماً أهلاً
له وجديراً به، وأن يعينني على تحمل تبعاته
وأداء واجباته، كما أدعوه سبحانه، أن
أظل دائماً موضع ثقةِ المحميين، مستحقاً
لتركيبتهم قَمِيناً باختيارهم .. كما أسأله
جل شأنه، أن يجزيهم عني صحةً في
أبدانهم، وعافيةً في نفوسهم، وطولاً
مباركاً في أعمارهم .. ولا يَفُوتني أن
أسأل المولى سبحانه، أن يَغمر بفيضٍ من
الرَّحَمَاتِ، كلَّ الأساتذةِ الأجلاء ، الذين
رحلوا إلى جوار رهم، وكانوا قد تحمسوا
سنواتٍ لاختياري لعضوية الجمع، ولكنْ

شَرَفَ العضوية علىّ .. علىّ أني أرى في جملي - ولو شكلا - خَلْفًا للدكتور مذكور ، إلباسي ثوبا أوسع مني، وإجلاسِي في مكانٍ أرفع من قامتي .. فالدكتور مذكور ، أحد كبار المفكرين والأكاديميين واللغويين والمصلحين والمناضلين السياسيين، في عصرنا الحديث، وأين أنا من هذا كُلِّه ؟؟ ومع ذلك، أراي أعتز بهذا التكريم ، ولا أجد الكلمات التي تفيّيه حقّه من الشكر..

ولأن التقاليد جرت على أن يَقُومَ الخلفُ بالحديث عن السلف، استسمحكم في أن أقول كلمة موجزة على سلفي العظيم، راجيا أن تفيّيه ولو بعضَ حقّه من الإشادة والتكريم.

وقد رأيتُ أن مسيرة حياة الدكتور مذكور، تنقسم إلى مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى ، مرحلة النشأة والتكوين اللغويّ والفكري:

وخلاصة هذه المرحلة ، أنه ولد سنة ١٩٠٢م في قرية أبي الثُمُرس، إحدى قرى محافظة الجيزة، وحين بَلَغ سنّ التعلم،

حفظ القرآن الكريم، ثم أتم الدراسة الأولية، وبعد ذلك، التحق بالأزهر الشريف عدّة سنوات، التحق بعدها بمدرسة القضاء الشرعيّ، التي اجتاز قِسْمَهَا الأول؛ ثم التحق بدار العلوم ، التي نال إجازتها سنة ١٩٢٧م .. وبعد تخرجه عمل بالتدريس في إحدى المدارس الابتدائية بالقاهرة . ولتفوقه حين تَخَرَّج، اختير لبعثة علمية حكومية إلى إنجلترا، ولكنّ الخلافات السياسية، وكذلك الاضطهادات الحزبية آن ذاك؛ حالت دون سفره إلى إنجلترا، وسلبته حقّه في البعثة، بل كانت سببا في نقله من القاهرة إلى إدفو؛ فقد كان هو وكبار أسرته ، ينتمون إلى حزب لا يرضى عنه الحزب الحاكم في ذلك الوقت .. وفي تحدٍّ للظلم، وبرغبة مُلِحَّة في تحقيق الحُلُم؛ استقال مذكور من عمله في وزارة المعارف، وسافر إلى فرنسا على نفقته سنة ١٩٢٩م؛ ليكمل دراسته العليا، وليظفر بما كان يطمح إليه، من الجمع بين الثقافة الغربية والثقافة العربية .. ومن حسن الحظ، أنه بعد عام رُد إليه حقّه، فضُم إلى البعثة المصرية الرسمية في

فرنسا التي قضى بها ست سنوات، تزود حلالها بزد وفير من الثقافة الغربية في مجالات شتى؛ فأتقن اللغة الفرنسيّة، كما درس الفلسفة والقانون، بل تجاوزت ذلك إلى علوم ومعارف أخرى، وحصل على أربع إجازات، في المطق والفلسفة، والاجتماع والأخلاق، والتربية وعلم النفس، ثم في الاقتصاد. وكذلك نال ليسانس الآداب من السربون سنة ١٩٣١م ثم ليسانس الحقوق من جامعة باريس، سنة ١٩٣٣م، وأخيراً نال درجة دكتوراه الدولة في الفلسفة من السربون سنة ١٩٣٤م.

وفي سنة ١٩٣٥م عاد إلى مصر، وضم إلى هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول حينذاك)، وانتدب للتدريس ببعض الكليات الأزهرية .. وظل في هذا العمل الجامعي سنتين ، بدأت بعدهما المرحلة الثانية من مسيرة حياته المباركة، وهي :

مرحلة النشاط السياسي والإصلاحي:

وهذه المرحلة وإن بدأت باختياره عضواً في مجلس الشيوخ سنة ١٩٣٧م؛ فإن لها

جذوراً منذ سنة ١٩١٩م، حيث اشترك مذكور في ثورة ذلك العام، واعتقل بسبب ذلك بعض الوقت .. ولكن هذه السزعة السياسية الإصلاحية تجلّت بشكل واضح عند مذكور، بعد اختياره عضواً بمجلس الشيوخ، الذي رأى في عضويته به فرصة لتوسيع دائرة عطائه، حتى لا ينحصر هذا العطاء خلف أسوار الجامعة، وحتى لا يقف عند دائرة التأمل الفكري والبحث الفلسفي، ورأى بطبيعته الضالية الإصلاحية، أن يوظف علمه وثقافته في المشاركة في خدمة الحياة العامة، والإسهام في الإصلاح السياسي والاجتماعي. وحين تعذّر لمذكور الجمع بين العمل في الجامعة وعضوية مجلس الشورى - لأن القانون كان في ذلك الوقت لا يسمح بهذا الجمع - استقال من الجامعة، ووجه معظم نشاطه إلى متطلبات العضوية، وإلى هذا الميدان العلمي من ميادين الخدمة الوطنية..

وفي مجلس الشيوخ، تجلّت مواهب مذكور السياسية والإصلاحية الفذة، كما اتضح عطاؤه بشكل يستحق الإعجاب

والإكبار؛ فقد ظل عضواً بمجلس الشيوخ نحو خمسة عشر عاماً، اهتمّ خلالها بالعمل العامّ في المجالات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والإصلاحية؛ فعملَ مقررًا للجنة المالية، كما عمل مقررًا للجنة الأوقاف والمعاهد الدينية، وعُنيَ في كثير من اقتراحاته، بالجوانب الإصلاحية التي تتصل بالأداء الحكومي، كما تصدّى لمحاربة الفساد الذي يتورط فيه الرسميون، ولو أدت هذه المحاربة إلى الاصطدام بأعلى رأس في البلاد، ولهذا تبنّى استجواب الأستاذ مصطفى مرعي، الخاصّ بالأسلحة الفاسدة، الأمر الذي كان من عوامل تفجير ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م .. كذلك كان من أوائل المنادين بتحديد الملكية الزراعية، تلك القضية التي التفتت إليها الثورة فيما بعد، وكان حَسْمُها من أهم إنجازاتها .. وقد خُتِمتْ مرحلة النشاط السياسي والإصلاحي لدى المذكور، باختياره وزيراً بعد الثورة، وذلك في التعديل الوزاري الذي أجراه علي ماهر علي ووارثه في السادس من سبتمبر سنة ١٩٥٢ م وهي الوزارة التي

كان قد ألفها في اليوم التالي للثورة أي في الرابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢؛ ففي هذا التعديل الذي أجراه علي ماهر علي وزارته، اختير الدكتور مذكور وزيراً للإنشاء والتعمير .. ولكن هذه الوزارة لم تستمرّ إلا يومين اثنين؛ حيث حَلَّتْ محلها وزارة محمد نجيب يوم الثامن من سبتمبر، سنة ١٩٥٢ م .. وكان الأقدار قد أرادت بهذا الحديث الفريد أمرين: الأول- أن تكرم مذكورًا السياسي وذلك بسعي الوزارة إليه. والأمر الثاني- أن الأقدار أرادت أن تصرف مذكورًا إلى بحاله الأساسي، وذلك بصرف الوزارة سريعاً عنه ..

ومن الجدير بالتسجيل، أن عمل مذكور في مجلس الشيوخ - الذي ظل به نحو خمسة عشر عاماً - لم يقطع صلته بالحياة العلمية والأكاديمية، فقد كان يحاضر في بعض الكليات منتدباً، كما يشارك في بعض المؤتمرات العلمية عضواً بارزاً .. وما لبث أن شدَّ أكثر إلى ميدان العطاء العلمي، وذلك حين اختير عضواً بمجمع اللغة العربية، سنة ١٩٤٦، وهو

ما زال عضوا في مجلس الشيوخ. وهذا الاختيار، تبدأ طلائع المرحلة الثالثة من مراحل حياته المباركة، وهي:
مرحلة العطاء العلمي والجمعي:

وهكذا نرى أن هذه المرحلة الأخيرة، لم تبدأ منفصلة تماما عن المرحلة السابقة، وإنما تتصل أولياتها بأخريات المرحلة الثانية، مرحلة النشاط السياسي والإصلاحي .. ومهما يكن من أمر فقد تجلت معالمها أكثر، بعد ترك مذكور لمجلس الشيوخ، وانصرافه بكل نشاطه وعطائه، إلى الميدان الجمعي الأكاديمي ..

وقد كان اختياره لعضوية الجمع في الرابعة والأربعين من عمره، وكان بذلك أصغر الأعضاء سناً، وكان ضمن العشرة الذين عُينوا بمرسوم ملكي، ليمهم عدد أعضاء الجمع أربعين، وهؤلاء العشرة، هم الذين داعبهم المرحوم الأستاذ أحمد أمين في حفل استقبالهم فسماهم "العشرة الطيبة" .. ورغم أن مذكوراً كان أصغر الأعضاء سناً؛ قد أنابوه عنهم لإلقاء كلمتهم، التي يردون بها على ما كان من تكريم لهم، وحفاوة باستقبالهم.

وقد ظل مذكور عضوا عاملا بالجمع، حتى سنة تسع وخمسين، حين اختير خلفا للدكتور منصور فهمي "كاتب سر الجمع"، وهو اللقب الذي أصبح أمين عام الجمع "سنة إحدى وستين .. وظل رحمه الله آمينا عاما إلى سنة أربع وسبعين، حين اختير بجدارة رئيسا للجمع، وبقي رئيسا إلى أن لقي ربه في ديسمبر، سنة خمس وتسعين وتسع مئة وألف .. رحمه الله رحمة واسعة ..

وكانت الحصيلة العلمية للدكتور مذكور، سواء في المرحلة السابقة - مرحلة النشاط السياسي والإصلاحي - أو في مرحلة التفرغ للعمل الجمعي والعلمي؛ حصيللة موفورة الثراء والعطاء .. وقد تجلّى هذا فيما يلي:

أولاً - في مجال تأليف الكتب:

في هذا المجال تتألق كتبه التالية:

"الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيق"

"في الأخلاق والاجتماع"

"في الفكر الإسلامي" فصل في كتاب

"صلة العرب والإسلام بالنهضة الأوربية"

"جمع الخالدين في ثلاثين عاما" مع

الخالدين " " بحوث وباحثون "

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتصل اتصالاً مباشراً بالجمع، الذي كان يمثل حُبّه الكبير.. هذا في مجال تأليف الكتب.

ثانياً - في مجال البحوث والدراسات:

في هذا المجال نرى للدكتور مذكور كثيراً من العطاء، ممثلاً فيما كان يُلقيه في دورات الجمع المتلاحقة، وما كان ينشره في مجلته، منذ العدد الرابع والعشرين.. ومن أهم بحوثه ودراساته ما يلي:

بحث عن " نشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام " بحث عن " منطق أرسطو والنحو العربي " بحث عن " مدى حق العلماء في التصرف في اللغة " بحث عن " لغة العلم " ثالثاً - في مجال الإشراف:

وفي هذا المجال، نرى أن الدكتور مذكوراً أشرف على إخراج عدد من الأعمال العلمية القيمة، سواء في مجال التأليف أو مجال التحقيق. ومن أبرز هذه الأعمال ما يلي:

تأليف " المعجم الفلسفي " تحقيق كتاب " الشفاء " لابن سينا. تحقيق كتاب " الفتوحات المكية " لابن عربي.

على أن جهود مذكور رحمه الله، تجلت بشكل معجب في دفع عجلة العمل في الجمع، من موقعه الريادي منذ كان أمياً عامماً، إلى أن صار رئيساً، وإلى أن لقي وحه ربه.. فبفضل حماسه، وحسن إدارته وتفانيه في أداء رسالته؛ عمل على أن يُنجز الجمع كثيراً من الأعمال القيمة، التي جعلت له مكانة رفيعة في الأوساط العلمية، وبين جميع الجامعات العربية.

ومن أبرز الأعمال القيمة التي شجع على إنجازها وتحمس لها:

المعجم الوسيط، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، ومجموعات المصطلحات العلمية.. وتقديراً لجهود مذكور وعطاءه المتميز على المستوى المصري، مُنح جائزة الدولة التقديرية وتكرماً لإنجازاته واعتزازاً بمكانته على المستوى العربي، اختير رئيساً لاتحاد الجامعات العربية. واعتزازاً به وبعلمه على المستوى العالمي، منحت جامعة " برنستون " درجة الدكتوراه الفخرية.

وعوداً على بدء، أرجو - أيها السادة - أن تأذنوا لي بأن أختم كلمتي في هذا الحفل الكريم، بقصيدة قصيرة، أروحي بها

إلى الشعور الجارف بوجوب شكر المجمع نبيل .. وفي هذه القصيدة أقول للأعضاء
الجليل، على ما كان منه إزائي من موقف الأجلاء :

تحية

إلى أعضاء المجمع الخالدين

كَيْفَ يَرْقَى إِلَى ذُرَاكُمْ بَيَّانِي
وَيُؤَدِّي تَحِيَّةَ الْعِرْفَانِ؟
أَيُّهَا الْخَالِدُونَ فِي الْقِمَمِ الشَّمْسِ
مَاءٍ، عُذْرًا، فَقَدْ أَسْرَثُمْ كِيَانِي
بِالْأَيْدِي الْبَيْضِ الَّتِي طَوَّقْتَنِي
وَسَمَتَ بِي إِلَى أَجَلِّ مَكَانٍ
فَإِذَا فَضْلُكُمْ يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ
سَفْ، وَيُعَيِّ بِلَاغَتِي وَلِسَانِي
وَإِذَا كُلُّ خَفَقَةٍ فِي فُؤَادِي
هِيَ نَبْضٌ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرَانِ

* * *

لَيْسَ مَعْنَى التَّخْدِيثِ (عَوَلَمَةً) الْأَلْ
سُنْ، مَحْوًا لَجَوْهَرِ الْإِنْسَانِ
فَلِسَانُ الْإِنْسَانِ مَعْلَمُهُ الْفَا
رِقُّ بَيْنِ السَّمَاتِ وَالْأَلْوَانِ
وَالْثَرَاتُ الْعَظِيمُ أَحْرَفُ نُورٍ
حَفِظَتْهَا الْفُصْحَى عَلَى الْأَزْمَانِ
وَالْكِتَابُ الْكَرِيمُ بَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ
سِرٌّ بِوَعْدٍ مِنْ حَافِظٍ رَحْمَنِ

* * *

أَيُّهَا الدَّائِدُونَ عَنْ لُغَةِ الضَّادِ
لِسَانِ الثَّرَاتِ وَالْقُرْآنِ
مَجْمَعُ الْخَالِدِينَ أَمْنَعُ حِصْنٍ
فِيهِ أَنْتُمْ طَلِيعَةُ الْفُرْسَانِ
بِجِهَادِ الْجُنْدِ الْأَبَاةِ حَمِيَّتُمْ
لُغَةَ الضَّادِ مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ

وَبِجَهْدِ الْفُرْسَانِ مِنْ حَرَسِ الْفُصْـ
حَى، وَأَنْتُمْ ذُؤَابَةُ الْفُرْسَانِ

* * *

سَدَّدَ اللَّهُ لِلنَّجَاحِ حُطَاكُمْ
وَهَدَى دَرَبَكُمْ لِأَعْلَى الْأَمَانِي

وَبَقَيْتُمْ مَعَ الْخُلُودِ رُؤُوسًا
لِشُمُوحِ الْإِلَهِ وَأَسْمَى الْمَعَانِي
وَجَزَاكُمْ عَنِّي الْإِلَهُ فَإِنِّي
لَيْسَ يَرْفُقِي إِلَى ذُرَاكُمْ بَيَّانِي
أحمد هيكـ
عضو الجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط
عضو المجمع الجديد

١٩٣٩ إلى أوائل سنة ١٩٤٥ إذ أوفد في
بعثة إلى جامعة لندن لنيل درجة
الدكتوراه، واختار لها دراسة مفهوم
الشعر عند العرب كما يتمثل في كتاب
"الموارنة بين أبي تمام والبحري للآمدى"
بإشراف مستشرق إنجليزي كبير هو
الدكتور أربري المشهور بترجمته للقرآن
الكريم والمعلقات.

وأكبَّ الدكتور عبد القادر على
رسالته، ونال درجة الدكتوراه من جامعة
لندن سنة ١٩٥٠ بإشراف الدكتور
أربري. وعاد إلى مصر، وعيّن مدرسا
بكلية الآداب بجامعة عين شمس حين
إنشائها سنة ١٩٥١م، وأخذ يحاضر
الطلاب في قسم اللغة العربية بالكلية،
حتى إذا كانت سنة ١٩٦٢م أصبح رئيسا
لقسمه حتى سنة ١٩٧٣ إذ انتخب عميدا
للكلية، وفي سنة ١٩٧٥ انتقل منها عميدا

الزملاء المجمعون:

السيدات والسادة:

يشرفني أن أستقبل باسم المجمع
العالم الكبير في النقد الأدبي للشعر العربي
قديما وحديثا ولقي القصة والمسرحية
المعاصرتين نظريا وعلميا أو تطبيقا الأستاذ
الدكتور عبد القادر حسن القط.

ولد بقرية ريفية شرقي المعصرة
بمركز بلقاس في شمال الدلتا التابع لمحافظة
الدقهلية سنة ١٩١٦. وكان بدء تعلمه
في المرحلة الابتدائية بمدرسة بلقاس،
وانتقل منها في المرحلة الثانوية إلى المدرسة
التوفيقية بالقاهرة. ولما أتم تعلّمه فيها
التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة القاهرة، وتلمذ فيه على صفوة من
الأساتذة في مقدمتهم طه حسين وأحمد
أمين، وتخرج في سنة ١٩٣٨ متميزا،
وعيّن أمينا بمكتبة جامعة القاهرة سنة

لكلية الآداب في جامعة بيروت العربية حتى سنة ١٩٨٢.

وفي أثناء عمل الدكتور عبد القادر حسن القط بجامعة عين شمس رأس تحرير ثلاث مجلات أدبية على التوالي: مجلة الشعر في سني ١٩٦٤م و ١٩٦٥م ومجلة المسرح في سني ١٩٦٦م و ١٩٦٧م ومجلة المجلة من سنة ١٩٧٠م إلى سنة ١٩٧٣م. وفي سنة ١٩٨٣م رأس تحرير مجلة إبداع حتى سنة ١٩٩٢م.

وطبيعي أن تكون للدكتور عبد القادر حسن القط مقالات أدبية وتحليلية نقدية كثيرة، لا تكاد تحصى بحكم إشرافه على تحرير أربع مجلات أدبية، وبعض مقالاته النقدية جمعه ونشره، وأكثرها لا يزال غير منشور، وهو جدير بالنشر لانتفاع دارسي الأدب به.

وللدكتور عبد القادر مؤلفات متعددة، ولن أستطيع أن أتحدث عنها جميعا لضيق الوقت، وأكتفى بالحديث عن طائفة منها: أولا- في الأدب المصري المعاصر:

عُني الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في هذا الكتاب ببيان السلبية

في القصة المصرية المعاصرة، ويقول إن أبطالها سلبيون لا يقاومون أوضاعهم الاجتماعية مهما كانت مظلومة، مما يُثبِّط همَمَ القراء ويدفعهم إلى السخط على الحياة والاستلام لما يدور حولهم من قهر وعجز. ويقول إن سلبية الشخصيات الروائية يجعلها شخصيات ضعيفة فاترة لا حيوية فيها، ولذلك لا تظفر بشيء من تعاطف القارئ معها. وناقش في هذه السلبية القصصية قصصا ليوסף السباعي ومحمد عبد الحليم عبد الله، ونشب بينه وبينهما جدل عنيف. ورأى أن واجب الكاتب في إيراد هذه الشخصيات السلبية في قصصه أن يتخذ لها إحدى طريقتين: الطريقة الأولى- أن يضيف للشخصية من الأحداث والمواقف ما ينفي عنها عجزها، فيتعاطف القارئ معها. والطريقة الثانية- أن يجعل سلبيتها اضطرارية، إذ هي ثمرة ظروف تصارعها، ولا تستطيع التخلص منها ولا التغلب عليها، مما يجعل القارئ يتعاطف معها، وتصبح هي وقصتها مقبولة عنده.

ويناقد ثلاث مسرحيات لتوفيق الحكيم، هي مسرحية أهل الكهف،

ثانياً - قضايا ومواقف:

بمجموعة مقالات نشرت في
المجلات التي كان يرأس تحريرها، استهلها
بموقف الأستاذ عباس العقاد مقرر لجنة
الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية؛ إذ هاجم
مجلة الشعر التي كان يرأس تحريرها
الدكتور عبد القادر لنشرها منظومات من
الشعر الحر الجديد، ولم يكن يعده شعراً،
وطالب المسؤولين بأن يكون للجنة حق
الإشراف على كل وسائل نشر الشعر
من مجلات وغير مجلات، وردّ
عليه الدكتور عبد القادر بأن الشعر دائماً
يتطور بتطور مجتمعه، وتحدث عن الصراع
بين القديم والجديد وانتصار الجديد
دائماً.

واستهل الدكتور عبد القادر القضايا في
الكتاب بالحديث عن المذهب الأوحدي في
النقد الذي كان يدعو إليه الدكتور رشاد
رشيدي والذي كان يتمسك فيه بعرض
الجوانب الجمالية في الشعر ويرفض
التمسك بواقع المجتمع وظروفه، وحاوره
في ذلك بمقالات متعددة.

ومسرحية شهر زاد، ومسرحية بجماليون،
ويقول إنها مسرحيات ذهنية لا تعبر عن
واقع، وهي لذلك لا تصلح للتمثيل على
خشبة المسرح. ويقول إنه كان جديراً
بالحكيم أن يدع - في رأيه - الأساطير،
ويصور بعض ما في حياة المصريين
المعاصرين من مشكلات اجتماعية،
ويعترف توفيق الحكيم بأنه لم يكتب هذه
المسرحيات للتمثيل، وإنما كتبها للمتعة بها
في القراءة.

وينقد الدكتور عبد القادر حسن
القط ديوان الشاعر الفيتوري: "أغاني
إفريقيا" الذي يصور بؤس الزوج
واستعباد الأوربيين لهم، ويقول إن
أصحاب المشكلة من الزوج ولا يخدم
قضيتهم بأي صورة.

وينقد مسرحية غروب الأندلس
لعزيز أباظة نقداً عريضاً، إذ يقول
إنه نظمها من الشعر العمودي المؤلف
من شطرين، وهذا الشعر لا يلائم
- في رأيه - المسرح لما فيه من
الإطالة والحشو وفقدان التركيز
المطلوب.

ثالثا- الشعر الإسلامي والأموي:

درس الدكتور عبد القادر الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ونفذ إلى آراء علمية وأدبية قيمة، منها أن شاعر صدر الإسلام لم يكن يصدر عن تصور ديني ضد المشركين، وكان فخره وهجاؤه امتدادا للفخر والهجاء الجاهليين، وعُلل ضعف الشعر حينذاك بانقضاء عصر الفحول الجاهليين. وانتقل إلى دراسة الشعر الأموي، ورأى أن ما حدث من تطور وتجديد فيه إنما حدث على لسان العذريين والغزليين، أما الشعراء الكبار مثل الفرزدق وجريير والأخطل فشغلتهم السياسة كما شغلت الكميت الشيعي، وفي رأيه أن الخوارج لم يكونوا شعراء إنما كانوا مناضلين سياسيين.

رابعا- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر :

يرى الدكتور عبد القادر أن هذا الاتجاه مر بأربعة مراحل - أولاها: عند مدرسة الإحياء ورأئدها البارودي الذي فرض عليه ما عاشه من محن أن يعود إلى دأته ويصدر عنها في شعره بحيث يعد

إرهاصا للحركة الرومانسية في الشعر العربي، وتأثر باتجاهه الرصافي والزهاوي في العراق وشوقي في مسرحياته. وفي المرحلة الثانية: ينمو الاتجاه الوجداني عند خليل مطران وشكري والعقاد والمازني وأبي شادي وشعراء المهاجر الأمريكي. والمرحلة الثالثة: مرحلة الازدهار عند ناجي وعلي محمود طه وأضرابهما. والمرحلة الرابعة: تحول فيها شباب الشعراء إلى مذهب الواقعية والشعر الحر. والكتاب يعرض هذه المراحل الأربع للاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر عرضا رائعا.

ولا يخلو عدد من أعداد المجلات الأربع التي رأس الدكتور عبد القادر تحريرها من مقال نظري أو تطبيقي في فنون الشعر والقصة والأقصوصة والمسرحية . وله ديوان شعر بديع : ذكريات شباب. واسمه منذ نصف قرن يتألق في لهضتنا الأدبية المعاصرة.

والدكتور عبد القادر مترجم كبير أثنى الأدب العربي بثلاث مسرحيات لشكسبير هي: هاملت - ريتشارد الثالث -

التقديرية سنة ١٩٨٤. وهو الآن أستاذ
متفرغ بكلية الآداب في جامعة عين شمس
وعضو بالمجلس الأعلى للثقافة ومقرر لجنة
الشعر فيه . وأنا أهنته بعضوية الجمع
اللغوي، وأهنئ به الجمع وسيحظى
ببحوثه اللغوية والأدبية النقدية القيمة.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شوقي ضيف

رئيس الجمع

بريكليس. بالإضافة إلى أربع مسرحيات
وقصة لكتاب أمريكيين ومجموعة قصص
قصيرة للكاتب الروسي بوشكين.
وتقديرا للأستاذ الدكتور عبد
القادر حسن القط وأعماله وبحوثه الرائعة
نال جائزة الملك فيصل العالمية للأدب
العربي سنة ١٩٨٠ وجائزة الدولة

كلمة الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع
الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع
السيدات والسادة:

أودّ أن أعبر عن شكري للصديق
الكریم رئيس المجمع وثنائه الجمیل الذي
أرجو أن أكون أهلاً له، وللأعضاء
الأجلاء الذين أتاحوا لي الانتماء إلى هذا
الصرح الفكري الجلیل الذي انتمیت إلى
مجالاته اللغوية والأدبية والحضارية على
مدى زمنٍ طویل من قبل.

والحق أن اللغة العربية بفكرها وأدبها
وتراثها الحضاري كانت حيي الأول منذ
عهد بعيد. كان حباً فطرياً ينشأ وينمو مع
الطفولة والصبا، تغذيه روح العصر وثمار
أعلام النهضة الحديثة في اللغة والفكر
وفنون الأدب والقول.

كانت اللغة العربية في بداية هذا العصر
الحديث عُدّة الشعب العربي في نهضته
الحضارية، ووسيلته إلى المعارف العصرية
في العلم والأدب، وسلاحه الفكريّ

والنفسیّ في مواجهة الغزو الغربي المزوّد
بآلة الحرب وسلطان المعرفة والعلم.

وقد حمل عبء هذه النهضة القومية
الحديثة، بأدبها وعملها وسياستها، أعلام
كانوا - على اختلاف ملكاتهم - يؤمنون
بأن اللغة وما تحمل من تراث وتاريخ
وروح حضارة هي المنطلق الأول لكي
يتصل القدمم بالجدید ويتوحد فكر العرب
ووجدان الشعب العربي في صورة عصرية
تأخذ من القدمم أصلحه للبقاء وتقتبس من
الحديث أنفعه للنهضة وأقدره على
مواجهة حاجات العصر.

وفي ظل هؤلاء الأعلام ونورهم
نمت الفطرة عند الكثيرين فغدت موهبة
واعية قادرة، بما اكتسب من علم وخبرة؛
ومن فكرهم العصري المستنير نشأ هذا
المجمع العربي الجلیل الذي أشرف اليوم
بانتسابي إليه.

أمد طویل ذلك الذي يمتدّ بين
السبديات الأولى لهذا الحب القدمم، وما

الجامعة القليلي العدد المشغولين بقضايا الفكر والمجتمع - صداقة طيبة امتدت سنين غير قليلة، حتى تفرقت بنا سُبُل العمل.

كان رحمه الله متعدّد المواهب يجمع بين معرفة المؤرخ وموهبة الأديب، وقدرة القائد الذي تتحول الإدارة على يديه إلى فكر وثقافة وأدب وعمل حضاريّ كان في دراسته للتاريخ أحد القلائل الذين يتحول لديهم التاريخ - في التعليم والتأليف - إلى ظواهر حضارية ومظاهر اجتماعية، ولا يحفل كثيرا بحياة الملوك والأمراء والقواد والأحداث إلا بمقدار ما تجلو من حياة الشعوب وسير الحضارة.

أذكر بهذا المنهج الفريد أستاذي الجليل الأستاذ عبد الحميد العبادي، الذي كانت محاضراته في التاريخ - بصوته الهادئ العميق - متعة للعقل والوجدان، في السياسة والاجتماع والحضارة وبعض نصوص الأدب التي يتخذها المؤرخ الكبير مفتاحا من مفاتيح التاريخ. كذلك كان حسين مؤنس المؤرخ.

اكتسب صاحبه على طول الدرب وامتداد الأجلاء من الرواد الراحلين. ولعلّ العشق الفطري أصبح اليوم أكثر وعيا وحكمة لكن أوتاره ما زالت مشدودة إلى القلب تستجيب لكل لمسة من أنامل ذلك الحب القديم. فما بالي اليوم ومئات الأنامل من هذا الجمع الجليل. تمتدّ في كرم لتشدد من بعض أوتاره التي قد يكون بعضها قد وهي مع الزمن، فتحرّكه ليعزف لها لعلّه ما زال قادرا على أن يطرب أهل زماننا المتحوّل السريع!

الأساتذة الأجلاء

السيدات والسادة:

كان من نصيبي أن أقوم في هذا الجمع مقام الراحل الكريم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس، وأرجو أن أوفق إلى بعض عطائه للغة والأدب، وما أظن أني ببالغ شيئا من عطائه الجزيل في التاريخ.

عرفته منذ صباه، إذ كان قد سبقني إلى الفراغ من دراسته الجامعية بأربع سنوات، وقامت بيننا - كالمعهود حينذاك بين أباء

وتخطط له ثقافته وحسّه الحضاري. وكان
من ثمار ذلك مشروعه الثقافي الكبير
" الألف كتاب " تحية لذكراه وإكباراً
لعطائه الباقي على الزمن.
وشكرا لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله.

عبد القادر القط

عضو المجمع

على أن الأدب لم يكن عنده مفتاحا
للتاريخ فحسب، بل كان إبداعا متميزا في
فن المقال والقصة والمسرحية، تتخلله روح
دعابة وسخرية غير جارحة تنبئ بوعي
سياسي واجتماعي فريد.

أما الإدارة فكانت لديه وسيلة إلى
تحقيق طموح ثقافي قومي تحفزه إليه

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي
عضو الجمع الجديد

على درجة الدكتوراه في الدراسات
اللغوية سنة ١٩٦٠ وقضى بها سنة في
جامعة إرلانجن وأربعاً في جامعة ميونخ،
وفيهما درس علم اللغة الحديث، وكان
موضوع رسالته للدكتوراه منهج السيرافي
في التحليل اللغوي، وحصل عليها سنة
١٩٦٥.

وعاد إلى مصر، وعين مدرسا
بكلية الآداب، وتدرج في الوظائف
الجامعية إلى أن أصبح أستاذا في الدراسات
اللغوية سنة ١٩٧٧ وعمل وكيلا لكلية
الآداب من سنة ١٩٨٩ إلى سنة ١٩٩٤
وأميناً لمجلس الدراسات العليا بجامعة
القاهرة من سنة ١٩٩٠ إلى سنة ١٩٩٤
وأميناً ثم مقرراً للجنة الدائمة لترقية
الأساتذة والأساتذة المساعدين للغة العربية
في الجامعات المصرية.

وقد ألف الدكتور حجازي
وترجم ونشر عددا كبيرا من الكتب

الزملاء الجمعيون
السيدات والسادة:

يسعدني أن استقبل باسم الجمع
الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي
عضواً عاملاً فيه، وهو علم كبير في
الدراسات اللغوية وخبير قديم في اللجان
الجمعية.

ولد في أول يناير سنة ١٩٤٠ بمدينة
المنصورة، وبدأ تعلمه في مدرستها
الابتدائية الأميرية ثم في مدرسة الملك
الكامل الثانوية، وحصل منها على
التوجيهية (شعبة العلوم) والتحق بقسم
اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة
القاهرة، وتخرج فيه سنة ١٩٥٨ حاصلاً
على درجة الليسانس الممتازة بتقدير ممتاز،
وعمل فترة قصيرة بمدرسة العباسية
الثانوية، وإعجاباً من أساتذته في كلية
الآداب بتفوقه في الدراسة عُيِّنَ بها معيداً،
وسرعان ما أوفدوه إلى ألمانيا للحصول

والتربية، ويضيف إليه تحقيقاً كاملاً
لكتاب الطهطاوي : تخلص الإبريز في
ضوء المراجع الفرنسية، مع تعليقات لغوية
وفكرية مفيدة.

٣- مدخل إلى علم اللغة

عرّف هذا الكتاب باللغة وطبيعتها
وظائفها وعلوم اللغة ومناهجها
وبالأصول العربية لعلم الأصوات
والاتجاهات الحديثة فيه، وعرض الكتاب
أصول التحليل النحوي والصرفي، وأوضح
مصطلحات التحليل الدلالي، وعرّف تعريفاً
علمياً دقيقاً بالفصائل اللغوية في العالم.

٤- الأسس اللغوية لعلم المصطلح

استهل الدكتور حجازي هذا
الكتاب بتعريف علم المصطلح، وحلّل بنية
المصطلحات التي أقرّها الجماع اللغوية
العربية ، ودرس في ضوء المصطلحات
نظم التوحيد المعيارى لترجمة السوابق
واللواحق، وحدّد الاتجاهات المستقرّة في
الجماع بالنسبة للتعريب ومجالاته
ومشكلات التدوين، وتحدث عن
المصطلحات والتنمية وقضية المصطلح
اللغوي.

والدراسات، ومما ألف مبكراً كتاب (اللغة
العربية عبر القرون) سنة ١٩٨٦ و(علم
اللغة بين التراث والمناهج الحديثة) سنة
١٩٧٠ . ومنذ أن كان طالباً بألمانيا
اشترك في تأليف معجم ألماني عربي
ضخم، ظل يقدم له أعمالاً حتى سنة
١٩٧٠ وفيه أعدّ سبعمائة وخمسين عموداً
كبيراً للمداخل الألمانية وما يقابلها في
العربية، وطبع هذا المعجم سنة ١٩٧٣
بألمانيا ، وتعددت طبعاته فيها وفي
بيروت. ومن أهم مؤلفاته:

١- علم اللغة العربية

هذا الكتاب محاولة للربط بين
الأصول العربية لعلوم اللغة والاتجاهات
التاريخية، والمقارنة في دراسة العربية على
ضوء اللغات السامية، وتناول فيه موقع
العربية بين اللغات السامية وأهم ملامح
تاريخها في الحقب الإسلامية.

٢- أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي

يدرس هذا الكتاب فكر
الطهطاوي: أصوله العربية ومصادره
الأوربية في السياسة والاقتصاد والاجتماع

٥ - اللغة العربية في العصر الحديث

يعرض هذا الكتاب دراسات في الإطار التاريخي للقضية اللغوية في الوطن العربي الحديث، كما يعرض الاتجاهات العامة في وضع المصطلحات وقضية تيسير الكتابة العربية، وموقع اللغة العربية بين اللغات العالمية المعاصرة.

٦ - البحث اللغوي

يقدم هذا الكتاب رؤية للاتجاهات المعاصرة في دراسة اللغة، وركز على الأسس النظرية في ضوء مدارس القرن العشرين، وتناول صناعة المعاجم وسمات المعجمات العامة، وعرف باتجاهات البحث اللغوي في الجامعات العربية والأوربية.

تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى:

ألّفت بإشراف الدكتور حجازي سلسلة كتب لتعليم العربية في ماليزيا، وخطط لمركز تعليم العربية لغير الناطقين بها في جامعة القاهرة. وبجانب ذلك قدّم خبرته لتطوير تعليم العربية بوزارة التربية والتعليم سنوات متصلة.

مشاركته في ترجمة وتأليف موسوعات

مهمة منها:

١ - تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين

هذه الموسوعة عشرة أجزاء من الترجمة العربية. خطط الدكتور حجازي لترجمتها من الألمانية، وأكثر الأجزاء بترجمته وراجع مادة الأجزاء جميعا بالرجوع إلى الأصول العربية. وطبعت الأجزاء جميعا بين سنتي ١٩٨٠ و ١٩٨٢.

٢ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

كانت الأجزاء الستة الأولى من هذا التاريخ قد ترجمت ونشرت، فأشرف الدكتور محمود حجازي على الأجزاء المتبقية من الجزء السابع إلى التاسع عشر في مجالات التراث العربية ومخطوطاته، وترجم بعض الأجزاء، وأشرف على الطبعة الكاملة منه حتى ظهور القسم الأخير في هذا العام.

٣ - موسوعة الأسماء العربية

هي موسوعة لثمان في ثمانية أجزاء، شارك الدكتور حجازي فيها، وهي عمل مرجعي حديث

لأسماء الأعلام المعاصرة خاصة
من الجوانب الإحصائية واللغوية
والاجتماعية نشرتها عمان في سنتي
١٩٩٠ و١٩٩١.

انتدابه لدار الكتب والوثائق القومية

انتدبت وزارة الثقافة الدكتور
حجازي رئيسا لمجلس إدارة الكتب
والوثائق القومية، فنهض بها طوال ثلاث
سنوات فحصة عظيمة، إذ طورَ فيها عدة
قاعات، وحدّث مطبعتها أو جعلها
حديثة، ونشر خمسين مجلدا من روائع
التراث العربي، وأدخل في دار الكتب
نظام التأمين للمخطوطات، وأنشأ بها
مركزا حديثا لترميم الكتب مخطوطة
ومطبوعة، وحصر بها المقتنيات. وقبل
مبارحتها اقترح خطة لتنظيم المكتبات
بمصر وافق عليها مجلس الشعب في مارس
١٩٩٧.

انتدابات وزيارات ومحاضرات

لشهرة الدكتور حجازي العلمية
انتدبته جامعة الكويت وقطر ليحاضر
طلابهما في علم اللغة، واستدعاه مكتب
تنسيق التعريب في الرباط ليشترك في

دورتين من دوراته، وحاصر بمجمع
دمشق عن مستقبل العربية. وعرفته
البيئات العلمية الغربية فاستدعته لزيارتها
والمحاضرة بها جامعات نور مبرج بألمانيا
وأمستردام في هولندا وبودابست في المجر،
ودعته جامعة ليون بفرنسا هذا العام
فألقى بها سلسلة من المحاضرات عن اللغة
العربية في العصر الحديث.

وصلة المجمع اللعوي بالدكتور محمود
حجاري قديمة، وهي صلة علمية، إذ
شارك في أعمال المعجم الكبير ثلاث
سنوات من سنة ١٩٧٦ إلى سنة ١٩٧٩
بتأصيل المواد اللعوية في ضوء علم اللغة
المقارن، وبعد ذلك خبيرا بلجنة الألفاظ
والأساليب وسوَّغ لها كلمات عامة
كثيرة وهو أيضا خبير بلجنة اللهجات،
والبحوث اللغوية، وقدم لها ثلاث
بمجموعات كاملة من مصطلحات الفصائل
اللغوية أقرها مجلس المجمع ومؤتمره، وقدم
لها في سنة ١٩٩٨ بحثا عن اللغة الأجرية
السامية: بنيتها وعلاقتها بالعربية،
ونشر عددا كبيرا من البحوث في مجلة
المجمع.

أهنته بعضوية الجمع وأهنت الجمع به وهو
سيظل - بلا ريب - يقدم إليه بحوثه
ومقالاته اللغوية والأدبية القيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شوقي ضيف

رئيس الجمع

وهو عضو مراسل بجمع دمشق
وعضو بالجمع العلمي المصري وأهدى إليه
وسام الاستحقاق من جمهورية ألمانيا
الاتحادية سنة ١٩٩٧ والجائزة التقديرية في
العلوم الإنسانية لجامعة القاهرة . وأنا

كلمة الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في حفل استقباله عضواً جديداً بالمجمع

تحدث عني ورأى في أملا للعطاء الجمعي .
أشكر لسيادته هذه الكلمة المراقية، وأتمنى
أن أكون أهلا لها من أجل اللغة العربية
والتخطيط لمستقبلها.

لقد بدأت صليتي بمجمع اللغة
العربية منذ زمن بعيد، وأذكر بالاعتزاز
والاحترام الجمعي الكبير الأستاذ الدكتور
إبراهيم أنيس رحمه الله، فقد اقترح منذ
نحو خمسة وعشرين عاما أن أعاون في
لجنة المعجم الكبير. وكان لي عمل في
مجال مصطلحات العلوم اللغوية في
سنوات تالية مع الأستاذ الدكتور كمال
بشر في لجنة اللهجات والبحوث اللغوية ،
ثم مع أستاذي العلامة شوقي ضيف في
لجنة الألفاظ والأساليب. وإلى جانب هذا
كله كان لي شرف نشر عدد من
الدراسات اللغوية في مجلة مجمع اللغة
العربية، التي ينهض بها الجمعي الكبير
الأستاذ إبراهيم الترزي. أشكر لكم هذه
الثقة الغالية، وأعتر بترشيح أخي الأستاذ

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف
السيد الأستاذ الدكتور محمود حافظ
السيد الأستاذ إبراهيم الترزي
سادتي أعضاء مجمع الخالدين
سيداتي سادتي:

اللغة العربية لغتنا الوطنية ورمز
الانتماء. هي لغة القرآن الكريم والحديث
الشريف ولغة الحضارة العربية الإسلامية ،
لها تاريخها العلمي وواقعها المعاصر
ومشكلاتها القائمة. لقد كان قيام مجمع
اللغة العربية بالقاهرة تحقيقا لأمل المثقفين
في كل الأقطار العربية، ومن هنا مكانة
مجمع الخالدين. ولهذا تُعَلَّقُ الأمة كلها
على المجمع أملا كبيرا من أجل تنمية
العربية للوفاء بالمتطلبات المعاصرة. لقد
آثرتموني بانتخابي عضوا بالمجمع الموقر في
عهد أستاذنا الدكتور شوقي ضيف،
وأرى لزاما علي أن أشكر لكم انضمامي
لهذه الصفوة المتميزة من علماء مصر
والأمة العربية. أما أستاذي الفاضل فقد

الدكتور محمود علي مكي لي لعضوية مجمع اللغة العربية. وهذا كله تكريم للغوي يحب العربية ويجعل معرفته بعدد من اللغات الأوربية والشرقية أداةً لبحثها ومنطلقاً لدراسة بنيتها وألفاظها وللنظر في مستقبلها.

إنه لشرف عظيم لي أن أكون عضواً بمجمع الخالدين في الكرسي الذي قضى نظامُ العضوية أن أجلس فيه حلقاً لجامعي كبير ومجمعي مرموق هو المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب. كان رحمه الله من أعلام الجامعات المصرية. درس في كلية الآداب على نخبة من الأعلام، في مقدمتهم الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور، والأستاذ الدكتور محمد شفيق غربال، والأستاذ الدكتور مصطفى عامر، والأستاذ الدكتور محمد عوض والأستاذ الدكتور سليمان حزين. وبعد أن تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة وحصله على دبلوم في التربية، أوفدته الجامعة إلى بريطانيا فنال درجة ماجستير الآداب في الجغرافيا من جامعة مانشستر، وعاد إلى مصر فأعد رسالته لدرجة

الدكتوراه وحصل عليها من جامعة الإسكندرية. ارتبطت حياته كلها بالجامعة، كان له دور كبير في جامعة الإسكندرية، ثم في فرع جامعة القاهرة بالخرطوم، ثم في كلية الآداب بجامعة القاهرة. اهتم منذ فترة مبكرة بدراسة فلسطين، وبدراسة شبه جزيرة سيناء. وعندما خطط المجلس الأعلى للعلوم والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لعمل دراسة علمية عن هذه المنطقة كان الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب على رأس البعثة العلمية التي كُلفت بذلك. عاش بعد ذلك بالسودان في فترة تحوّل دقيقة، وكانت جامعة القاهرة بالخرطوم أملاً كبيراً، وهنا نجد دوره حاسماً في تطوير الدراسات الأفريقية في مصر. وبفضل جهوده نشأ كيان علمي كبير، وهو معهدُ البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة. وهذا دور يُذكر فيشكر، كان الحوار بيننا متصلاً في عددٍ من الموضوعات المتصلة بالتخطيط لدراسة القارة الأفريقية من كل جوانبها. وأذكر حواراً كان عن أهمية دراسة اللغات

الأستاذ الدكتور سليمان حزين - مد الله في عمره - كان عطاءً الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب في لجان المجمع شاهداً على تكاملٍ نادرٍ بين التخصص في الجغرافيا والتعمق في اللغة العربية والمعرفة الجادة باللغة الإنجليزية. شارك في أعمال لجنة الجغرافيا ولجنة المعجم الكبير، وكانت جهوده في المصطلح العلمي العربي واضحةً ومتميزةً.

ولي كبير الشرف أن يختارني المجمع الموقر في المكان الذي خلا ب وفاة صديقي الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب. تغمدته الله بواسع رحمته.

السيد رئيس المجمع

سيداتي سادتي:

إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة يُعد أمل الأمة العربية كُلاًها في التخطيط لمستقبل اللغة العربية في عصرٍ جديد . لقد قام بجمع الخالدين بعملٍ كبير في المصطلحات وفي قضايا اللغة. نحن اليوم نعيشُ عصرَ تقنيات المعلومات، وهنا مجالٌ كبيرٌ للإفادة منها من أجلِ تصورٍ جديدٍ للتعاون الدائم بين الجامع اللغوية من

الأفريقية. وأنجز الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب ما خطط له، ونشأ لأول مرة في مصر قسمٌ للغات الأفريقية، وأخذ جيلٌ جديدٌ من المتخصصين المصريين في اللغات الأفريقية يتكون ويشارك في بحث الهوسا والسواحلية على وجه الخصوص. لقد كانت له جهودٌ واضحةٌ في هذا المجال، واهتمامه باللغات الأفريقية امتداد لحبه للغة العربية.

كان الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب من العلماء أصحاب المؤلفات القيمة في الجغرافيا وعلاقتها بالإنسان. نذكر منها: تطور الجنس البشري ، والبيئة والمجتمع ، والجغرافيا السياسية ، والجغرافيا التاريخية، وجغرافية الحضر، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من البحوث العلمية المنشورة في مصر والخارج. وشارك ببحوث قيمة في عدد كبير من المؤتمرات العلمية.

وقبل أن ينضم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب إلى مجمع الخالدين عضواً به كانت جهوده قد عرّفت به، لقد ظل خبيراً بمجمع اللغة العربية عدّة أعوامٍ وتعاون في مجال تخصصه مع أستاذنا

جانب وإتاحة نتائج أعمال الجمع لكل المؤسسات والأفراد في الأقطار العربية وفي كل أنحاء العالم من الجانب الآخر . وفوق هذا كله فإن العلماء والمثقفين وكل المهتمين بالعربية ينتظرون الأعمال المعجمية لجمع اللغة العربية، وأملهم عظيم في اكتمال المعجم الكبير، وفي التطوير الدائم للمعجم الوسيط، وفي التجديد المستمر للمعجم الوجيز.

وكلها أعمال جادة لها أهميتها المجتمعية من أجل العربية، ودعم الانتماء الثقافي العربي. إننا ندخل عصرًا جديدًا تزيد فيه أهمية الذاتية الثقافية لتحقيق ضربا من التوازن مع العولمة. واللغة أهم مقومات الذاتية الثقافية، ومن هنا أهمية دور مجمع اللغة العربية بالقاهرة من أجل التخطيط لمستقبل اللغة العربية.

إن دور مجمع اللغة العربية بالقاهرة واضح في التنمية اللغوية، ويتأكد هذا الدور في المرحلة القادمة التي تعاظم فيها دور التعليم والإعلام وأصبح فيها لقاء الحضارات ضرورة متجددة. ومن هنا فإن وصول قرارات مجمع اللغة العربية إلى

العلماء والمثقفين على نحو سهل وسريع يعد من أهم متطلبات الحاضر. إن البعد الاجتماعي في عمل المجمع لابد أن تكتمل حلقاته، متابعة لكل جديد في العلم وألفاظ الحضارة والنظم، ونظرًا في كل ما يثرى اللغة في كل هذه المجالات ، وتقديماً لنتائج هذه الجهود لكل المستفيدين في الداخل والخارج. وهذه المنظومة الاتصالية واضحة في فكر المجمعين، والعمل كفيل بتحويلها إلى واقع من أجل مزيد من العمل الجمعي في التنمية اللغوية.

وفي النهاية ما كان لي أن أكون في هذا المكان إلا بفضل الله، وأدعو لوالدي بالرحمة والمغفرة، فقد كان حريصاً على التنشئة العلمية لي. وأعتر بأنني حصلت في جامعة القاهرة على أفضل ما تقدمه الجامعة لأبنائها أوفدتني في بعثة جامعية إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراه في علوم اللغة، فأتيح لي أن أدرس على نخبة من علماء اللغة فيها، أذكرهم بالروح العلمية والعمل الجاد.

حاولت أن أقدم ما أستطيع خدمة للغة العربية والثقافة ولقاء الحضارات.

ومنحتني حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية
وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام
١٩٩٧، وكرمتني جامعة القاهرة بمنحي
جائزتها التقديرية في العلوم الإنسانية لعام
١٩٩٨.

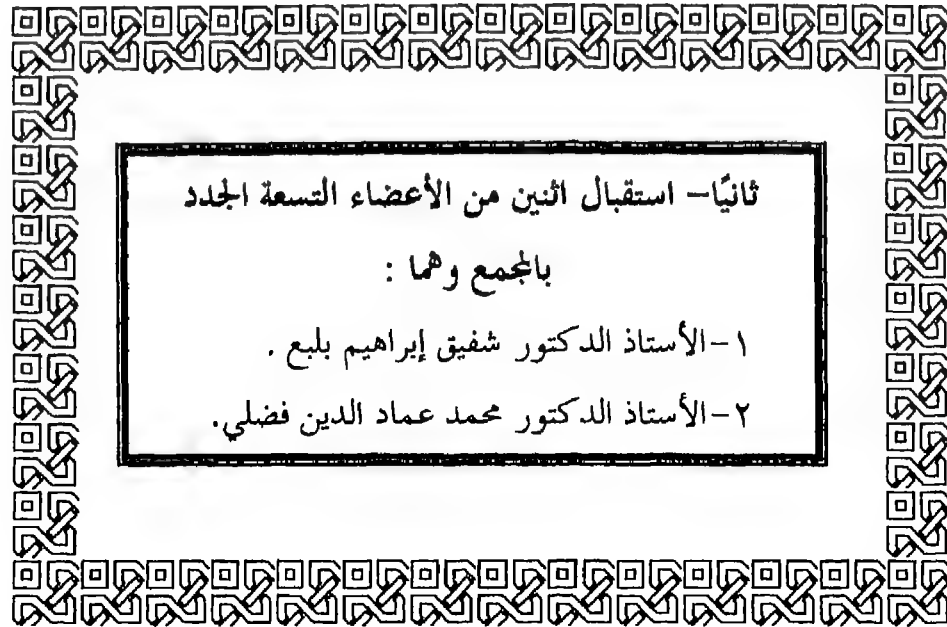
وإذا كنت قد شرفت بالانتساب
إلى مجمع اللغة العربية بدمشق عضوا
مراسلا ١٩٩٣ ، وإلى المجمع العلمي
المصري عضوا عاملا منذ ١٩٩٤ فلإني
سعيد بأن أكون إلى جانب هذه النخبة
الراقية عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية
بالقاهرة.

وبعد عمل علمي بدأ مكرًا
واستمر نحو أربعين عاما أجد نفسي اليوم
بين أعضاء المجمع الموقر. حفظكم الله،
وبارك في جهودكم، أشكر لكم ثقّكم،
وأعتر بتقديركم لعلمي وبالعبارات الكريمة
التي قدّمني بها أستاذنا الكبير الدكتور
شوقي ضيف رئيس المجمع. وأملّي أن
أكون عند حسن ظنكم ، وأن أشارك من
خلال العضوية العاملة في تنفيذ
مشروعات المجمع الموقر من أجل مستقبل
العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

محمود فهمي حجازي

عضو المجمع



وقد ألقى كلمة المجمع في استقباليهما
الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب
رئيس المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقى
في هذه الجلسة :

في الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الاثنين ١٤ من شعبان سنة ١٤٢٠
هـ الموافق ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م،
عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال اثنين من
أعضائه الجدد هما:
- الأستاذ الدكتور شفيق بلع .
- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .

كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

الصيدلة والعقاقير منذ القدم وله مؤلفات كثيرة فيها، وفي النباتات الطبية والعطرية، وله كتابان عظيمان في الطب، وله مئة وستون بحثاً في النباتات نشرت في مجلات علمية كبيرة وحظيت به جمعيات كثيرة، وهو عضو في جمعيات علمية كثيرة في مصر وأمريكا وكنا نتمنى أن يكون معنا الآن، ولكنه اضطر فجأة أن يرحل القاهرة إلى أمريكا لإجراء عملية جراحية، ندعو الله له بنجاح العملية والشفاء عاجلاً والعودة إلينا إن شاء الله .

ويتولى الأستاذ الدكتور الجليل محمود حافظ إلقاء كلمة المجمع في استقباله فليتفضل .

هذا اليوم هو اليوم الثاني من أعياد المجمع الذي يستقبل فيه اثنين من الأعلام الكبار، الذين عينوا بالمجمع هذا العام، عالمان كبيران في كلية الصيدلة، وفي كلية الطب، يستقبلهما المجمع، وهما: الأستاذان العالمان الجليلان الدكتور شفيق إبراهيم بلبع، والدكتور محمد عماد الدين فضلي الأستاذ بكلية الطب جامعة عين شمس، والأستاذ الدكتور شفيق بلبع عميد الصيدلة قديماً، ثم تركها إلى رئاسة جامعة المنصورة، وعاد إلى جامعة القاهرة أميناً للمجلس الأعلى للجامعات، وهو شخصية فذة، له مشاركة في علوم

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حافظ

نائب رئيس الجمع

في استقبال الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع

العالم الجليل الأستاذ الدكتور
شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية
العلماء الأحلاء، سيداتي سادتي
نستقبل اليوم عالماً من علمائنا
البارزين ورائداً من رواد العلوم الصيدلية
في مصر والعالم العربي، اكتسب بعلمه
وخبرته الواسعة في هذا المجال مكانة علمية
عالمية ذلكم هو الأستاذ الدكتور شفيق
إبراهيم بلبع أستاذ العقاقير والنباتات
الطبية المستفرغ بكلية الصيدلة بجامعة
القاهرة؛ وعميد الكلية الأسبق، نستقبله
اليوم عضواً بمجمع اللغة العربية من بين
كوكبة من علماء مصر الأعلام أعضاء
بمجمع الخالدين.

هذه الثقة هي التي أفسحت له مكاناً
عزیزاً في هذا الجمع العظيم درة الجامع
اللغوية في الوطن العربي وكعبة العربية
وحصنها الحصين.

ولست في حاجة إلى القول إن المكانة
التي يتبوّؤها اليوم هو بها جد جدير لمكانة
رفيعة حقاً فأهنته تهنة خالصة أبعثها إليه
عير الأثير، أهنته عضواً بين سدنة اللغة
وحماها في مجمع الخالدين.

ولدت زميلنا الأستاذ الدكتور شفيق
بلبع في الثالث عشر من شهر فبراير عام
١٩٢٠م بمدينة دمنهور. وفي ضيعة والده
ومزارعه الواسعة عاش طفولته بين
مروجها ونباتها الخضراء وظلالها الوارفة
وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها
عليه فأحبها وعشق نباتها وعطرها
وأريجها. وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه
في صباه وشبابه فما أن أتم دراسته
الابتدائية والثانوية في مدارس دمنهور عام

العلوم الصيدلانية عام ١٩٤٦، وقد كان لدراسته الجامعية المزدوجة وحصوله على درجتي بكالوريوس الزراعة وبكالوريوس الصيدلة مزايا كثيرة وفوائدُ جمّة، كان لها تأثير إيجابي واضح على مسيرته العلمية والأكاديمية- وقد تابع الدكتور بلبع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير في علم العقاقير عام ١٩٥٠، سافر بعدها في بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة بجامعة فلوريدا، وحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في علم العقاقير من هذه الجامعة عام ١٩٥٣.

وبعد عودته انضم إلى هيئة التدريس بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة مدرسا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذ كرسي كيمياء العقاقير عام ١٩٦٤، فرئيسًا لقسم العقاقير، فعميدًا لكلية الصيدلة عام ١٩٦٦ لست سنوات متصلة، عين بعدها أمينًا عامًا للمجلس الأعلى للجامعات حتى عام ١٩٧٨ حين اختير رئيسًا للجامعة المنصورة. وفي عام ١٩٨٠ بلغ عامه

١٩٣٨ حتى مضى إلى كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) وبعد أربع سنوات عام ١٩٤٢ حصل على درجة البكالوريوس في العلوم الزراعية واتجه بعد ذلك إلى زراعة النباتات الطبية والعطرية وإنتاجها في المزارع التي يمتلكها والده إلا أنه واجه بعض المشكلات الفنية في هذا المجال فاتجه إلى كلية الصيدلة بجامعة القاهرة وتقدم للحصول على دبلوم في النباتات الطبية والعطرية لكن نصحه بعض أساتذة الكلية بالدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الصيدلانية.

وفي كلية الصيدلة تفوق الدكتور بلبع في دراسته على أقرانه بما رسخ في خلفيته من علوم ومعارف تلقاها إبان دراسته بكلية الزراعة ويتصل بعضها - وبخاصة علوم النبات والكيمياء- بالعلوم الصيدلانية ووجد ضالته في النباتات الطبية والعطرية وعلم العقاقير فشغف بهما وتخصص فيهما بعد ذلك في دراسته العليا بعد حصوله على درجة البكالوريوس في

الستين فعين أستاذًا متفرغًا بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة حتى الآن- وفي هذا العام أيضًا عين الدكتور بليغ وكيلا لمجلس الشورى- وفي جميع هذه المناصب التي تقلدها تميز الدكتور بليغ بسعة الأفق والعمل البناء والفكر الثاقب والبصيرة النافذة والتحلي بمكارم الأخلاق.

وقد حفلت حياته العلمية التي امتدت أكثر من خمسين عامًا حتى اليوم بنشاط علمي كبير وإنجازات وأعمال إنشائية بارزة في مجال تخصصه، فله ما يزيد على (١٦٠) مئة وستين بحثًا علميًا في مجال العقاقير والنباتات الطبية نشرت في أكبر المجالات العلمية المتخصصة المصرية والعالمية تناولت فصل المكونات الفعالة من بعض النباتات في صورة نقية بغرض استخدامها في العلاج، واستحداث طرق جديدة ودقيقة مبتكرة لتقييم المكونات الفعالة في عدد من النباتات الطبية والعطرية وقد أدخل الدكتور بليغ زراعة أكثر من خمسة وعشرين نوعًا من النباتات

الطبية والعطرية في مصر لأول مرة استجلبها من الخارج وتأقلمت في البيئة المصرية- كما شملت دراسته وبحوثه ما يزيد على (٨٠) ثمانين نوعًا من النباتات الطبية والعطرية التي تنمو برّياً في مصر وقد ركز اهتمامه على النباتات ذات الفائدة الاقتصادية مثل السكران المصري وحشيشة الليمون والبلادونا والداتورة وحلف البر والخلة والشطة والنعناع وزيت الموالح والبيرثروم والبلانتاجو وغيرها وقد قام بدراسة التركيب الكيميائي لبعض المكونات الفعالة ومعرفة خواصها الفيزيائية بهدف استخدامها في العلاج.

وللدكتور بليغ مدرسة علمية رائدة في كلية الصيدلة بجامعة القاهرة تخرج فيها العديد من تلاميذه الذين يشغلون الآن وظائف الأساتذة بالجامعات والباحثين والعاملين في المؤسسات الصيدلية ومصانع الأدوية ومراكز البحوث في مجال العقاقير والنباتات الطبية ذات الأهمية

- وأسهم كذلك في إقامة نظام يكفل تبادل المعلومات عن النباتات الطبية والعطرية وبدورها مع محطات ومراكز بحثية تعمل في هذا المجال في بلاد مختلفة من العالم.

الكتب والمؤلفات العلمية

وللدكتور بلبيع عدد من الكتب بين التأليف والترجمة منها:

١- مكونات النباتات الطبية، ٦٤٥ صفحة، باللغة الإنجليزية، وهو أول كتاب من نوعه على المستوى المحلي والعالمي، وقد طلبت دار النشر الأمريكية جون وايلي أن تقوم بإصدار طبعة منه ونشر الكتاب في مصر بمطبعة دار الشعب للطباعة والنشر.

٢- كيمياء العقاقير، باللغة الإنجليزية

الناشر دار الشعب للطباعة والنشر.

٣- النباتات الطبية والعطرية، باللغة العربية.

الناشر: الجهاز المركزي للكتب الجامعية.

٤- التعليم الجامعي وسوق العمل في مصر (بالاشتراك) ٥٦٠ صفحة

الاقتصادية . وحصل العديد من طلبته على درجتي الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه ومن أعماله الإنشائية البارزة:

— إسهامه في إنشاء أول محطة تجارب نموذجية للنباتات الطبية والعطرية في مصر والوطن العربي بمحظة تجهيزاً متميزاً لإجراء الدراسات والبحوث العلمية والحقلية في هذا المجال.

- كما أسهم في إنشاء معشبة للنباتات الطبية والعطرية لضم الأنواع المختلفة التي تنمو في مصر برياً أو التي جرى إدخالها وزراعتها وأقلمتها في مصر.

- أشرف على إنشاء قسم العقاقير والنباتات الطبية في شعبة الصيدلة بكلية الطب بجامعة المنصورة، وهو الذي أنشأ هذه الشعبة عام ١٩٦٦، وأشرف على تطويرها حتى أصبحت كلية للصيدلة قائمة بداتها بهذه الجامعة.

- كما أشرف على إنشاء شعبة للصيدلة وتجهيزها وإقامة قسم للعقاقير والنباتات الطبية بجامعة الأزهر.

إصدار المعهد الدولي لتخطيط التعليم
التابع لمظمة اليونسكو بباريس.

٥- تاريخ العلوم الصيدلانية (بالاشتراك)،
باللغة العربية

إصدار أكاديمية البحث العلمي
والتكنولوجيا.

٦- شارك في ترجمة كتابين عالميين في علم
العقاقير النظرى والعملى تأليف ت.
واليس، الأستاذ بجامعة لندن.

مظاهر التقدير العلمى فى الداخل
والخارج

ولمكانته العلمية البارزة وبحوثه العلمية
والتطبيقية الرائدة نال الأستاذ الدكتور
شفيق بلبع جائزة الدولة التقديرية فى
العلوم عام ١٩٨٢م، وحصل على وسام
الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م،
ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى
عام ١٩٧٨م، وعلى الميدالية الذهبية
لأحسن بحث فى العقاقير عام ١٩٧٢ م
من اتحاد الصيادلة العربى، وعلى جائزة
نيوكومب التذكارية لأحسن بحث فى
العقاقير على مستوى الولايات المتحدة
الأمريكية عام ١٩٥٤م.

وامتد نشاط الدكتور بلبع
وخبرته العلمية الواسعة على الساحة
القومية فاختير مستشاراً ورئيساً وعضواً
فى عدد كبير من الهيئات العلمية والمجالس
العليا والجمعيات واللجان القومية
ومنها:-

-عضو المجلس القومى للتعليم
والبحث العلمى، ومقرر شعبة التعليم
الجامعى بالمجالس القومية المتخصصة-
رئيس الأكاديمية المصرية للعلوم-
مستشار مركز الأبحاث والرقابة
الدوائية-مستشار النباتات الطبية
والعطرية لوزارة الزراعة-عضو المجلس
الأعلى لقطاع الدواء - نائب رئيس
مجلس البحوث الطبية بأكاديمية
البحث العلمى - رئيس اللجنة
التنفيذية للبعثات -رئيس اللجنة
الثقافية والتبادل الثقافى بالمجلس الأعلى
للجامعات - عضو الجمع العلمى
المصرى عضو الجمعية الكيميائية
الأمريكية الشرقية، والجمعية
الأمريكية للنباتات الطبية والعقاقير،
وعضو الاتحاد الدولى للصيدلة،

والجمعية الأوروبية للنباتات الطبية..
والجمعية الصيدلية المصرية والشعبة
القومية للكيمياء البحتة والتطبيقية
بأكاديمية البحث العلمي.

- وهذا جزء يسير من الهيئات التي ينتمي إليها ويوجه نشاطه إليها، هذا فضلاً عن أنه كان عميداً لكلية الصيدلة بجامعة القاهرة، ورئيساً لجامعة المنصورة، وأميناً عاماً للمجلس الأعلى للجامعات، ووكيلاً لمجلس الشورى. وقد اتسمت حياته العلمية التي امتدت أكثر من خمسين عاماً بالخصوبة والنماء والإنتاج العلمي الغزير والخبرة الواسعة، مما هيا له الريادة في مجال تخصصه وأسبغ عليه مكانة علمية بارزة على الصعيدين القومي والعالمي.

- هذا هو الزميل الذي نستقبله اليوم عضواً بمجمع الخالدين، وكنت أرجو أن

يكون بينا اليوم لولا ما أصابه من علة مفاجئة اضطرته إلى السفر إلى أمريكا لإجراء عملية عاجلة، ندعو الله له بالصحة والسلامة.

- وإني على يقين أنه بعلمه وخبرته سيكون خير عون للمجمع ليمضي بقيادته الحكيمة وعلمائه الأعلام في مسيرته وجهوده الرائدة نحو إعلاء شأن اللغة العربية والحفاظ عليها ودفعها إلى آفاق رحبة من التطور والتجديد لتواكب ذلك الإيقاع السريع الذي نشهده اليوم في ثورة المعلومات وثورة الاتصالات، وما قد يأتي به الغد من فيض غزير من التقدم العلمي والارتقاء التكنولوجي.

وشكراً والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته.

محمود حافظ

نائب رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع

في حفل استقباله عضواً عاملاً بالجمع

ألقاها الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عضو الجمع

يشرفني أن أنوب عن الأستاذ الكريم شفيق بلبع في إلقاء كلمته التي أعدها قبل سفره إلى العلاج داعياً ، وداعين كلنا له بالعودة بتمام الصحة ومكتمل العافية إن شاء الله .

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف

رئيس مجمع اللغة العربية ،

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتي سادتي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

في هذا المقام، وأمام هذا الجمع الموقر من الجهابذة العظام أرباب البلاغة والإبداع ، وقادة الفكر وأساطين العلم والأدب والبيان، وأفذاذ المعارف ، يسعدني أن أبدأ بإسجاء الشكر العميق لكم جميعاً على ما أوليتموني من ثقة وما أسبغتموه على من فضل بانتخابي عضواً بمجمعكم العظيم إذ تفضلتم فحبوتموني بهذا الشرف، الذي لم أكن لأتطلع إليه، أو يصبو إليه مثلي ، ولكن سماحتكم كانت فوق ما أتصوره،

ولا شك في أن أهم ما تفعم النفس به من مشاعر في مثل هذا الموقف إنما هو الشعور بالاعتزاز بالانتساب إلى مجمعكم الموقر الذي يسجل له الزم كل يوم من الخدمات في سبيل إعلاء لغة القرآن وإبراز طاقاتها الخلاقة، والذود عنها بمفتريات أعدائها الكثيرين ما يجعل الانتساب إليه شرفاً لا يدانيه شرف وأمنية يحلم بها أعلام العلماء والأدباء ، وإني أعلم جيداً أن اختياركم هذا تكليف قبل أن يكون تشريفاً ، ويسعدني في هذه المناسبة أن أسجل شكري الجزيل وعظيم امتناني للصديقين الكريمين الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع ، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد الفتاح عضو الجمع لتفضلهما بترشيحي لعضويته .

وإني إذ أعتر بهذا الشرف الذي أوليتموني إياه ، ليشاركني في ذلك رملائي من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ؛ ليروا أن في ذلك تقديراً للدور الخطير

الذي تلعبه العلوم الطبيعية في عصرنا الحاضر، ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضًا تقدير لمظلة بلادنا العربية في أمس الحاجة إليه من نشر الوعي بالعلم بين شعوبها، وتعريب التعليم العلمي في جميع مراحله، وهذه هي الأمور التي يزداد الإحساس بها، والحاجة إليها يومًا بعد يوم ، والتي يتطلب منا جهودًا مضاعفة للحاق بالتقدم المدهل الذي تحرزه العلوم في كل لحظة من سائر بقاع العالم ، وليكون أقوى عدة وأكمل عتادًا بما يجاهنا وسيجاهنا من مشكلات.

وما لاشك فيه أن هناك ميادين مشتركة بين عمل مجتمعكم الموقر وعمل المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية والتطبيقية فإن المعرفة في المجالات الطبيعية لا تصبح علمًا إلا إذا خضعت للوصف المدقق والتعبير السليم والقياس المحكم، وهل بدون الكلمة الصحيحة المختارة يمكن أن تسجل معرفة ما أو أن تنقل من شخص إلى آخر أو من جيل إلى ما بعده من أجيال ، لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون كل الحرص على وزن اللفظ بأحكام الموازين لتطابق المعنى

المنشود وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ، فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شيء واحد، فلا تلتبس المعاني، ولا تستداخل المفاهيم ، فاللغة هي وعاء كل فكر، ومفتاح كل قول، ويقوم بمجمعكم الموقر بتجديد شباب اللغة العربية وإحياء ما اندثر منها، أو من قبع بين صفوف المؤلفات والمراجع، أما ما أخفاه الزمن، والحاجة إليه ماسة، أو ما تردده الألسنة الآن ويحتاج إلى تصويب ، أو ما يهتدى إليه العلم من مصطلحات جديدة.

ووسائل العلم الموروثة تفيد بإرجاع هذه المصطلحات إلى قواعد اللغة، أو إيجاد وسائل أخرى لاحتضانها، وضمها إلى ثروتها، وهذا أيضًا هو سبيلكم في عملكم الذي يسعدني أن نسير معكم فيه على هديكم ، ومجمعكم ليس فقط للغويين والنحاة ، بل هو أيضًا مجمع الموسوعيين والثقات، جمع فأوعى فلا يعرف الفجوات ، ولست في حاجة إلى القول: إني لست متفقهًا في اللغة ولا مالكاً لناصيتها ، ولكني أراكم وقد بلغت الأوج في اللغة والقمة وبياتها وبديعها ،

وفي ذلك ظلم للراحل الكريم، ولقد كنت أؤثر أن يحمل عبء هذا من هو أبلغ مي لسائنا، وأقدر بيانا ليفي ذلك العالم الجليل حقه، وإني لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل وأبكى فيها أخلاقه القويمة، وعلمه الغزير، وفضله الوفير، وأتجه إلى الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه بما عمل الجزاء الأوفى.

ولد الأستاذ الدكتور حامد جوهر في الرابع عشر من نوفمبر سنة سبع وتسعمئة وألف بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية، وحفظ جانباً من القرآن الكريم، والتحق بالمدرسة الثانوية الملكية، وتلمذ على الأستاذ عبد الله عفيفي، فتأثر به في حب اللغة العربية، وبخاصة الشعر الذي حفظ منه الكثير، إنه من الجيل الذي تلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب في العصر الحديث، شوقي وحافظ ومطران والمنفلوطي والعقاد والزيات وطه حسين وأحمد أمين، إنه الجيل الذي كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكري والشعري

وغصتم في أعماق تاريخها، والمتمم بكل أبعادها، وأضفتم علومًا متعددة متنوعة، وتخصصات جديدة، وفي ذلك إثراء للغتنا الجميلة وإثبات لقدرتها على مجارات التقدم السريع فاللغة كائن حي يتطور وينمو ويتسع فيضم فيما يضم هذه المصطلحات الجديدة ويخضعها لأساليب اللغة العربية، لغة المجمع.

لقد حافظت اللغة العربية على قواعدها ونظامها أكثر من ستة عشر قرنًا من الزمان، وهي لغة علم وفن لا تضيق بالمصطلحات الحديثة، لأن القرآن الكريم قد جاء حافظًا لها من الاندثار أو التخلف أو الاختفاء كما اختفى غيرها من اللغات أو غاب عن التداول أو توارى، وإن النظرة العلمية غير المتحيزة تعترف لما للغة العرب من تفوق.

سادتي أعضاء المجمع الموقرين:

لقد شئت أن أشغل الكرسي الذي كان يشغله المغفور له بإذن الله الأستاذ الجليل حامد جوهر، ومن تقاليد مجمعكم الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن حياة سلفه الذي دعى لخلافته ويعرف بآثاره وإنجازاته.

والأدبي ما استطاع إلى ذلك سبيلا .
تخرج الدكتور حامد جوهر في كلية العلوم بمرتبة الشرف الأولى ضمن أول دفعة في سنة تسع وعشرين، وتسعمئة وألف وعمل معيدا بها لتفوقه ، واحتاره أستاذه لبحث في فسيولوجيا الحيوان فحصل على درجة الماجستير في هذا الفرع من العلم بعد عامين من تخرجه ، ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر في محطة الأحياء البحرية في الغردقة حتى شغفه حباً، ولاعبارات علمية ووطنية أثر الدكتور جوهر المقام على شطآنه ليعمل مساعداً للرئيس الأجنبي وقد لاحظ أن العينات البحرية الثمينة من كائناته ورخوياته ومرجانياته يبعث بها إلى المتاحف الأجنبية، فأثر النية زهر شبابه أن يكون حارساً أميناً على ثرواتها العلمية من البحر، وكأنما فتنته عرائسه، فاتخذ من البحث العلمي في كائناته وأسماكه ربيعة ليبقى بجوارها متبتلاً في محراها خبيراً عالماً من خبراء البحر المرموقين ، وكان هو صاحب الرأي القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار، قبل أن نحاول عصر الفضاء

، وأن أعالي البحار حق مشاع للجميع فما لنا نتطلع للفضاء الواسع العريض قبل أن نرتاد البحار ، ونغوص في أعماقها ونستخرج ما فيها من كنوز ونستفيد بما فيها من ثروات .

إن ثلاثة أحماس سطح الكرة الأرضية إنما هي محار ومحيطات ، بها من الكوز المعدنية والغدائية والبروتينية ما يكفي مئات الملايين من البشر غذاء وكساء وصناعة إن نفقات البحوث البحرية محدودة وعائدها مضمون أما نفقات بحوث الفضاء فباهظة وعائدها غير مضمون.

وكذلك تابع الدكتور جوهر البحث العلمي المنظم في كائنات البحر الأحمر حتى حصل على درجة الدكتوراه في العلوم D.SC. في هذا الفرع من المعرفة ولعله أول من حصل على هذه الدرجة العلمية الرفيعة من خريجي الجامعة في مصر، فهو أول مصري في العصر الحديث يشتغل بعلوم البحار على البحر الأحمر، وقد أمضى زهرة شبابه بل وفي كهولته، وكرس حياته على مدى أربعين عاماً

باحثًا ودارسًا للبحر حتى عدا خبيرًا عالميًا مرموقًا من خبرائه، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة في أرق المجالات العلمية العالمية، وقام بقيادة البحث العلمي البحري في الوطن العربي في القرن العشرين.

لقد بقى الأستاذ جوهر في صومعته فكان طلابه ومريدوه يحجون إليه ويتلمذون عليه ردحًا طويلا أو قصيرا إلا أنهم لا يلبسون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة، وهو قائم بالبحر لا يبرح ولا يلين، ويبقى في مهجره الذي ارتضاه لنفسه طائعا مختارا، وقد كرس حياته لدراسة علوم البحار، ويكون مدرسة من الباحثين، وينشئ جيلا يستطيع الاطلاع بشئ نواحي البحث في البحار المصرية ويستطيع بفهمه الأكاديمي حل المشاكل المختلفة الخاصة باستغلال هذه الثروة المائية لهذه البحار استغلالا حسنا على أنه وجه جائبا من اهتماماته إلى أحياء المياه العذبة، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك النيل، ذات القيمة الاقتصادية وتمتاز

دراساته وبحوثه بأنها متكاملة لا ينتقل من بحث إلى آخر إلا بعد أن يحيط بجوانبه المختلفة. ولقد أنشأ متحفاً بحرياً رائعاً به مجموعات تحتوي على الغالبية العظمى من حيوانات البحر الأحمر ونباتاته بحيث تعبر عن دراسة هذا البحر، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب المراجع الأساسية لدراسة البحر الأحمر، تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد العلمية البحرية العالمية، كما نهض بمحطة الأحياء البحرية بالغرقة حتى غدت معهداً له مكاته الدولية، يقد إليه للدراسة العلماء والطلاب من كل أرجاء العالم، كذلك أنشأ معهد أحياء البحر الأحمر، كما أنشأ الكثير من معاهد البحث المائية التي تزود بمياه البحر الجاري، وقد قام الدكتور حامد جوهر بنشر بحوث محطة الأحياء البحرية وأشرف على طبعتها، وتبادلها مع ما يزيد على ثلاثمائة من المعاهد العالمية المناظرة في الخارج، وظل يشرف على نشرها بانتظام ما يزيد على ربع قرن من الزمان.

وقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية، ولعل من مظاهر

علمية كثيرة، وقد انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية في المكان الذي حلا بوفاة المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي سنة ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف.

وقد كسب ببحوثه وجهوده شهرة عالمية ، فدعى للاشتراك في المؤتمرات الدولية في علم الحيوان، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية، وأسهم فيها ببحوث مبتكرة وقام بزيارة عدد من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار ، وقد حصل على جائزة الدولة في العلوم سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة وألف وعلى جائزة الدولة التقديرية للعلوم سنة ثلاث وسبعين وتسعمئة وألف.

وكان للدكتور جوهري برنامج تليفزيوني متخصص في عالم البحار يتطلع إليه المشاهدون المثقفون وطلاب المعرفة.

والآن أرجو أن تأذنوا بكلمة أتوجه بها إلى الأخ الفاضل الصديق العزيز الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع، وقد تفضل بتقديم الحضراتكم بالشكر الجزيل خالصاً عاطفياً . وإني لم أوت من البلاغة بعض ما أوتي ولم أتمكن من الرد

تقديره العلمي بالخارج ، وفي الوطن العربي ، أن دعت جامعة كمبودج لمتابعة بحوثه التي بدأها في الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر وللمصريين واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين وتسعمئة وألف مستشاراً للسكرتير العام في علم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، وكذلك قد أبرمت معه الوكالة البريطانية للطاقة الذرية عقوداً لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذري لماء البحر لاستعمال الأحياء البحرية كما اختارته أيضاً منظمة الأغذية والزراعة لهيئة الأمم المتحدة عضواً بلجنتها الاستشارية.

وقد رأس الدكتور حامد جوهري جمعية علم الحيوان بمصر منذ إنشائها سنة ثمان وخمسين وتسعمئة وألف ، كما أنه رأس الجمعية المصرية لعلوم البحار، وهو زميل بالأكاديمية المصرية للعلوم مند سنة ثمان وأربعين وتسعمئة وألف ، وعضو بالاتحاد العلمي المصري، والمجمع العلمي للثقافة العلمية، وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند وعضو بلجان ومجالس

الله تعالى أن يجعلني أهلاً لثقتكم الغالية،
وأن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير أمتنا ،
ولغة القرآن الكريم، وأن يهدينا سواء
السيبيل، حفظكم الله ونفع بكم وأدام
بجمعكم قلعة للفكر ومناراً للمعرفة ،
وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

شفيق إبراهيم بلبع

عضو المجمع

عليه بمثل ما قال ، وإنما يحق لي أن أعتز
كل الاعتزاز بهذا العالم الجليل ومكانته
العلمية البارزة ورسوخ قدمه في اللغة
العربية.

وأخيراً أكرر لكم جميعاً شكري
الجزيل، وعرفاناً بعظيم جميلكم، وأدعو

كلمة للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع

والآن نحن مع استقبال العضو الثاني اليوم وهو الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي الطبيب المعروف والأستاذ العلامة الذي يقود دراسة علوم النفس والعلوم العصبية في جامعة عين شمس منذ سنة ثمان وخمسين، فله فضل كبير في هذه الجامعة، أولاً لأنه خرج منها مجموعة كبيرة من الشباب العلمي حوالي اثنين وعشرين طالباً حصلوا على درجة الماجستير، وسبعة عشر طالباً حصلوا على درجة الدكتوراه، فهو قد وفّى حقوق الأستاذية في الجامعة من جهة إشرافه على الطلاب وتخرجهم علمياً. وهو أيضاً وفّى علوم النفس حقها، كما وفّى العلوم العصبية أيضاً حقها. وله دراسات وكتب كثيرة، وأيضاً له ترجمات في هذه العلوم، وهو يحتل مكانة علمية كبيرة في مصر والبلاد العربية، فهو رئيس الجمعية المصرية للأمراض العصبية والنفسية، وهو رئيس المجمع المصري للثقافة العلمية، ورئيس

اتحاد أطباء الأمراض النفسية والعصبية في مصر والعالم العربي. فهو شخصية جلية جداً، والمجمع اصطفاه منذ سنة ثمان وسبعين ليكون خبيراً في لجنة الطب، وهو يقدم إليها سنوياً ما لا يحصى من المصطلحات الطبية وترجمتها وتعريفاتها تعريفات علمية قيمة، وقد حضرت معه ندوة في تونس، حملنا إليها الجزء الأول من أجزاء معجم الطب، وهناك دافع دفاعاً صارماً عن وجوب تعريب الطب إلى اللغة العربية، واستطاع أن يأخذ من الندوة اعترافاً بأن معجم المجمع اللغوي الطبي في المجمع وجامعة عين شمس وخارجهما، بما يؤلف من كتب وأبحاث علمية، ونحن اليوم نهنئ المجمع بهذين العلمين الجليلين ونرجو للمجمع أن يتنفع بعلمهما انتفاعاً عظيماً.

ويتفضل الآن الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم بإلقاء كلمته في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي.

كلمة الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي عضوًا عاملاً بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفني المجمع مشكوراً بالقيام بمهمة استقبال الأستاذ الدكتور عماد فضلي وقد سرني هذا كثيراً ، وأول ما سرني أني وجدت أني أكبر منه سنًا بكثير، فقد ولد الدكتور فضلي في القاهرة في أول يوليو عام ١٩٣٠م بينما كانت ولادتي في التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٤م ، فقد كنت بالنسبة إليه - كما يدعونني أحياناً - (أبيه) ، ولكنني لم أقل له إلا يا دكتور عماد، غير أني كنت في بعض الأحيان أقول له: يا عماد، بالرغم من أنني -خلال العشرين سنة - عرفت أنه أكبر مني علمًا وأدبًا، وكان الأولى به أن يكون هو رئيسي في القسم كي يقدمني للالتحاق بالمجمع.

في ذات مرة ألفت قصيدة طويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في حوالي مئة وخمسة عشر بيتًا ، وأعطيت الدكتور عماد القصيدة فقال إنها جميلة ثم فاجأني بقوله سألحنها إن شاء الله، وعرفت في هذه اللحظة أنه موسيقى يجيد العزف على العود، فقلت له إني أحب نغمة (الفردان) في تلحين القصائد فوافقني وبعد مدة طويلة سألته عن القصيدة فقال إنها تكون أحسن في نغمة (الرسط) فقلت له توكل على الله ولكن يبدو أن القصيدة لم تنفع حتى الآن في أحد من هذين اللحين ، كان هذا منذ خمس عشرة سنة تقريباً.

والأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي الآن أستاذ غير متفرغ في الأمراض العصبية والنفسية في كلية طب جامعة عين شمس.

المؤهلات : بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٤م، وكان أول التوجيهية في سنة ١٩٤٧م، وقد نال دبلوم الأمراض العصبية والنفسية من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٧م.

المناصب التي تولاها : عضوية كلية الأطباء الأمريكية تخصص أمراض عصبية، معيد ، فمدرس ، فاستاذ مساعد في الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب في جامعة عين شمس من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٩١ م ، ثم أستاذ متفرغ بها .

وهو رئيس الجمعية العصبية المصرية للأمراض العصبية والنفسية وجراحة الأعصاب، وهو رئيس المجمع المصري للثقافة العلمية، ورئيس الاتحاد العربي للأمراض العصبية، ثم أصبح رئيساً شرفياً لهذا الاتحاد الآن، وهو مقرر لجنة التربية وعلم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة ، وهو عضو لجنة الآداب والفنون بمجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون ، ورئيس تنظيم الندوات التربوية للمعلم الجامعي بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٧٦ م حتى اليوم، وهو المشرف على إنشاء قسم الأمراض العصبية والنفسية بجامعة الأزهر، وهو عضو اللجنة المشرفة على إنشاء كلية الطب بجامعة قناة السويس ، ثم صار عضواً بمجلس إدارة تلك الكلية لمدة أربع سنوات ، ثم الإشراف على إنشاء قسم

التخاطب بكلية طب عين شمس، ثم إنشاء قسم المسنين في كلية طب عين شمس، ثم صار عضواً بانتظام في المؤتمر الطبي السنوي بكلية الطب جامعة عين شمس، ورئيس مؤتمره الخامس.

أشرف على اثنتين وعشرين رسالة للماجستير ، وسبع عشرة رسالة للدكتوراه بكلية طب عين شمس، كما أشرف على رسائل أخرى للماجستير والدكتوراه في جامعات عين شمس والقاهرة والأزهر، والمنصورة ، وأسيوط، والزقازيق.

أعماله الخاصة بمجمع اللغة العربية:

عمل خبيراً في المصطلحات الطبية منذ عام ١٩٩٠ م ، شارك في الأجزاء الثلاثة الأولى من معجم المصطلحات الطبية التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والجزء الرابع والخامس في طريقتيها للإصدار ، عضو وفد مجمع اللغة العربية القاهري في اجتماع اتحاد الجامعات العربية في تونس سنة ١٩٩٣ م في موضوع الأسس الفلسفية لتعريب الطب، وهو يشارك الآن في نشاط المعجم الكبير .

محمد عماد فضلي رجل علم كما أنه
رجل دين، وهو حسن الصورة، جم
الأدب، واسع الاطلاع، مقنع في كلامه
عن علم، وأظن أن هذا اليوم هو يوم
مشهود للمجمع. والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

حسن علي إبراهيم
عضو المجمع

كتبه بالعربية : أسرار الطب النفسي،
الأمراض العصبية ، كتاب الأهرام.
كتبه بالإنجليزية : الجسم والعقل .
له عدة مقالات نشرت في مجلة العلوم
بالكويت ، وله مقالات أخرى نشرت في
الدوريات الأوربية.

وأخيراً أعترف أن الأستاذ الدكتور

كلمة الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي في حفل استقباله عضواً بالجمع

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله
وأصحابه أجمعين.

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، رئيس
بجمع اللغة العربية
الأساتذة الأجلاء أعضاء الجمع.
أيها السادة والسيدات.

منذ عشرين عاماً تلقيت دعوة من
بجمعكم الموقر لأنضم إلى لجنة
المصطلحات الطبية خبيراً، ومنذ ذلك
الوقت بدأت علاقتي المباشرة بالأستاذ
الدكتور أبي شادي الروبي بعد أن كنت
قد سمعت عنه الكثير من طيب الذكر.

وكان مقرر اللجنة حينئذ الأستاذ
الدكتور أحمد عمار. أستاذي بكلية طب
عين شمس، وكانت اللجنة تضم الأساتذة
الدكتور حسن إبراهيم والدكتور مهدي
علام والدكتور محمد داود التنير وكانت
المناقشات التي تدور في اللجنة غاية في
إثراء المعرفة الأدبية والطبية، بحيث

اقترحت يوماً على أستاذنا الدكتور
إبراهيم مذكور رئيس الجمع حينئذ أن
تُسَجَّل هذه المناقشات صوتياً لما لها من
قيمة فكرية قل أن تتوافر في ظروف
أخرى، وزاد من قيمة هذه المناقشات ما
كان يضيفه زائرو اللجنة الأفاضل مثل
الشيخ محمود شاكر الذي كان يطيب له
أن يشاركنا جلساتنا فيضيف إليها دُرراً
من علمه العميق وذوقه اللغوي النادر،
كما كان يزورنا-من آن لآخر-الأستاذ
الدكتور عبد الحافظ حلمي والأستاذ
الدكتور مجدي وهبة فننعم بإضافات قيمة
منهما.

في هذا الجمع الممتع والمثير للتفكير
استمر لقائي بالأستاذ الدكتور أبي شادي
الروبي أسبوعاً بعد آخر فإذا بي أشعر بعد
وقت قصير أنه أصبح قريباً مني جداً فكرياً
وإنسانياً مما انعكس على إنتاج لجنتنا من
المصطلحات الطبية كمّاً وكيفاً، وهما راح
يلح عليّ سؤال بقوة: كيف تلاقى

اليوم، فذكرني هذا بما مارسه وأنا طالب بكلية الطب من إعداد تحقيقات صحفية مصورة نشرت في مجلة كانت تصدر في الأربعينيات إلا أنني توقفت عن ذلك بعد سنتين.

كما اهتم الأستاذ الدكتور الروبي بالموسيقا ودرس العزف على آلة الكمان في معهد متخصص هو معهد "شولتز" فإذا بي أنا أيضا قد التحقت بهذا المعهد بالذات لدراسة آلة البيانو، وقد استمر اهتمام الدكتور الروبي بالموسيقا طيلة حياته، بحيث انضم إلى لجنة مصطلحات الموسيقا وألفاظ الحضارة بالجمع، وكنت قد درست موسيقانا الشرقية والعزف على آلة القانون، وبهذا كان اهتمامنا المشترك بالموسيقا يجمعنا بين حين وآخر بدار الأوبرا، أما حين نناقش شيئا عن موسيقانا الشرقية فقد نختلف شيئا ما إلا أن هذا الاختلاف علمني كيف أحافظ على الصداقة والود حتى مع من أختلف معه.

وقد درس الدكتور الروبي طبعا في كلية طب قصر العيني ودرست أنا نفس الدراسة بكلية طب عين شمس، إلا أن

أفكارنا واهتماماتنا بهذه السرعة، علما بأن الدكتور الروبي كان ذا ذوق مرهف وعقل مدقق بحيث لا يرضيه من الفكر والعلم إلا ما بلغ المستوى الأعلى؟ إلا أنني توصلت إلى إجابة هذا السؤال عندما عَرَفْتُ معالم التكوين الفكري والعلمي للأستاذ الدكتور الروبي يوم قدمه الأستاذان الدكتور حسن إبراهيم والدكتور محمود حافظ يوم انتخابه عضوا بالجمع؛ إذ عَرَفْتُ أن اهتمامه باللغة العربية كان قد بدأ مبكرا وهو يعد في دراسته الثانوية عندما تقدم لامتحان المسابقة في مادة اللغة العربية فنجح فيه بعد أن امتحنه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين مع شاعر العروبة الأستاذ علي الجارم، وتذكرت أنني كنت قد تقدمت لمثل هذه المسابقة ودرست ديوان حافظ إبراهيم تمهيدا لاجتياز امتحانها إلا أن ظروفًا أبعدتني عنها إلى مسابقة مادة الأحياء.

ثم علمت أن الدكتور الروبي أحب الصحافة وكادت هوايته هذه أن تبعده عن ممارسة الطب ليصبح محررا في أخبار

الدكتور الروبي كان قد سبق هذه الدراسة الطبية بدراسة بكالوريوس العلوم فازداد تفقها في الفكر العلمي.

واهتم الدكتور الروبي بتاريخ الطب وعلمه لطلبة الطب، واهتمت أنا أيضا بهذا التاريخ وعلمته باللغة العربية لطلبة عين شمس، وذلك قبل أن ألتقي بالدكتور الروبي، إلا أنه كان سباقا في هذا الاهتمام وألف فيه عدة كتيبات، وأعد في مادته عدة مقالات امتازت بعمق التفكير والحيدة في تناول التاريخ وقد قدمها في مؤتمرات بمجمعنا السنوية وفصل فيها الخصائص المميزة لتاريخ الطب العربي، وكيف أنه استوعب العلم الطبي القديم ثم أضاف إليه وضوحا في الممارسات الإكلينيكية، كما أدخل المنهج التحريبي الذي كان إرهابا للنهضة الطبية الأوروبية فيما بعد، وكان الدكتور الروبي كثيرا ما يمدني بمؤلفات حديثة وقِيمة في تاريخ الطب، كان يعود بها من المؤتمرات الطبية العالمية العديدة التي كان يحرص على ألا يفوته واحد منها خصوصا في مجال تخصصه الدقيق، وهو طب المناطق الحارة

وأمرض الكبد ثم النظائر المشعة ومناظير الألياف الضوئية.

لا جرم أن كل هذه النقاط المشتركة بين الدكتور الروبي وبيبي قد قربت بيننا فكريا وإنسانيا في وقت قصير وجعلت عملنا المشترك ممتعا ودقيقا وعزيرا.

إلا أن الدكتور الروبي كان موسوعي الثقافة شديد الدقة في تفكيره، فكان لزاما أن يهتم بفلسفة العلم، فكان له في هذا المجال جولات متعمقة نَعَزَّ على من لا يجمع مثله بين التفكير الفلسفي والتطبيق العلمي في مجال الطب، ولهذا كنت ألبأ إليه كثيرا ليحاضر الدارسين في دورات إعداد المدرس الجامعي في جامعة عين شمس، وكانت هذه المحاضرات تلقى تقديرًا واهتماما فائقا من الدارسين ومن أساتذة الجامعة معًا، فكنا نطبعها ونوزعها عليهم استكمالاً للفائدة.

ثم كان أن ضمنا وفد بمجمعنا المصري إلى ندوة اتحاد الجامع بتونس، وهنا برز وفدنا وتميز سواء بأستاذية الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الوفد الذي تلقاه طلبته التونسيون بتقدير وحب

فترة عابرة تغيرت فيها الدورة الدموية بالمخ فتأثرت وظيفة اللغة عنده تأثراً طفيفاً إلا أن هذه التجربة زادتني تقديراً لما كان يتميز به الدكتور الروبي من قدرة فكرية ونفسية، فقد أمتعني وقتها الدكتور الروبي بوصفه الدقيق لتفاصيل مراحل الشفاء التي مر بها مرحلة بعد أخرى حتى تم شفاؤه، ومثل هذه التجربة لا يقدر عليها إلا من كان ذا بصيرة وذكاء لّاح، بحيث يستطيع أن ينسلخ من ذاته ليتابع تجربته في دقة وحيدة، وهي تجربة تُذكر أحياناً في كتب الطب على أنها أمثلة نادرة لا تُروى إلا عن عظماء الأطباء الذين قد تمر بهم مثل هذه الحالة، ونادرٌ ما هم.

ولكل هذا كان الدكتور الروبي رحمه الله أخاً قريباً جداً إلى نفسي وإلى كل أعضاء لجنّتنا في الجمع؛ وكان الأخ الأكبر والأكثر حكمة ورسوخاً في العلم، ولا أنسى أبداً الأيام التي كنا نعرض فيها مصطلحاتنا على مجلس الجمع، ففي تلك الأيام يبكر في الحضور لنراجع معاً تلك المصطلحات، فإذا به يتبين كثيراً من النقاط التي غابت عني بما في ذلك أخطاء

نادرين، أو بدقة الدكتور الروبي ورأيه مما جعل هذه الندوة تتبنى كل ما اقترحه وفدنا من قواعد الترجمة والتعريب في المصطلحات الطبية. كما زاد اقترابي الفكري من الدكتور الروبي بعدما تعايشنا لمدة أسبوع.

ثم ضمتنا اللجنة الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، ولما عرفت أسماء الأساتذة الذين ضمتهم هذه اللجنة، توحشت من العمل فيها؛ خوفاً لما تميز به كل هؤلاء الأعضاء من الدقة والتمسك بأعلى المستويات في العلم واللغة والتفكير، فإذا بهذه اللجنة تبرهن عملياً على أن الموضوعية والبعد عن الهوى والتمسك بالحق كفيلة بتيسير العمل في مثل هذه اللجان، وكم كنت أبتهج بما يديه الدكتور الروبي من فرح واهتمام بأية معلومات جديدة يأتي بها المتقدمون للترقية فيناقشهم فيها مناقشة من يزداد فهماً وأن يتعمق في العلم، ولو كان من يناقشه من تلاميذ تلاميذه.

وهناك تجربة فريدة مرّت بها علاقتي بأستاذنا الدكتور الروبي، فقد مرت به

الهجاء أو علامات الترقيم وغير ذلك، الأمر الذي يدل على مدى دقته وإحساسه بالمسؤولية العلمية، ثم هو يصير على استصحاب القاموس الأجنبي معنا في قاعة المجلس، ثم هو يتقبل تعليقات المجلس برضا ورغبة أكيدة في الوصول إلى أكمل المصطلحات.

هذا وقد تبوأ الدكتور أبو شادي الروي الكثير من المراكز العلمية والطبية المميزة، فكان عضواً بالجمعية المصرية لتاريخ الطب، وعضواً بمجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمي، وعضواً في اللجنة العليا للأدوية ومستشاراً التحرير للمجلة الدولية للطب، وكان نائباً لرئيس

المجمع المصري للثقافة العلمية.

كما حصل الدكتور الروي على العديد من الجوائز العلمية، بدأها مبكراً بجائزة في اللغة الإنجليزية، وهو بعد يدرس لشهادة الثقافة، ثم نال جائزة الجمعية المصرية للجهاز الهضمي، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، ثم توج كل هذا بجائزة الدولة التقديرية الطبية عام ١٩٩١م. إن الدكتور الروي كان مثلاً يحتذى في علمه وفكره وفي دماثة خلقه وتواضعه وعفة لسانه، رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا عنه خيراً وجزاه أحسن الجزاء، والله لا يضيع أجر المحسنين..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

محمد عماد فضلى

عضو المجمع



- في الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الاثنين ٢١ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ
الموافق ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م، عقد
المجمع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة من
أعضائه الجدد هم :
- الأستاذ الدكتور شفيق بليغ .
- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .
- السيد الأستاذ فاروق شوشة
وقد ألقى كلمة المجمع في استقبالهم
الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام
للمجمع.
- وفيما يلي نص الكلمات التي أُلقيت
في هذه الجلسة :

كلمة الأستاذ إبراهيم التريزي الأمين العام للمجمع

في استقبال الأعضاء الثلاثة الجدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع :

الأساتذة الزملاء الأجلاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد

فقد حظي بمجمعنا - في انتخابه الأخير -

بصفوة من الأعلام، يختلفون في تخصصاتهم

اللغوية، والأدبية، والعلمية.. ولكنه

اختلاف يؤول إلى ائتلاف، يدعم التكامل

المطلوب للعمل الجمعي، الذي تتنوع

مشاريعه، وتمتد إلى كل مجالات اللغة،

والأدب والعلم، فترفد لجائنا الجمعية، التي

تبلغ خمساً وعشرين لجنة، تتطلع إلى

العطاء الجمعي، لهذه الصفوة الطيبة

المباركة !

ويسعدني، ويشرفني، أن أستقبل

اليوم ثلاثة من هؤلاء الزملاء الأعزاء

الأجلاء : الأستاذ الدكتور أحمد مختار

عمر، والأستاذ الدكتور أحمد علم الدين

الجندي، والأستاذ فاروق شوشة .

وإذا كان هؤلاء الزملاء تجمعهم

وشيجة الفصحى، فقد رأيت - وأنا أتابع

سيرهم - وشيجة أخرى تجمعهم .. حيث

نشأ كل منهم في كنف رعاية أبوية

حكيمة، نشأتهم على حب العربية: لغتها،

وآدابها بخاصة، وثقافتها، وقيمها الأصيلة

بعامة.. وقد ظلت هذه الرعاية الأبوية

الحكيمة تحتضن ملكات هؤلاء الزملاء

حتى أفرخت نبوغاً ناهماً في اللغة،

والأدب.

الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر

فأول الزملاء الثلاثة- الدكتور أحمد مختار

عمر- كان والده من رجال التربية

والتعليم، الذين لا يتوقف نشاطهم

التعليمي والعلمي عند حدود العمل

الوظيفي؛ فقد كان طلعة يحول هنا وهناك

في مجالات اللغة والأدب، ويتابع ما

تنشره المجالات الثقافية، والجرائد السيارة،

متابعة القيور الجسور، الذي يُراقب

ويُحاسب، وكثيراً ما كان يُطالعنا

بتعليقاته، التي تُمسك بتلابيب أي خطأ

أو تجاوز فيما يُنشر في هذه المجلات
والجرائد!

ولقد ورث ذلك عنه ولده أحمد ،
فصار عادة له ، بل طبعاً فيه .. ولعلكم
قرأتم في الأشهر القريبة الماضية ما نشرته
بعضُ صحفنا اليومية من تعليقاته العاضبة
على ما يشيع من أخطاء لغوية في
الصحف، والإذاعتين : المسموعة والمرئية،
والمحافل الثقافية والسياسية .

ذلك أثرٌ من آثار هذه النشأة التي
ورثَ فيها أحمد الكثير عن والده، من
دأبٍ على العمل وحرصٍ على الدقة ،
وتحرُّرٍ للسداد ، وغيره على الفصحى
تجعله في تغيُّظ دائم على ما يستشري فيها
من أخطاء لغوية، أو نحوية، فإذا هو لا
يكفُّ عن تصديهِ لها، مُتَحَفِّزاً لمتابعتها،
مُتَوَحِّزاً لمحاسبتها، حيث ينهال بمطرقة
اللغوية على هذه الأخطاء الشائعة، فيدقُّ
أعناقها، ويدوِّدها عن حمى العربية
الشريفة!

وكم نَعْجَبُ لأحمد، ونَسْأَلُ:

كيف يجد وفرة من الوقت يُتابع فيها
ما تنشره الصحف، وما يُقال في

الإذاعتين: المسموعة والمرئية، وفي الندوات
والمؤتمرات دون أن يشغله ذلك كله عن

الدرس الجامعي، والبحث والتأليف؟
ولكنَّ أحمد هكذا خلق .. عشق
اللغة العربية ، فصنعتة على عَيْنِها،
وأخلصته لها، فلم تدع لسواها في نفسه
مكائناً، ومكانة.. وأخلص أحمد لها ، فلم
يدع لسواها في حياته شاغلاً يشغله،
فوقف عليها كل ملكاته، وطاقاته، وليله،
ونهاره، فصار يحيا بها ، ولها، هي الوسيلة
والغاية، والأنفاس التي بها قوام حياته .

ذلكم هو الدكتور أحمد مختار عمر
الذي وُلِدَ في السابع عشر من مارس عام
ثلاثة وثلاثين ، وحصل على الليسانس
الممتازة من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة
عام ثمانية وخمسين ، وعلى درجة
الماحستير منها في علم اللغة، ثم سافر إلى
إنجلترا حيث حصل على درجة الدكتوراه
في علم اللغة من جامعة كامبردج، وتدرج
في سُلَّم التدريس الجامعي من معيد إلى
أستاذ ، في كلية دار العلوم، وأخير خلال
ذلك إلى كلية التربية بطنابلس في ليبيا،
وكلية الآداب بجامعة الكويت، ثم عيِّن

وكيلا لكلية دار العلوم، حتى أُحيل إلى المعاش، فعُيِّن أستاذًا متفرغًا بها.

وقد حصل على جائزة التفوق العلمي من المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط عام اثنين وسبعين، وعلى جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تحقيق النصوص عام تسعة وسبعين، وعلى وسام صدام وحائزته في الدراسات اللغوية عام تسعة وثمانين .

وقد اختير مقررًا للجنة المعجم العربي الحديث - بالصندوق العربي للإثراء الاقتصادي، ومستشارًا للعديد من الأعمال والمؤسسات المحلية والعربية، منها: لجنة مدخل قاموس القرآن الكريم ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ولجنة المعجم العربي الأساسي- بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهيئة معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، والهيئة الاستشارية لمعهد المخطوطات العربية، وقسم المعاجم بمؤسسة "سطور".

وقد أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية والعربية، وهو عضو اللجنة العلمية

الدائمة لفحص الإنتاج العلمي للمتقدمين لشغل وظائف الأساتذة والأساتذة المساعدين بالجامعات المصرية، وعضو لجان الترقية في العديد من الجامعات المصرية والعربية.. وقد شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في مصر، وغيرها من البلدان العربية والأجنبية وحين نمضي معه في مسيرته العلمية نراه يُمضي بنا مع العربية، علمًا، وتعليمًا، ويجول في مجالاتها، بحثًا، ودراسة .

ففي مجال تاريخ العربية أبحر أحمد إلى القرن الأول الهجري - عبر أربعة عشر قرنًا - حيث التقى بالعربية في مصر حين دخلها العرب في العام الحادي والعشرين للهجرة النبوية الشريفة. وأخذ يرصد لقاء اللغة العربية باللغة القبطية، ويتتبع مراحلها، حتى انتهى الأمر بانتشار العربية في كل أرجاء مصر، بعد أن دخل المصريون في الإسلام أفواجًا، وصار لهم في العرب نسب وصهر، فجددوا بذلك صهرًا قديمًا يضرب عرقه إلى هاجر المصرية، أمّ العرب!

القرآن الكريم، ومحاولات ضبط الحروف،
وتقعيد النحو، إلى أن شب البحث
اللغوي عن الطوق في القرن الثاني
المجري، وأخذ يروى محالات متعددة ،
كالقراءات ، وتجويد القرآن الكريم،
الذين ظهرت فيهما بؤادر الدراسة
الصوتية، كما ظهرت كذلك مبثوثة في
الدراسات النحوية ، والصرفية،
والمعجمات.

ثم عرّض لنشأة الدراسات النحوية
والصرفية لدى العرب، حتى آتت أكلها
على يد الخليل ، وتلميذه سيبويه ، الذي
صار إماماً للنحاة بمؤلفه الضخم "الكتاب"
الذي يُنسبُ الكثيرُ منه إلى أستاذه الخليل.
وقد افتتن النحاة بالكتاب ، وتحلقت
حوله الدراسات النحوية . ثم أخذ أحمد
يتتبع علم النحو في تطوره ، وازدهاره ،
حتى رمى بعلوم المنطق والفلسفة ، وابتلى
بالإغراق في التأويلات ، والتقديرية،
والتعليقات، والإفراضات، وهبّت عليه
رياح المذهبية ، والعصبية ، حتى صار
النحو للنحاة وحدهم، ولم يُعَدَّ للناس
الذين وُضِعَ النحو من أجلهم، فقد عُميت

ولم يتوقف أحمد في رحلته التاريخية
مع العربية عند حدود مصر، بل تجاورها
إلى ليبيا، وتونس ، حيث رافق العربية في
لقائها مع البربرية، وطلّ يرصد مراحل
هذا اللقاء الذي انتهى بسيادة العربية،
مستعياً في بحثه بتجربته السابقة مع العربية
والقبطية في مصر، فمضى حيثما مع
العربية في بلاد المغرب مُضِيَّ الخبير
البصير.. ثم خرج علياً بكتابه " تاريخُ
اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى ".

ثم أقبل على "علم اللغة" في عالمه
الرَّحِب، يشقُّ آفاقه في كل اتجاه، بادئاً
بالنظر في جهود العرب في الدراسات
اللغوية، فوضع كتابه " البحثُ اللغويُّ
عند العرب " . استهله بعرض موجز
للدراسات اللغوية عند غير العرب، الذين
سبقوهم أو عاصروهم، في ميدان البحث
اللغوي، وهم : الهنود ، واليونانيون،
والمصريون القدماء بالإسكندرية،
والسريان ، والعبرانيون ، والصييون.. ثم
أخذ في دراسة البحث اللغوي عند العرب
منذ بدأت بواكيره، في النصف الثاني من
القرن الأول المجري ، حول تفسير غريب

عليهم مسائله ، وغشاه ما عَشاَه من غبار معاركهم . فاستفز ذلك همم بعض العلماء الذين هضوا لتحرير الحو من كل ذلك ، حتى يعود إلى سننه القويم سهلا ميسورًا ، فيؤدي رسالته للقارئ والكاتبين .. وقد نَوَّه أحمد بجهود هؤلاء المصلحين .

ثم عرض أحمد لنشأة المعجمات العربية بنوعيتها : معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني ، أو الموضوعات ، ومضى يتتبع موهما ، وتنوعهما ، وتطورهما ، دارسًا خصائص كلٍّ منهما ، مقارنًا بينهما ، موضحًا ما أَحَدَ بعضهما عن بعضهما الآخر . متناولا ذلك كله تناول العالم الحاذق الخبير ، الذي لا يَدْعُ شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، وأولاها حاجتها من التفسير والتحليل والتعليل .

ومضى يرصدُ نُموَّ البحث اللغوي ، وتطوره في كل مجالاته ، حتى القرن الخامس الهجري ، حين أدرك علوم العربية خمُول ، وترهل فأخذت تجتر معارف السابقين ، أو تضع لها مختصرات ، أو تسلكها في منظومات ، ولكن أحمد لا

يعوته أن يشير إلى لُحْضة معجمية ، بعد القرن الخامس ، تمثلت فيما وضعه بعض أعلام اللغويين من معجمات ، كالرمحشري ، وابن بري ، والفيومي ، والصاغلي ، وابن منظور ، والميروزأبادي ، والزبيدي ، إلى أن بلغ القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث ظهر أحمد فارس الشدياق ، الذي وصفه بأنه واضع المنهجية الجديدة للمعجم العربي .. وظل يتتبع النهضة المعجمية في عصرنا الحديث ، حتى وصل إلى ما قام به بجمعنا في هذا السبيل ، منوهاً بجهودهم في إحراج معاجمهم الوسيط ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير ، والمعجم الوحيز .

ولم يَنْسَ أحمد جهود بعض المستعربين في ميدان المعجمات العربية ، وهم فيشر ، ولين ، ودوزي .

وقد أفرد بابًا في نهاية كتابه ناقش فيه قضية التأثير والتأثر بين العرب وغيرهم ، في حذر الباحث الفاحص المدقق ، الذي لا يقطع بتأثر أو تأثير دون شواهد قاطعة ، وبراهين حاسمة .. ولم يفته أن ينوه بالتأثير الواضح للنحو العربي في النحو العبري ،

حين نخطئ ، وما بالنا نتجاوز عن عشرات الأخطاء ، ونمر عليها دون إحساس ، وإذا أحسسا بها فبدون اكتراث ، وإذا اكترثنا فبدون سعي إلى التخلص منها " !

ويُعَرِّضُ أحمد في كتابه لما ابتليت به الفصحى على يد أبنائها من كلمات عامية ودخيلة ، بل إن بعض كتابنا دعوا إلى عربية معاصرة ، تنجرد دون حياء من ضوابط العربية ، وشن عليهم حملات مظفرة ، أجهزت على ما ساقوه من حجج تتمسح بأذيال التيسير ، والتعسير ! ويعالج أحمد في كتابه قضايا لغتنا المعاصرة ، كما يُعنى بجوانب تطبيقية لحال لغتنا . ويقول في شأن لغتنا الفصحى في عالمنا المعاصر : "لسنا نريد أن تصبح الفصحى لغة الحوار اليومي فهذا إغراق في الخيال ، ومحاولة للوصول إلى وضع ما نظن أن اللغة العربية ، أو أية لغة في العالم قد حَقَّقَتْه في يوم من الأيام .. وكل ما نريده لها أن تُصبح لغة المثقفين ، في أحاديثهم ، وحواراتهم ، ومحاضراتهم .. ولن يكون ذلك إلا إذا تغير أسلوبنا في تعليم

وقد بوه بذلك أيضاً المستعرب الفرنسي الكبير "ماسينيون" - عضو مجمعنا - في بحث له عن "عبقرية النحو العربي" ألقاه في مؤتمر المجمع عام ستين .

ورد أحمد مزاعم تأثير الهنود في نشأة المعجمات العربية ، والنحو العربي ، التي تبناها بعض علمائنا العرب ، واقتضاه ذلك إلى وضع كتاب خَصَّصَه للبحث اللغوي عند الهنود .

ومن أهم الشواغل التي تستأثر باهتمام أحمد ، وتثير شجته وسخطه بل تجعله يتميز غيظاً حال لغتنا الفصحى المعاصرة التي هان أمرها على كثير من أبنائها ، فأدركهم عقوق جعلهم يدينون بولاء وانتماء إلى لغات أخرى أجنبية أكثر من ولائهم وانتمائهم إلى لغتهم القومية .. وفي شأن هؤلاء يقول في كتابه " العربية الصحيحة " ؛ وكلماته تنتفض غضباً وبقمة ، وسطوره تقطر أسى ومرارة : "إنك لتجد المثقف العربي يتحرى الصواب حين يتكلم أو يكتب بلغة أجنبية ، ولا يعاب حين يتكلم أو يكتب بلغته العربية .. وما بالنا لا نشعر بالخلج

اللغة العربية ، وتعلمها، واتخذنا خطوات جريئة في تيسير اللغة العربية، وربطها بالحياة ، وقبلنا الكثير من التعبيرات والألفاظ والأساليب المستحدثة ، مادام لها وجه في العربية تخرج عليه". وذلك ما جعله يشيد بمجمعنا في موضع آخر - حين عرض لما ينهض به من خلال لجنة الألفاظ والأساليب".

والإني ليضيق بي المقام هنا عن متابعة الإنتاج العلمي لأحمد ، فهو غزير ، ومتنوع ، وسألحق بكلمتي قائمة كاملة به، وسيكون هذا شأني في كلمتي عن زميليه : علم الدين، وفاروق .. وحسي الآن أن أذكر من كتبه: "دراسة الصوت

اللغوي" و "علم الدلالة، و"اللغة واللون"، و"اللغة واختلاف الجنسين" و " معاجم الأبنية في اللغة العربية " و " صناعة المعجم الحديث " و " من قضايا اللغة والنحو" و"أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإداعيين " .
وهكذا نرى أحمد لم يدع مجالاً لغويّاً إلا جال فيه جولان الفارس البارع الخبير! ولكن الفارس ترحل عن ظهر جواده ليمتطي ظهر براقه، الذي عرج به إلى سماء البحث اللغوي، حيث الأفق الأعلى للدراسات القرآنية ، وحيث ألف كتابيه الفريدين: "لغة القرآن" ، و" أسماء الله الحسنى" !

والإني ليضيق بي المقام هنا عن متابعة الإنتاج العلمي لأحمد ، فهو غزير ، ومتنوع ، وسألحق بكلمتي قائمة كاملة به، وسيكون هذا شأني في كلمتي عن زميليه : علم الدين، وفاروق .. وحسي الآن أن أذكر من كتبه: "دراسة الصوت

الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي
 وثاني الزملاء الدين أشرف اليوم
 باستقبالهم : الأستاذ الدكتور أحمد علم
 الدين الجندي ، الذي نشأ في بيت مُضمخ
 بعطر الصوفية الأصيلة، حيث ولد في قرية
 " أتميدة " ، بمحافظة الدقهلية ، في الثامن
 من فبراير عام أربعة وعشرين وتسعمئة
 وألف.. فقد كان أبوه من أوتاد الصوفية
 في إقليمه ، ولكن صيته بلغ مسامع بعض
 المتصوفة في بلدان إسلامية، في إفريقيا
 وآسيا، فكانوا يفدون إلى داره — وبخاصة
 في موسم الحج — حيث يُضيّفهم في قاعة
 كبيرة ، أعدها لاستقبال إخوانه المتصوفة،
 تسمى "الحضرة"، لأنهم يقيمون فيها
 حضرة يُرتّلون بها القرآن الكريم،
 ويتدارسون الحديث الشريف، وبعض
 أمور الفقه ، والتصوف، والسيرة النبوية ،
 وسير الصحابة، وصلحاء المسلمين، ويؤدون
 بعض الأذكار والأدعية.. وكان ذلك
 يجتذب "علم الدين" في طفولته الباكرة،
 فيقبع في ركن من أركان القاعة، حيث
 يرمقهم مأخوذاً بما يرى ويسمع منهم

وفي كُتّاب القرية أخذ يحفظ القرآن
 الكريم ، ويتلقى مبادئ العلوم وحرص
 والده على أن يراجع معه كل يوم ما
 حفظه ، وتعلمه، في الكُتّاب .. فإذا انتهيا
 من ذلك نهض علم الدين في حماسة
 طفولية إلى قاعة الحضرة. التي شَغَفَتْه حباً،
 فصار بها كلفاً، حتى رعب على أبيه أن
 يعهد إليه وحده بكنسها ، وتنسيق
 فرشها، وتبخيرها، لتكون مهية لاستقبال
 الزائرين من المتصوفة، حيث تحلو له
 المشاهدة والسماع !

هكذا كانت نشأة علم الدين، حيث
 تَفَتَّحَتْ مداركه العقلية، والروحية، في
 هذه الأجواء العطرة ، واقترن نموه العقليُّ
 بنموه الروحي ، وازدادا مع الأيام قُرْباً ،
 وتواصلًا ، حتى امتزجا ، فصار عقله
 يُفَكِّرُ على نبضات قلبه، وصار قلبه ينبض
 بين حايا عقله !

ودَفَعَ به والده إلى رحاب الأزهر
 الشريف، حيث تلقى تعليمه الابتدائي،
 والثانوي، وحصل على شهادته الثانوية
 من معهد الزقازيق الديني عام سبعة

وأربعين، ثم التحق بكلية دار العلوم
فتخرج فيها في العام الحادي والخمسين.

ولو جرى علم الدين على ما يقضي
به منطق العقل والعرف لواصل في كليته
دراسته العليا في علوم اللغة، وبخاصة في
السحو والصرف، حتى يحصل على درجتي:
الماجستير، والدكتوراه.. ولكن رغبة قوية
اجتاحت نفسه وفكره، ودفعت به إلى
التعرف على أسرة اللغات السامية،
ودراسة صلاتها بشقيقتها العربية، فالتحق
بمعهد اللغات الشرقية، التابع لكلية الآداب
بجامعة القاهرة، فأمضى به سنوات
دراسته الأربع، وحصل على دبلوم عام
سته وخمسين.

ولاحظ له في هذا العام فرصة السفر
إلى الصين، للتدريس في كلية اللغات
الشرقية بجامعة بكين، فشد رحاله إليها،
ليتعلم الصينية، ويعلم العربية.. ولعله
استجاب للقول المأثور: اطلبوا العلم
ولو في الصين"، فحوّل مَذْلُولَ الامتناع
في "لو" إلى واقع مشهود، وراى
على طلبه العلم في الصين تعليمه لأهل
الصين!

وقد احتذبته الصين بسحرها القديم،
وما يختلج في تاريخها من حضارة روحية
عريقة.. وقد كانت الصين - حينذاك -
محتفظة بطابع هذه الحضارة، وهي لما تزل
في بداية تحولها إلى الشيوعية!

وهناك في الصين فوجئ علم الدين
ببأ العدوان الثلاثي على مصر..

وفي اجتماع سياسي كبير عقد
في القاعة الكبرى بجامعة بكين، حضره
بعض الوزراء، ورئيس الجامعة،
وأساتذها، وطلابها - ألقى علم الدين
كلمة حماسية ضافية، ندّد فيها بالعدوان
على مصر، ودعّا إلى مساندتها في
مواجهته.. ونُشِرَت كلمته في الصفحة
الأولى لصحيفة "الشعب"، كُبرى صحف
الصين!

ولم يحصر علم الدين نشاطه في
التدريس بكلية اللغات الشرقية بجامعة
بكين، فقد امتد به إلى أقاليم عديدة
بالصين، حيث التقى بالمسلمين الصينيين
في "كانسو"، و"شانسى"، و"هونان"،
و"شاتونج"، وغيرها من الأقاليم التي
انتشر فيها الإسلام، واللغة العربية،

وتدارس مع علمائها المسلمين وسائل النهوض بالدراسات الإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية، ونشرها بين المسلمين في تلك الأقاليم .

ثم عاد علم الدين إلى مصر، وحصل على درجة الدكتوراه في اللغات السامية الحية، واللهجات ، من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام خمسة وستين ، ثم عُيِّن مدرسًا بكلية الألسن بجامعة عين شمس عام ثمانية وستين ، وكان قد اشتغل قبل ذلك بالتدريس في مدارس وزارة التربية والتعليم ، وبقسم الترجمة في مشروع "الألف كتاب" بالإدارة العامة للتأليف والترجمة والنشر، التابعة لوزارة الثقافة ، ثم انتقل إلى كليته الأولى "دار العلوم" أستاذًا مساعدًا ، في قسم النحو والصرف والعروض عام سبعين ، ثم أعير إلى جامعة الفاتح بليبيا عام ثلاثة وسبعين، وبعد أعوام ثلاثة عاد إلى كليته حيث رُقِّيَ أستاذًا بها عام ثمانين ، وكانت جامعة أم القرى بمكة المكرمة مسك ختام إعاراته، حيث أعير إليها عام اثنين وثمانين ، واختارته هذه الجامعة عضوًا بمجلس

الدراسات العليا بها، ثم انتهى مطافه العلمي والتعليمي بالعودة إلى كليته ، إلى جانب عمله في مجمعا خبيرًا بلجنة الأصول ، وكان قد اختير من قبل خبيرًا بلجنة اللهجات بالجمع. ولكن صلاته العلمية بالجامعات العربية لم تنقطع، فهو عضو باللحان العلمية لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين في العديد من هذه الجامعات . كما أشرف بها على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه ، ونال جائزة التقدير العلمي من جامعة القاهرة عام ثمانية وتسعين .

وأهم المحاور التي يدور في فلكها الإنتاج العلمي لعلم الدين ثلاثة محاور: أولها : نحو العربية .

وثانيها : اللهجات العربية .

وثالثها: صوتيات اللغة العربية ، وصرفها. وفي "نحو العربية" صدر له في أوائل السبعينيات كتاب "قواعد اللغة العربية" في أجزاء ثلاثة، وكتاب "في علم النحو".

وقد وضع علم الدين النحو على قمة الدراسات اللغوية ، وقال فيه "لن تجد علمًا من علوم العربية، من فقه ، أو

أصول الفقه ، حيث نقل النحاة من هذا العلم نظرية الأصول والفروع ، كما استخدموا بعض المصطلحات الفقهية ، كالقياس ، والاستحسان ، ونوّه بمظاهر التأثير والتأثير بين علمي النحو والفقه .. وله بحوث في الإعراب ومشكلاته ، وعلامات الإعراب بين النظرية والتطبيق ، و"الإعراب بالحركات والحروف".

أما اللهجات فقد ألف فيها كتاباً ضخماً يقع في أربعة أجزاء، عنوانه "اللهجات العربية في التراث العربي"، ووضع معجماً للهجات عنوانه "معجم لهجات القبائل العربية" وله بحوث سبعة في مظاهر الصراع بين القراء والنحاة، قال في مستهله : "يجب أن نقرر أولاً أن موقف النحاة من القراءات، ورميهم باللحن والخطأ ، أو الضرورة والشذوذ، وإخضاعهم للقراءات للمذاهب النحوية ، والأقيسة العقلية ، هو الذي جراً المستشرقين على الطعن في كثير من القراءات ، والنيل منها".

أما بحوثه في صوتيات اللغة العربية وصرفها فهي أيضاً كثيرة، منها بحثه:

تفسير، أو بيان، وغير ذلك، إلا كان افتقاره إلى نحو العربية بيناً لا يدفع، وواقعاً لا ينكر". وبعد إشادته بما قام به أسلاف النحاة من تدوين النحو، على نحو رائع، من جمع أجزائه، واستخدام القياس، وبيان العلل، ومعالجة قضاياها، على امتداد العصور - عرض لحركات الإصلاح والتجديد في الدراسات النحوية، ولكنه يرى أن بعضها لا يعدو الشكل والمظهر إلى اللباب والجوهر، كما أن بعضها جدد في زاوية ضيقة من النحو، وبعضها الآخر أسرف في تجديده، وقد يكون ذلك بدافع هدام لنحو العربية الأصيل ، أو باندفاع لا روية فيه وراء نظريات غريبة لا تصلح للتطبيق على نحو العربية . ويرى أن النحو العربي لا يضيق بالإصلاح أو التجديد ، على أن يتم ذلك بعد الرجوع إلى أصول النحو القديم ، حتى ينهض الإصلاح أو التجديد على أساس قويم سديد .

ولعلم الدين بحوث عديدة في مجال الدراسات النحوية، منها بحثه "الأصول والفروع بين الدراسات الفقهية والنحوية"، عرض فيه لتأثر النحو بعلم

"دراسات في النظام الصوتي الصرفي"،
وبحثه: "بين الأصول والفروع في التغيير
الصوتي الصرفي"، وبحثه "التعاقب والمعاقبة
من الجانب الصوتي الصرفي".

ولا يسعني إلا أن أنوه بأمر يلتزمه
علم الدين في كل ما يكتب، فهو لا
يعرض لشيء إلا وعينه على التراث العربي
والإسلامي، حتى حين يعرض للجديد في
اللغة، أو النحو، أو الصرف.. فهو يرصد
القديم بمحجهره اللماح الصير، لعله يرى
لهذا الجديد أصلاً ينسب إليه، ويتطور
منه، أو نظيراً مجهولاً، أو مغموراً، في
تراثنا يكشف عنه، فإن لم يجد هذا، أو
ذاك، حكم محدثته، وبأنه أصل في جدته!
وبذلك كانت لعلم الدين في مجال
التراث العربي والإسلامي قدمٌ راسخة،
وجهد خلاق؛ فهو حين يعمد إلى التراث
لا يتوقف بصوصه عند التوثيق،
والتحقيق، والتعليق، بل يجعله بعد ذلك
موضع دراسات لغوية، ونحوية، وصوتية،
وقد يستنبط من ذلك التراث نظريات
تناظر ما جد في ميدان الدراسات اللغوية
الحديثة من نظريات يأخذ بها كثيرٌ من

الناحئين.. وكم هو ذائب السعي وراء
مخطوطات اللغويين والحاة، وبخاصة ما
عُرفَ بأنه مُبَعَثَرٌ هنا وهناك، أو حُكِمَ بأنه
تائه أو مفقود.. وقد عَلِمَ أن للفراء -
علامة اللغة والحو - كتابين مفقودين،
هما "كتاب اللغات في القرآن"، وكتاب
لغات القبائل"، فمضى يتتبعهما في بطون
كتب اللغة التي نقلت العديد من
نصوصهما، ويضم بعضها إلى بعض في
مثابرة ومصابرة استغرقتا الكثير من وقته
وجهدته، حتى جمع أشتات كتابي الفراء،
ونفخ فيهما من روح توثيقه وتحقيقه،
فعاداً إلى الحياة من جديد ليؤدِّباً دورهما
في الدراسات اللغوية.. وقد جعلهما علم
الديس - على عادته - موضع دراسة
لغوية، ونحوية، وصرفية، وصوتية.. وقد
أشاد أستاذنا المرحوم الأستاذ الدكتور
محمد مهدي علام بجهد علم الدين في
هذين الكتابين فقال: "هذا العمل جهد
إنشائي علمي، قلما حاوله أحد من
العلماء، فإنه يحتاج إلى اطلاع شامل،
وبصر دقيق، بالسمات المميزة
للمؤلفين ومؤلفاتهم، ومقدرة دقيقة على

المقارنات، وحسَّ مرهف في مجال الاستنتاج"١

وقد ورد ذلك في تقرير أعده الدكتور مهدي علام عن الأعمال العلمية لعلم الدين، التي تقدم بها للترقية إلى درجة أستاذ بكلية دار العلوم، وقد اختتم الدكتور مهدي تقريره بقوله: "إن هذا التقرير أشبه بقمة جبل الثلج، تبدو فوق سطح البحر؛ دليلاً على عظمة الجبل الذي يضمه البحر. الإنتاج غزير، وعميق وأصيل. لقد كتب الدكتور أحمد علم الدين الجندي في النحو العملي والنحو الفلسفي، والنحو اللغوي، والنحو المقارن، فأضاف في هذه الميادين إضافات جادة وأصيلة"١ ومضى علم الدين إلى أستاذه الدكتور مهدي علام ليشكره، بعد حصوله على درجة الأستاذية، وقدم إليه كتاباً حققه للإمام القشيري عنوانه "نحو القلوب الصغير" ثم لقيه الدكتور مهدي بعد أيام كان قد اطلع فيهما على كتابه، فقال له: "لو قدمت إلى هذا الكتاب مع إنتاجك العلمي لأضفتُ في تقريري:

إنك أول من هندس النحو الصوفي"١ وكان علم الدين قد أضاف إلى كتاب "نحو القلوب الصغير" تعقيبات ضاعفت حجمه، وكشفت عن فكره الصوفي، حيث أفاص في الحديث عن "نحو القلوب" الذي يتقل بعلم النحو الكلامي إلى مجال أخلاقي صوفي، حيث يُخلَقُ في عوالم رُوحية وضيئة مضيئة. فإذا كان الخروج على "نحو الكلام خطأ فإن الخروج على "نحو القلوب" حطيئة! أو كما قال الإمام القشيري:

نحو اللسان فعيبُ

واللحس بالقلب ذنبُ

وأقبحُ اللحنِ عندي

كِبَرٌ، وتِيءٌ، وعُخْبُ

وهكذا عاد علم الدين بـ "نحو القلوب" إلى نشأته الصوفية الأولى، وكأنه يصنع دائرة لمسيرته العلمية، يبدأ طَرَفُها الأول في طفولته، ليلتقي بطرفها الآخر في شيخوخته.. أو كأنه قد استهلَّها هلالاً، لتكتمل بعد ذلك بدرًا يَسْطَعُ بالنورا

الأستاذ فاروق شوشة

وثالث الزملاء الذين أشرف اليوم باستقبالهم: الأستاذ فاروق شوشة.. وهو كذلك من أرومة كريمة، تنتمي إلى العلم والتعليم، أنبتته نبأاً حسناً، حتى استقام عوده، ونما وترعرع، وأزهر وأيع.. فقد كان والده من رجال التعليم الذين أخذوا أنفسهم بثقافة أدبية، جعلتهم ينهلون من مصادرها القديمة، والحديثة، ومن مجلاتها الشائعة في النصف الأول من هذا القرن، كالهلال، والرسالة، والرواية، والثقافة.. فكانت لدى والده مكتبة عامرة، اجتذبت فاروقاً وهو مازال يختلف إلى كُتّاب القرية، حيث أخذ يتلقى مبادئ العلوم، وأخذت مخارج صوته تتلقى تدريبها الأول على ترتيل القرآن الكريم، حتى تخرّجت في روضة تجويد القرآن، مصقولة النبرات، محكمة الطّبقات، طلية الجرس، مسددة الإيقاع، فأهله ذلك — مع فخامة صوته وعمقه — لأن يكون ذا صيت جهير، بعيد الصدى، في فنّ الإلقاء! وأخذ فاروق يتردد على مكتبة أبيه يقلب فيما تحتويه من مجلات، وكتب،

ويتصفح ما يجتذبه منها، في فضول طفولي يدفعه إلى محاولة التعرف على ما تتضمنه سطورها من قصص، أو تاريخ، أو شعر، وغير ذلك.. وكان أبوه سعيداً بإقباله المبكر على مكتبته، فأخذ يرشده إلى ما تسهل عليه مطالعته، وهو في هذه المرحلة الغضة من صباه، موضحاً له ما يغمض عليه من كلماتها، أو موضوعاتها.. وفاروق يزداد وعياً بما يقرأ، فيزداد إقبالا، وشجاعة، على اقتحام ما يستغلق عليه من مكتبة أبيه، حتى ألفها، وألفته، وأسلمت له رمامها، وصارت له مستراداً، ومرتباً!

ولكن أباه أدركته خشية على تفوقه في أدائه المدرسي، وهو يجتاز المرحلة الابتدائية إلى الثانوية، حين رأى المكتبة تكاد تستغرق وقته، وتشتأثر باهتمامه؛ فأخذ يرثه عنها رداً رقيقاً، أخذ يتصاعد حتى صار أمراً يتوعّده بالعقاب، عند اقتراب الامتحان، في آخر كل سنة دراسية!

ولكن هيهات، هيهات.. ففاروق، قد ولع بالمكتبة ولعاً بلغ حد الوله،

وبخاصة دواوين الشعراء ، كشوقي، وحافظ ومطران، وما نقله المنفلوطي من قصص أوربية، تترقق بعواطف المحبين، وتُحلّق في عوالم الرومانسية الحاملة، وكذلك ما كان يُترجمه دريني خشبة من قصص أو ملاحم إغريقية ، تموجُ بسحر الأساطير !

وسرعان ما تفتّحت براعم الملكة الأدبية لفاروق ، وتنفسَتْ بعبير شعره، الذي تَعَنَّى بالحبِّ، والوطنية، واستلهم التاريخ الإسلامي مسرحية شعرية ، في مأساة الفتنة الكبرى، التي أخذت تشتعل منذ عهد عثمان وعلي ، رضي الله عنهما، وكان عنوان مسرحيته "على مسرح التاريخ" ، وقد مثلها فريق التمثيل بمدرسته ، التي طبعتْ مسرحيته على نفقتها، وعلى غلافها صورة فاروق تقديراً منها لشاعرها المسرحيِّ النابه، الذي كان في أواخر المرحلة الثانوية!

كان والده يزداد توجساً وإشفاقاً على مستقبله المدرسي، كلما أحرز تفوقاً في مجال الشعر .. ولكن والدته - بفطرة الأمومة وعاطفتها الجياشة - كانت تتيح

له فرص التردد على مكتبة أبيه، وممارسة هوايته في كتابة الشعر، وتزهو بتفوقه فيه، دون أن يخالجهما شك في تفوقه المدرسي.. ولعل حبها للشعر نشأ منذ صباها، وهي ترى شاعر القرية يتحلّق حوله الناس مأخوذين بما ينشده من ملاحم شعرية على أنغام ربابته، في السيرة الهلالية، وغيرها من سير البطولات العربية.. ولا عجب في ذلك فقد كانت منطقتهم حول دمياط مسرحاً للعديد من الشعراء ، الذين كانوا يتوافدون عليها منذ قرون، في عهود الحملات الصليبية التي كانت دمياط هدفاً لها، للدخول منها إلى سائر أنحاء مصر .. فكان هؤلاء الشعراء ينشدون الجسود المربطين في هذا الثغر العريق أشعاراً حماسية في البطولات العربية والإسلامية .. ولذلك سُمّيت القرية التي أنجبتْ شاعرنا فاروقاً قرية " الشعراء "، كما سميت "المنصورة" - القرية منها - بهذا الاسم بعد انتصارها العظيم على حملة "لويس التاسع"، وأسرته في دار "ابن لقمان"! أنهى فاروق دراسته الثانوية ، والتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتخرج

فيها عام ستة وخمسين، ليلتحق بكلية التربية بجامعة عين شمس، حيث يدرس التربية وعلم النفس، ليتأهل بذلك للتدريس بمدارس وزارة التربية والتعليم، وكان أول دفعته في دبلومها، ورشحه ذلك لبعثة في التربية المقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان فاروق قد عين مدرساً بمدرسة النقراشي الثانوية النموذجية، في انتظار موعد سفره، ولكن إعلانا عن حاجة الإذاعة المصرية إلى مذيعين دفع به إلى أداء الامتحان الذي تعقده الإذاعة للمتقدمين إليها، وكان متفوقاً - كعادته - في اجتيازه، فاجتده بريق العمل الإذاعي، وصرفه عن الدرس التربوي، والحصول على الدكتوراه .. وصار فاروق من شدة الإذاعة، ثم من أعلامها المرموقين، وشأنه في ذلك ذائع معروف للخاصة والعامة، مما يجعل حديثي فيه كمستبضع التمر إلى هجر، أو من يحمل قربة الماء إلى حي السقائين

وتدرج فاروق في الإذاعة حتى صار رئيساً لها، إلى أن أحيل إلى التقاعد الوظيفي، لا العملي عام سبعة وتسعين،

فمازال تغريده يُشَرِّق ويغرب، عبر الأثير الإذاعي: المسموع والمرئي!

وقد حصل فاروق على الجائزة الدولية باسم الشاعر اليوناني كافافيس عام أربعة وتسعين، وعلى جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ستة وتسعين.

وهو عضو مشارك في موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب. وهي موسوعة ضخمة، في ثمانية مجلدات.. كما عهد إليه بالمراجعة والتقديم لديواني الشعاعين: عبد الرحمن شكري، وعبد الحميد الديب، اللذين يصدران عن المجلس الأعلى للثقافة.

وانتخب هذا العام رئيساً لاتحاد الكتاب المصريين.

ولا يفوتني في استقبال فاروق أن أنوّه، بل أشيد، بحجاب قد يخفى على كثيرين، فقد ذهبت شهرة فاروق الإعلامية والشعرية بجهود له في دراسة اللغة العربية المعاصرة؛ ففي بحث له عنوانه "لغة الاتصال هي لغة الحاضر والمستقبل" تحدث عن أنماط ثلاثة للعربية المعاصرة، يتمثل أولها في "فصحى التراث"، وثانيها

في اللغة الأدبية، وثالثها في لغة العلم والحضارة، التي يقول بشأها: "هي اللغة التي تتسع لفروع العلوم وتطبيقاتها، وتتلقى الحضارات الوافدة، وتتفاعل معها، هذه اللغة يمكن أن تُسميها: لغة العلم والحضارة، وهي لغة تعتمد على الاشتقاق من العربية، والنحت، والترجمة، والتعريب، والتوسُّع في القواعد والأصول اللغوية التقليدية، حرصاً على أن تتسع لغتنا العربية المعاصرة لمستحدثات العصر، وعلى أن تنهض بأعباء النهضة المعاصرة، وتلاحقها في تطوراتها السريعة في مجالات العلم والحضارة".

وبعد دراسة ضافية لهذه الأنماط اللغوية المعاصرة الثلاثة، يشير فاروق إلى نمط رابع أخذ يظهر، بل يزدهر، في الساحة اللغوية، وذلك حيث يقول: "لقد ولدت لغة رابعة هي لغة الاتصال بالجماهير التي تبثها الصحافة ثم آزرها أجهزة الاتصال الأكثر حداثة، كالإذاعة، والتلفزيون.. وهذا النمط الرابع من اللغة العربية المعاصرة ليس مقطوع الصلة بالأنماط الثلاثة السابقة، فهو يأخذ من

كلٍّ منها، ويصنع من هذه الحصيلة المشتركة لغة جديدة تحمل ملامح التميز والاختلاف، وتقرب من وجدان الجماهير، وتعاملهم اليومي في حياتنا المعاصرة...".

ولفاروق بحوث لغوية أخرى لا يتسع المقام هنا للحديث عنها، ولكني لا أريد أن أختتم كلمتي عن فاروق دون إشارة لماحة سريعة إلى شعره، الذي استأثر بملكاته الإبداعية الأدبية، ولقد بدأ فاروق مسيرته الشعرية مع الشعر الذي يلتزم عمود الشعر العربي، ثم غازل الشعر الحر ملكته الشعرية حتى مالته إليه، واستجابت له، وأخذت ولائها الشعرية تتوالى، وتزاحم غيرها من قصائد الشعر الحر، الذي انطلق من عقول العمود الشعري العربي.. واقتنصتها المذاهب السياسية التي كانت تجتاح الساحة الأدبية، فصار كثير من الشعر الحر مقيداً بجبال هذه المذاهب والتيارات، واختلَّت موازيس الشعر، حتى صار قدر الشعر يوزن بقدر ما فيه من مضمون مدهي: سياسي أو اجتماعي.. ولكن فاروقاً ابن

لا أختار على اختيار فاروق، ولهذا
سأجعل هذه القصيدة خاتمة لكلمة
استقبالي له .. وقد جاء فيها:

أخرستني العيون والأحداقُ
فكلامِي الشُّرود والإطراق
الخطا لهفة، وبعضُ انعطافِ النفسِ
وَجَدُّ، ولهفةٌ، واشتياقُ
وجناحان من بعيد يرَّفان ..

فهذا المدى : ضُحى، وانعتاق
والهوى مركبي لدار حماها
وحماها النجوم والأشواقُ
قيدتني سبيكة العطرِ ، فارتعتُ
وللعطرِ سَطوةٌ ووُثاقُ
واستبحتُ ممالكِي .. فخيالي

مشرَّب الخطا، وقلبي يساقُ
ثم يختتمها بهذين البيتين :

ما الذي الآن أشتكي ؟ ربَّ نَعْمِي
قتلتني .. فللعبير اختناق
قد يُطاقُ الجمالُ فردًا .. ولكنْ
كلُّ هذا الجمالِ .. كيف يُطاقُ؟
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

إبراهيم التريزي

الأمين العام للمجمع

كتاب القرية، وابن التراث العربي الأصيل،
لم تستغرقه موجات هذا الشعر الحر ، فقد
اعتصم بموقف اختاره ، وارتضاه لشعره
.. وفي ذلك يقول ، بعد حديثه عن جيل
الرواد للشعر الحر : "وانجرفتُ لأصبح
واحدًا من شعراء الموجة التالية لجيل الرواد
.. ولكن دون أن أفقد انتمائي العميق
لشجرة الشعر العربي في عطائها المستمر،
والتجدد، عبر العصور.. وكان ما يشغلني
أن يظل النسق اللغوي لهذا الشعر عربي
الوجه، غير هجين أو مسف، ولا يُحاكي
أساليب الترجمة، والمستحدثات الأجنبية
الوافدة..".

ثم يتحدث فاروق عن نموذج شعري
يراه فيما يُسمِّيه "الكلاسيكية الجديدة"
التي يقول عنها : "... هذه الكلاسيكية
الجديدة التي أجد فيها بعض حقيقتي
الشعرية : لغة، وبناء، وتصورًا، وسعيًا إلى
تقريب المسافة بين الكلمتين :
"الكلاسيكية " و "الجديدة"، وعبورًا على
جسر الرغبة والحلم بصيغة كلاسيكية
جديدة ... وربما كانت قصيدة "للعبير
اختناق " هي أقرب النماذج لها" .. وأنا

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر في حفل استقباله عضوًا بالجمع

أيها الزملاء الأعزاء
أيها السادة والسيدات الضيوف
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فبقدر ما كانت سعادتني بعضوية
الجمع اللغوي كانت رهبتني من الحديث
إليكم. فهذا أول اختبار لي أمام هذا
الحاشد من جلة العلماء ، وحيرة رجال
الفكر واللغة والأدب ، وقد حمدت الله أن
جاء هذا الاختبار بعد فوزي بالعضوية
وليس قبله .

ثم إننى - ثانيًا - أتحدث بعد
أديب متمكن ملك ناصية البيان، وفاقت
فصاحته فصاحة سحبان، فأثني لي أن
أجاريه أو أقرب منه. وهو إلى جانب
ذلك قد خلع علي من الصفات ما يناسب
مكانة المهدي لا المهدي له ، مما زاد من
صعوبة موقعي .

وأنا - ثالثًا - قد شغلت المكان
الذي خلا بوفاة المرحوم العلامة الأستاذ /
محمود محمد شاكر فحُملت بذلك أمانة
ثقيلة قد تأبى حملها السموات والأرض

والجبال ، لأن مكان الأستاذ لا يمكن أن
يشغله أحد سواه، ولكن هكذا أرادت
الأقدار .

وأنا - رابعًا - مطالب بالحديث عن
صاحب الكرسي الذي ودّعنا بحسمه ،
وما زال علمه وفضله ملء السمع والبصر،
والحديث عن المرحوم العلامة محمود
شاكر نمط من الحديث صعب ومحيف
لجملة أسباب منها:

أولاً : قرب المرحوم العلامة محمود شاكر
من تلامذته ومريديه، وللقرب الشديد -
كما للبعد الشديد - مخاطرهم ومزالقهم.

وثانيًا : لأن المرحوم العلامة محمود شاكر
قد جمع العالم في واحد، وكل جانب من
جوانب ثقافته لو وجد في شخص لكان
كافيًا لأن يشتهر به، ويعد علمًا من
أعلامه.

وثالثًا: لأنه شخصية أو أكثر من شخصية
تتلاقى فيها الأضداد ، وتجتمع
المتناقضات. فهو: يحصل على البكالوريا
(الثانوية العامة) من القسم العلمي ثم

على طه حسين فيما اختلف معه فيه حول المتنبي. وقد انتهى محمود شاعر في دراسته للمتنبي إلى نتائج انفرد بها، منها نفيه أن يكون من أصل وضيع، وإثباته أنه كان علويًا هاشميا قرشيًا، ونفيه لنبوء المتنبي خلافا لما تذكره المصادر.

إن محمود شاعر نموذج فريد بين بنى البشر قلما أو يستحيل أن يتكرر ولو بصورة مقاربة. إنه غط صعب من الرجال لا تجد له نظيرًا على امتداد الأحقاب والأجيال. وإذا كان معظم الناس تتفجر طاقاتهم من إحساسهم بالنقص، وشعورهم بالدونية فإن ما فجر طاقات محمود شاعر هو إحساسه بالتميز، وشعوره بالتفرد منذ اللحظات الأولى لنشأته:

فهو قد ولد وتربى في بيت توارثت أجياله المجد كابرًا عن كابر حتى انتهى إلى أبيه الشيخ محمد شاعر الذي كان مقدم الغلام فألا طيبًا له، ولعل الوالد كان قد توسم فيه ذلك فأسماه محمود سعد الدين، وقد تقلد الوالد في نفس عام مولده منصب الوكيل للجامع الأزهر، إلى جانب

يلتحق بكلية الآداب، ويختار من بين أقسامها قسم اللغة العربية بالذات. وهو يدخل كلية الآداب بعد شفاعته طه حسين له عند مدير الجامعة أحمد لطفي السيد ليقبله بشهادته من القسم العلمي، ثم يخرج من الكلية ويترك الدراسة بسبب خلافه مع طه حسين. وهو يرسب في اللغة العربية في امتحان الشهادة الابتدائية، ويعيد العام كله من أجل هذه المادة، ثم يصبح - فيما بعد - المنافع الأول عن اللغة العربية وآدابها، وتزداد المفارقة باختياره عضوًا في مجمع اللغة العربية.

وهو إلى جانب ذلك يمد جلساته الطويلة مع أصدقائه ومعارفه وتلاميذه فتظن أنه لا يجد وقتًا للعمل، وينشر إنتاجه الغزير الممتد على طول السنوات فتظن أنه لا يجد وقتًا للقاء أصدقائه.

وهو حاد الطبع، عنيف في خصومته، ومع ذلك تراه في أحواله العادية لين العريكة، مرهف الحس، شديد التأثر لفقد أصدقائه ومعارفه، حتى إن حزنه لوفاة صديقه مصطفى صادق الرافعي عام ١٩٣٧م قد صرفه عن استكمال ردوده

ماتولاه من مناصب أخرى تشرئب لها
الأعناق مثل قاضي قضاة السودان،
وعضو الجمعية التشريعية.

لقد كان بيت الوالد يغص بأعلام
الفكر والأدب والسياسة ، مما أتاح للفتى
الناشئ أن يلتقي بهم، ويجلس إليهم،
ويتشبع بأفكارهم مثل محب الدين
الخطيب، وأحمد تيمور باشا، والشيخ محمد
الخضر حسين. ولعل صورة هذه المجالس
التي انطبعت في ذاكرته كانت الباعث له
على أن يجعل من داره نسخة ثانية من دار
والده، ومن مجالسه ملتقى لأعلام الفكر
والأدب والسياسة ، من مثل أحمد حسن
الباقوري، ورشاد مهنا، ويحيى حقي،
ومحمود حسن إسماعيل، وإحسان عباس،
وشاكر الفحام، ومحمد يوسف نجم،
وناصر الدين الأسد، وأحمد راتب النفاخ..
وغيرهم وغيرهم ممن يجلون عن الحصر .

لقد نضج الفتى قبل الأوان ، أو لعله
— على حد تعبير أبي علي الفارسي لتلميذه
ابن جني — قد تزبب قبل أن يتحصم.

فمن يصدق أن يقدر فتى في التاسعة
عشرة أن ينشئ مدرسة في مدينة جدة،

ويعمل مديراً لها؟

ومن يصدق أن ينصرف فتى في عمر
الزهر عن هو الشباب ويوجه طاقته إلى
البحث، والتعمق في الفهم، فيحفظ ديوان
المتنبي ويدرس الكامل للمبرد ، وحماسة
أبي تمام ، وأمالى القالي، وأشعار الهذليين؟
ومن يصدق أن غلاماً في المرحلة
الثانوية تحتذبه كتابات المستشرقين فيقرأ
ضمن ما يقرأ مقال مرجليوث الذي نشره
في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عن "نشأة
الشعر العربي"؟ ويقف من المقال وصاحبه
موقفاً صارماً في مناقشاته لطله حسين في
نفس الموضوع؟

ومن يصدق أن شاباً في مقتبل عمره
تخصص له مجلة المقتطف، (وهو بعد لم
يبلغ السابعة والعشرين من عمره) عددًا
كاملاً خاصاً عن المتنبي حيث قام
بدراسة فريدة لحياته من شعره، وقدم
تفسيراً لما أشكل من هذا الشعر، وهي
الدراسة التي نال بها بعد خمسين عاماً
جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب؟

ومن يصدق أن شخصاً واحداً — إلى
جانب اهتماماته العلمية — يتصدى وحده

لعدد من أعلام الفكر والأدب يفند آراءهم ، ويقوّم انحرافاتكم من أمثال سلامة موسى، وطه حسين ، وسعيد الأفغاني، ولويس عوض ، وعبد الغفار مكاوي...؟

ومن يصدق أن يجتمع في شخص واحد أن يكون شاعراً ، ومحققاً للتراث ، وأديباً ، ولغوياً وعالمًا واسع العلم بالتاريخ والتفسير، والجرح والتعديل؟ ويحتاج كل جانب من هذه الجوانب إلى دراسة مستقلة .

ومن يصدق أن شاباً في مقتبل عمره تنافس المحلات الأدبية والثقافية على محاولة اجتذابه، وتنشر له نتاجه بصورة تكاد تكون دورية؟ وأن كتابته في مجلة المقتطف بدأت عام ١٩٣٢م ، وكان قد سبق ذلك نشره في مجلة الزهراء عام ١٩٢٦م، والبلاغ عام ١٩٣٠م ؟ ثم تلا ذلك كتاباته في مجلة الرسالة، والفتح، والعصور ، والكتاب ، والمسلمون ، والثقافة ، والهلال وغيرها.

وبعد : فقد عرفت المرحوم الأستاذ محمود شاكر أو تتلمذت على يديه معاينة

بعد أن تتلمذت على أفكاره وأبحاثه ودراساته -عرفته معاينة مند عام ١٩٥٩م حينما كنت طالباً متفرغاً للدراسات العليا أعد لدرجة الماجستير . وأذكر أنني في مستهل اشتغالي بالتحقيق كانت تستغلني على بعض الأمور فكنت أعرضها على شيخ المحققين فيهرع إلى مكتبه ثم يعود بعد دقائق وفي يده مفتاح الحل. وأذكر أنني قد عجزت عن نسبة شطر بيت وتكلمته، وهو قول الشاعر:

على كثرة الواشين أي معون

فأكمل له لي في الحال ، ونسبه إلى جميل بن معمر، والبيت بتمامه:

بئس الزمى "لا" إن "لا" إن لزمته

على كثرة الواشين أي معون

وتكررت لقاءاتي به في منزله بعد ذلك لعدة سنوات.. إلى أن طوحت بي الأيام فعشت طويلاً خارج مصر للدراسة أولاً، ثم للعمل ثانياً ، فقلت زيارتي له، وإن تعددت لقاءاتي به في زيارته المتكررة للكويت .

وحينما اعتقل الأستاذ محمود شاكر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، (وقد

حدث ذلك مرتين: الأولى لمدة تسعة أشهر عام ١٩٥٩ م ، والثانية لمدة ثمانية وعشرين شهراً في الأعوام ١٩٦٥-١٩٦٧) كنت ضمن تلامذته وأحبائه الحريصين على زيارته في المعتقل. ومع ذلك لم يكف لا قبل اعتقاله، ولا في أثناءه، ولا بعد الإفراج عنه عن مجاهرته في كل مجالسه برأيه في نظام الحكم، غير مبال بما يسببه له ذلك من متاعب، ولا عابئ برجال السلطة الذين كانوا يسجلون عليه أنفاسه، ويرصدون زائريه، ويراقبون الداخلين عليه والخارجين ، ويتنصتون على مكالماته الهاتفية .

رحم الله الفقيد الكريم كفاء ما قدمه للعروة والإسلام من أياد بيضاء، وأثابه على جرأته في الحق، وصموده في الدفاع عن قضايا أمته العربية ، وتصديه لكل ما يراد لها من كيد في دينها ولغتها وأدبها وتراثها.

وصدق قول صديقه محمود حسن إسماعيل فيه:

وأراك أنت بكل لُجٍّ مَوْجها
والهادر المشبوب في شلالها
وأراك أنت عليمها وكليمها
والجاذر الشبهات في استدلالها
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أحمد مختار عمر
عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

في حفل استقباله عضواً بالجمع

أن التجديد في اللغة والنحو يجب أن ينهض على الأصول الثابتة للعتنا ، وألا يخرج عن ضوابطها العامة، وفي ذلك يقول في كتابه "رحلة مع السماع والقياس" : "إذا أردنا إحياء العربية والمحافظة عليها ، وإذا أردنا تيسيراً للنحو وتجديداً لمناهجها ، ووضع قواعده في صورة حديثة تعتمد المنهج العلمي طريقاً، فلا مناص من استعراض الأصول التي نستمد منها قوانين لعتنا ، وترسم هديها في تطبيق كلامنا ، ثم نسجل من جميعها الظواهر، ونستخذ من هذه الظواهر ، القواعد التي تربطنا بقرآننا وراثنا الحضاري الخالد في جميع المجالات، وأنواع المعارف والفنون".

والدكتور البسيوني يكرر النظر إلى التجديد في العربية من جميع نواحيها ومناهجها ، ويقرر : بأن المحافظة على ما

بسم الله الرحمن الرحيم
سيدي الرئيس الجليل الأستاذ الكبير
شوقي ضيف ، رئيس مجمع اللغة العربية.
السادة العلماء الأجلاء : أعضاء مجمع
اللغة العربية:

شاءت إرادة الله عز وجل أن أشغل
مكان الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد
الرازق البسيوني الذي أقبل علينا من
أزهرنا الشريف شاعراً أديباً وسادنا جليلاً
من سدنة العربية، نهض برسالة إحياء
الدراسات النحوية مع طليعة من زملائه
وشيوخه الكبار: محمد علي النجار،
ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد
رفعت فتح الله، وثلاثتهم من أعضاء
المجمع الراحلين * ، وكان رحمه الله قيمة
وقمة في عين من يتفق معه أو يختلف ،
ومن آرائه الصائبة في العربية ، أن نعيد
دراستها على منهج علمي قويم ؛ إذ يرى

* حصل الفقيه على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ثم ترقى في الوظائف العلمية، أستاذاً فوكيلاً
للكلية ، رئيساً لقسم اللغويات ، كما اشتغل بالصحافة في أخبار اليوم فترة طويلة .

وأهون مما كان ينبغي أن يقال فيه،
ومعذرة إذا جئت بعد دكتور بسيوي على
استحياء ، لأحمل الأمانة ظلومًا جهولاً،
تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه، وجزاه
خير ما يجزى به العلماء العاملون ، وسلام
عليك إلى أن ألحق بك في مقعد صدق
عند مليك مقتدر .

سيدي الرئيس الجليل ، سادتي
العلماء الأجلاء في مجمع الخالدين ، أيها
الحفل الكريم :

لقد شرفتموني حين منحتموني ثقتكم
الغالية ، فصيرتموني زميلاً لكم أحمل معكم
أمانة الحفاظ على هذه اللغة الشريفة ،
لتبقى على الزمن خالدة خلود كتابها
المعجز ، وأشهدكم أيها السادة : أنني
مازلت - كما كنت من قبل - طالب
علم - شرفت بالعمل في مجمعكم خبيراً
في لجنة اللهجات قبل ربع قرن على يد
مشيخة من علمائها، محمودة سيرهم
خالدة آثارهم ، وكأن شوقي يشير إليهم
حين يقول :

كانوا أجل من الملوك جلاله
وأعز سلطاناً وأفخم مظهرًا

ورثه لنا الأقدمون في العربية إنما يكون
بتغذيته بعناصر جديدة للحياة والنماء،
بالزيادة عليه ونفي ما فيه من ضعف . أما
أن نصبه هياكل ونقوم دونها سدة، فإننا
بذلك نمكن له في التجمد والتخلف، وإذا
بالركب بمضي ، ويتركه حيث هو - غير
عابئ بواح النائحين!"

على أنه يجب أن ننوه بأن محوث
شيخنا البسيوي أكثرها غير مطبوع ،
ولعل تلاميذه - وهم كثر - ينهضون
بطبعها، ليفيد الباحثون من علم شيخهم
العام الفذ .

ذلكم أيها السادة هو الرجل الذي
ودعه مجمعكم الكريم بعد صفحة حافلة
بجلائل الأعمال التي سجلها له التاريخ ،
والجمع يذكّر الخالدين من رجاله ، ولا
ينساهم ، وشيء من الوفاء يجعل الحياة
أجمل.

وما أظن أنني استطعت الوفاء له بما
هو أهل له من الشاء، وما ينبغي لمثله من
الإطراء والذكر الخالد.

فلتقبل روحه الطاهرة من أخيه البار
هذه التحية التي مهما تكن فهي أقل

وللإذاعة أزمة ، وللمدرسة والجامعة
أزمة، وهذا كله له أثر واضح في عجز
الأمة وجمعها على أمل موحد وغد كريم.
ومشكلات العربية قديمة جداً بدأت
(بالجمع اللغوي) على يد أفراد كالحليل
والكسائي ولا يسعنا إلا حسن الإشادة
بفضل أولئك اللغويين القدماء على أنهم
كانوا أفراداً يقومون بالجمع وذلك شاق
غير مأمون؛ إذ فلتت صيغ مسميات كثيرة
ندت عن الجمع اللغوي - وأسقطتها
المعاجم العربية بعد ذلك فلم تشر إليها،
ولكن الخلاف نشأ بعدهم حولها وهل
هي عامية أو فصحي، أو ...، وفيها: ما
يظن صواباً وهو خطأ وما يظن عامياً وهو
فصيح، وكثر فيها الشاذ والنادر والقليل
والضعيف والمتروك ... إلخ .

ومن أجل هذا ؛ قمت مع طلابي
بجمع جديد في بقاع الجزيرة العربية سنة
ثلاث وثمانين ١٩٨٣م واستمر أكثر من
عشر سنين في جامعة أم القرى بمكة

ومن أين لي أن أقتصر البيان الرائق
بشكر السادة أعضاء المجمع، لانتخابي
عضواً معهم؛ لأكون معهم كالفنن
المأمول الثمر، في دوحة فينانة، دانية
الجني، مرموقة القطوف * .

وكيف لي أن أوفي أخى العزيز
الأستاذ إبراهيم الترزي ، لما طوق به
عنقي من ثنائه ، ولما أضفاه على شخصي
الضعيف من فضله، ولما نوه به من ثمرات
حبه، وما جباني به من شمائله التي أراي
عاجزاً عن بلوغها حتى ظننته يتحدث عن
إنسان آخر غيري ، وما توفيقي. إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب .

سيدي الرئيس ، السادة العلماء الأجلاء،
أعضاء مجمع الخالدين :

الحديث عن مشكلات العربية يجب
أن يكون صحيح المنهج لا يخضع إلى
الخلط بين العاطفة والحقيقة . والازدواج
اللغوي يصدع وحدتنا ويفرقها طبقات
ثقافية ، فللمسرح أزمة وللصحافة أزمة

لى طول المدى وعرض الجبان .
والذي تصعبونه غير فانى .

*أنا والخالدين أطول عمرا
كيف أخشى الفناء بين يديكم

المكرمة وحددت لكل مجموعة عنوانا فمجموعة تختص بجمع الألفاظ في مناطق معينة حول معاطى الإبل والغنم في بوادي نجران والليث ومجموعة أخرى حول النخل في الأحساء والمدينة المنورة ، ومجموعة أخرى حول مسايل المياه والغدران ومجموعة أخرى حول الظواهر الجوية من رياح وشمس وظل وبرق في مساطق بني سعد جنوب الطائف وقبائل هذيل حول مكة وقبائل فهم في منطقة الليث ومجموعة أخرى تجمع أسماء النبات والزروع والحراث والحب، ومجموعة أخرى حول الأطعمة والأشربة، ومجموعة أخرى حول السلاح والسيوف والحرايب .. إلخ .

وحددت لكل منطقة رواة ولهم شروط خاصة، وكان هدي من ذلك بناء عمل جديد (لجمع اللغة) في هذا الوقت شمل القرى والوديان والسوق والبوادي.. إلخ ، يخرج كل فريق من الطلاب على حدة ليسأل عن كل ذي سلعة وكل ذي صنعة وكل ذي آلة ثم يدونون ذلك بأوصافه وصوره ثم بعد

ذلك يقارن كل مجموعة ما جمعت في الحياة البدوية بالمعاجم العربية القديمة . وهذا العمل لمخنا فيه حلقات التطور بين القدم والحديث وهي في نهاية الأمر قافلة تمشي في جوف الحياة إلى هدف وغاية وبعد جمع المادة مشافهة من الأعراب في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية قارناها بالجمع الأول في كتب الخليل والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهم، ومكننا هذا الجمع اللغوي من المقارنة بين ماضي لغتنا العربية في الجمع اللغوي الأول القدم ، ومقارنته بالجمع الحاضر الذي نقوم به الآن، وتلك المقارنة أطلعنا على مدى التغير الذي حدث للألفاظ والتراكيب صوتياً وبنوياً ودلالياً وكم هي الألفاظ التي تكلم بها الرواة قديماً في القرون الأولى من الهجرة ولا تزال تجري وتستعمل حتى الآن على ألسنة أبناء الجزيرة العربية في باديتها حتى اليوم ، وقد كنا في هذا الجمع اللغوي نستعين بالصور الفوتوغرافية والأجهزة التسجيلية والإحصائيات لسماع (المادة اللغوية) أكثر من مرة ، وأن هذا الجمع اللغوي

وقد شمل البحث دراسة لغوية قابلنا فيها بين الألفاظ وغيرها قديمًا وحديثًا لمعرفة ما فيها من : أ- ألفاظ قديمة على الألسن حتى الآن . ب- ألفاظ قديمة أصابها تغيير في الصيغة ج- ألفاظ استبدلت بها ألفاظ أخرى د - ألفاظ قديمة بطل استعمالها دون بديل لها.

وفي ضوء ما سبق فإن من يتصدى لإصلاح مشكلات العربية لابد أن يوجه همه أولاً إلى دراسة حياة العربية وتطورها ومناهجها، وأن هذا التطور يخضع لقوانين ونظم لابد لأحد على وقف عملها، وأن العربية على الرغم مما بذل في صيانتها لم تلبث أن أفلتت من جميع الأغلال وسارت في السبيل التي أرادت على السير فيها سنن التفرع اللغوي حتى أصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية .

ولما سبق أرجو من المجتمع أن يُقرب بين لغة اللسان ولغة القلم ، وتوسيع بحرى التعاون بين لغة الحياة ولغة الكتابة؛ وذلك لا يكون إلا بتتبع كتب أسلافنا في التصويب لقول العامة ، وعلى قرب منا (كتاب القول المقتضب في ما وافق لغة

التشاق لم يرق على الكتب القديمة وما فيها وإنما آزره وقواه رحلات حية معاصرة في أماكن وعرة متهممة ومنجدة وهذه الدراسة تمكننا من أن نخرج التراث اللغوي القديم إخراجاً جديداً في ضوء تلك الدراسة الميدانية المعاصرة، وهذا التقابل اللغوي على نمط جديد ، وهو الربط بين ماضٍ تليد وحاضر مشرق، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية والإسلام، وذلك أثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها ، وتصوغه في قالبه .

وحلص هذا (الجمع اللغوي) في مناطق أشرت إليها سابقاً في الجزيرة العربية إلى ما يلي:

١- أن العربية القديمة ولهجاتها - مازالت جذورها باقية بكثرة وبنسبة عالية في العربية المعاصرة في الجزيرة العربية، وأن لغة الأحفاد موصولة بلغة الأجداد، وإذا كان هناك من خلاف فقد حددناه (أ) في الأصوات (ب) في الصيغ (ج-) في الدلالة.

أهل مصر من لغة العرب)؛ وبذلك نصحح الصلة بين المجمع والحياة؛ بأن يكون تعامله معها أخذاً وإعطاءً معاً ، لا إعطاءً فقط (لسان العرب اليوم . أمين الحولي . مؤتمر الجلسة الثانية ٧ شوال سنة ١٣٨١هـ) .

وفي ضوء ذلك يصنع معجماً يحتوي على صحاح العاميات العربية وما في المعاجم اللغوية؛ ليكون هذا المعجم وسيلة للتقارب والتفاهم على ما عرف الناس واستعملوه ؛ ليعرف المعلمون صوابه فلا يسرفون في تخطئة المتعلمين ، وليرجع إليه المتعلمون فيشعروا أنهم يعيشون بلغتهم على أن هذا العامي - يرتد كثير منه إلى لغات القبائل العربية القديمة ، وقد رأينا كثيراً من علمائنا أقدموا على جمع الألفاظ العامية التي لها أصول عربية من مثل قول العامة : (فلان تريش) أي ظهرت عليه النعمة وفي المعاجم : ارتاش وتريش: أصاب خيراً فظهر عليه أثره، وقول العامة: فلان (يُرْمَرَم) أي يخلط طعامه، وبهذا المعنى جاء استعماله في إحدى روايات حديث الهرة (ولا هي أرسلتها

تُرْمَرَم من خشاش الأرض) وقول العامة (الوقيد) يعنون ما تطعم به النار ، والمشهور في الفصحى : (الوقود) والذي يستعمله العامة وارد في اللغة، وآية نسبته إلى الفصحى أنه ورد في القراءات القرآنية (وقودها الناس والحجارة) قُرئ أيضاً (وقيدها) بدلا من (وقودها) والاستشهاد بالقراءات لا خلاف عليه، وإذن فاستعمال العامة (للوqid) من الفصحى.

على أن كثيراً من القراءات الشاذة في القرآن الكريم قد صورتها لهجات قبائل عربية، ويكفي مراجعة كتب شواذ القراءات على ما عندنا من لهجات وعاميات في عالمنا المعاصر لنرى أن هذه العاميات قد ارتكزت على ركن ركين، يقول ابن جني في محتسبه عن الشاذ "إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم: وربما كان فيه ما تلطف صنعته.. المحتسب ٣٢/١ لابن جني". وكثير من اللهجات القرآنية عُزلت عن (لغة الدراسة) حفظاً لوحدة التعبير. وهذا

أن الأستاذ (فاروق شوشة) استغل قراءة قرآنية شاذة، وسمى بها أحد دواوينه، وأطلق عليه (هتُّ لك) وهي قراءة قرآنية في (هيت لك . يوسف ٢٣) .

وفي درس العامية إدراك لحق التطور، وفي الدرس التاريخي لا يصح لعالم لغة أن يهمل العاميات، إذ ربما غامت ظاهرة في الفصحى لضياع مفرداتها، ومن الممكن أن تكشف عنها عامية ما، يؤكد هذا أن الأستاذ حفي ناصف ألف كتاباً سماه: مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها، وهو بحث قدمه إلى مؤتمر المستشرقين في مدينة (ديانا) بالنمسا . ط. جامعة القاهرة ١٩٥٧ وقد ربط في بحثه هذا بين لغات القبائل العربية القديمة وبين لهجات مصر المعاصرة في قراها ومدنها وقارن بينها في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدالية .

وإليك هذه اللمحات بين الفصحى والعامية . الفصحى هي القالب المختار لمختلف اللهجات . الفروق بين العامية والفصحى تتفاوت منازلها وأقذارها

الذي عزل عن الدراسة رسب كثير منه في لغة التخاطب، ومن هنا تشعبت اللهجات العامية (انظر شواهد وقراءات قرآنية لذلك في " مارسب في اللغة العامية من اللهجات القرآنية: محمد الملاح. بغداد). وهذه القراءات القرآنية - ولو كانت شاذة - تعد كنزاً لغوياً بما تثيره من حوار أنصب التفكير اللغوي صوتياً وصرفياً ونحويًا ودلاليًا وأسلوبياً - لأنها هي المثال الحي لنطق الفصحى قديماً وحديثاً؛ ولهذا يمكن الاستهداء بها واستثمارها في تيسير الفكر اللغوي المعاصر، وأشير إلى شاهد واحد منها: في قوله تعالى: " وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره " (الأنعام ٩١) من الفعل الثلاثي المخفف، وفي لغة العصر الحديث نستعمل (قَدَّر) بالتضعيف بمعنى (احترم) وتسكت المعاجم عن التضعيف ولكن يقرأ الحسن وعيسى الشقفي بالتضعيف بمعنى: التعظيم(*) . وجاءت لغتنا العصرية على هذه القراءة الأخيرة؛ فالقراءة هذه استثمرت في تيسير اللغة على مستوياتها المختلفة . ومن ذلك

(*) البحر المحيط ١٧٧/٤ .

الأصيل إلى المعنى الدارج عربي فهي كما يقول أحد الكاتين (مصنوعات وطنية) نسجت من حيوط عربية، ويؤسا في ذلك من ألف في فصيح العامة وله وحه من الصحة اللغوية من مثل (كتاب رفع الإصر عن كلام أهل مصر)، (الاقتضاب في ما وافق لغة أهل مصر من كلام الأعراب)، و(المحكم في أصول الكلمات العامية)، (رد العامي إلى الفصيح)، وجميع هذه المؤلفات وهي : قل من كتر- تعتبر خطوة واسعة على طريق التفصيح. ولهذا لم يجانب الأستاذ محمود تيمور الصواب حين يقول : على أن الصواب في اللغة : مناطه الشيوع فمتى شاعت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بمحتها في الاعتداد بها وأصبح لها في الحياة حق معلوم .. فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة(*) . إن اللهجات العامية قد اشتملت على كثير من الألفاظ الصالحة للاستعمال

العامية عريقة في نسب العربية . العامية صنعها مجتمع عربي . الكلمات العامية لا تكون مبتذلة متى أبدت وظيفتها . العامية تستند إلى انبثاقها بلهجات العرب القديمة ولهذا يقول ابن جني: "إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ". لا خير في الدعوة إلى إحياء العامية واتخاذها لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية ومراجعها من اللهجات العربية القديمة عسى أن نستعين بها في إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها ، ويعالج مشكلاتها التي تعانيتها في الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن؛ لكي نكفل لها أسباب اليسر، ونواتيها بمزيد من المرونة والطواعية، وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار ، فنقارب بين أسلوب الكتابة وأسلوب التخاطب ؛ لنيسر للقارئ سبيل التبيين والفهم، ونيسر للكاتب سبيل الإبانة والإفهام. معظم كلمات العامية عربي، فالحروف عربية ، وطريق الاشتقاق عربي، والمنحى في الانتقال من المعنى

*مشكلات اللغة العربية لمحمود تيمور ٢٧ فما بعدها ط . أولى سنة ١٩٥٦ .

الفصيح، وقد أهملتها الفصحى - وفيها معين لا ينضب للاستعمالات الجديدة . إن بعض الأساليب العامة قد يشيع على ألسنة المتعلمين للفصحى مع سهولة تخريجه وقوة دلالة، فدراسة العامة تُعين على سهولة التخريج، ولعلنا إن تأملنا كتب اللغة نرى أنها قد غفلت عن أشياء مازالت تحتفظ بها اللغة الدارجة من مثل: شاف يشوف. والاستعمال الدائر السائر في كل بلاد العربية الآن من (أن شاف معناها نظر . ورأى) صحيح. وذكر صاحب التاج عن ابن الأعرابي قوله: "بعث القوم شَيْفَةً لهم" - أي طليعة لهم". وفي القاموس: اشتاف الرجل - إذا تناول ونظر .

فالعامية الفصحى فيها نَفَسٌ من روح البيان الأصيل، ولهذا كان الإمام (البعلبي) وهو من أعلام المذهب الحنبلي ت. ٧٠٩هـ - كان ينظر إلى العرف وإلى لغة العصر مع احتفاله بآراء اللغويين والفقهاء، وعنايته بها ، ولم يمنعه ذلك من تفسير

بعض الكلمات بلغة عصره مثل :
الوقاية : الطرحه (١)
ومن واجبنا حيال ذلك :
أ- إيجاد لغة (مشتركة) أداة للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد مهما تعددت لهجاته وألسنته الخاصة .
ب- التقريب بين الفصحى ولهجاتها عن طريق منابع شتى: كطرق التعليم العام وأجهزة الإعلام المختلفة التي يمكن أن تقوم بتوظيف عربية سهلة مشتركة من شأنها جمع الأفراد والجماعات حولها من غير بغض لها أو تنفير منها (٢)
وأرى أن الفصحى لا يَحْطَأُ، وإنما يُتَرَخَّصُ إذا آنس أمن اللبس ، كما أن الترخص درجة من درجات الصواب مع أنه يخالف القاعدة والعرف الشائع في التراث، وقد سمى اللغويون المحدثون: الترخص (الابتداع في اللغة) وهو في بعض صوره يستهوي المجتمع فيصبح سنة في الكلام، وقد ترخص بمعكم اللغوي في تصحيح بعض الأساليب والتعبيرات الشائعة التي

(١) البعلبي اللغوي ٨٤ تح - سليمان العايد . مكة المكرمة .

(٢) حريدة الأهرام القاهرية ٦ أغسطس ١٩٩٩م.

والمذيعون والمعلمون وبذلك يتم لنا القضاء على من يقول بوجود هوة عميقة بين لغة النطق ولغة الكتابة أو بين العامية والفصحى ، واللسان العربي مرن يقبل ما يضاف إليه بما لا يخالف الأصول المقررة.

نداء ومقترحات

أ- في المشرق العربي نعتزف بأن (الإعلام) يرتكسب خطيئة مزدوجة، فلا يمارس التشويه في حق العربية فحسب، ولكنه يمارس التشويه في حق اللغة العامية أيضاً، فالأولى (وهي العربية) تهان ، والثانية (وهي العامية) تُبتدل ، بل كثيراً ما تتجح إلى السوقية والإسفاف. (والإعلام) في النهاية بحاجة ماسة إلى أن يراجع خطابه احتراماً لرسالته وللغة التي ينطق بها.

ب- لا تقف العربية في مسيرتها إلى حدود ثابتة، بل لابد أن تتجاوز هذه الحدود في القرن الجديد لتلاحق منجزات العصر في الابتكار والإبداع وامتلاك المعرفة لتعزيز مكانتها بين لغات العالم المعاصر ، وعلى اليونسكو الآن وهو مرجعية علمية ولغوية وثقافية أن يعد تقريراً عن الحالة اللغوية

كان يسكرها الأقدمون أو التي لم تسجلها المعاجم اللغوية القديمة، وذلك بعد تخريجها على وجه من الوجوه يصححها ويرد لها وجهها العربي، ويرى صديقنا الدكتور أحمد مختار عمر؛ وهو على حق فيما ذهب إليه من تصحيح كل ما يمكن تصحيحه من العبارات والأساليب وقبول ما له وجه في العربية يخرج عليه ما دام قد وجد رواجاً من أبناء اللغة أنفسهم وبذا نرد الطمأنينة إلى نفوس الكثيرين الذين تاهوا بين الصواب والخطأ..(*)

والقاعدة في هذا الباب: أن كل كلمة يمكن أن تخرج في العربية فلا مانع من استعمالها، وعن طريق هذا التخرج يكون التطور .

وهدي من وراء ذلك هو خدمة اللغة العربية وإغناؤها ، لنكشف أولاً عن كلماتها العتيقة التي لا تزال تحتفظ بها لغة العامة ، وكان الكتاب قد هجرها لعدم تيقنهم من صدق فصاحتها مع أنها فصيحة ، ووضعها من جديد ليتداولها الكتاب والقصاصيون والمسرحيون

* العربية الصحيحة أ.د. أحمد مختار عمر ط عالم الكتب ص ١١٥ .

في العربية المعاصرة يعلن فيها وثيقة عامة لحقوق الإنسان العربي في لغته .

ج — إن ضعف العربية في أوطان العربية جميعاً دليل على انكسار هذه الأمة وفي ذلك يقول ابن حزم " إن اللغة يسقط أكثرها بسقوط همة أهلها " الأمر الذي يعني أن محتتنا في عمقها ليست في عثرات اللسان وإنما في اعوجاج عموم الحال، والدفاع عن اللغة الوطنية دفاع عن الذات، وانتهاك حرمتها احتقار للذات.

د- على العربية اليوم أن تقتحم تقنية المعلومات الجديدة — حتى لا تتخلف عن غيرها من اللغات ، ووضع البرامج لاختيار الأقوم والأنسب لتعليم العربية في ضوء الحاسوب والمعلومات الجديدة كأدوات البحث على الإنترنت والتشكيل والتلخيص وأدوات الكلام الآلي وهي أدوات لازمة لمواكبة ركب الحضارة.

هـ — ولا مبرر أن نلقي بمسؤولية تدهور لغتنا على (مجمع اللغة العربية) — صحيح أن المجمع هو الضمير اللغوي للأمة وعصب التكامل الاجتماعي والقومي

فيها، ولكن صحيح أيضاً أن اللغة وهي المعيار الحقيقي للتواصل بين فئات المجتمع المختلفة هي أمر يخصنا جميعاً وليس بمجمع الخالدين وحده ، وإن إنجاز العلم والعلماء في أي مجتمع، يكون بقدر استعداد المجتمع من ناحية، والثقافة العلمية للمجتمع من ناحية ثانية، وإذا كان المجتمع غير مؤهل للتعامل مع جهود العلماء ، ومع نتائج العلم ، فلا بد أن يذبل العلم في هذا المجتمع، واللغة لا تتطور إلا على أيدي عاشقيها، ولا تتوسع مقاييسها إلا طبقاً لحاجات مجتمع يطالبها بهذا التوسيع.

والذي أرجوه إذا صلحت النيات وصحت العزائم — أن تشكل اللغة العربية حضوراً وبعثاً من جديد، وأن تجسد روح مرحلة جديدة في ضوء صحوة لغوية مرتقبة بإذن الله، وبذلك تدفع شبهاً القصور الأبدي المفتري على أم عريقة، ولغة عريقة ، كان لها فضل وغلبة، ويرجى أن يكون لها فضل وعلبة وانتصار، وذلك منهج من يحترم لغته، والأمم ما عاشت لهم لغتهم، عاشوا

عليها موصولة، تردهم إلى غابر ،
وتجمعهم على حاضر ، وتربطهم
بمستقبل.
وعلى الله قصد السبيل ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته
أحمد علم الدين الجندي
عضو المجمع

كلمة الأستاذ فاروق شوشة في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

سطورها الناطقة بفضله، وكرم سجاياه
وجميل لغته، وبيانه، ولأن الحديث ذو
شجون . فلني أستاذنكم في العودة إلى
السوراء قرابة أربعين عاماً، حين بدأت
علاقتي الأولى بمجمع اللغة العربية. وكان
الفضل في هذه العلاقة للأخ الأكبر
إبراهيم الترتزي الذي أتاحت لي صداقته
وأخوته أن أتنفس مبكراً هواء المجمع، وأن
أعيش حبه العلمي، قريباً من جلساته
ومؤتمراته، وقراراته وتوصياته، وأن أتابع
عن كثب حركة الأجيال فيه، كوكبة بعد
كوكبة إسهاما وعطاء، حواراً ومداخلة،
موافقة ومخالفة. فضلاً عن الصلة الحميمة
التي أتاحت لي بالعديد من رجالته
وأعلامه. وحين بدأت في تقديم البرنامج
الإذاعي اليومي "لغتنا الجميلة" في مستهل
شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمئة وسبع
وستين، كان الصديق العزيز إبراهيم
الترتزي أول من عاونني، ومنحني رأيه
ومشورته واهتمامه، كما كان الراحل

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع
العالم الكبير الدكتور محمود حافظ نائب
رئيس المجمع
الأخ الكبير الأستاذ إبراهيم الترتزي
الأمين العام للمجمع

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع الضيوف الكرام:

أبدأ بموفور الشكر وعاطره لأسرة المجمع
الموقرة، التي شرفني باختيارني عضواً فيه،
وأتاحت لي فرصة الانتماء إلى هذه
الشجرة الطيبة العريقة أصلها ثابت
وفرعها في السماء وأن أكون بينكم اليوم
واحداً من متحدثي هذا الحفل الكريم.
والشكرُ أعمقُ الشكر للأخ الكريم
والصديق العزيز الأستاذ إبراهيم الترتزي
الأمين العام للمجمع على كلمته الضافية
عن ثلاثتنا التي أرجو أن أكون أهلاً
لبعض ما جاء فيها، ومستحقاً لبعض

تحقق من خلالها ما كنت أحلم به، وهو أن يلتفت الناس إلى كنوز هذه اللغة، وأن يتسيع هذا التعبير " لغتنا الجميلة" على الألسنة والأقلام، تعبيراً عن حقيقة اللغة العربية وتميزاً لها عن غيرها من اللغات، وقد كان من أسباب نجاح البرنامج وقدرته على الاستمرار منذ خطواته الأولى مكتبة الجمع وعلماءه وباحثوه وأصدقائه أقول هذا، لأن للمجمع ورجاله ديناً في عنقي. منذ كان الدكتور إبراهيم أنيس أستاذاً في دار العلوم ورائد الدراسات اللغوية الحديثة وعضو المجمع يعلمني أن نطق الجيم المصرية نطق عربي فصيح يعود إلى أصول يمنية، وأن تعطيش الجيم هو لهجة قریش التي نزل بها القرآن الكريم. ومنذ كان الأستاذ عباس حس أستاذاً بالكلية وعضو المجمع يُنبهني - من خلال متابعته المستمرة للبرنامج- إلى عدم التسرع في تحطئة كلمة أو تعبير عندما نقول : قل ولا تقل، موضحاً أن كثيراً مما نَعْدُه حاطماً قد يكون له - من حيث لا ندري - وجه من الصحة، وأن من يبي أمور اللغة ما هو حمال أوجه وموضعُ خلاف واحتهاد.

الكريم الأستاذ شوقي أمين مسعفاً لي بالموفور من علمه وكنوز تحقیقاته اللغوية، وكانت مكتبة المجمع في شارع مراد بالجيزة، ثم في شارع عزيز أباطة بالزمالك زادي وملاذي في كثير مما قدمت عبر حلقات البرنامج لسنوات طويلة متصلة. وكان اهتمامي بمتابعة ما يصدر عن المجمع من مطبوعات، ومن قرارات وتوصيات ومن تصويبات لأخطاء شائعة، ومن صيغ لألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم، كان ذلك كله يجد طريقه إلى الناس من خلال زاوية ثابتة في البرنامج عنوانها "جديد أقره المجمع".

لقد بدأ البرنامج في عام النكسة التي كان من إيجابياتها أنها جعلتنا نؤمن بضرورة العودة إلى الجذور، والبحث عن هويتنا الحقيقية، والكشف عن ينابيع الثقافة العربية والإسلامية، وفي ظل هذا المناخ وافقت الإذاعة على تقديم البرنامج لشهر واحد هو شهر رمضان من عام سبعة وستين، ثم لدورة إذاعية واحدة مدتها ثلاثة أشهر، ثم لعام واحد، ثم لمدى يتجاوز الآن اثنين وثلاثين عاماً متصلة،

هذا الدين للمجمع في عنقي، يجاوز
دينا قديماً لكتاب قريتي، حين قدم لي
الكتاب- فضلاً عن الخبرة الدينية الأولى-
خبرة لغوية كبيرة الأهمية تمثلت في ذلك
التدريب الصوتي المبكر والمران الذي
مارسته مع محارج الأصوات والحروف
وقواعد التجويد من مد ونبر ووقف،
وتدريب الجهاز الصوتي على النطق السليم
المبين، ثم جاءت علاقتي المبكرة مع تراثنا
الشعري قراءة وتذوقاً وتأملًا أول الأمر،
ثم تقليداً ومحاكاة في تجاوز وابتكار بعد
ذلك، ليكتمل لي بهذين الجناحين: الكلمة
القرآنية والكلمة الشاعرة، قدرة مرجوة
على التحليق، ونفاذ إلى بعض أسرار هذا
العالم الرحب الفسيح، عالم لغتنا الجميلة،
بكل ما يحويه من كنوز، وبكل ما يشرق
فيه من تجليات الإبداع، وبكل ما يمتلئ به
من أشواق الإنسان العربي ومطامحه
وتطلعاته، والقدرة على الوفاء
باحتياجاته- عبر العصور والأزمان. في
تعبيره عن الواقع المتغير، وانفتاحه على
عالم زاخر بالحضارات والثقافات
واللغات.

لأشد ما أدركت - عبر هذه
السنوات الطويلة الحافلة بكل تقلباتها
وتغيراتها، وبكل ما اعتري لغتنا الجميلة
على ألسنة الناس وأقلامهم- ما أدركه
شاعر النيل حافظ إبراهيم في مستهل هذا
القرن، حين نشر بكائته المشهورة : اللغة
العربية تنعى حظها بين أهلها عام ألف
وتسعمئة وثلاثين، تلك التي يقول فيها:
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحكم أهلي وتبلى محاسني
ومنكم - وإن عزّ الدواء - أساتي
فلا تكلوني للزمان، فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
ولم يكن اختياري لبيت المعبر:
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
ليكون شعارا ثابتا لبرنامج لغتنا
الجميلة إلا تأكيداً لهذا الوعي

الكاشف، وحفـزاً لهمم الغواصين الباحثين عن الصدقات والآلئ في بحر هذه اللغة الزاخر.

وأدركت بمتابعتي عن كتب- لجهود رجالات الجمع وعلمائه، كم ظلم هذا الجمع على مدى تاريخه الطويل، وكم كان مجالاً للتندر والتفكـه عند من لا يعرفون ولا يتابعون. فالجمع في زعم هؤلاء مسؤول عن التدهور المستمر في علاقة الأجيال الجديدة بلغتها القومية وعن الفشل المستراكم في تعليم النشء لغته العربية. وكأنّ الجمع بديلٌ للمدرسة والجامعة أو بديلٌ لوزارات التعليم. مسؤول - في رعمهم - عن انتشار الأخطاء وشيوع اللحن على الألسنة والأقلام، وكأن الجمع قوام على أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون فضلاً عن الهيئات الثقافية والعلمية في المجتمع. مسؤول عن شيوع المسميات الأجنبية التي أطلقناها على الشوارع والمحال والميادين والفنادق والمؤسسات والشركات والقرى السياحية وغيرها. وكأن الجمع بديل للوزارات المعنية في

الدولة. يملك أن يصدر القرار فيلتزم به الجميع، لكن هذا كله يؤكد حقيقة واضحة وهي أن الجمع يظل ملاذ الناس ومعتصمهم حين يستشعرون الخشية على لغتهم والخوف على حاضرها ومستقبلها. الأمر إذن مرجعه إلى الدولة، حين تصبح قضية اللغة العربية قضية قومية ومشروعاً قومياً، تتوحد من أجله الرؤى وتُحشد له الجهود وتُوحّد الميزانيات؛ لأنه مشروع الوجود والهوية والانتماء، يسبق في أهميته وجمع آثاره وخطره كل المشاريع الأخرى. ثم هو مشروع الكيان البشري والحضاري في عصر اختلاط الحضارات وتفاعل الثقافات وسيطرة لغات على لغات وهويات على هويات.

أذكر هذا كله وأستشعره، وأنا بين أيديكم الآن في موقف الشكر والعرفان. مُعرباً عن تقديري العميق لما خصّني به الجمع من تكريم، حين جعلني في المكان الذي خلا برحيل الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى أمين. وهو تكريم أعتر به وأشرف. فلم يكن مصطفى أمين مجرد رائد كبير من رواد الصحافة المصرية

والمصرية، أو مدرسة من مدارسها الكبرى. ولا مجرد كاتب كبير تابعه الملايين من القراء جيلاً بعد جيل. وارتبطوا بكتاباتهم في كل مجال صحفي عمل فيه. في الرغائب وروز اليوسف والفكاهة وآخر ساعة والجهاد والأهرام والاثين والدنيا وأخبار اليوم والجيل والأخبار ولا كان مجرد فارس عنيد من فرسان الحرية الذين جعلوا من قلمهم سلاحاً للحق يُشهره على أعداء الحرية، ويُنطقه بالرأي الآخر، ويواجه به الظالم والمستبد والطاغية، وينير الطريق للباحثين عن العدل، ويعمق من ساحة الوعي لدى قارئه.

كان مصطفى أمين كاتباً يقرؤه الملايين. وكانت بساطة لغته ويسرها- وهى اللغة السهلة الممتعة التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها- سبباً في ذبوع كتاباته.

وهو دور لا ينفصل عما قامت به الصحافة المصرية والعربية من جهد في تطوير اللغة لمطالب العصر والتوسع في القياس والاشتقاق والتعريب وصلة المصطلح وتسمية ألفاظ الحضارة وسبق الجميع في صوغ ما تراه ملائماً للتعبير عن الجديد الوافد الذي تقذف به أجهزة الاتصال الحديثة ليل نهار، حتى يتصدى له الجمعيون وغيرهم بالتصحيح والتقعيد.

والعربية، أو مدرسة من مدارسها الكبرى. ولا مجرد كاتب كبير تابعه الملايين من القراء جيلاً بعد جيل. وارتبطوا بكتاباتهم في كل مجال صحفي عمل فيه. في الرغائب وروز اليوسف والفكاهة وآخر ساعة والجهاد والأهرام والاثين والدنيا وأخبار اليوم والجيل والأخبار ولا كان مجرد فارس عنيد من فرسان الحرية الذين جعلوا من قلمهم سلاحاً للحق يُشهره على أعداء الحرية، ويُنطقه بالرأي الآخر، ويواجه به الظالم والمستبد والطاغية، وينير الطريق للباحثين عن العدل، ويعمق من ساحة الوعي لدى قارئه.

أجل، لم يكن مصطفى أمين مجرد هذا كله. لكنه كان - قبل هذا وبعده - علماً من أعلام لغتنا الجميلة في العصر الحديث. فهو صاحب مدرسة أسلوبية في الكتابة، التزمت بالمستوى العصري من مستويات لغتنا الجميلة، واتسعت لهموم العصر وحاجاته، والوفاء بمطالب العلوم والفنون في تقديمها المستمر. وأصبح هُجْ هذه المدرسة الأسلوبية مشاعاً لدى أجيال عدة من تلاميذه، كتاب الصحافة ونجومها اليوم،

وهو الذي نشأ في بيت زعيم الأمة سعد زغلول، ورضع فيه معنى الوطنية وتفس عبر الحرية، وكان يردد دوماً معالمة الخالدة، الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة. وقوله المشهور يجب أن ينظر كل فرد من أفراد الشعب إلى حكامه نظر الجندي إلى القائد لا نظر الطير إلى الصائد.

وكان مصطفى أمين يقول: لقد عرفت مصر طريقها عندما عرفت طريق الحرية، وستعرف عن هذا الطريق، الطريق إلى الرخاء، والذين يقاومون الحرية والديمقراطية والعدالة في بلادنا يريدون ما أن نبقى فقراء ضعفاء مسحوقين، لأنهم يعلمون أنهم لا يستطيعون السيطرة على الأحرار، وإنما يستطيعون أن يسيطروا على العبيد المستسلمين، ولي تستسلم مصر لأحد بعد اليوم.

ثم يقول: إن الرخاء لا يعيش بين الأسلاك الشائكة، ولا في ظل التهديد والوعيد، وإنما يعيش حيث يوجد الأمن والأمان، ويستقر حيث يوجد القانون والحرية، وفي عصور الحكم الفردي تحتنق

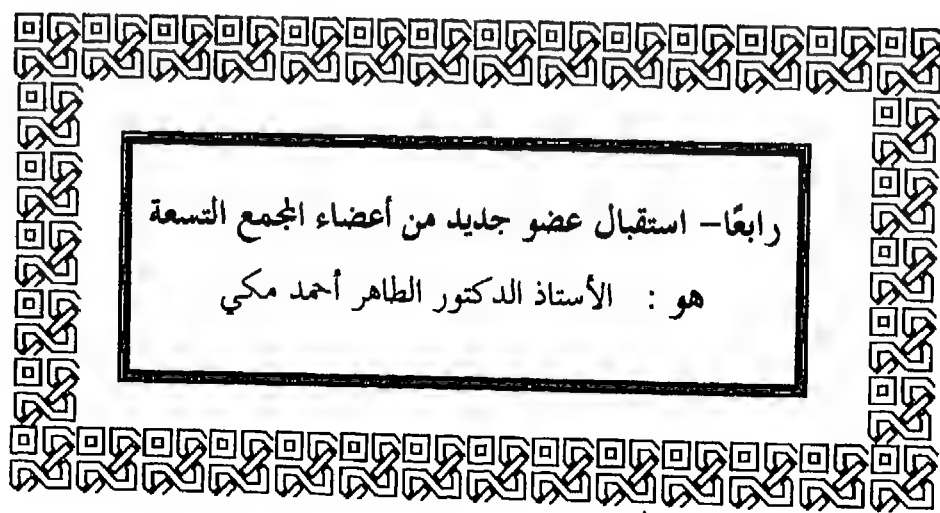
هذا هو دور مصطفى أمين اللغوي قام به ومعه نفر من رفاقه الرواد الصحفيين أصحاب الأساليب: أنطون الجميل وتوفيق دياب وإسماعيل مظهر وعبد القادر حمزة وفارس نمر ومحمد ركي عبد القادر وعيسى إسكندر المعلوف وعلى أمين ومحمد التابعي وفكري أباطة وغيرهم. وكثير منهم شرفوا بعضوية هذا الجمع، وازدان الجمع بهم نشاطاً وفكراً وحيوية، وقدرة على التغيير والتطوير.

أما مصطفى أمين الكاتب والمفكر وفارس الحرية، فأراؤه مبثوثة في ثنایا كتاباته بدءاً بعموده اليومي "فكرة" الذي ظل يكتبه لسنوات طويلة حتى اليوم الأخير في حياته. وانتهاء بكتبه ومؤلفاته الكثيرة: مائتا فكرة، أفكار ممنوعة، أمريكا الضاحكة، وكتبه الخمسة من سنة أولى سجن إلى سنة خامسة سجن، وعمالقة وأقزام، وصاحبة الجلالة في الزنزانة، وصاحب الجلالة الحب، وشخصيات لا تُنسى، وأسماء لا تموت، وقلمي يضحك ويبكي، ومن فكرة إلى فكرة وتحيا الديمقراطية ومن واحد إلى عشرة وغيرها.

يقدم هذه الصورة الشعرية الوصفية:
هَذَّبَ فِي جِنْسِيهِ، وَنَالَ الْمَدَى
بِنَفْسِهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ جِنْسُ
ضُمُخٍ مِنْ لَوْنِهِ، فَجَاءَ كَأَنَّ قَدْ
كُسِفَتْ فِي أَدِيمِهِ الشَّمْسُ
يَشْتَاقُهُ مِنْ جَمَالِهِ غَدَهُ
وَيُكْثِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ
أَيَامُنَا فِي ظِلَالِهِ أَبَدًا
فَصَلِّ رُبِيعَ، وَدَهْرُنَا غُرْسُ
لَا كَأَنَّا قَدْ أَصْبَحُوا صَدَأَ الْعَيْشِ
كَأَنَّ الدُّنْيَا هُمْ جِنْسُ
الْقُرْبِ مِنْهُمْ بَعْدُ مِنَ الرُّوحِ
وَالْوَحْشَةِ مِنْ قُرْبِهِمْ هِيَ الْأَنْسُ
أَيُّهَا الْمَحْفَلُ الْجَلِيلُ شُكْرًا أَعَمَّقَ الشُّكْرَ.
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
فَارُوقُ شَوْشَةُ
عَضُوُ الْمَجْمَعِ

الكفائيات، وتموت المعنويات ويصبح
النبوغ جريمة يعاقب عليها القانون.
وأخيرا يقول مصطفى أمين وهو
يخاطب الجمع في حفل استقباله. لست
أكثر من كاتب صحفي، يقول ما يعتقد،
ويؤمن بما يقول، ويرى أن الصحافة هي
أن تقول للحاكم ما يريده الشعب، قبل
أن نقول للشعب ما يريده الحاكم.
أيها السادة الأجلاء:

في مثل هذا الكاتب، وفي كل من
يؤدي رسالته المقدسة نحو وطنه وأمته،
وفي كل من يضمهم هذا الجمع العتيد من
علماء ومفكرين وأساتذة وباحثين،
غيورين على لغتهم الجميلة، حريصين
على هويتهم الثقافية، يقول أبو تمام وهو



وقد ألقى كلمة المجمع في استقباله
الأستاذ الدكتور محمود علي مكّي عضو
المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت
في هذه الجلسة :

في الساعة الحادية عشرة من صباح
يوم الاثنين ٢٨ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ
الموافق ٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٩م، عقد
المجمع جلسة علنية لاستقبال عضو جديد
بالمجمع هو :
- الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكّي .

الفتاح الجلسة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا اليوم يوم
العيد الرابع من أعياد مجمع اللغة العربية،
في استقبال الأعضاء العاملين الجدد،
واليوم نستقبل علامة كبيراً هو الأستاذ
الدكتور الطاهر أحمد مكي، أستاذ الأدب
الأندلسي في كلية دار العلوم، وأستاذ
الأدب العربي كله في جميع العصور، لأنه
كتب عن امرئ القيس، أول شاعر عربي
مهم في العصر الجاهلي، وكتب عن الشعر
العربي المعاصر، وكتب عن القصة
المعاصرة، أما تخصصه في الأندلس فقد
كتب فيه كتابات كثيرة تأليفاً وترجمة ،
وليس هناك كتاب فريد بديع في الأدب
الأندلسي كنا نتمنى ترجمته إلا ترجمه هو،
فحقيقة عمله واسع في الأدب الأندلسي ،
والأدب العربي قديماً وحديثاً .
والمجمع يهنأ بدخوله فيه هو والثمانية
من زملائه الذين شرف بهم المجمع في هذه
الدورة الجديدة ولا شك أن المجمع سيبدأ
بهم عهداً جديداً. ويتفضل الآن الأستاذ
الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع
بالقاء كلمته في استقبال العضو
الجديد الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد
مكي .

كلمة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع في حفل استقبال الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي عضواً جديداً بالمجمع

اللغة العربية والقائمة على رعايتها
والحفاظ على تراثها ، وذلك أن الطاهر
أحمد مكي تربطني به أكثر من وشيجة
لعل أولها، مما يلفت النظر هو الاشتراك في
لقب العائلة حتى إن كثيرين كانوا يخلطون
بيننا فيحسبوننا شخصاً واحداً أو يرون
بيننا لحمة نسب، وهو أمر كان يسعدني لو
أنه كان حقيقة، وما أكثر ما كانت
الرسائل الموجهة إلى كل منا تختلف فيما
بيننا فتصل إليّ رسائله، وتصل إليه
رسائلي، أو يخلط بين اسمينا من يكاتبي أو
يكاتبه، فيحتاج الأمر إلى فك اشتباك .
وثانية هذه الوشائج: أن كلينا ينتمي إلى
نفس المحافظة من محافظة أقصى الصعيد
وهي قنا ، فأنا من هذه المدينة، وهو من
أعمال مدينة إسنا، وقد جمع بين المدينتين
أحد أعلام العربية في مطلع هذا القرن هو
الأستاذ حفني ناصف الذي نقل إلى قنا
مغضوباً عليه، فقد كانت محافظتنا

بسم الله الرحمن الرحيم: أستاذي رئيس
مجمع اللغة العربية ، الأستاذ الدكتور
شوقي ضيف:

الإخوان والزملاء:

السيدات والسادة:

استمحيكم أولاً عذراً لأنني قادم من فراش
مرضى والتهاب شديد أخذ أكثر من
نصف صوتي، وأرجو أن يعينني الله على
أن أكمل هذا اليوم في استقبال أخي
وزميلي الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد
مكي، وأرجو ألا تذهب بقية صوتي في
هذا المجال الذي كنت أود أن أكون في
حال أحسن مما أنا عليه الآن .

لست أكتمكم سعادتي بأن وَكَّلَ إليّ
بمجلس المجمع الموقر وأستاذي رئيسه
الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، شرف
استقبال عضونا الجديد الذي نحتفل
بانضمامه إلى مجلس المجمع، وهو بغير شك
كسب كبير لهذه الهيئة التي تضم سدة

المسكينة منفي للمغضوب عليهم، لا الضالين من موظفي الحكومة ، غير أن الرجل بإبائه وكبريائه مخاطب الشامتين فيه من أجل ذلك بقوله :

قالوا نقلت إلى قنا

يا مرحبًا بقنا وإسنا

قالوا قنًا حر فقلت (م)

وهل يرد الحر قنًا

ولعلكم ترون ما في هذا البيت الثاني من فكاهات ودعابات، كان حفيي ناصف رحمه الله معروفًا بها، وترتب عليه على ذلك أن نشأتنا الأولى كانت متقاربة في تلك البيئة البعيدة عن مركز الثقافة والنشاط الأدبي، ومع ذلك فقد كان أهل هذه البيئة من أكثر الناس طموحًا ورغبة في العلم وأخذًا بمبدأ الثقاف الذاتي ، وإذا كان طريقانا في تحصيل العلم مختلفين ؛ إذ كان توجهه إلى التعليم الأزهري الذي أوصله إلى دار العلوم، وكان تعلمي في المدارس المدنية التي انتهت بي إلى كلية الآداب - جامعة القاهرة؛ فسرعان ما التقينا بعد ذلك حينما جمع بيننا التخصص في الدراسات العليا على أرض الأندلس ،

فحصل كلانا على إجازة الدكتوراه من جامعة مدريد في ميدان الدراسات الأندلسية، ومن هنا أتت هذه الرابطة العلمية الأخرى التي وحدث بين طريقا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم. على أنني لم آت للتحديث عن نفسي وإنما عن ذلك الزميل الجديد الذي سوف نشرف برفقته. لقد أورد الطاهر مكى في مقال له بمجلة الهلال ذكرياته عن نشأته الأولى، وهو مقال كنت أود أن أنقل بعضه لما فيه من حرارة وصدق وحنين إلى تلك الأيام من المقاسات والكفاح ، لولا أن الوقت المتاح لا يسمح بذلك ، وأذكر أنه تخرج في دار العلوم بجامعة القاهرة بمرتبة الشرف في سنة ١٩٥٢م وبعد تجارب مرت له بالتدريس في مصر أوفد في بعثة إلى إسبانيا حيث أنجز رسالة في الدكتوراه بدرجة ممتاز في جامعة مدريد سنة ١٩٦١م، وعاد إلى مصر فعمل في كلية دار العلوم مدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا ، ثم رئيسًا لقسم الدراسات الأدبية ووكيلًا للكلية للدراسات العليا والبحوث ، وقضى الطاهر مكى سنوات أستاذًا رائدًا في

جامعة بوجوتا عاصمة كولومبيا ومكنته هذه الإقامة والاتصال المباشر بشعب من شعوب أمريكا اللاتينية إلى جانب اهتمامه بأداب تلك البلاد، من التعرف الوثيق من الأدب المكتوب بالإسبانية في هذه القارة، حتى أصبح واحدًا من تخصصاته الأدبية الكثيرة، وكان في هذه الجامعة الأمريكية اللاتينية يحاضرهم في الثقافة العربية والإسلامية، فكان نعم السفير لثقافتنا في ذلك العالم الجديد. كما أنه دعى أستاذًا زائرًا في جامعات كثيرة في العالم العربي أذكر منها: تونس والمغرب والجزائر والإمارات العربية المتحدة، إلى جانب الدعوات التي توجه إليه من جامعات إسبانيا ومؤسساتها العلمية، فإذا نظرنا إلى الإنتاج العلمي للطاهر مكّي فإنه يروينا بغزارته وخصوبته دون أن ينال ذلك من جودته الفائقة وتنوعه الكبير، ولقد أصابني الحيرة حينما استعرضت كتبه ودراساته وحاولت أن أقوم لها بتصنيف ييسر عليّ أمر عرضها والحديث عنها، فلم أدر هل أقوم بهذا التصنيف على أساس الأنواع الأدبية البحثية أو على

ألوان التأليف، وآثرت في النهاية أن يكون التصنيف على هذا الأساس الأخير، وأعني بذلك الألوان المختلفة التي توزّع إنتاج عضونا الجديد على ثلاثة مجالات: منها ما هو تأليف، ومنها تحقيق لنصوص تراثية مشفوعة بدراسات، ومنها ترجمات عن لغات أجنبية.

أما الكتب المؤلفة، فمن أولها كتابه عن امرئ القيس - حياته وشعره، الذي صدرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٨م، وعلى كثرة ما كتب عن امرئ القيس فإن لهذا الكتاب مذاقًا خاصًا جمع فيه صاحبه بين حساسية الفنان وحسن تذوقه، ودقة العالم وصداقة منهجه، وفيه يبدأ بعرض الحياة بلاد العرب الجنوبية وتاريخها اعتمادًا على النقوش التي عثر عليها في بلاد اليمن، يلي ذلك بحث للغة العربية في جنوب الجزيرة وشمالها وكيف أدت الهجرات المستمرة من قبائل الجنوب إلى الشمال، وتعرض بلاد اليمن إلى غزوات أجنبية من حبشية وفارسية، إلى سيادة لهجات الشمال، وهكذا اتخذ أهل الجنوب لغة أهل الشمال الأدبية الراقية، ثم

عرض لنا تاريخ قبيلة كندة التي بدأ نزوحها من الجنوب إلى قلب الجزيرة في نجد من النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ، فأنشؤوا مملكة على الأراضي السحدية، وتتبع بعد ذلك تاريخ ملوك كندة حتى حُوجر بن الحارث والد امرئ القيس الذي كان حاكمًا على أسد وغطفان، وثورة قبائل أسد عليه ومقتله ومن هنا يتبع سيرة ابنه الشاعر امرئ القيس الذي قدر عليه أن يقضي حياته بعد ذلك في محاولة الثأر لأبيه ومحاولة استرداد ملك أجداده؛ حتى أدى به الأمر إلى الرحلة إلى قيصر بيزنطة، وكان فيها ختام حياته قرب أنقرة في نحو سنة ٦٦٥م وهو في كل ذلك يناقش الروايات المتضاربة ، ويعتمد على نصوص ديوان امرئ القيس التي ارتضى صحتها رافضاً ما أحاط بحياة الشاعر من تفاصيل تصطدم بمنطق التاريخ.

وبالبحث يبحث بعد ذلك روايات ديوان امرئ القيس في مخطوطاته الأصلية وفي طبعاته المختلفة ثم يفرد دراسات لقضايا ذات أهمية بالغة منها: أولية الشعر

الجاهلي، وتطوره من الناحية العروضية، وبيئات الشعر القديم، وتنقله بين القبائل، والشعراء السابقون على امرئ القيس والمعاصرون له ، وأبرزهم زهير بن جنابل الكلبي، وعمرو بن قميئة رفيق امرئ القيس في رحلته، وهذه كلها قضايا اختلف حولها الدارسون ومازالت محل مثار وبحث، وبقية فصول الكتاب دراسة تحليلية لموضوعات شعر امرئ القيس في مقدماته الطللية وغزلياته ولوحاته الوصفية للطبيعة المتحركة والصامتة، وهنا تتجلى حساسية الفنان في تحليل تلك الصور البصرية وفي مناقشته لأبي بكر الباقلاوي الذي أسرف في نقده لمعلقة امرئ القيس على نفسه وعلى الذوق الأدبي حين جعل من الجدل والمنطق عماده في الفهم والتفسير، وهما في نظر الباحث آخر ما ينبغي أن يستخدم في تذوق الشعر.

الكتاب الثاني الذي يستوقف النظر هو (دراسة في مصادر الأدب) وهو يتوزع على خمسة عشر مبحثاً، الخمسة الأولى تتناول موضوعات مختلفة متصلة بتاريخ التراث العربي وقضاياها، وهي حول رحلة

بسام، ونفع الطيب للمقرى .
وهو في هذه الدراسات العشر يقدم تحليلاً
دقيقاً لمادة كل كتاب ويختتم ذلك
بصفحات مختارة منه.

ونأتي بعد ذلك إلى كتابين يدخلان في
مجال الدراسات الأندلسية: أولهما
(دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق
الحمامة)، وهو دراسة مفصلة لكتاب
الطوق، مع ما أحاط بتأليفه من ظروف
اجتماعية وسياسية ومحاولة لتفسير هذا
الاتجاه غير المنتظر من ذلك الفقيه الذي
كان يعد من المتشددین في مذهبه
المقاومين للتيار الفقهي السائد في عصره
حتى إن لسانه كان يقرن بسيف الحجاج
ابن يوسف الثقفي ، ثم إذا به يؤلف كتاباً
في الحب، نلمس فيه مدى رقة عواطفه،
وعمق إنسانيته ، ثم نجد في الدراسة تحليلاً
لمادة الكتاب وتأثيره فيما ألف في هذا
الموضوع بعده، ومناقشة لآراء المستشرقين
حول طبيعة ابن حزم، وما زعمه البعض
من أنه يمثل حساسية أعجمية في الإسبانية.

والكتاب الآخر هو (دراسات
أندلسية في الأدب والفلسفة والتاريخ)

الشعر العربي من الشفاهية إلى التدوين ،
وجهود رواة البصرة والكوفة، ثم الخط
العربي وتطوره، وما سماه عصر
المخطوطات، وفيه يتحدث عن مرحلة
جديدة للتدوين، مرتبطة بالتوسع في
صناعة الورق، والمبحث الرابع حول طرق
التدوين، وشرائط النسخ وما ينبغي أن
يتسلح به محقق النص المخطوط أو دارسه،
والخامس عن مصادر الشعر الأول، ابتداءً
من دواوين القبائل، والشعراء، وكتب
المختارات، حتى كتب شروح الشواهد
النحوية. وأما المباحث العشرة التالية فقد
أفردتها لعدد من أهم كتب التراث التي لا
غنى لدارس الأدب عنها: طبقات فحول
الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين
للجاحظ ، والحيوان للجاحظ ، وهنا
يفرد الفصل لترجمة بحث المستشرق
الإسباني بلاسيوث عن الكتاب ومعه
كشف تحليلي لمادته. وتلي ذلك دراسات
لكتاب الكامل للمبرد، والشعر والشعراء
لابن قتيبة ، والأغاني لأبي الفرج
الأصمغاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه
والفهرست لابن النديم، والذخيرة لابن

وهو مجموعة من الدراسات يبلغ عددها أربع عشرة أكثرها مؤلف ، وأربع منها ترجمة عن الإسبانية، وتبدأ هذه الأبحاث بدراسة لغوية تاريخية حول اسم الأندلس، وفيه يتبع المؤلف بداية استخدام المسلمين لهذا اللفظ، ويبين أن أصله wandalos الجرماي الذي كان يدل على مجموعة من قبائل القوط هم الذين عرفوا بالوبدال وانتقلوا بعد غزوهم لشبه الجزيرة إلى شمال إفريقية، وهاك اصطدم بهم العرب الفاتحون القادمون من مصر. وهو يفسر تحول الواو في ولندلس إلى همزة لأن اللفظ انتقل عن اللغة البربرية ؛ لأن انقلاب الواو همزة لا تعرفه اللغة العربية أبداً. وقد علق العلامة محمود شاكر رحمه الله على هذا التفسير، فأورد شواهد على تحول الواو إلى همزة في العربية؛ مما يدل على أن لفظ الأندلس انتقل عن العربية مباشرة دون حاجة إلى تلك الوسطة البربرية، وعقب الطاهر مكي على رأي محمود شاكر تعقيباً فيه كثير من التوقير والتأدب في الحوار؛ وإن لم يبد اقتناعاً كاملاً لرأي الشيخ الجليل .

تلى ذلك أبحاث أخرى أفرد من بينها مقاله المترجم عن المستشرق خوليان ريبيرا وهو في المقارنة بين كتابين لمؤرخين أندلسيين أحدهما ابن القوطية وهو (تاريخ افتتاح الأندلس) والآخر مجهول المؤلف وهو (أخبار مجموعة)، والمقال تحليل للكتابين ومحاولة لحل مشكلة حقيقة تأليفهما وزمن هذا التأليف، وبعد ذلك دراسة قصيدة لأبي إسحق الإلبيري هذه القصيدة التي فجرت ثورة آل غرناطة على اليهود، وفيها حرض هذا الشاعر الزاهد جماهير المسلمين على يوسف بن النعرة ورير الأمير باديس بن حبوس بعد أن كان أمعن في الإساءة إلى المسلمين والاستخفاف بالإسلام.

وتتوالى الدراسات بعد ذلك، إحداها عن الشاعرة العاشقة حفصة بنت الحاج الركونية، التي انعقدت صلة حب بينها وبين أبي جعفر بن سعيد؛ مما أدى إلى إيقاع منافسة والي غرناطة أبي سعيد بن عبد المؤمن به ، ومع هذه الدراسة ما جمعه الباحث من شعر حفصة الركونية .

هذا الكتاب دراسات أخرى لا تقل عن تلك قيمة وأهمية؛ غير أن الوقت لا يسمح بعرض كل الدراسات التي تبلغ في مجموعها أربع عشرة.

يلي ذلك كتابان يربط بينهما اتجاه جامع وميدان واحد وهما في الأدب العربي الحديث، وكلاهما مدخل يعين الدارس علىولوج إليهما. الأول عن (الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته)، وفيه يؤرخ للشعر العربي الحديث من خلال نصوصه المختلفة التي تتوزع على كافة الاتجاهات والمدارس والأغراض على امتداد الوطن العربي، مع مقدمة موجزة أدارها حول أربعة محاور رئيسية هي: طبيعة الإبداع، والمذاهب الأدبية المختلفة، والشعر والشاعر والقارئ، ثم نظرة إجمالية على واقع الشعر العربي الحديث، منذ البارودي حتى آخر درجات الحداثة، وأما الكتاب الثاني فيماثل سابقه في اتجاهه وفي الهدف من كتابته، فهو عن (القصة القصيرة دراسة ومختارات)، والهدف من الكتاب هو أن يضع بين يدي القارئ تصورًا عامًا موجزًا للقصة عبر

وتلى ذلك ثلاث دراسات مترجمة . الأولى لمستشرق في جامعة مدريد عن شاعر المرينية أبي جعفر خاتمة، وكانت قد حققت ديوانه، ودرست شعره وأسلوبه، وتأثيره المحتمل في الشعراء الإسبان، وكذلك لموشحاته وهي من أمتع الدراسات حول هذا الشاعر الأندلسي الذي يمثل مع صاحبه ابن الخطيب آخر ومضة من ذهاب الشعر في غرناطة الإسلامية، والثانية عن الأصول العربية في فلسفة ريمون دولوليو هو بحث لخوليان ريبيرا حول هذا المتصوف المسيحي المتأثر بابن عربي، والذي كان يكن حبًا للمسلمين وإعجابًا بحياتهم الروحية، والثالثة عن الشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوربي، وهي في الأصل محاضرة للأستاذ بالينثيا ألقاها في المعهد الإسباني في نيويورك سنة ١٩٣٥م، وفيها فهم جديد متفتح للوجود الإسلامي في إسبانيا، وإشادة بالحضارة الإسلامية والشعر الأندلسي وبيان لتأثيره في الشعر الأوربي انطلاقًا من الشعر الإيطالي والبرتغالي وشعر التروبادور، وهناك في

من رواد القصة القصيرة اثنان دفعا بها إلى الوجود هما الأمريكي بلوتو، والروسي سيقولاوي جوى، واثنان أعطياها شكلها الفني المكتمل هما باسان الفرنسي، وأنطون شيخوف الروسي، وكان هذان هما أكثر الكتاب الأوربيين تأثيراً في مولد القصة العربية الحديثة وتطورها.

بعد ذلك يتناول الكاتب تحديد خصائص القصة القصيرة، ويهتم بقضية لغة الحوار في القصة، وقد كان موقف الطاهر مكي في هذه القضية مؤيداً لموقف محمود تيمور الذي بدأ بكتاب الحوار بالعامية، ثم عدل عن ذلك إلى العربية الفصيحة؛ لما رأى أن اختلاف مستويات اللغة بين القصة والحوار يحل بوحدة النص الأدبي واتساقه، ويفقده قيمته الجمالية، ويلى ذلك عرض لتاريخ القصة القصيرة في عالمنا منذ بدايتها على أيدي الأخوين محمد ومحمود تيمور.

ويأتي بعد ذلك قسم المختارات، وفيه قصص لواحد وعشرين كاتباً عربياً معظمهم من المصريين وبينهم أربعة من البلاد العربية، ومن القصص العالمية وقع

التاريخ في الشرق والغرب وخطوطاً عريضة لتقنية القصة الحديثة، واتجاهاتها في الأدب العربي وألواناً مختارة منها، لا تقف عند بلد عربي بعينه، وهو يبدأ بعرض تاريخي لنشأة القصة وأصولها السعيدة منذ وجدت أيام المصريين القدماء، وقد وصلتنا منها المجموعة التي عثر عليها ماسبيرو ونشرها في أواخر القرن الماضي، وانتقلها إلى اليونان ممثلة في إيسفت، وعالج المؤلف بعد ذلك أساطير عرب الجاهلية، والقصص القرآني، والقصة في مصر الوسيطة، حيث تمت الصياغة الأخيرة لمجموعة ألف ليلة وليلة.

ومن القصص العربي المقامات التي بدت لوناً من ألوان القصة القصيرة على أيدي بديع الزمان والحريري، وتناول الحديث بعد ذلك هجرة القصة إلى أوربا من خلال الأندلس، ونهضة هذا الفن في إيطاليا خلال القرن الرابع عشر، وانتقلها إلى فرنسا وإسبانيا، وبعد فترة من الركود خلال القرن الثامن عشر، عادت القصة في ثوب جديد خلال القرن التاسع عشر بفصل الصحافة، ووقف عند أربعة

أحد الرحالة الإسبان، الذي يسمى في العالم العربي بعلي بك العباسي، ومن مؤلفات الطاهر مكي التي كانت ثمرة لصلته بأمريكا اللاتينية كتابه (Pablo Niruda الشيلي) الذي نال جائزة نوبل لعام ١٩٧١ وفيه يتناول بالدرس سيرة حياة هذا الشاعر المناضل، ويتحدث عن فنه وخصائصه، ومدى التزامه سياسيًا واجتماعيًا وفنيًا .

ونأتي إلى الميدان الثاني الذي وسعه نشاط الطاهر مكي واهتمامه، وهو تحقيق التراث، وأذكر من نمادجه عمليين، كلاهما لشخصية العالم الأندلسي الفذ الذي كان دائمًا مسار إعجاب الطاهر مكي ابن حزم الظاهري، الأول كتابه (الأخلاق والسير)، وهو كتاب على صغره يعد من أجمل ما خطه قلم المفكر القرطبي الكبير، ففيه يقدم خلاصة تجاربه في الحياة، وفيه صفحات يكشف فيها عن مشاعره الحميمة، فجاءت أشبه شيء بالاعترافات، وتصويرًا دقيقًا صادقًا لنفسيته، ونفسيات نماذج بشرية التقى بهم وعرفهم عن كثب وكشف عن دخالهم بثاقب بصره، وقدم

اختياره على ثمانية كُتاب كتبوا بالروسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية.

ومن آخر مؤلفات الطاهر مكي وأكثرها قيمة كتابه عن (الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه)، وهو يعد أوفى ما كتب في هذا المجال، وفيه يتناول تاريخ هذا العلم منذ نشأته ثم استقلاله، ومناهجه المختلفة، ولاسيما في مدرسته الكبريين الفرنسية والأمريكية، ووجوه الاختلاف بينهما، ثم بيان الفرق بين الأدب المقارن والأدب العام، وما بين هذين والأدب العالمي، ويلحق بهذا الكتاب كتابه الآخر الذي يشترك معه في المجال نفسه في الأدب المقارن، (دراسات نظرية وتطبيقية)، وفيه يتناول مباحث متنوعة منها: الجاحظ وماله من آراء تدخل في هذا الميدان قبل أن يولد هذا العلم بقرون كثيرة، وموضوع الصالونات الأدبية، ومصادر مي زيادة الأجنبية، والأندلس في الأدب الأمريكي، وتأثر شعراء التروبادور بالشعر الأندلسي، ثم العالم العربي في القرن الماضي كما رآه

للكتاب بمدخل وافٍ عن حياة هذا الإمام العظيم، وروافد ثقافته العلمية ومؤلفاته، ويعد تحقيقه لهذا الكتاب مع كثرة مؤلفاته أصح وأوثق رواياته. والكتاب الثاني هو رائعته وأجمل كتاباته الإبداعية، (طوق الحمامة في الألفة والألاف)، وهو بدوره كتاب نشر نشرات عديدة من قبل عن النسخة الوحيدة المخطوطة المحفوظة في حِزانة هولندا، والكتاب يقدم لنا أيضاً صفحات عن حياة مؤلفة وسجلاً للحياة العاطفية في أندلس القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس، ولهذا لم يكن من العجيب أن يظفر بترجمات أكثر من ثلاث عشرة لغة.

ونأتي إلى الميدان الثالث الذي شق فيه قلم الطاهر مكي معالم مضيئة في لون من الكتابة، لا يثبت فيه إلا قلم الراسخ في العلم، وهو الترجمة، والترجمة فن لا يقل الإبداع فيه عن الأعمال المؤلفة، وكثيراً ما يغري من ليس مؤهلاً له فيكون نكبة على صاحبه، وعلى من قام بالترجمة عنه، إذ هو أشبه ما يكون بالشعر:

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
هوت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعر به فيعجمه
وترجمات الطاهر مكي نموذج للإتقان والجمال الفني، نرى فيه التوازن الذي لا بد أن يتوافر بين معرفة النص المترجم عنه وفهم مقاصده، وبين تمككه من اللغة التي يترجم إليها، وأول ما أثير إليه من ترجماته نقله للمحمة السيّد، وهي أول شعر إسباني يصل إلينا بكل ما تحمله إلينا من حشونة وبداءة في لغة بينة الصعوبة، ومع ذلك فقد قدّم إلينا الطاهر مكي هذا النص العسير في لغة حزلة قويمّة، استطاعت أن تحمل إلينا قيمه الجمالية وقد قدم للنص المترجم بدراسة وافية في حياة هذا المغامر القشتالي الذي عاش فيه بيئة عربية، وتأثر بحياة المسلمين الذين عايشهم، وكانوا يؤلفون شطراً كبيراً من جنوده، ثم استقر في نهاية حياته في بلسية، وكأنه أحد ملوك الطوائف المسلمين، وقد نختلف مع الطاهر مكي في بعض تأويلاته مثل رده اللقب الذي عرف

به هذا المغامر وهو (السيد) إلى معنى (الذئب) محالاً بذلك ما اتفق عليه أكثر الباحثين من أنه الصيغة الدارجة للقب السيد العربي، ولكن فيما عدا ذلك ترى في ترجمته مغامرة كبيرة تكلفت بالنجاح والتوفيق .

وتلى ذلك ترجمات لعدد من دراسات المستشرقين الفرنسيين والإسبان حول مختلف الموضوعات الأندلسية، كان من بينها، كتابه عن (شعراء الأندلس والمتنبي) وهو ترجمة لكتاب المستشرق الإسباني الكبير إميلو غرسية غومث (خمسة شعراء مسلمين)، والكتاب يضم دراسات عن المتنبي ومعه عدة شعراء من الأندلس هم: الشريف المروني، وأبو إسحاق الإلبيري، وابن الرقاق، وابن خفاجة، وابن قزمان الزجال الذي اتخذ المؤلف لدراسته عنوان (صوت في الطريق)، وهو يشير في ذلك إلى الطابع الشعبي في أزجاله، وأخيراً ابن زمرة آخر كبار الشعراء الأندلسيين.

وعن الفرنسية ترجم الطاهر مكي كتاباً لروفسال (الحضارة العربية في

إسبانيا) ، وهو مجموعة محاضرات تناول بعض حوالب الحضارة الأندلسية. وعن الفرنسية أيضاً ترجم كتاب (الشعر الأندلسي في عصر الطوائف) ، ويعد أوفى دراسة ظهرت حتى الآن لفترة من أزهر فترات الشعر الأندلسي وهي عصر الطوائف الذي كان عصر تدهور سياسي واجتماعي؛ ولكنه كان على الرغم من ذلك، عصر نهضة كبيرة في سائر ألوان الثقافة، وفي الشعر بخاصة. وعن الألمانية كانت ترجمته لجزأين لمؤلف كبير للمستشرق فون شاك بعنوان (شعر العرب وفنهم في إسبانيا وصقلية) وهو كتاب يرجع تأليفه إلى سنة ١٨٦٥م، وكانت طبعته الثانية سنة ١٩٧٧م من القرن الماضي، وكان يعد عند ظهوره وحتى سنوات قليلة بعد ذلك أحسن ما كُتب عن الشعر الأندلسي ، ولهذا فقد سارع بترجمته إلى الإسبانية أديب لم يكن مستشرقاً إلا أنه كان شاعراً وكاتباً نواظراً للأدب الجيد هو خوان باليلا، وكان إلى جانب ذلك أندلسياً من مدينة قبرة مهد أول مبتكر للموشحات الأندلسية، مقدم

ابن معافى أو محمد بن محمود القبري، فاستطاع أن يقدم ترجمة رائعة للنص الألماني ، أعانه على ذلك أيضًا إعجابه وتقديره لحصارة المسلمين في الأندلس ، وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب الذي كان اعتماده في المقام الأول على كتابات المستشرق الهولندي دوري ، وأن ما نشر حتى أيامه من النصوص الأندلسية كان قليلًا فإنه استطاع أن يحسن استخدام ما توافر له من مادة شعرية على نحو جدير بكل تقدير ، ولهذا فإن الطاهر مكي لم ير بأسًا في الإقدام على ترجمة الكتاب لا عن أصله الألماني ، وإنما عن ترجمته الإسبانية ، ونحن نعلم ما يكتنف مثل هذه الترجمات عن لغة الوسيط من مخاطر ، ومع ذلك فقد جاءت ترجمته لهذين القسمين من كتاب دوزي على ما عهدنا من سلامة وجمال أداء ، وكان الجزآن اللذان نشرهما من هذا الكتاب هما القسم الأول من المجلد الخاص بالشعر ، والمجلد الأخير الخاص بالفن، أما الجزء الخاص بالشعر فإنه عرض عام للشعر الأندلسي مع مختارات أحسن انتقاءها ، وملاحظات لا

تخلو من القيمة، وأما الجزء الخاص بهن العمارة ففيه ملاحظات لم تفقد حدتها حول الإسلام وموقفه من التصوير ، وربما كان أهم ما في هذا الجزء ملاحظاته حول الفن الإسلامي في صقلية، ثم المعمار العربي الإسلامي في جزيرة (مالطة).

أطلقنا الرحلة مع هذا الإنتاج العزيز الحبيب للطاهر مكي ولولا أن الوقت ضيق فلاني كنت أسترسل في عرض بعض الكتب الأخرى له، الذي عودنا قلمه على أنه كان ثريًا دائمًا ، لا يكاد ينضب.

أود أن أشير في النهاية إلى جانب من الجوانب الإنسانية من شخصية الطاهر مكي، وهو حوّه على تلاميذه، ورعايته لهم حسنًا أبويا صادقًا عرفه له تلاميذه ومحبه ومريدوه فأصبحوا متعلقين به تعليقًا كبيرًا، وهذا الوفاء الذي نراه في كثير من تلاميذه هو الشيء الذي نفتقده أحيانًا ، في من يحيط بنا من تلاميذنا، وقد أكرمهم الله بهذه الميزة التي نرحو أن يديمها عليه، وكما يقول الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه:

وإذا أحب الله يوماً عبده

ألقى عليه محبة الناس

وأخيراً أعود إلى ما كنت بدأت به

الحديث وهو تلك الوشائج التي تربطني

بالطاهر مكي ولا أملك إراءها إلا أن

أردد مع أبي تمام قوله:

إن يُكْدِ مُطْرَفُ الإخاء فإننا

نغدو ونسري في إخاء تالدٍ

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا

عذب تحدر من غمامٍ واحدٍ

أو يفترق نسبٌ يؤلف بيننا

أدب أقمناه مُقام الوالدِ

وشكراً لحسن استماعكم والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.

محمود علي مكي

عضو الجمع

كلمة الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي

في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله بداية كل خير، وتمام كل نعمة، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، وعلى النعمة المسداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع:

الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع:

الأستاذ إبراهيم التريزي الأمين العام للمجمع:

الأخوة المجمعون الفضلاء:

السيدات والسادة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد... فمنذ أن عرفت أنكم قبلتم في أريحية كريمة صحبتي لكم في هذه المؤسسة العلمية الرفيعة، التي تنهض على حماية العربية والذود عنها، وتجديدها وتطويرها، وشعوران عميقان يملآن وجداني وعقلي، إحساس قوي

بحلال المسؤولية وخطرها وعرفان صادق بكرم الاختيار ونبله، ودون أن أتخفى وراء تواضع باهت، أقدم لكم شكري خالصًا للشرف العظيم الذي أوليتموني إياه حين فكرتم في شخصي الضعيف وانتخبتموني لمجمعكم الموقر؛ لأسهم معكم في مهمتكم الجليلة والخطيرة، أشكركم أعمق الشكر على ما أسبغتم عليّ وعلى ما رأيتم أني أهل له وأقدر اختياركم لي وكرم استقبالكم، ويدي المتواضعة واهية في أيديكم القوية، ويد الله مع الجماعة، كما أشكر زميلي وصديقي الفاضل العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، على شهادته الطيبة عني، فقد أحجل تواضعي، وآمل أن أكون عند حسن ظنه، وأن يجديني كما أملني.

الأخوة المجمعون :

السيدات والسادة:

يجيء لقاءكم الطيب هذا في خواتم شهر شعبان المكرم، وقبل أيام من بداية

ولكن ذلك لا يقلل من شأن المحضات الإسلامية المتعددة، تشهدها أقطار كثيرة، تستجمع قواها لتنهض من كبوتها أو تجاهد في إيمان صامد لتدفع غازيًا أو تتحرر من استعمار جاسم أو تعمل حادة في خطى واسعة لتلتحق بركب العلم، والشواهد على ذلك لا تخطئ في بلاد ما وراء السهر وإيران وباكستان وتركيا والبلقان وماليزيا والفلبين وإندونيسيا ، وفي عمق العالم العربي وأطرافه، وفي أفريقيا حتى تبلغ جزر القمر والمالديف وغيرها .

وحينما ينهض الإسلام تنهض اللغة العربية، ترافقه أو تسبق نهضته أو تجيء بعدها فهي لسانه ولغة قرآنه ، وبينهما علاقة جدلية أخذًا وعطاءً، وأحسب أن العربية اللغة الوحيدة في العالم التي ارتبطت بدين سماوي وجاءت وحيًا إلهيا وأنا على أبواب المجمع في أولى خطايا لا أستبق الأمر ، ولكني أتمنى إن لم يكن الأمر كذلك أن يكون من بين لجان المجمع ونشاطاته لجنة ترعى اللغة العربية خارج الوطن العربي، تتابع سيرها وتعهدها

شهر الصوم المبارك وعلى مسيرة شهر ويوم من بداية القرن الحادي والعشرين. وهذا القرن يرهص بأميرين عظيمين متصلين ومفترقين، العولمة وصحوة الإسلام . وعلى الرغم من أن العولمة أعلى صخبًا لم يجهلوا حركة تاريخنا وتراثنا من بين قومنا، ويتخيلون أنها أمر جديد واحد، وهي ليست كذلك؛ لأن الإسلام دينًا ورسالة موجهة إلى الناس كافة، على مختلف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم، يؤاخي بينهم جميعًا، ويربطهم بوثاق قوي من المحبة والعقيدة والفكر. يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه لرسوله الأمين: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وخلال رحلة الإسلام على امتداد أكثر من أربعة عشر قرنًا لم يعاد حضارة ، ولا اضطهد فكرًا ، ولا صادر علمًا، وأفاد من كل ما أبدعته الإنسانية من تراث خير ومفيد لغير المسلمين في أزمان سبقت ظهوره أو رافق انتشاره .

وصحوة الإسلام تشغل الدنيا كلها علانية أو همسًا، وإن كان الحديث عنها في أمتنا العربية يجيء هيئًا لنا حييًا خافتًا،

تأليف هيئة تنهض على دراسة اللغة العربية، وتيسر المصطلحات التي كانت تتطلبها حركة الترجمة الشطة التي كانت إذ ذاك، وكان على رأس هذه الجماعة الشاعر الكبير حفني بك ناصف، والعالم الجليل أحمد الإسكندري، وسوف يصبح فيما بعد مجمعاً مرموقاً، غير أن الحرب العالمية الأولى وثورة ١٩١٩م والأزمة الاقتصادية ألقت بثقلها على الحياة الثقافية فأغلق نادي دار العلوم، وانفضت الجماعة إلى حين، فلما هدأت الأحوال وتحقق للمصريين شيء من الاستقلال عاد التفكير في الأمر من حديد، فتحول الهاجس إلى فكرة، والفكرة إلى واقع، وأنشئ مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢م، وفي هذا العام نفسه قام الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي أستاذ فقه اللغة في دار العلوم بإنشاء ما أسماه قاعة البحث اللغوي، يكون نشاطها اللغوي في غير أوقات الدرس، وتصدر صحيفة لغوية طلابية تحمل اسم (أنايش) يحررها بعض الأساتذة ضاربين المثل القدوة إلى جانب البايعين من الطلاب تدريساً لهم وإعداداً.

أصواتاً وحروفاً ودلالات وتراثاً، تقدم لأهلها النصيح، وتهديهم إلى الخير. وتمضي بي الأحلام إلى ما هو أبعد، أن يجيء اليوم الذي تتضمن فيه المعاجم الكرى التي يصدرها المجمع الدلالات المحدثه لألفاظ العربية في تلك البلاد، ذلك حلم قد يبطئه الزمن ولكنه قادم لا محالة .

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع :

المجمعون الفضلاء:

السيدات والسادة :

أستشعر شيئاً من الرهبة في هذه اللحظة حين أعرض للعالم الجليل الذي سوف أشغل مكانه، المرحوم الأستاذ عبد الكريم إبراهيم العزباوي، لقد أمضى هذا العالم الفذ حياته الوظيفية كلها في المجمع، على امتداد ستة وثلاثين عاماً، منذ أن تخرج في دار العلوم ، وهذا الاهتمام باللغة هو الذي حمله إلى المجمع ولم يكن عمله فيه هو الذي دفعه إلى التخصص فيها، لقد كانت فكرة المجمع قبل قليل من قرن مضى هاجساً دار بخلد صفوة من الدرعميين حين التقوا في نادي دار العلوم سنة سبع وتسعمئة بعد الألف حول فكرة

مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٦٨م.

وأما المصريان فهما محمد عبد الحليم عبد الله الروائي الشهير وعمل في المجمع منذ تخرجه إلى أن بلغ سن التقاعد، وأما الآخر فهو أغزر الثلاثة إنتاجًا وتأليفًا ودرسًا فهو المرحوم الأستاذ عبد الكريم العزباوي الذي أشرف بأن أشغل مكانه اختياريًا ، وآمل أن يتحقق ذلك واقعًا؛ ذلك أن الأستاذ العزباوي كما ترون أعدته الحياة مذ كان طالبًا في دار العلوم لأن يعمل في المجمع اللغوي باحثًا، وقد تسلح بالعلم والمعرفة، والمنهج والإرادة، وهي أدوات ثقلتها الدربة والتجربة وزمالة الفضلاء من أعضاء المجمع فكان عطاؤه في مجال التحقيق ثراءً، ودوره في نشاطات المجمع متواصلًا ، ففي العام نفسه الذي تخرج فيه في دار العلوم اجتاز الامتحان الذي عقده المجمع أمام لجنة كان يرأسها أحمد الإسكندري؛ ليعمل محررًا في المعجم الوسيط، وهو خير المعاجم العربية الحديثة، ولا سبيل إلى مقارنته حتى الآن بأي معجم من معاجم القرن العشرين

وجمعت الأبحاث كلها في كتاب بعد ذلك حمل اسم (البحاث اللغوي) يتضمن حططًا لدراسة اللغة، ورياضات لغوية في قراءة القاموس المحيط والغوص وراء الغريب الصالح للبحث اللغوي، والمصطلح الذي تحتاجه الحياة المعاصرة، وأبحاثًا أخرى.

كانت الغاية من القاعة اللغوية وما تبني من أقطار وما تعد من طلاب وباحثين أن تمد المجمع اللغوي الناشئ بالمشروعات اللغوية، والأفكار التي تنهض بالعربية وإعداد الشبان الباحثين الذين تدربوا على هذا العمل كي يعينوهم على أداء رسالته، غير أن الصحيفة والقاعة توقفتا عن العمل بعد سنوات أربع بانتقال الأستاذ المشرف عليها، كان من بين أنشط أعضاء هذه القاعة اللغوية، ثلاثة طلاب ناهين سوف يقودهم استعدادهم ودراساتهم إلى المجمع اللغوي، مصريان وعراقي .

أما العراقي فهو الدكتور عبد الرزاق محي الدين، وكان في وطنه جامعًا مرموقًا ووريرًا للوحدة المصرية العراقية ورئيسًا للمجمع العلمي العراقي وأخيرًا عضوًا في

بمراجعة الكتب التي حققها بعض الأساتذة ويقوم المركز بنشرها أو السحوث التي يرغب أصحابها في نشرها بالمركز ، كانت هذه وتلك مساحة واسعة من علوم العربية، اللغة، والسحو والصرف، والبلاغة ، والسحوث.

شغل الأستاذ العزباوي بتحقيق التراث طوال حياته وكات سطاها الأولى في هذا المجال تحقيق أجزاء من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني حقق منه وحده الأجزاء : الثامن، والسابع عشر وحقق الجزء السحوث والعشرين بالاشتراك مع الشاعر الكبير محمود غنيم، والثاني والعشرين بالاشتراك مع أستاذنا علي السباعي عضو المجمع، والرابع والعشرين بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر، وصدرت كل هذه الكتب في ما بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٧٤م بإشراف المحقق الأستاذ المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم، غير أن اللغة وهي متعته الأولى ما لبثت أن شدته إليها فحقق الجزء الرابع والعشرين من تهذيب اللغة للأزهري، وطع لأول مرة في القاهرة عام ١٩٦٧م ، وحقق من

وضوحًا ودقة وضبطًا وتجديدًا ومعاصرة والشيء نفسه يمكن أن يقال عن المجمع الوجيز وكلاهما يتزاحم الوراقون المحترفون الآن في العالم العربي أجمع على نشرهما وطبعهما على ورق ثقيل في أحبار متنوعة وأشكال مرخرفة ومجلدة، وأرسل ماعداهما من معاجم سحوثة أخرى إلى زوايا النسيان، كما شارك في إعداد المجمع الكبير وهو من مفاخر المجمع الكرى، رغم أن العمل فيه يمشى الهويني، وعند إحالته إلى التقاعد قدرت له لجنة المجمع دوره وعلمه ورشحته خيرًا بها .

ومنذ اللحظة التي دخل فيها الأستاذ العزباوي المجمع لم يتوقف نشاطه في المعاجم واللجان ومع علمائه وبين أبحاثه أمضى عصارة حياته باحثًا ودارسًا ومنقبًا إلى أن أحويل إلى التقاعد عام ١٩٧٣م، وما كان للمجمع أن ينسى فضله أو يزهده في علمه فاختر في العام نفسه مستشارًا بالمجمع، وفي عام ١٩٧٦م اختارته جامعة أم القرى في مكة المكرمة ليشارك في تأسيس مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي ، وعهدت إليه

تاج العروس للزبيدي الأجزاء: الثالث،
والحادي عشر، والعشرين، والسادس
والعشرين، والثامن والثلاثين، والسادس
والثلاثين ، وحقق منه الجزء الخامس عشر
بالاشتراك .

كما حقق كتاب الجيم لأبي عمرو
الشيبياني، أنخرجه بجمع اللغة العربية
وكتاب (فعل وأفعل) للأصمعي، ونشره
في مجلة كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية في جامعة أم القرى. وهو
كتاب يتناول قضايا لغوية دقيقة تختلف
أبو حاتم السجستاني في بعضها مع
الأصمعي، وكل واحد منهما يؤيد رأيه
بالقرآن والحديث والشعر ، وهو مبني
على أسئلة يوجهها أبو حاتم للأصمعي
ويرد هدا عليها، وأبو حاتم هو الذي
روى الكتاب عن الأصمعي، يقول:
"سألته عنه حرفاً حرفاً" فالكتاب نتاج
هذين العالمين الجليلين ، وأنا أؤكد على
هذه الحقيقة، التي كان المرحوم العزباوي
يعرفها جيداً، وأشار إليها في مقدمة بحثه،
لأن هناك من أعاد نشر النص بعده،
ونسبه إلى أبي حاتم السجستاني موهماً أنه

اكتشف حديثاً .

غير أن عمله في جامعة أم القرى
 وإقامته في مكة المكرمة وما أحاط به من
جسور وروحي هناك وحه جهده وجهه
إسلامية فحقق كتاب (غريب الحديث)
للإمام الخطابي، ونشرته جامعة أم القرى
في ثلاثة مجلدات، كما حقق (المجموع
المغيث في غريب القرآن والحديث)
للإمام الحافظ الأصفهاني في أربعة
مجلدات، ونشرته جامعة أم القرى أيضاً
في لفظة بارعة ذكية يسهم في إلقاء الضوء
على تراثنا العلمي فيحقق كتاب (الموجز
في الطب) لابن النفيس وهو عالم انتهت
إليه رئاسة الطب في مصر في عصره
وخلف ثروة واسعة وقفها وداره وأملاكه
وكتبه على البيمارستان المنصوري، ويقول
عنه أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي:
" كان إماماً أوحده في الطب " لا يضاهي
في ذلك ولا يبارى استحضاراً واستنباطاً.
وبذلك التحقيق أسهم في إزاحة الستار
عن مؤلف جيد لطبيب عظيم يقول عنه
العالم الطبيب الدكتور بولغيوندي في
كتابه الجيد عن ابن النفيس : "إنه كان

بؤمن بتفوق الملاحظة الشخصية والبحث
الأصيل على مجرد نقل أقوال الأقدمين
مهما كانت منزلتهم ، ويرفض كل ما
لا تقره العبر والتجربة .

وإلى حاشى الطب صنف ابن النفيس
فى علوم اللغة وملك ناصيتها ومدلولاتها
الدقيقة، وكان ابن المحاس النحوي يقول
عنه: "لا أرمى بكلام أحد بالقاهرة فى
المحو عبر كلام ابن النفيس" وقد راجع
التحقيق الدكتور الطيب أحمد عمار
النائب السابق لرئيس الجمع اللغوي
بالمفاهىره ، وسهرته لجنة إحياء التراث
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالمفاهىره سنة ١٩٨٦م.

كان المرحوم الأستاذ العزباوي يسير
فى مسهجه تحففاً على خطى المدرسة
المصرية العريقة، ذات التقاليد الجليلة التي
أرسى قواعدهما وأقام بناءها علماؤنا
الأجلاء: الشاذران أحمد ومحمود، وعبد
السلام هارون، والشيخ محي الدين عبد
الحميد، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،

والسيد صقر، وشوقي ضيف، ومصطفى
حجازي ، وآخرون ، فجاءت لها تمكنا
جيداً من التراث، وإحاطة واسعة بالتاريخ
وأسلوبه فيها أدبي رفيع، يتسم بالجزالة
والقوة والوضوح، وكان إلى جانب ذلك
يتسم بالتواضع الجسم، يؤثر أن يختم
مقدماته بمقولة للخطابي نفسه صاحب
كتاب غريب الحديث، يقول: "وكل من
عثر منه - غريب الحديث - على حرف
أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله
إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه، فإن
الإنسان ضعيف إلا أن يعصم الله
بتوفيقه". وأنا بدوري استمحيكم عذراً إذا
كنت قد قصرت فى حق هذا العالم
الجليل، وبحسبه وحسبي أن أعماله تشهد
بفضله وتهدى إلى شيء من جهده وعلمه
فجزاه الله عن اللغة العربية وأهلها وتراثها
خير الجزاء، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

الطاهر مكي
عضو الجمع

كلمة الختام للأستاذ الدكتور

شوقي ضيف رئيس المجمع

أشكر للأستاذ الجليل الدكتور الطاهر أحمد مكي هذه الكلمة الطيبة القيمة، وأعود إلى ما قلته أولاً من أنني أهنيء المجمع بدخوله فيه ، ودخول زملائه من الأعضاء الثمانية الذين استقبلهم المجمع هذا العام، ومما لا شك فيه أنهم سيقدمون إلى المجمع ويثرونه ببحوثهم اللغوية والأدبية البارعة ، وشكراً لحضراتكم على تجشّمكم المشقة والمجيء لنا واستماعكم إلى هذه الكلمات وأكرر الشكر .

